رسائل الجاحظ

الجزء الثاني

ومعه الفهارس الفنية لمجموعة الرسائل

١١ - في النابتة ، إلى أبي الوليد
١٢ - كتاب الحجاب
١٣ - مفاخرة الجواري والغلمان
١٤ - كتاب القيان
١٥ - ذم أخلاق الكتاب
١٦ - كتاب البغال
١٧ - الحنين الى الأوطان

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

دار الجيل
بيروت

دار الجيل للطباعة
جمهورية مصر العربية
١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون : ٩٠٥٢٩٦

١١

رسالة

في النابتة

إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دُواد

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه هي الرسالة الحادية عشرة من رسائل الجاحظ ، وعنوانها في الأصل :

« رسالة لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، إلى أبي الوليد محمد بن أحمد ابن أبي دواد في النابتة » .

أما أبو الوليد فقد سبق التعريف به في صدر الرسالة السادسة ، وهي : « رسالة نفي التشبيه » .

وأما النابتة فيعني بهم الطوائف المبتدعة التي نشأت بعد مضي الصدر الأول من الإسلام ، ولا سيما بعد فتنة عثمان .

وأصل النابتة في اللغة هم الأغمار من الأحداث ، فأطلق هذا اللفظ عليهم إشارة إلى ضعف آرائهم ووهن تفكيرهم ، وإلى أنهم طارئون على الأصول الدينية المتعارفة ، لايعتمدون في ذلك على أساس وثيق .

والنابتة والنوابت تسمية قديمة وردت في شعر أبي السرى الشميطي ، وهو قوله : (انظر البيان ٣ : ٣٥٦) :

لا حرورا ولا النوابت تنجو لا ولا صحب واصل الغزال

والجاحظ يقرن النابتة بالمبتدعة إذ يقول في موضعين من هذه الرسالة : « نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا » ص ١٢ س ٤ و ص ١٤ س ٧ .

وبالرافضة إذ يقول في هذه الرسالة ص ١٨ س ٨ : « حتى نبتت هذه النابتة وتكلمت هذه الرافضة » .

وبالعوام إذ يقول في ص ٢٠ س ٣ : « وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الإثم والضلال إلا ما حكيت لك عن بني أمية وبني مروان وعمالها ومن لم يدن بإكفارهم ، حتى نجمت هذه النوابت ، وتابعتها هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر » .

ويتحدث عن نابتة الموالي في قوله ص ٢١ س ١ : « وقد نجمت من الموالي ناجمة ، ونبتت منهم نابتة » .

ولهذه الرسالة أصل أول ، هو مجموعة مكتبة داماد .

وقد نشرها للمرة الأولى من قبل « ڤان ڤلوتن » معتمدا على هذا الأصل نسخة مكتبة «داماد» ، وعنوانها مطابق للأصل « رسالة لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إلى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أبى دواد فى النابتة » .

ومن هذه النشرة نسخة بدار الكتب برقم ٧٦٠ أدب تيمور ، وهى فصلة من مجلة: Actes de XIe Cony. Intern des Or. كما ذكر بروكلمان ٣: ١١٣. وفى هذه النشرة تحريفات كثيرة أشرت إليها فى حواشى نشرتى هذه .

ونشرها كذلك الشيخ محمود عرنوس سنة ١٩٣٧ م بالمطبعة الإبراهيمية عن نسخة دار الكتب ٢٨٥٥ تاريخ ، المكتوبة سنة ١٣٣٢ هـ مع المقابلة على مخطوطتين فى المكتبة التيمورية برقم ٣٢١ ، ٢٠٨٧ تاريخ . وعنوانها عنده هو : « رسالة للجاحظ فى بنى أمية » .

وأعاد نشرها بعد ذلك السيد عزت العطار الحسينى فى سنة ١٣٦٥ هـ بعنوان : « رأى أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى معاوية والأمويين » مع أن عنوانها فى الأصل الذى نشر عنه نسخته وهو مخطوطة دار الكتب رقم ٢٨٥٥ تاريخ : « رسالة للجاحظ فى بنى أمية » .

وقد عنيت فى نشرتى هذه بالمقابلة على المخطوطات الثلاث :

١ — مخطوطة دار الكتب برقم ٢٨٥٥ تاريخ ، المكتوبة سنة ١٣٣٢ .

٢ — المخطوطة التيمورية الأولى برقم ١٠٨٧ تاريخ تيمور ، المكتوبة سنة ١٣١٧ هـ وعنوانها الذى كتب بخط أحمد تيمور باشا : «رسالة للجاحظ فى ذم بنى أمية » .

٣ — المخطوطة التيمورية الثانية برقم ٣٢١ تاريخ تيمور ، المكتوبة ١٣١٩هـ. وعنوانها : « رسالة للجاحظ فى بنى أمية » .

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاءك ، وأتمَّ نعمتَه عليك ، وكرامتَه لك .

اعلمْ ، أرشدَ الله أمرك ، أنَّ هذه الأمّةَ قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليّتها إلى طبقاتٍ متفاوتة ، ومنازلَ مختلفة :

فالطَّبقة الأولى : عصرُ النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعُمر رضى الله عنهما ، وستُّ سنينَ من خلافة عثمان رضى الله عنه ؛ كانوا على التوحيد الصَّحيح والإخلاص المُخلَص ، مع الألفة واجتماع الكلمةِ على الكتاب والسنَّة . وليس هناك عملٌ قبيحٌ ولا بدعةٌ فاحشة ، ولا نَزْعُ يدٍ من طاعةٍ ، ولا حسدٌ ولا غِلٌّ ولا تأوُّل ، حتَّى كان الذي كان من قَتل عثمان رضى الله عنه وما انتُهِكَ منه ، ومن خَبْطهم إيَّاه بالسِّلاح ، وبَعْج بطنه بالحراب ، وفَرْيِ أوداجه بالمشاقص[1] ، وشَدْخ هامته بالعَمَد[2] ، مع كفِّه عن البَسْط ، ونَهْيِه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قَبل ذلك مِن كم وجهٍ يجوز قَتْل من شَهِد الشهادة ، وصلَّى القِبلةَ[3] ، وأكَلَ الذَّبيحة ؛ ومع ضربِ نسائه بحَضْرته ، وإقحام الرِّجالِ على حُرمته ، مع إتِّقاء نائلة بنتِ الفُرافِصة[4] عنه بيدها ، حتَّى

---

(١) جمع مشقص ، وهو من النصال : ما طال وعرض .

(٢) العمد : جمع عمود ، وهو العصا ، والخشبة القائمة فى وسط الخباء .

(٣) أى جهة القبلة ، وجعلت فى المطبوعة « إلى القبلة » خلافا لما فى الأصل .

(٤) نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص ، امرأة عثمان ، تزوجها وهى مسلمة وكان أبوها نصرانيا . جمهرة ابن حزم ٤٥٦ .

أطَنُّوا إصبعين من أصابعها[١] ، وقد كَشَفَتْ عن قِناعها ، ورفعَتْ عن ذيلها ؛ ليكونَ ذلك ردْعًا لهم ، وكاسرًا من عزمهم ؛ مع وَطْئهم فى أضلاعه بعد موته ، وإلقائهم على المزبلة[٢] جسدَه مجرّدًا بعد سَحبه ، وهى الجَزَرة[٣] التى جعلَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كُفُوًا لبناته وأيامَاهُ وعقائله[٤] ؛ بعد السَّبِّ والتعطيش ، والحصْر الشّديد ، والمَنْع من القُوت ؛ مع احتجاجه عليهم ، وإفحامه لهم ، ومع اجتماعهم على أنّ دمَ الفاسق حرامٌ كدم المؤمن ، إلّا من ارتدَّ بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان ، أو قَتل مؤمناً على عَمدٍ ، أو رجلٌ عَدَا على النّاسِ بسَيفهِ فكان فى امتناعهم منه عطبُه ؛ ومع إجماعهم[٥] على ألّا يُقتَل من هذه الأمة مُوَلٍّ ، ولا يُجهَز منها على جريح .

١٤٠ و ثم مع ذلك كلّه دَمَروا عليه[٦] وعلى أزواجه وحُرَمه ، وهو جالسٌ فى محرابه ، ومُصحَفُه يلوحُ فى حِجره ، لن يرى أنَّ موحِّداً يُقْدِم على قتل مَن كان فى مثل صفتِه وحاله .

---

(١) الإطنان : سرعة القطع .

(٢) المزبلة ، بفتح الميم والباء وبضمهما : موضع الزبل ، وهو السرجين وما أشبهه .

(٣) الجزرة : ما يجزر ويذبح . ولعله إشارة إلى حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة يؤتى بعثمان وأوداجه تشخب دما ، اللون لون دم ، والرائحة رائحة مسك » . الرياض النضرة ٢ : ١١٢ .

(٤) تزوج عثمان رقية بنت رسول الله ، وتزوج أيضا أم كلثوم بنت رسول الله .

(٥) قرأها ڤان ڤلوتن : « اجتماعهم » خلافا لما هو واضح فى الأصل . لكن فى التيموريتين : « اجتماعهم » .

(٦) دمروا عليه : هجموا ودخلوا بدون إذن . وفى الأصل والتيمورية الثانية : « ذمروا » بالذال المعجمة ، وفى التيمورية الأولى : « زمروا » ، وفى نسخة الدار : « دفروا » ، وجميع ذلك محرف .

لا جَرَم لقــد احتلبوا به دَمًا لا تطير رغوتُه ، ولا تسكُن فَورته ، ولا يموت ثائره ، ولا يكلّ طالبُه . وكيفَ يَضيعُ دمُ اللهُ وليُّه[1] والمنتقمُ له ؟!

وما سمعنا بدمٍ بعد دمِ يحيى بن زكريّا عليه السلام غلا غليانَه ، وقَتل سافحَه ، وأدرك بطائلته ، وبلغ كلّ مِحْنته[2] ، كدمه رحمةُ الله عليه .

ولقد كان لهم فى أَخْذِه وفى إقامته للناس والاقتصاص منه ، وفى بَيع ما ظَهَر من رِباعه[3] وحَدائقه وسائر أمواله[4] ، وفى حَبْسه بما بقيَ عليه ، وفى طَمْرِه حتّى لا يُحسَّ بذكره ، ما يُغنيهم عن قَتلِه إنْ كان قد ركب كُلَّ ما قذفوه به ، وادَّعَوه عليه .

وهـذا كُلُّه بحَضرة جِلَّة المهاجرين ، والسَّلَف المقدَّمين ، والأنصار والتابعين .

ولـكنَّ النّاسَ كانوا على طبقاتٍ مختلفة ، ومراتبَ متباينة : من قاتلٍ ، ومن شادٍّ على عَضُده ، ومن خاذلٍ عن نُصرته . والعاجزُ ناصرٌ بإرادته ، ومطيعٌ بحُسْن نِيَّته . وإنَّما الشّكُّ منّا فيه وفى خاذله ، ومَن أراد عزلَه والاستبدالَ به . فأمَّا قاتلُه والمعين على دمِه والمريدُ لذلك منه ، فضُلَّالٌ لا شكَّ

---

(١) قرأها ڤان ڤلوتن : « وكيف يضيع الله دم وليه » ، خلافا لما فى الأصل . ووردت على قراءته فى نسخة الدار والنسختين التيموريتين .

(٢) المحنة : البلية التى يمتحن بها الإنسان .

(٣) الرباع : المنازل والديار ، واحدها ربع بالفتح . كما يجمع الربع أيضاً على ربوع وأرباع .

(٤) فى الأصل : « أقواله » ، صوابه فى جميع المخطوطات وڤان ڤلوتن .

فيهم ، ومُرّاقٌ لا امتراء فى حكمهم . على [أنَّ[١]] هذا لم يَعْدُ منهم الفجور ، إمّا على سوء تأويل ، وإمّا على تعمُّد للشَّقَاء .

ثمَّ ما زالت الفتنُ متَّصلة ، والحروب مترادفة ، كحرب الجمل ، وكوقائع صِفِّين ، وكيوم النَّهْرَوان ، وقبل ذلك يومُ الزَّابوقة[٢] وفيه أُسِر ابنُ حُنَيف[٣] وقُتِل حُكَيم بن جَبَلة[٤] .

إلى أن قَتَلَ أشقاها عليَّ بنَ أبى طالب رضوانُ الله عليه ، فأسعدهُ الله بالشَّهادة ، وأوجب لقاتله النارَ واللَّعنةَ .

إلى أنْ كان من اعتزال الحسَن عليه السلام الحروبَ وتخليتِهِ الأمورَ ، عند انتشار أصحابه ، وما رأى من الخَلَل فى عسكره ، وما عرف من اختلافهم على أبيه ، وكثرة تلوُّنهم عليه .

فعندها استوى معاويةُ على المُلك ، واستبدَّ على بقيّة الشُّورى ، وعلى

---

(١) التكملة من ثان ڤلوتن وسائر المخطوطات .

(٢) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

(٣) فى الأصل : « أبو حنيف » . وفى مخطوطة الدار : « ابن حنيفة » ، وإنما هو « ابن حنيف » . كما فى التيموريتين . واسمه : « عثمان بن حنيف » . انظر الطبرى ٥:١٧٣ — ١٨٢ . وهو فى عداد الصحابة . الإصابة ٥٤٢٧ وجمهرة ابن حزم ٣٣٦ ووقعة صفين ١٥ .

(٤) حكيم بن جبلة بن حصين العبدى ، كان من عمال عثمان على السند ثم البصرة ، وكان بعد ذلك أحد قتلة عثمان رضى الله عنه . انظر مروج الذهب ١ : ٤٤٠ وجمهرة أنساب العرب ٢٩٨ . و « حكيم » بهيئة التصغير ، كما فى الإصابة ١٩٩١ . وقد ذكره ابن حجر فيمن له إدراك . وانظر صورة من شجاعته النادرة فى الطبرى ٥ : ٢٨٠ فى حوادث سنة ٣٦ .

١٤٠ ظ

جماعةِ المسلمين من الأنصار والمهاجرين فى العام الذى سَمَّوْه عامَ الجماعة – وما كان عامَ جماعةٍ ، بل كان عامَ فُرْقة وقَهر وجَبَرِيّة وغَلَبة ، والعامَ الذى تحوَّلت فيه الإمامة مُلكاً كِسرويًّا ، والخلافةُ غَصْبًا قيصريًّا ، ولم يَعْدُ ذلك أجمعَ الضَّلالَ والفِسق .

ثمَّ ما زالت مَعاصِيه من جنسِ ما حكينا ، وعلى منازلِ ما رتَّبنا ، حتَّى ردَّ قضيَّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ردًّا مكشوفا ، وجَحد حُكمَه جحداً ظاهرا ، فى ولدِ الفراشِ وما يجبُ للعاهر[1] ، مع إجماع[2] الأمّةِ أنَّ سُمَيَّةَ لم تكن لأبى سُفيانَ فِراشًا ، وأنَّه إنَّما كان بها عاهراً ؛ فخرجَ بذلك من حُكم الفُجَّار إلى حكم الكفَّار .

وليس قتل حُجْر بن عدىّ ، وإطعام عمرو بن العاص خراجَ مصر ، وبيعته يزيد الخليع ، والاستئثارُ بالفىء ، واختيار الوُلاة على الهوى ، وتعطيلُ الحدود بالشَّفاعة والقرابةِ ، من جِنْس جَحْد[3] الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسُّنن المنصوبة .

وسواءٌ فى باب مايستحقُّ من الإكفار جَحدُ الكتاب وردُّ السنة ؛ إذْ كانت السنَّة فى شُهرة الكتاب وظهوره ، إلَّا أنَّ أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشدّ .

---

(١) إشارة إلى حديث « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » .

(٢) قرأها ڤان ڤلوتن « اجتماع » سهوا ، خلافاً لما أثبت من الأصل . ووردت كقراءة ڤان ڤلوتن فى التيموريتين .

(٣) فى الأصل : «حد» ، صوابه من جميع المخطوطات وتصحيح ڤان ڤلوتن

فهذه أوّلُ كَفرةٍ كانت فى الأمّة .

ثم لم تكن إلّا فيمَنْ يدّعى إمامتها ، والخلافة عليها .

على أن كثيرًا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره . وقد أربَتْ عليهم نابتةُ عصرنا ، ومبتدعةُ دهرنا فقالت : لا تسبُّوه فإنّ له صُحبة ؛ وسبُّ معاوية بدعة ، ومن يبغضْه فقد خالفَ السُّنّة .

فزعَمَتْ أنّ من السُّنّة تركَ البراءة ممن جحد السُّنّة .

ثمّ الذى كان من يزيدَ ابنِه ومن عُمّاله وأهل نُصرته ، ثم غزْو مكّةَ ، ورمى الكعبةِ ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السّلام فى أكثر أهل بيته مصابيحِ الظّلام ، وأوتادِ الإسلام ؛ بعد الذى أعطى من نفسه من تفريق أتْباعه ، والرُّجوع إلى داره وحَرَمه ، أو الذّهاب فى الأرض حتى لا يُحَسَّ به ، أو المقام حيث أُمِرَ به ، فأبَوْا إلّا قَتْلَه والنُّزول على حكمهم . ١٤١ و

وسواء قَتَلَ نفسه بيده ، أو أسلَمها إلى عدوِّه وخَيَّر فيها من لا يبرُد غليلُه إلّا بشُرْب دَمِه .

فاحسِبوا قتلَه ليس بكفر ، وإباحةَ المدينة وهَتكَ الحُرمة ليس بحجّة ، كيف تقولون[1] فى رَمْى الكعبة ، وهدمِ البيت الحرام ، وقِبْلة المسلمين ؟

فإنْ قلتم : ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المتحرِّز به والمتحصِّن بحيطانه . أفما كان من حقِّ البيت وحَريمه أن يحصروه فيه إلى أن

(١) فى الأصل : « تقول » ، صوابه فى نسخة الدار .

يُعْطِيَ بيده ، وأىُّ شىء بقِىَ من رجلٍ قد أُخِذت عليه الأرضُ إلّا موضعَ قدمه .

واحسبْ ما[1] رَوَوْا عليه من الأشعار التى قولُها شِرك ، والتمثُّلُ[2] بها كفر ، شيئًا[3] مصنوعًا ، كيف يُصنَع بنَقْر القضيب بين ثَنِيَّتِي الحسين عليه السلام ، وحَملِ بناتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسِرَ على الأقتاب العارية والإبلِ الصِّعاب ، والكشفِ عن عَورة علىٍّ بن الحسين عند الشَّكِّ فى بلوغه على أنَّهم إنْ وَجَدوه وقد أنبَتَ قَتَلوه ، وإن لم يكن أنبَتَ حَمَلوه ، كما يَصنعُ أميرُ جيشِ المسلمين بذَرارِى المشركين ؟

وكيف تقولون[4] فى قول عُبيد الله بن زياد لإخوته وخاصَّته : دعونى أقتلْه فإنَّه بقيَّةُ هذا النَّسل ، فأحسِمَ به هذا القَرْن[5] ، وأُميتَ به هذا الدَّاء ، وأقطعَ به هذه المادَّة .

خَبِّرونا على ما تدلُّ[6] هذه القسوةُ وهذه الغلظة ، بعد أن شفَوْا

---

(١) فى الأصل : « بما » ، صوابه فى جميع المخطوطات وفان فلوتن .

(٢) فى الأصل وفان فلوتن : « والمثيل » ، صوابه فى جميع المخطوطات .

(٣) فى الأصل وفان فلوتن : « وشيئاً » ، صوابه فى جميع المخطوطات .

(٤) فى الأصل ونسخة الدار وفان فلوتن : « تقول » ، والوجه ما أثبت من التيموريتين .

(٥) يعنى قرن الفتنة .

(٦) أثبت ألف « ما » الاستفهامية بعد الجار ، وهو قليل ، قرئ به فى قوله تعالى : « عما يتساءلون » . انظر البيان ٣ : ١٢٥ .

أنفسَهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبُّوا فيهم . أتَدلُّ على نَصبٍ وسوء رأى وحِقدٍ وبُغضاء ونفاق ، وعلى يقينٍ مدخول وإيمان ممزوج ، أم تدلُّ على الإخلاص وعلى حبِّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم والحفظِ له ، وعلى براءة السَّاحةِ وصحّة السَّريرة ؟

فإن كان على ما وصفنا لا يعدو الفسقَ والضَّلال — وذلك أدنى مَنازله — فالفاسق ملعونٌ ، ومن نهى عن لَعْن الملعون فملعون .

وزعمت نابتةُ عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أنَّ سبَّ وُلاةِ السُّوء فتنة ، ولعن الجَوَرَة بدعة ، وإنْ كانوا يأخذون السَّمىَّ بالسَّمىِّ ، والولىَّ بالولىِّ ، والقريبَ بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وآمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى ، وإظهار القُدرة ، والتهاون بالأمّة ، والقمع للرعيّة ، وأنهم فى غير مداراة ولا تقيَّة ، وإنْ عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوزَ الضَّلالَ إلى الجحد ، فذاك أضلُّ لمن كفَّ عن شَتْمهم والبراءةِ منهم .

١٤١ ظ

على أنَّه ليس من استحقَّ اسمَ الكفر بالقتل كمن استحقَّه بردِّ السنَّةِ وهدم الكعبة . وليس مَن استحقَّ الكفر بالتشبيه كمن استحقَّه بالتجوير .

والنَّابتةُ فى هذا الوجه أكفَرُ من يزيدَ وأبيه ، وابن زيادٍ وأبيه .

ولو ثبت أيضاً على يزيدَ أنَّه تمثَّل بقول ابن الزِّبَعْرَى[1] :

---

(١) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم القرشى . والزبعرى أبوه ، وهو بكسر الزاى وفتح الباء مقصور . ومعناه فى اللغة السيء الخلق ، والغليظ . وكان عبد الله من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم =

ليت أشياخي ببدرٍ شَهِدوا جَزَعَ الخزرجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ
لاستطاروا واستهلُّوا فرحًا ثم قالوا يا يزيدًا لا تسَلْ[1]
قد قتلنا الغُرَّ من ساداتِهم وعَدلنا مَيلَ بدرٍ فاعتدل[2]

كانَ تجويرُ النَّابتِيِّ لربِّه ، وتشبيهه بخلقه ، أعظمَ من ذلك وأفْظَع .

على أنَّهم مُجمِعون على أنَّه ملعونٌ مَن قتل مؤمناً متعمِّداً أو متأوِّلا . فإذا كان القاتل سُلطاناً جائرا ، أو أميراً عاصيا ، لم يستحلُّوا سبَّه ولا خَلْعه ، ولا نفيَه ولا عَيبَه ، وإنْ أخافَ الصُّلحاء وقَتل الفقهاء ، وأجاعَ الفقيرَ وظلمَ الضعيف ، وعطَّل الحدودَ والثُّغور ، وشرب الخمورَ وأظهر الفجور .

ثم مازال الناس يتسكَّعُون مرّةً ويداهنونَهم مرّة ، ويقاربُونهم مرة ويشاركونهم مرّة ، إلّا بقيّةً ممن عَصَى الله تعالى ذكرُه ، حتَّى قام عبدُ الملك بنُ مَرْوان ، وابنُه الوليد ، وعاملهما الحجّاجُ بن يوسف ،

= فى الفتح سنة ثمان واعتذر عن إيذاء المسلمين وقريش . الإصابة ٤٦٧٠ والمؤتلف ١٣٢ والاشتقاق ١٢٢ .

(١) جعلها فان فلوتن « يايزيد لافشل » : والبيت ليس من كلام ابن الزبعرى ، وإنما صنعه يزيد وأقحمه . وقصيدة ابن الزبعرى فى السيرة ٦١٦ جوتنجن وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨٧ . وبعض أبياتها فى الحيوان ٥ : ٥٦٤ والاشتقاق .

(٢) فى الأصل والمخطوطات وفان فلوتن : « وعدلناه ببدر » ، صوابه فى السيرة والحيوان وشرح شواهد المغنى .

ومولاه يزيدُ بن أبى مُسْلِم[١] ، فأعادُوا على البيت بالهَدْم[٢] ، وعلى حَرَم المدينة بالغَزْو ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحُرْمة ، وحوَّلوا قِبلةَ واسط ، وأخَّروا صلاةَ الجمعة إلى مُغيرِبان الشَّمس . فإن قال رجلٌ لأحدٍ منهم : اتّقِ اللهَ فقد أخَّرت الصلاةَ عن وقتها ، قَتَله على هذا القول جِهارًا غيرَ خَتْل ، وعلانيةً غيرَ سِرّ . ولا يُعلَم القتل على ذلك إلّا أقبحَ من إنكاره ، فكيف يكفُرُ العبد بشىء ولا يكفُرُ بأعظم منه ؟ ١٤٢ و

وقد كان بعضُ الصَّالحين ربَّما وَعظ [بعضَ[٣]] الجبابرة ، وخوَّفه العواقب ، وأراه أنَّ فى الناس بقيَّةً ينهَوْن عن الفساد فى الأرض ، حتَّى قام عبدُ الملك بن مَرْوان والحجاجُ بن يوسُف ، فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه ، وقَتَلا فيه ، فصاروا لا يتناهَوْن عن منكرٍ فَعَلوه .

فاحسُبْ أنَّ تحويل القبلة كان غَلطاً ، وهدمَ البيت كان تأويلا ، واحسُب ما رَوَوا من كلِّ وجه أنَّهم كانوا يزعمون أنَّ خليفة المرء فى أهله أرفعُ عنده

---

(١) فى الأصل : « يزيد بن أبى مسلمة » تحريف . وهو أبو العلاء يزيد ابن أبى مسلم الثقفى مولاهم ، واسم أبى مسلم « دينار » . كان يزيد مولى الحجاج وكاتبه ، ولما حضرت الوفاة الحجاج استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك ، ولما ولى أخوه سليمان عزله بيزيد بن المهلب . وفى سنة ١٠١ ولى إمارة إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك فحاول أن يسير فى أهلها بسيرة الحجاج فقتلوه سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٦ — ٢٧٨ والطبرى ٨ : ١٦٧ ونوادر المخطوطات ٢ : ١٧٨ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٢ .

(٣) ليست بالأصل ولا فى المخطوطات ، والكلام يقتضيها .

من رسوله إليهم ، باطلاً ومصنوعاً مولَّداً . واحسُبْ وَسْمَ[1] أيدى المسلمين ونَقْشَ أيدى المسلماتِ ، وردّهم بعد الهجرة إلى القُرى[2] ، وقَتَل الفقهاء ، وسبَّ أئمَّة الهدى ، والنَّصْبَ لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يكون كفراً ، كيف نقول فى جمع ثلاثِ صلواتٍ فيهنَّ الجمعةُ ولا يصلُّون أولاهنَّ حتّى تصير الشَّمسُ على أعالى الجُدْران[3] كالمُلاء المعصفَر . فإنْ نطَقَ مسلمٌ خُبط بالسَّيف ، وأخذته العَمَدُ ، وشُكَّ بالرِّماح .

وإن قال قائلٌ : اتّقِ الله ، أخذته العزَّة بالإثم ، ثمّ لم يرضَ إلاَّ بنثْر دماغه على صدره ، وبصَلْبه حيث تراه عيالُه .

ومما يدلُّ على أنَّ القوم لم يكونوا إلاَّ فى طريق التمرُّد على الله عزَّ وجلَّ ، والاستخفاف بالدِّين ، والتَّهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحقّ ، أكْلُ أمرائهم الطَّعامَ ، وشُربُهم الشَّرابَ ، على منابرِهم أيّامَ جُمَعهم وجُموعهم . فَعَل ذلك حُبَيش بن دُلْجة[4] ، وطارقٌ مولى عثمان[5] ، والحجَّاجُ بن يوسف

---

(١) جعلها عزت العطار « وشم » بالشين .

(٢) قرأها ڤان ڤلوتن : « قراهم » خلافا لما هو واضح فى الأصل ، وإن كانت فى المخطوطات « قراهم » أيضاً .

(٣) فى الأصل : « الجدرات » ، صوابه فى جميع المخطوطات وڤان ڤلوتن .

(٤) فى الأصل والمخطوطات وڤان ڤلوتن : «حسن بن دلجة» ، صوابه فى الطبرى ٧ : ٨٤ وجمهرة أنساب العرب ٢٢٨ . قال ابن حزم : « بعثه مروان إلى الحجاز ، فبعث ابن الزبير ، الحنتف — يعنى الحنتف بن السجف — فقتل حبيشاً وأفلت الحجاج يومئذ وكان مع حبيش . وكان هذا سنة ٦٥ كما فى تاريخ الطبرى .

(٥) هو طارق بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان ، ولاه عبد الملك بن مروان إمارة المدينة بعد فتنة ابن الزبير فى سنة ٧٣ . قال الطبرى : « فوليها خمسة أشهر » . وفى تهذيب التهذيب ٥ : ٧ أن عبد الملك عزله فى سنة ٧٣ وولى الحجاج بن يوسف .

وغيرهم . وذلك إنْ كان كفرًا كلُّه فلم يبلُغْ كفرَ نابتةِ عصرنا ، وروافضِ دهرنا ؛ لأنَّ جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك .

كانَ اختلافُ الناس فى القَدَر على أنَّ طائفةً تقول : كلُّ شىء بقضاء وقدر ، وتقول الطائفة الأُخرى : كل شىء بقضاء وقدر إلاَّ المعاصىَ . ولم يكن أحدٌ يقول إنَّ الله يعذِّب الأبناء ليغيظ الآباء ، وإنَّ الكفر والإيمانَ مخلوقانِ فى الإنسان مثل العمى والبصر . وكانت طائفةٌ منهم تقول إنَّ الله لا يُرَى ، لا تزيد على ذلك ، فإنْ خافت أنْ يُظَنَّ بها التشبيه قالت يُرى بلا كيفٍ ، تعرِّيًا مِن التَّجسيم والتَّصوير ، حتَّى نبتت هذه النابتة ، وتكلَّمَت هذه الرَّافضة ، فثبَّتتْ له جسماً ، وجعلت له صورة وحَدًّا ، وأكفَرتْ من قال بالرُّؤْية على غير الكيفية . ١٤٢ ظ

ثم زعم أكثرُهم أنَّ كلام الله حسن وبيِّن ، وحُجَّةٌ وبرهان ، وأنَّ التَّوراة غير الزَّبور ، والزَّبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبَقَرة غير آل عِمْران ، وأنَّ الله تولَّى تأليفَه ، وجعلَه برهانَه على صدقِ رسوله ، وأنَّه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقصَ مِنه نَقَص ، ولو شاء أن يبدِّله بدَّله ، ولو شاء أن ينسخه كلَّه بغيرِه نَسَخه ، وأنَّه أنزله[1] تنزيلا ، وأنّه فصَّله تفصيلا ، وأنّه بالله كان دون غيره ، ولا يَقدر عليه إلا هو ، غير أنَّ اللهَ مع ذلك كلِّه لم يخلقْه . فأعطَوْا جميعَ صفات الخَلْقِ ومَنَعوا اسمَ الخلق .

والعجَب أنَّ الخَلْق عند العرب إنَّما هو التقدير نفسُه ؛ فإذا قالوا خَلَق

(١) كذا فى جميع النسخ . والأوفق « نزله » .

كذا وكذا ، وكذلك قال ﴿ أحسَن الخالِقِين[١] ﴾ وقال ﴿ تَخْلُقُونَ إفْكاً[٢] ﴾ وقال : ﴿ وإذْ تَخلُقُ مِن الطِّينِ كهيئَةِ الطَّيْر[٣] ﴾ فقالوا : صنعَه وجعلَه وقدَّره وأنزلَه ، وفصَّله وأحدثَه ، ومنعوا خَلقَه . وليس تأويل خَلقه أكثرَ من قدَّره. ولو قالوا بدل قولهم قَدَّره ولم يخْلُقْه : خلقَه ولم يقدِّره ، ما كانت المسألةُ عليهم إلاَّ من وجهٍ واحد .

والعجب أنَّ الذى منعه بزعمه أنْ يزعم أنَّه مخلوقٌ ـ أنَّه لم يسمع ذلك من سَلفه وهو يعلم أنَّه لم يسمع أيضاً عن سلفه أنَه ليس بمخلوق . وليس ذلكَ بهم ، ولكن لِمَا كان الكلامُ من الله يقال عندهم على مثل خُروج الصَّوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللِّسان والشَّفتين ، وما كان على [غير]هذه الصُّورة[٤] والصِّفة فليس بكلام .

ولمّا كنّا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين ، وجَبَ أنَّ الله عز وجَلَّ لكلامه غير خالق ، إذ كنَّا غيرَ خالقين لكلامنا . فإنَّما ١٤٣ و

(١) فى الآية ١٤ من سورة المؤمنون : « فتبارك الله أحسن الخالقين » وفى الصافات : « وتذرون أحسن الخالقين » .

(٢) الآية ١٧ من العنكبوت . وهى : « إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا » . والاقتباس بترك الواو والفاء ونحوها جائز كثير . انظر ما كتبت فى حواشى الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٣) الآية ١١٠ من سورة المائدة .

(٤) فى الأصل : « وإن ما كان على هذه الصورة » ، صوابه وتكملته فى جميع المخطوطات .

قالوا ذلك لأنّهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يقرّوا بذلك بألسنتهم . فذاك معناهُم وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمّةُ لا تجاوز معاصيها الإثمَ والضّلال ، إلّا ما حكيتُ لك عن بنى أميّةَ وبنى مَرْوَانَ وعمّالها ، ومَن لم يَدِنْ بإكفارهم ، حتّى نجمت النّوابتُ ، وتابعتْها هذه العوامُّ ، فصار الغالبُ على هذا القَرْن الكفرَ ، وهو التّشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظمَ من كُفرِ من مضى فى الأعمال التى هى الفسقُ ، و [صاروا[1]] شركاء من كفر منهم ، بتولّيهم وترك إكفارهم . قال الله عزّ من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[2] ﴾ .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقّينَ ورَحِمهم ، وقوّى ضعفَهم وكثّر قلتهم ، حتّى صارَ[3] وُلاةُ أمرنا فى هذا الدّهر الصّعب ، والزّمن الفاسد ، أشدَّ استبصاراً فى التّشبيه من عِلْيتنا ، وأعلمَ بما يلزم فيه منّا ، وأكشفَ للقِناع من رؤسائنا ، وصادفوا النّاسَ وقد انتظموا معانىَ الفسادِ أجمع ، وبلغوا غاياتِ البِدَع ، ثم قرنوا بذلك العصبيّةَ التى هلك بها عالَمٌ بعد عالَمَ ، والحَمِيَّةَ التى لا تُبقِى دينًا إلّا أفسدَتْه ، ولا دُنْيَا إلّا أهلكتْها ، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشّعوبيّة[4] ، وما قد صار إليه الموالى من الفَخْر على العَجَم والعرب .

---

(١) تكملة ضرورية .

(٢) الآية ٥١ من سورة المائدة .

(٣) فى الأصل وجميع المخطوطات : « حتى صاروا » .

(٤) انظر حواشى البيان ٣ : ٥ .

وقد نجمت من الموالى ناجمةٌ ، ونبتت منهم نابتةٌ ، تزعم أنّ المَولى بولايةٍ قد صار عربيًّا ؛ لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلّم : « مَولى القَوم منهم[١] » ، ولقوله : « الوَلاءُ لُحمةٌ كلُحمة النَّسَب ، لا يُباع ولا يُوهَب » .

قال : فقد علِمْنا أنّ العجمَ حين كان فيهم المُلْك والنبوّة كانوا أشرفَ من العرب ، وأنّ الله لمّا حوّل ذلك إلى العرب صارت العربُ أشرفَ منهم .

قالوا : فنحن معاشرَ الموالى بقديمِنا فى العَجَم أشرفُ من العرب ، وبالحديث الذى صار لنا فى العرب أشرفُ من العجم[٢] . وللعرب القديمُ دونَ الحديث[٣] . ولنا خصلتان جميعًا وافرتانِ فينا ، وصاحبُ الخصلتين أفضلُ من صاحب الخَصلة .

١٤٣ ظ

وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميًّا عربيا بوَلائهِ ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيًّا بحِلفِه ، وجعل إسماعيلَ[٤] ، بعد أن كان أعجميًّا[٥] ، عربيًّا . ولولا قولُ النبى صلى الله عليه وسلم إنّ إسماعيلَ كان عربيًّا ما كان عندنا إلّا أعجميًّا ؛ لأنّ الأعجم[٦] لا يصير عربيًّا ، كما أنّ العربىَّ لا يصير أعجميًّا .

---

(١) انظر فتح البارى ١٢ : ٤١ .

(٢) فى الأصل : « فى العجم » ، صوابه فى المخطوطات وڤان ڤلوتن .

(٣) جعلها عزت العطار : « وللعرب الحديث دون القديم وللعجم القديم دون الحديث » . خلافا لما فى أصله وما فى أصل داماد .

(٤) فى الأصل والمخطوطات : « وبعد أن جعل إسماعيل » .

(٥) كذا فى الأصل ونسخة الدار . وفى التيموريتين وڤان ڤلوتن : « كان أعجمياً » بسقوط : « بعد أن » .

(٦) الأعجم والأعجمى سيان . ويقال رجل أعجم وقوم أعجم أيضاً ، وهم خلاف العرب .

فإنّما علمْنا أنَّ إسماعيل صيّره الله عربيًّا بعد أن كان أعجميًّا بقول النبى صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكمُ قوله : « مَولى القَومِ منهم » ، وقوله : « الوَلاءُ لُحمةٌ » .

قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلدْ كما جعله أباً لمن ولَد ، وجعل أزواجَ النبيِّ أمَّهاتِ المؤمنينَ ولم يلدنَ منهم أحداً ، وجعلَ الجارَ والدَ من لم يلدْ ، فى قولٍ غير هذا كثيرٍ قد أتينا عليه فى موضعه .

وليس أدعَى إلى الفساد ولا أجلبَ للشَّرِّ من المفاخرة ، وليس على ظَهرها إلا فَخُورٌ ، إلَّا قليل .

وأىُّ شىء أَغْيَظُ من أن يكون عبدُك يزعُم أنَّه أشرف منك وهو مقرٌّ أنه صار شريفاً بعِتقِك إيَّاه .

وقد كتبتُ - مدَّ الله فى عمرك - كتبًا فى مفاخرة قحطان ، وفى تفضيل عدنان ، وفى ردِّ الموالى إلى مكانهم من الفَضْل والنَّقص ، وإلى قَدْر ما جعلَ الله تعالى لهم بالعرب من الشَّرف . وأرجو أن يكون عدلًا بينهم ، وداعيةً إلى صَلاحهم ، ومَنْبَهةً لما عليهم ولهم .

وقد أردتُ أن أرسلَ بالجزء الأوَّل إليك ، ثم رأيتُ ألَّا يكون إلاَّ بعد استئذانك واستئمارك ، والانتهاء فى ذلك إلى رغبتك .

فرأيَكَ فيك موفَّقًا[1] ، إن شاء الله عزَّ وجل . وبه الثِّقة .

* * *

(١) جعلها ڤان ڤلوتن «موفق» ، كما فى نسخة الدار والتيمورية الثانية . وما هو ظاهر فى الأصل والتيمورية الأولى أوفق وأولى ؛ فإنه يطلب منه رأيه .

تمت الرسالة من كلام أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ، إلى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أبى دُؤاد فى النَّابتة ، والله الموفِّق للصواب . ١٤٤ و

يتلوه كتاب الحجاب من كلامه أيضاً .

والحمـد لله أولا وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين وسلامه .

١٢

كِتَابُ
الحِجَاب

من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
رحمه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه هي الرسالة الثانية عشرة من رسائل الجاحظ ، وعنوانها :

« كتاب الحجاب »

ومن هذا الكتاب نسختان :

١ — نسخة الأصل ، وهي نسخة مكتبة داماد .

٢ — نسخة أخرى مضمنة في كتاب طراز المجالس للخفاجي. ومنه ثلاث نسخ:

ا — النسخة المطبوعة بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٤ . والنص فيها من ص ٧٣ إلى ص ٩٧ .

ب — مخطوطة الطراز رقم ٦٥ م أدب كتبت سنة ١٠٩٤ .

حـ — مخطوطة الطراز رقم ٦٧ م أدب كتبت سنة ١٠٢٢ .

وقد راجعت نسخة الأصل على نسخ طراز المجالس الثلاث : المطبوعة ، والمخطوطتين ، واستخلصت منها جميعاً ومن مراجع التحقيق والشرح نسختي هذه .
وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاءك ، وجعلنى من كل سوء فداءك ، وأسعدك بطاعته وتولاّك بكرامته ، ووالى إليك مزيده . ١٤٥ ظ

إنه يقال - أكرمك الله - « إن السَّعيد من وُعظ بغيره ، وأن الحكيم من أحكمَتْه تجاربُه » . وقد قيل : « كفاك أدباً لنفسك ما كرِهْتَ من غيرك » وقيل : « كفاك من سوء سماعُه[1] » ، وقيل : « إنَّ يقَظة الفهم للواعظ ممّا يدعو النَّفس إلى الحذر من الخطاء[2] ، والعقلَ إلى تصفيته من القذى » .

وكانت الملوكُ إذا أتتْ ما يَجلُّ عن المعاتبة عليه ضُرِبت لها الأمثال ، وعُرِّض لها بالحديث . وقال الشاعر[3] :

العَبـــد يُقرعُ بالعصا والحُرُّ تـكفيه الـــلامَهْ

وقال آخر[4] :

* ويكفيكَ سَوءاتِ الأمور اجتنابُهـــا[5] *

---

(١) فى مخطوطتى طراز المجالس : « من سوء سماعه » ، وفى المطبوعة : « كفاك من سوء فعل سماعه » .

(٢) فى الطراز : « إن من يقظة ... مايدعو .. » .

(٣) هو يزيد بن مفرغ ، كما فى البيان ٣ : ٣٦ .

(٤) هو هلال بن خثعم ، كما فى الحيوان ١ : ٢٨٣ . وفى عيون الأخبار ٣ : ٢٢١ : « هلال بن جشم » .

(٥) صدره فى الحيوان وعيون الأخبار :

* وإن قراب البطن يكفيك ملؤه *

وقال عبد المسيح المتلمّسُ :

لِذِى الحِــــلم قبلَ اليوم ما تُقرَعِ العصا
وما عُلِّمَ الإنســــانُ إلاَّ لِيعلما[١]

وقال بعضهم : « فى خفىِّ التعريض ما أغنَى عن شنيع التَّصريح » .

وقد جمعتُ فى كتابى هذا ما جاء فى الحجاب من خبرٍ وشعرٍ ، ومعاتبة وعُذر[٢] ، وتصريح وتعريض ، وفيه ما كفى . وبالله التوفيق .

وقد قلت :

كفى أدباً لنفســـك ما تراه لغــيرك شائناً بين الأنامِ

ما جاء فى الحِجاب والنَّهى عنه

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه مِن الوُلاة اضطلعَ بأمانته وأمره : إذا عدل فى حكمه ، ولم يحتجب دون غيره ، وأقام كتابَ الله فى القريب والبعيد » .

وروى عنه عليه السلام أنّه وجّه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى بعض الوجوه ، فقال له فيما أوصاه به : « إنِّى قد بعثتُك وأنا بك ضنين فابرزْ للنــاس ، وقدِّم الوضيعَ على الشَّريف ، والضَّعيفَ على القوىّ ، والنِّساء قبل الرجال ، ولا تُدخلنَّ أحداً يغلبك على أمرك ، وشاور القرآن فإنّه إمامُك » . ١٤٦ و

(١) البيان ٣ : ٣٨ .
(٢) فى الأصل ومخطوطتى الطراز : « وغدر » ، صوابه من المطبوعة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا استعمل عاملاً شرطَ عليه أربعا[1]: لا يركب برذونا ، ولا يتخذ حاجباً ، ولا يلبس كَتَّاناً ، ولا يأكل دَرْمَكاً[2] .

ويوصى عمّاله فيقول : إيّاكم والحجابَ ، وأظهروا أمْرَكم بالبَرَاز ، وخذوا الذى لكم وأعطُوا الذى عليكم ، فإنّ امرأً ظُلِم حقَّه مضطرٌ[3] حتى يَغْدُوَ به مع الغادين .

وكتب عمر رضوانُ الله عليه[4] إلى معاوية وهو عامله على الشام :

« أمّا بعدُ فإنّى لم آلُكَ فى كتابى إليك ونفسى خَيْراً . إيَّاك والاحتجابَ دونَ الناس ، وأْذَن للضعيف وأدنِه حتى ينبسط لسانُه ، ويجترئَ قلبه ، وتعهَّد الغريب فإنّه إذا طال حبسُه وضاق إذنُه تَرَكَ حقَّه ، وضعُف قلبه ، وإنما أتْوَى حقَّه مَنْ حَبَسَه[5] . واحرص على الصُّلح بين الناس ما لم يستبِنْ لك القضاء . وإذا حضرك الخصمان بالبيِّنة العادلة والأيمان القاطعة فأمضِ الحكم . والسلام » .

وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى :

« آسِ بين الناس فى نظرك وحجابك وإذنك[6] ، حتّى لا يطمعَ شريفٌ

---

(١) فى الأصل وطراز المجالس : « أربع » .

(٢) الدرمك : الدقيق النقى الحوارى . والمراد الخبز المتخذ منه .

(٣) فى المطبوعة من طراز المجالس : « مضض » ، تحريف .

(٤) فى طراز المجالس : « رضى الله عنه » .

(٥) أتواه : ذهب به ؛ والتوى : الهلاك .

(٦) فى البيان ٢ : ٤٩ : « آس بين الناس فى مجلسك ووجهك » . آس بينهم : سو بينهم واجعل كل واحد منهم أسوة خصمه .

فى حَيْفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . وأعلم أن أسعد الناس عند الله تعالى يومَ القيامة مَن سَعِد به النّاس ، وأشقاهم من شَقُوا به » .

وروى الهَيثم بن عدىّ عن ابن عباس قال : قال لى عبيد الله بن أبى المخارق القينىّ[١] :

استعملنى الحجاج على الفَلُّوجة العُليا[٢] ، فقلت : أَمَا[٣] ها هنا دِهقانٌ يُعاش بعقله ورأيه[٤] ؟ فقيل لى : بلى ، ها هنا جميل بن بَصْبَهَرَّى[٥] . فقلت : علىَّ به . فأتانى فقلت : إن الحجّاجَ استعملنى على غير قرابة ولا دالَّة ولا وسيلة ، فأشِرْ علىّ . قال :

١٤٦ ظ لا يكونُ لك بوّابٌ حتَّى إذا تذكَّر الرجلُ من أهل عملك بابَك لم يَخَفْ حُجّابك ، وإذا حضرك شريفٌ لم يتأخّر عن لقائك ولم يحكم على شرفك حاجبُك[٦] . وليَطُلْ جلوسُك لأهل عملك يَهَبْك عُمّالك ، ويبقى مكانُك[٧] . ولا يختلفْ لك حكمٌ على شريف ولا وضيع ، ليكنْ حكمُك واحداً على الجميع ، يثقِ الناسُ بعقلك . ولا تَقبل من أحدٍ هديّةً فإنّ صاحبَها لا يَرضَى بأضعافها مع ما فيها من الشُّهرة .

---

(١) فى طراز المجالس : « عبيد الله بن أبى المخترق القينى » .

(٢) هما فلوجتان : العليا والسفلى ، أو الكبرى والصغرى ، قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة ، قرب عين التمر .

(٣) فى الأصل : « أنا » ، والصواب فى طراز المجالس .

(٤) الدهقان : زعيم فلاحى العجم ، فارسى معرب .

(٥) كذا ضبط فى أصح نسخة من البيان والتبيين . انظر ٢ : ٢٦٣ و ٣ : ٣٦

(٦) على ، بمعنى مع . وفى طراز المجالس : « مع شرفك » .

(٧) طراز المجالس : « ويتق » .

مَن عَهِدَ إلى حاجبه

قال موسى الهادى لحاجبه : لا تحجُب الناسَ عنّى ؛ فإنّ ذلك يزيل التزكية ، ولا تُلقِ إلىّ أمراً إذا كشفتَه وجدتَه باطلًا ، فإنّ ذلك يُوتغ المملكة[1] .

وقال بعض الخلفاء لحاجبه : إذا جلستُ فأْذنْ للناس جميعًا علىّ ، وأبرز لهم وجهى ، وسكِّن عنهم الأحراس ، واخفِض لهم الجناح ، وأطِبْ لهم بشرَك ، وألِنْ لهم فى المسألة والمنطق ، وارفعْ لهم الحوائج ، وسوِّ بينهم فى المراتب ، وقدِّمهم على الكفاية والغَناء ، لا على الميل والهوى .

وقال آخر لحاجبه : إنّك عينى التى أنظرُ بها ، وجُنَّةٌ أستنيم إليها ، وقد ولَّيتُك بابى فما تُراك صانعًا برعيّتى ؟

قال : أنظرُ إليهم بعينك ، وأحملُهم على قدر منازلهم عندك ، وأضَعهم لك فى إبطائهم عن بابك ولزومهم خِدمَتك مواضعَ استحقاقهم ، وأرتِّبهم حيث وضعهم ترتيبُك[2] ، وأُحسِنُ إبلاغك عنهم وإبلاغَهم عنك .

قال : قد وفَيت بما عليك ولك قولًا ، إن وفيتَ به فعلًا . والله ولىُّ كفايتك ومَعُونتك[3] .

---

(١) أوتغه : أهلكه . وفى اللسان : « وفى حديث الإمارة : حتى يكون عمله هو الذى يطلقه أو يوتغه » ، أى يهلكه . وفى طراز المجالس: « يوقع المهلكة » .

(٢) وكذا فى عيون الأخبار ١ : ٨٣ ، لكن فى طراز المجالس : « مواضع استحقاقهم فى رتبهم حيث وضعهم ترتيبك » .

(٣) بدله فى عيون الأخبار : « قد وفيت مالك وما عليك إن صدقته بفعل ».

وعَهد أميرٌ إلى حاجبه فقال : إنَّ أداء الأمانة فى الأعراض أوجَبُ منها فى الأموال ؛ وذلك أنَّ الأموالَ وقايةٌ للأعراض ، وليست الأعراض بوقاية للأموال . وقد ائتمنتك على أعراض الغاشِينَ لِبابى ، وإنّما أعراضُهم أقدارُهم ، فصُنْها لهم ، ووفِّرها عليهم . وصُنْ بذلك عرضى ، فلعمرى إنَّ صيانتك أعراضَهم صيانةٌ لعِرضى ، ووقايتَك أقدارَهم وقايةٌ لقدرى ؛ إذ كنتُ الحظىَّ بزينِ إنصافهم إن أُنصِفوا ، والمبتلَى بشَين ظلمهم إن ظُلموا فى غِشيانهم بابى ، وحضورهم فِنائى . ١٤٧ و

أوفِ كلَّ امرئٍ قدرَه ، ولا تُجاوزْ به حدَّه ، وتوقَّ الجورَ فى ذلك التوقّىَ كلَّه . أقبلْ على من تحجب بإبداء البِشر وحلاوة العُذر ، وطلاقة الوجه ولين القَول ، وإظهار الودّ ، حتّى يكون رضاه عنك لما يرى من بشاشتك به وطلاقتك له ، كرِضَا من تأذنُ له عنك لما يُمنحه من التكريم ، ويحويه من التعظيم ؛ فإنّ المنع عند الممنوع فى لين المقالة يكاد يكون كالنَّيل عند العطاء فى نفع المَنَالة .

أنْهِ إلىَّ حالاتِ كلِّ مَن يغشى بابى من وجيهٍ وخامل ، وذى هيئة وأخى رَثاثة ، فيما يحضُرون له بابى ، ويتعلّقون به من إتيانى .

لا تحتقرنَّ من تقتحمه العيون لرثاثةِ ثوبٍ أو لدمامة وجه ، احتقاراً يخفَى علىّ أثره ، فربّما بَذَّ مثلُه[1] بمخبره من يروقُ العيونَ منظرُه .

---

(١) بذ القوم يبذهم بذا : سبقهم وغلبهم . وبذ فلانا ، إذا ما علاه وفاقه فى حسن أو عمل ، كائنا ما كان . فى طراز المجالس : « بز » تحريف ، فإن البز بالزاى معناه السلب ، ومنه قولهم فى المثل : « من عز بز » .

إنك إن نقصتَ الكريمَ ما يستحقُّه من مال لم يغضَب بعد أن تستوهبه منه ، وإن نقصتَه من قدره أسخطتَه أشدَّ الإسخاط ، إذ كان يريد دنياه ليصونَ بها قدرَه ، ولا يريد قدره ليُبقى به دنياه . فكن لتحيُّف عِرضه أشدَّ توقِّيًا منك لتحيُّف ماله[1] .

إن المحجوب وإنْ كان عدْلُنا فى حجابه كعدلنا على المأذون له فى إذنه ، يتداخلُه انكسارٌ إذا حُجِبَ ورأى غيره قد أُذِن له . فاختصَّه لذلك من بشاشتك به ، وطلاقتك له ، بما[2] يتحلَّل به عنه انكسارُه . فلعمرى لو عَرف أنّ صوابنا فى حجابه كصوابنا فى الإذن لمن نأذن له ، ما احتجنا إلى ما أوصيناك به من اختصاصه بالبشر دون المأذون له .

إن اجتمعَ الأعلَون والأوسطون والأدنَون ، فدعوتَ بواحدٍ منهم دون مَن يعلوه فى القدر ، لأمرٍ لا بدّ من الدعاء به له ، فأَظهِر العُذر فى ذلك لئلّا تخبثَ نفسُ من عَلاهُ ؛ فإنّ الناس يتغالب لمثل ذلك عليهم سوء الظُّنون . والواجبُ على من ساسَهم التوقِّى على نفسه من سُوء ظنونهم ، وعليهم تقويم نفوسهم ؛ إذْ هُو كالرأس يألم لألم الأعضاء ، وهم كالأعضاء يألمون لألم الرأس . ١٤٧ ظ

المدائنى قال : قال زياد بن أبيه لحاجبه[3] :

---

(١) التحيف : التنقص . وفى طراز المجالس : « لتخيف » بالخاء ، وهما سواء فى المعنى . وفى اللسان (خيف) : « وتخيف ماله : تنقص من أطرافه ، كتحيفه ، حكاه يعقوب وعده فى البدل . والحاء أعلى » .

(٢) فى الأصل وطراز المجالس : « ما » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الخبر فى الكامل ١٧٠ ليبسك والعقد ١ : ٧١ .

يا عَجلانُ : قد ولّيتك بابى ، وعزلتك عن أربعة[1] : طارقِ ليلٍ ؛ فشرٌّ ما جاء به أو خَيْر[2] . ورسولِ صاحب الثَّغر ؛ فإنّه إن تأخّر ساعةً بطل به عملُ سَنَة[3] . وهذا المنادى بالصلاة[4] . وصاحب الطّعام ؛ فإنّ الطعام إذا تُرِكَ بردَ ، وإذا أعيد عليه التسخين فسد .

الهيثم بن عدىّ قال : قال خالد بن عبد الله القسرىّ لحاجبه[5] : لا تحجبنّ عنّى أحداً إذا أخذتُ مجلسى ؛ فإن الوالىَ لا يحتجب إلاّ عن ثلاث : إمّا رجلٌ عيىٌّ يكره أن يُطَّلع على عِيّه ، وإمّا رجلٌ مشتمل على سَوءة ، أو رجلٌ بَخيل يكره أن يدخل عليه إنسانٌ يسأله شيئاً .

أنشدنى محمودٌ الورّاقُ لنفسهِ فى هذا المعنى :

إذا اعتصَم الوالى بإغلاق بابه   وردَّ ذوى الحاجات دون حجابه
ظننتُ به إحدى ثلاثٍ ، وربّما   نزعت بظنٍّ واقع بصوابه
فقلتُ : به مَسٌّ من العىّ ظاهر   ففى إذْنه للنـاس إظهـار ما بهِ

---

(١) فى العقد : « عن أربع » . والأفصح التأنيث لنية أربع رجال ، ويجوز أن تحذف التاء ، كما فى حديث « وأتبعه بست من شوال » . الأشمونى ٤ : ٦١ .

(٢) فى الكامل : « فشر ما جاء به ، ولو جاء بخير ما كنت من حاجته » .

(٣) فى الكامل : « فإن إبطاء ساعة يفسد تدبير سنة » . وفى العقد : « فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنة . فأدخله على وإن كنتُ فى لحافى » .

(٤) ورد المنادى بالصلاة فى كل من الكامل والعقد مقدما على الأربعة جميعها . وعبارة الكامل : « عزلتك عن هذا المنادى إذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه » وفى العقد : « هذا المنادى إلى الله فى الصلاة والفلاح لا تحجبه عنى فلا سلطان لك عليه » .

(٥) الخبر فى عيون الأخبار ١ : ٨٤ مع خلاف فى العبارة وهو أيضاً فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٧ : ٩٢ — ٩٣ مع جعل الخبر لأبرويز .

فإن لم يكن عيّ اللسان فغالبٌ   من البُخل يحمى مالَه عن طِلابه
فإن لم يكن هذا ولاذا فَريبةٌ   يصرّ عليها عند إغلاق بابه[١]

وأنشدنى بعض المحدثين فى ابن المدبّر[٢] :

لولا مقارفة الرِّيَبْ   ما كنتَ ممّن يحتجبْ
أوْلا فعِيٌّ منك أو   بُخلٌ على أهل الطَّلَبْ
فاكشفْ لنا وجه الحجا   بِ ولا تُبالى مَن عَتَبْ

من ينبغي أن يُتّخذ للحجابة

قال المنصور للمهدىّ : لا ينبغى أن يكون الحاجب جَهولاً ، ولا غبيًّا ، ولا عييًّا ، ولا ذَهولاً ولا متشاغلاً ، ولا خاملاً ولا محتَقَراً ، ولا جهماً ١٤٨ و ولا عَبوساً . فإنّه إن كان جهولاً أدخل على صاحبه الضَّررَ من حيث يقدِّر المنفعة ، وإن كان عَييًّا لم يؤدِّ إلى صاحبه ولم يؤدِّ عنه ، وإن كان غبيًّا جَهِل مكانَ الشريف فأحَلَّه غير منزلته ، وحطَّه عن مرتبته ، وقدَّم الوضيعَ عليه ،

---

(١) عند ابن أبى الحديد : « يكتمها مستورة بثيابه »

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، شاعر كاتب متقدم ، من وجوه كتاب أهل العراق ، وذوى الجاه والمتصرفين فى كبار الأعمال ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، ووزر للمعتمد على الله ، ومات سنة ٢٧٩ وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد . معجم الأدباء ١ : ٢٢٦ — ٢٣٢ والأغانى ١٩ : ١١٤ — ١١٩ وتاريخ الطبرى ١١ : ٣٤١ . وفى نصوص معجم الأدباء ما يدل على أنه كان شديد الحجاب .

وجهل ما عليه وماله . وإن كان ذَهولاً متشاغلاً أخلَّ بما يحتاج إليه صاحبُه فى وقته ، وأضاعَ حُقوقَ الغاشِينَ لبابه ، واستدعى الذَّمَّ من الناس له ، وأذِن عليه لمن لا يحتاج إلى لقائه ولا ينتفع بمكانه . وإذا كان خاملاً محتَقراً أحلَّ الناسُ صاحبَه فى محلّه وقضَوْا عليه به . وإذا كان جَهماً عبوساً تلَقّى كل طبقةٍ من الناس بالمكروه ، فترك أهلُ النصائح نصائحَهم ، وأخلَّ بذوى الحاجات فى حوائجهم ، وقلَّت الغاشيةُ لباب صاحبه ، فِراراً من لقائه .

الهيثم بن عدىّ عن مجالد عن الشَّعبىّ ، أن عبد الملك بن مروان قال لأخيه عبد العزيز بن مروان ، حينَ ولاَّه مصر :

إنّ الناس قد أكثروا عليك ، ولعلك لا تحفظ . فاحفظْ عنّى ثلاثا .

قال : قل يا أمير المؤمنين .

قال : انظر من تَجعلُ حاجبَك ، ولا تجعلْه إلاّ عاقلاً فَهِماً مُفْهِماً ، صدُوقاً لا يُورد عليك كذباً ، يُحسن الأداء إليك والأداء عنك . ومُرْهُ ألاّ يقفَ ببابك أحدٌ من الأحرار إلاّ أخبَرك ، حتى تكون أنت الآذِنَ له أو المانع ؛ فإنه إن لم يفعل كان هو الأميرَ وأنت الحاجب . وإذا خرجتَ إلى أصحابك فسلِّمْ عليهم يأنسوا بك . وإذا همَمتَ بعقوبةٍ فتأنَّ فيها ؛ فإنّك على استدراكها قبل فوتها أقدرُ منك على انتزاعها بعد فوتها[1] .

وقال سهل بن هارون للفَضْل بن سَهْل :

إنّ الحاجبَ أحدُ وجهَيِ الملك ، يُعتَبَر عليه برأفته ، ويلحقُه ما كان فى غلظته وفظاظته . فاتخذْ حاجبك سهلَ الطبيعة ، معروفاً بالرأفة ، مألوفاً منه

(١) فى الأصل ومخطوطتى الطراز : « طولها » ، صوابه فى مطبوع الطراز .

١٤٨ ظ

البرُّ والرَّحمة . وليكن جميل الهيئة حسن البسْطة ، ذا قصدٍ فى نيّته وصالح أفعاله . ومُره فليضع الناسَ على مراتبهم ، وليأذنْ لهم فى تفاضُل منازلهم ، وليُعط كلاً بقِسطه من وجهه ، ويستعطفْ[١] قلوب الجميع إليه ، حتّى لا يغشى البابَ أحدٌ وهو يخاف أن يقصَّر به عن مرتبته ، ولا أن يُمنع فى مدخل أو مجلسٍ أو مَوضعِ إذنٍ شيئاً يستحقُّه ، ولا أن يمْنَع أحداً مرتبته[٢] . وليضع كلاً عندك على منزلته . وتعهّدْه فإن قصَّر مقصَّر قام بحسن خِلافته وتزيين أمره .

وقال كسرى أنوشِروان فى كتابه المسمى « شاهينى[٣] » :

ينبغى أن يكون صاحبُ إذن الخاصّة رجلاً شريفَ البيت ، بعيد الهمّة ، بارعَ الكرم ، متواضعاً طلقاً ، معتدلَ الجسم بهىَّ المنظر ، ليّن الجانب ، ليس ببذِخ ولا بطرٍ ولا مرِح ، ليِّنَ الكلام ، طالباً للذِّكر الحسن ، مشتاقاً إلى محادثة العلماء ومجالسةِ الصُّلحاء ، محبًّا لكلِّ مازيَّن عمله ، معانداً للسُّعاة[٤] ، مجانباً للكذَّابين ، صدوقاً إذا حَدَّث ، وفيًّا إذا وعد ، متفهِّماً إذا خُوطِب ، مجيباً بالصواب إذا رُوجع[٥] ، منصِفاً إذا عامل ، آنساً مؤنساً ، محبًّا للأخيار ، شديد الحنوّ على المملكة ، أديباً له لطافةٌ فى الخدمة ، وذكاء فى الفهم ، وبَسطةٌ فى المنطق ، ورفقٌ فى المحاورة ، وعلمٌ بأقدار الرجال وأخطارها .

---

(١) فى مطبوع الطراز : « وليستعطف » .

(٢) فى الأصل : « ولا أن يمتنع ولا مرتبته » ، وأثبت ما فى الطراز .

(٣) فى الطراز : « شاهى » .

(٤) فى الأصل : « للسعادة » ، صوابه فى الطراز .

(٥) فى الأصل ومخطوطى الطراز : « راجع » ، وأثبت مافى الطراز المطبوع .

وقال فى حاجب العامّة :

ينبغى أن يكون حاجبُ العامّة رجلاً عبدَ الطّاعة ، دائم الحراسة للملك ، مَخُوف اليد ، خَشِنَ الكلام[١] مروِّعا ، غير باطشٍ إلاّ بالحقّ ، لا أنيسًا ولا مأنوسًا ، دائم العُبوس ، شديداً على المُريب ، غير مستخفٍّ بخاصّة الملك ومَن يهوى ويقرِّبُ[٢] ، من بطانته .

محلُّ الحاجب وموضعه ممن يحجبه

قال عبد الملك لأخيه عبد العزيز ، حين وجّهه إلى مصر :

اعرف حاجبَك ، وجليسَك ، وكاتبَك . فإنّ الغائب يُخبِره عنك كاتبُك ، والمتوسّم يعرفك بحاجبِك ، والخارج من عِندك يعرفك بجليسك . ١٤٩ و

وقال يزيد بن المهلب لابنه مَخْلَد حين ولاّه جُرجان : استظرفْ كاتبكَ ، واستعقِلْ حاجبَك .

وقال الحجّاج : حاجب الرجل وجهُه ، وكاتبُه كلُّه .

وقال ابن أبى زُرعة : [قال[٣]] رجلٌ من أهل الشام ، لأبى الخطاب الحسن بن محمد الطائى يعاتبه [فى حجابه[٣]] :

هذا أبو الخطاب بدرٌ طالعٌ ... من دون مَطلعه حجابٌ مظلمُ
ويقال وجه المرء حاجبُه كما ... بلسان كاتبه الفتى يتكلّمُ

---

(١) فى الطراز : « حسن الكلام » .
(٢) فى الطراز : « ويقربه » .
(٣) التكمله من الطراز .

أُدنيتُ من قبل اللّقاء ، وبعده أُقصيت ، هل يَرضَى بذا من يفهمُ
وإذا رأيتُ من الكريم فظاظةً فإليه من أخلاقه أتظلَّمُ

وقال الفضل بن يحيى : إنَّ حاجب الرجل عاملُه على عِرضه ، وإنّه لا عِوَض لحرٍّ من نفسه ، ولا قيمة عنده لحرّيّته وقدره .

وأنشدنى ابن أبى كامل فى هذا المعنى :

واعلمْ إن كنتَ تجهلُه أنّ عِرض المرء حاجبُه[1]
فيهِ تبدو محاسنُه وبه تبدو معايبُه

من عوتب على حجابه أو هُجِىَ به

إسحاق الموصليّ عن ابن كُنَاسة قال :

خبِّرت أنّ هانئ بن قبيصة وفدَ على يزيدَ بنِ معاوية ، فاحتجب عنه أيامًا ، ثم إنّ يزيد ركب يومًا يتصيّد فتلقّاه هانئ فقال : يا يزيد ، إنّ الخليفة ليس بالمحتجب المتخلِّى ، ولا المتطرِّف المتنحِّى[2] ، ولا الذى ينزل على الغُدران والفلوات ، ويخلو للّذّات والشّهوات . وقد وَلِيتَ أمرَنا فأقِمْ بين أظهُرِنا ، وسهِّل إذْننا ، واعملْ بكتاب الله فينا . فإن كنت قد عَجَزتَ عمّا هنا

---

(١) نسب فى محاضرات الراغب مع رواية أخرى إلى يحيى بن المعلى . انظر المحاضرات ١ : ١٠١ . وهو بدون نسبة مع رواية : « إن كنت تعلمه » فى عيون الأخبار ١ : ٨٤ .

(٢) فى الطراز : « المختلى ، ولا المتطرف المتنحى » .

فارْدُدْ علينا بَيعتَنا نُبايِعْ من يعملُ بذلك فينا ، ويُقيمه لنا . ثم عليك بخلواتك وصيدك وكلابك .

قال : فغضب يزيد وقال : والله لولا أن أسُنَّ بالشام سُنَّة العراق لأقمتُ أوَدَك .

١٤٩ ظ ثم انصرف وما هاجه بشيء ، وأذِن له ، ولم تتغيّر منزلته عنده ، وترك كثيراً مما كان عليه .

المَوْصليّ[1] قال : كان سعيد بن سَلْم[2] واليًا على أرمينية ، فورد عليه أبو دُهْمان الغَلَّابى[3] ، فلم يصلْ إليه إلّا بعد حين ، فلما وصل قال — وقد مَثَل بين السِّماطين — :

والله إنّى لأعرف أقوامًا لو علموا أنَّ سَفَّ التُّراب يُقيم من أود أصلابهم لجعلوه مُسكةً لأرماقِهم ، إيثاراً للتنزُّه[4] عن العيش الرقيق الحواشي . والله

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، كان راوية للشعر حافظاً للأخبار ، ولد في سنة ولادة الجاحظ سنة ١٥٠ وتوفي ٢٣٥ . وفيات الأعيان ١ : ٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٥ — ٥٨ .

(٢) هو سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي ، قدم بغداد وحدث بها وروى عنه ابن الأعرابي ، وكان عالماً بالحديث والعربية . تاريخ بغداد ٤٦٥٧ .

(٣) أبو دُهمان : شاعر من شعراء البصرة ، أدرك دولتي بني أمية وبني هاشم ، ومدح المهدي ، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة . الأغاني ١٩ : ١٥١ . ودهمان بضم الدال . والغلابي بتشديد اللام ، كما في الأنساب للسمعاني . والخبر في البيان ٢ : ٢٠٠ ٢٠١ والمتكلم فيه هو سعيد بن سلم نفسه ، قال : « كنت واليًا على أرمينية ، فغبر أبو دهمان على بابي أياماً ، فلما وصل إليّ مثل بين يدي قائماً بين السماطين وقال : » .

(٤) التنزه : الابتعاد .

إنى لبعيدُ الوَثبة ، بطىء العَطفة[١] إنّه والله ما يثنينى عليك إلّا مثلُ ما يَصرفنى عنك ، ولَأن أكونَ مملقاً[٢] مقرَّباً أحبُّ إلىَّ من أن أكون مكثراً مبعَدا . والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالًا إلّا ونحن أكثر منه ، وإنَّ الذى صار فى يدك قد كان فى يدِ غيرك[٣] ، فأمسَوْا والله حديثا ، إنْ خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا[٤] . فتحبَّب إلى عبادِ الله بحُسن البِشر ، ولِين الحجاب[٥] ؛ فإنّ حبَّ عباد الله موصولٌ بحبِّ الله ، وهم شهداءُ اللهِ على خلقه ، وأمناؤه على من اعوجَّ عن سبيله[٦] .

إسحاق بن إبراهيم المَوْصلى[٧] قال :

استبطأنى جعفر بن يحيى ، وشكا ذلك إلى أبى ، فدخلت عليه ـ وكان شديد الحِجاب ـ فاعتذرت إليه وأعلمتُه أنّى أتيته مراراً للسَّلام فحجبنى نافذٌ غلامُه .

---

(١) العطفة : الرجعة

(٢) فى البيان والعقد ١ : ٧٢ : « مقلا » .

(٣) فى البيان : « وهذا الأمر الذى صار إليك وفى يديك قد كان فى يدى غيرك » .

(٤) كذا فى الأصل ومخطوطتى الطراز ، وهو أحد أوجه أربعة جائزة فى العدية . وفى مطبوع الطراز والبيان : « إن خيراً فخير وإن شراً فشر » وهو الوجه الثانى . ويقال أيضاً برفع الكلمتين ، وبرفع الأولى ونصب الثانية .

(٥) وكذا فى الطراز . وفى البيان : « ولين الجانب » .

(٦) فى البيان : « ورقباؤه على من عاج عن سبيله » ، وفى العقد : « على من اعوج عن سبيله » .

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٢ .

فقال لى وهو مازحٌ : متى حجبَك فنِكْه . فأتيته بعد ذلك للسلام فحجبنى ، فـكتبتُ إليه رقعةً فيها :

جُعِلتُ فداءكَ من كلِّ سُوء إلى حُسْنِ رأيك أشكو أناسا
يَحُولون بينى وبين السَّلامِ فما إن أسلِّمُ إلّا اختلاسا
وأنفذت رأيك فى نافذٍ فما زاده ذاك إلّا شِماسا

وسألتُ نافذاً أن يوصِّلها ففعَل ، فلما قرأها ضحك حتى فحص برجليه وقال: لا تحجبْه أىَّ وقتٍ جاء . فصرتُ لا أُحجَب .

وحُجِب أحمد بن أبى طاهر بباب بعض الكتّاب فكتب إليه :

ليس لحرٍّ من نفسه عِوَض ، ولا من قَدرِه خطر ، ولا لبذل حُرّيّته ثمن . وكلُّ ممنوع فمستغنًى عنه بغيره ، وكلُّ مانعٍ ما عنده ففى الأرض عِوَضٌ منه ، ومندوحةٌ عنه . وقد قيل : أرخصُ ما يكون الشيء عند غلائه . وقال بشار : ١٥٠ و

* والدُّرُّ يُتركُ من غلائه[1] *

ونحن نعوذ بالله من المطامع الدنيَّة ، والهمَّة القصيرة ، ومن ابتذال الحرّية ، فإنّ نفسى واللهِ أبيّةٌ ، ما سقطَتْ وراء همَّة ، ولا خذلها ناصرٌ عند نازلة ، ولا استرقَّها طمع ، ولا طُبِعت على طبع . وقد رأيتك ولَّيتَ عرضَك

---

(١) صدره فى المختار من شعر بشار ص ٦٤ :

* وغلا عليك طلابه *

ومثله قول محمود الوراق فى نهاية الأرب ٣ : ٨٨ :

وإذا غلا شىء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

من لا يَصُونه ، ووكّلتَ ببابك من يَشِينُه ، وجعلت تَرْجُمانَ كرمك من يُكثر من أعدائك ، وينقُص من أوليائك ، ويسىء العبارةَ عن معروفك ، ويوجّه وفودَ الذّمّ إليك ، ويُضغن قلوبَ إخوانك عليه ؛ إذْ كان لا يَعرف لشريفٍ قدرا ، ولا لصديقٍ منزلة ، ويُزيل المراتب عن جهاتها ودرجاتها ، فيحُطُّ العَليّ إلى مرتبة الوضيع ، ويرفع الدنىَّ إلى مرتبة الرفيع ، ويقبل الرُّشَى ، ويقدِّم على الهَوَى . وذلك إليك منسوبٌ ، وبرأسك معصوب ، يَلزَمك ذنبُه ، ويحلُّ عليك تقصيره .

* * *

وقد أنشدنى أبو علىّ البصير[1] :

كم مِن فتًى تحمد أخلاقه وتسكن الأحرارُ فى ذمّته[2]

قد كثَّر الحاجبُ أعداءه وأحقدَ الناس على نعمته[3]

---

(١) هو أبو على الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعى ، المعروف بالبصير ،لقب بذلك تفاؤلا ، أو لأنه كان يقوم من المجلس ويعود ولم يؤخذ بيده، يفعل فعل البصير : كان من أهل الكوفة وسكن بغداد ، ومدح المتوكل وبقى إلى أيام المعتز ، وكان يتشيع تشيعاً فيه بعض الغلو . نكت الهميان ٢٢٥ — ٢٢٦ . وقال ابن المعتز فى ترجمته فى الطبقات ٣٩٨ : « وكان أبو على كاتباً رسالياً ليس له فى زمانه ثان ، شاعراً جيد الشعر ، وقد قلنا فى أخبار العتابى : إن هذا قلما يتفق للرجل الواحد ، لأن الشعر الذى للكتاب ضعيف جداً ، وكتابة الشعراء ضعيفة جداً ، فإذا اجتمعا فى الواحد فهو المنقطع القرين » .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١ : ٨٥ بدون نسبة .

(٣) فى عيون الأخبار : « وسلط الذم على نعمته » .

وأُنشِدت لبعضهم :

يدلّ على سَرْوِ الفتى واحتماله
إذا كان سهلًا دونه إذنُ حاجبِه
وقد قيل ما البَوَّابُ إلا كربِّه
إذا كان سهلًا كان سهلًا كصاحبه

وقال الطائى[1] :

حَشَمُ الصَّديقِ عيونهم بحّاثةٌ | لصديقهِ عن صِدقه ونفاقه
فَلْيَنْظُرَنَّ المرءُ من غِلمانه | فهمُ خلائفه على أخلاقه[2]

وقال آخر :

اعرف مكانك من أخيـ | ـكَ ومن صديقك بالحشَمْ

وقال ابن أبى عُيَينة :

١٥٠ ظ

إنَّ وجه الغلام يخبر عمّا | فى ضمير المولى من الكتمانِ
فإذا ما جهلتَ ودَّ صديقٍ | فامتحِنْ ما أردتَ بالغلمانِ

وقال آخر :

ومحنة الزائرين بيِّنة | تُعرف قبل اللقاء بالحشَمِ

وأنشدنى عبد الله بن أحمد المهْزَمىّ[3] فى علىّ بن الجهم :

أعَلِىَّ دونك يا علىُّ حجابُ | يُدنَى البَعيدُ وتحجب الأصحابُ

(١) أبو تمام . ديوانه ٤٠٥ .

(٢) فى الأصل : « فهم خلائفه » ، وأثبت ما فى الطراز وفى ديوان أبى تمام : « فهم دلائله » .

(٣) فى الطراز : « المهر » تحريف . وهو عبد الله بن أحمد بن حرب ، =

هذا بإذنك أَمْ برأيك أم رأى هذا عليك العبـــدُ والبوَّابُ

إنَّ الشريفَ إذا أمورُ عبيدهِ غَلَبَتْ عليــه فأمره مُرتابُ

وأخذَه من قول الطائىّ :

أبا جعفرٍ وأصـــولُ الفتى تدلُّ عليـــه بأغصانه

أليس عجيبــاً بأنْ امــرأً رجاك لحـــادثِ أزمانه

فتــأمر أنت بإعطائه ويأمر فتْحٌ بحـــرمانه

ولستُ أحبُّ الشريفَ الظريفَ يكون غـلاماً لغلمـــانه

وحُجب ابن أبى طاهرٍ بباب بعض الـكتاب ، فـكتب إليه :

« إنه من لم يرفعه الإذْن لم يضعْه الحجاب ، وأنا أرفعك عن هذه المنزلة ، وأربأ بعدوِّك عن هذه الخليقة ، وما أحد أقامَ فى منزلهِ ـ عظُم أو صغُر قدره ـ إلاّ ولو حاول حجابَ الخليفة عنه لأمكنه . فتأمّلْ هذه الحالَ[1] وانظُرْ إليها بعَين النَّصَفة ، ترَها فى أقبح صورة ، وأدنا[2] منزلة . وقد قلت :

إذا كنتَ تأتى المرء تُعْظِم حقَّه ويَجهل منك الحقَّ فالهجرُ أوسعُ

ففى الناس أبدالٌ وفى العزِّ راحةٌ وفى اليأس عمّن لا يواتيك مَقنَع[3]

وإنّ امرأً يرضَى الهوانَ لنفسه حرِىٌّ بجدع الأنف والجدعُ أشنعُ

= المعروف بأبى هفان المهزمى ، وكان له محل كبير فى الأدب ، وحدث عن الأصمعى . تاريخ بغداد ٩ : ٣٧٠ .

(١) فى طراز المجالس : « الحالة » . والحال تذكر وتؤنث .

(٢) فى الأصل وطراز المجالس والعقد ١ : ٧٦ : « وأدنى » .

(٣) فى الأصل والطراز « مطمع » ، وأثبت مافى العقد .

فدعْ عنك أفعالاً يَشينك فِعلُهـا وسهِّل حجاباً إذنُهُ ليس ينفعُ

١٥١ و وحدّثنى عبد الله بن أبى مروانَ الفارسىّ قال :

ركبت مع ثُمامة بن أشرسَ إلى أبى عبّادٍ الـكاتب ، فى حوائج كتب إلىّ فيها أهلُ إرمينيّة من المعتزلة والشيعة ، فأتيناه فأعظمَ ثُمامةَ وأقعده فى صدر المجلس وجلس قُبالتَه ، وعنده جماعةٌ من الوجوه ، فتحدّثْنا ساعة ثم كلّمهُ ثمامةُ فى حاجتى ، وأخرجتُ كُتبَ القوم فقرأها ، وقد كانوا كتبوا إلى أبى عبّادٍ كتبا ، وكانوا أصدقاءه أيّام كونه بإرمينية ، فقال لى : بكِّر إلىّ غداً حتّى أكتبَ جواباتِها إنْ شاء الله . فقلت : جعَلنى الله فداك ، تأمر الحاجبَ إذا جئتُ أن يأذنَ لى . فغضِب من قولى واستشاط وقال : متى حُجِبت أنا ، أوَلِى حاجبٌ[1] ، أو لأحد علىَّ حجاب ! .

قال عبد الله : وقد كنت أتيتُه فحجبنى بعضُ غلمانه ، فحلَف بالأيمان المغلَّظة أن يَقلعَ عينَىْ مَن حجَبنى ، ثم قال : يا غلامُ ، لا يبقَ فى الدار غلامٌ ولا منقطعٌ إلينا[2] إلاّ أحضرتُمونيه الساعة ! قال : فأتى بغلمانه وهم نحوٌ من ثلثمائة ، فقال : أشِرْ إلى مَن شئتَ فيهم . فغمزنى ثمامة فقلت : جُعِلتُ فِداك لا أعرفُ الغلامَ بعينه . فقال : ما كان لى حاجبٌ قطُّ ، ولا احتجبت ، وذلك لأنّه سَبَق منّى قول ، لأنّى كنت وأنا بالرىّ وقد مات أبى وخلّف لى بهـا ضِياعاً فاحتجت إلى ملاقاة الرجال والسُّلطان فيما كان لنا ، فـكنت أنظر إلى الناس يَدخُلون ويَصِلون وأُحجَبُ أنا وأُقصَى ، فتتقاصر إلىّ نفسى ،

(١) فى الأصل : « ولى حاجب» ، صوابه من الطراز .

(٢) فى مطبوع الطراز : « لا تبق فى الدار غلاما ولا منقطعاً إلينا » .

ويضيق صدرى ، فآليتُ على نفسى إن صرتُ إلى أمرٍ من السُّلطان ألاَّ أحتجبَ أبداً .

وحدّثنى الزُّبير بن بكّار قال :

استأذن نافعُ بن جُبير بن مُطعِم[1] على معاوية ، فمنعه الحاجبُ فدقَّ أنفه ، فغضب معاوية وكان جُبَيرٌ عندَه ، فقال معاوية : يا نافع ، أتفعلُ هذا بحاجِبى ؟ قال : وما يمنعنى منه وقد أساء أدبه وأسأتَ اختياره ؟ ! ثم أنا بالمكان الذى أنا به منك . فقال جُبَير : فَضَّ الله فاك ، ألاّ تقول : وأنا بالمكان الذى أنا به من عبد مناف ؟ ! قال : فتبسَّم معاوية وأعرضَ عنه . ١٥١ ظ

قال : وفَد رجلٌ من الأكاسرة على بعضِ ملوكهم ، فأقام ببابه حَولاً لا يصلُ إليه ، فكلَّم الحاجبَ فأوصل له رقعةً فيها أربعة أسطر :

السطر الأول فيه : الأمل والضرورة أقدَمانى إليك .

وفى الثانى : ليس على العَديم[2] صبرٌ على المطالبة .

وفى الثالث : الرجوع بلا فائدةٍ شماتةُ العدوِّ والقريب .

وفى الرابع : إمّا « نَعَمْ » مُثمِرة ، وإمّا « لا » مؤيسة ، ولا معنًى للحجاب بينهما .

---

(١) هو أبو عبد الله نافع بن جبير بن مطعم بن عدى النوفلى ، مدنى تابعى ثقة ، كان يحج ماشياً وناقته تقاد ، وكان فصيحاً عظيم النخوة جهير الكلام . توفى سنة ٩٩ تهذيب التهذيب ، وجمهرة أنساب العرب ١١٦ . وكان لجبير أبيه صحبة . الإصابة ١٠٨٧ وجمهرة أنساب العرب .

(٢) فى الأصل وإحدى مخطوطتى الطراز : « على العدم » ، ووجهه من المخطوطة الأخرى . والعديم : الفقير الذى لا يملك شيئاً . وفى مطبوعة الطراز : « المعدم » .

فوقّع تحت كل سطرٍ منها : « زِه[١] » .

وأنشد الوليد بن عُبَيد البحترىّ[٢] فى ابن المدبّر[٣] يهجو غلامه بشراً :

وكم جئتُ مشتاقاً على بُعد غايةٍ   إلى غير مشتاقٍ وكم ردّنى بشرُ[٤]

وما بالُه يأبَى دخولى وقد رأى   خروجىَ من أبوابه ويدى صِفرُ

وأنشِدت لبعضهم :

لعمرى لئن حجبتنى العبيدُ   ببابك ما يَحجبــوا القافيــهْ

سأرمى بهــا من وراء الحجاب   جـــزاء قروضٍ لـكم وافيه

تُصِمُّ السَّــميعَ وتُعمِى البصــير   ويُسأل من أجلهـــا العافيه

وأنشدنى أحمد بن أبى فَنَن[٥] ، فى محمد بن حمدون بن إسماعيل :

ولقد رأيتُ بباب دارِك جفوةً   فيهـا لحسن صنيعـــةٍ تـكديرُ

---

(١) زِه : كلمة فارسية تقال عند الاستحسان .

(٢) هو أبو عبادة البحترى الشاعر المشهور . ولد سنة ٢٠٦ وتوفى سنة ٢٨٤

(٣) إبراهيم بن المدبر ، مضت ترجمته فى ص ٣٧ .

(٤) فى ديوان البحترى ٧ :

فلم جئت طوع الشوق من بعد غايتى   إلى غير مشتاق ولم ردنى بشر

وفى محاضرات الراغب ١ : ١٠٢ بدون نسبة :

ولم جئت مشتاقا على بعد شقة   إلى غير مشتاق ولم ردنى بشر

(٥) هو أبو عبد الله أحمد بن صالح — وكنية صالح أبو فنن — شاعر مفلق مطبوع ، أكثر المدح للفتح بن خاقان ، وكان أسود اللون ، وهو القائل :

لئن حسبت سواد الليل غيرنى   فإن قلبي فى حسَنَى أبى دلف

طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٦ — ٣٩٧ وتاريخ بغداد ٤ : ٢٠٢ — ٢٠٣ وفوات الوفيات .

ما بال دارك حين تُدخَل جنّــةً وبباب دارك منـــكر ونـكيرُ

وأنشدنى أبو على الدِّرهمى اليمامىُّ فى أبى الحسن على بن يحيى :

لا يُشبه الرجلَ الـكريمَ نجارُه ذا اللُّبِّ غيرُ بَشاشة الحجّابِ

وببـاب دارك مَن إذا حيَّيتهُ جعل التبرُّمَ والعُبوسَ ثوابى

أوصـــيتَه بالإذن لى فـكأنّما أوصيتَه متعمِّدا لحجـــــــابى

وأنشدنى أبو على البصير فى أبى الحسن على بن يحيى :

فى كلِّ يوم لى ببابك وقفــةٌ أطوى إليهـــا سائر الأبوابِ

فإذا حضرتُ وغبتُ عنك فإنّه ذنبٌ عقوبتُه على البـــوّاب ١٥٢

وأنشدنى أبو على اليمامى ، وعاتب بعض أهل العسكر فى حاجبـه[1] ، فلم يأذنْ له الحاجب بعد ذلك ، فكتب إليه :

صار العتابُ يزيدنى بُعــــدًا ويزيد مَن عاتبتُه صـــدّا

وإذا شكوت إليـــه حاجبَه أغْـــراه ذاك فزادنى ردّا[2]

وأنشدنى العجينىّ[3] فى بعض أهل العسكر ، يعاتبـه فى حِجابه ويهجو حاجبَه :

إنمـــا يحسُن المـــديح إذا ما أنشد المادح الفــتى الممدوحا

وأرانى ببـــاب دارك عمِّـــر تُ طويلا مُقصًى مُهانًا طريحا

---

(١) فى الأصل : « حاجته » ، والوجه ما أثبت من مخطوطتى الطراز .

(٢) فى الأصل : « أعداه ذاك » ، صوابه من الطراز .

(٣) فى مطبوع طراز المجالس : « العجيبى » بالباء ، وفى إحدى المخطوطتين : « العمى » وفى الأخرى :« العجنى » .

إنّ بالباب حاجبًا لك أمسَى　　مُنْكرٌ عنده ظريفًا مليحا[1]
ما سألناه عنك قطُّ وإلّا　　ردّ من بُغضه مَرَدًّا قبيحا

وأُنشِدت لبعضهم فى هجاء حاجب :

سأتركُ بابًا أنت تملك إذنَه　　ولو كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ
فلو كنتَ بوّابَ الجنانِ تركتُها　　وحوّلت رَحْلى مسرعًا نحو مالكِ[2]

وكتب بعض الكتّاب إلى الحسن بن وهبٍ ، فى بوّابه :

قد كنت أحسب أنّ طرفَك مَلّنى
ورُميتُ منكَ بجفوةٍ وعذابِ
فإذا هواك على الذى قد كان لى
وإذا بليتُنا من البوّابِ
فاعلم - جعلتُ فداكَ - غيرَ معلِّمٍ
أنّ الأديب مؤدِّبُ الحجّابِ

وقال رَزِينٌ العَروضىّ[3] لجعفر بن محمد بن الأشعث[4] :

---

(١) منكر هذا : أحد الملكين : منكر ونكير .

(٢) مالك : خازن جهنم . وفى الأصل والطراز وعيون الأخبار ١ : ٨٥ والمحاسن والمساوى ١ : ١٢٦ : « رجلى » بالجيم ، تحريف . وحول رحله : حاد عن طريقه ، ومنه قوله - انظر دلائل الإعجاز ص ٢٣ :

يأيها الرجل المحول رحله　　هلا سألت عنَ آل عبد مناف

وفى محاضرات الراغب ١ : ١٠٢ : « وعميت عنها مسرعاً » .

(٣) رزين العروضى ، وكنيته أبو زهير ، ذكره الجاحظ فى الحيوان ٧ : ٢١٧ وقال : « لم أر قط أطيب منه احتجاجاً ولا أطيب عبارة » .

(٤) فى الحيوان : « يهجو ولد عقبة بن جعفر » .

إن كنت تحجبني للذئب مزدهيًا فقـد لعمرى أبوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليثَ الهَصُورَ إذاً تركتم الناسَ مأكولًا ومشروبا
هذا السُّنيديُّ ماساوى إتاوتَه يكلِّم الفيل تصعيداً وتصويبا ١٥٢ ظ
اذهَبْ إليك فما آسى عليك وما ألقى ببـابك طَلَّاباً ومطلوبا

المدائني قال : كان يزيد بن عمر الأسيِّدىّ[1] على شرطة البصرة ، فأتاه الفرزدق فى جماعةٍ فوقَفَ ببابه ، فأبطأ عليه إذنه ، فقال ـ وكان [ابن[2]] عُمر يلقَّب الوَقّاحَ ـ :

ألم يكُ من نَكْسِ الزَّمان على استه
وقوفى على باب الوَقاح أُسـائلُه[3]

فإن تك شُرْطيًّـا فإنى لِغالبٍ
إذا نزلت أركانَ فخٍّ منـازلُه[4]

وقال أبو عليّ البصير[5] ، وحجَبَه محمد بن غسّان ، بعد أُنسٍ كانَ بينهما :

قد أتينا للوعدِ صَدرَ النَّهارِ فدُفِعنا من دون بابِ الدارِ

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٦٧١ : « يزيد بن عمير الأسيدى » .

(٢) تكملة ليست فى الأصل ولا فى الطراز ، وفى حواشى ديوان الفرزدق ، لابن حبيب : « كان يزيد يلقب الوقاح » .

(٣) فى الديوان : « أزاوله » .

(٤) لغالب ، أى ينتمى إلى أبيه غالب ويعتز به . وفى الديوان : « فإنى ابن غالب إذا جمعت أركان فج » . وفج تحريف ، وإنما هى: «فخ» كما فى الأصل والطراز . وفخ ، بالخاء : واد بمكة .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ٤٥ .

وسمِعنا ، من غير قصدٍ لأن نسـ ـمعَ ، صوتَ الغناء والأوتارِ[١]
فأحطْنَا بكل ما غاب من شأ نكَ عَنَّا خُـبْرًا بلا استخبارِ
فإذا أنتَ قد وَصلتَ صَبوحًا بغَبوقٍ ودُلجَـةً بابتكارِ
وإذا نحن لا تخاطبنـا الغلـ ـمانُ إلّا بالجحْـد والإنكارِ
فانصرفنا وطالما قد تَلقَّـو نا بأُنسٍ منهـمْ وباستبشارِ
ذاكَ إذ كان مرّةً لك فينـا وطرٌ فانقضى من الأوطار[٢]
حين كُنّا المقدَّمين على النـا سِ وكنّا الشِّعارَ دونَ الدِّثارِ
كم تأنّيتُ وانتظـرت فأفنيـ ـتُ تأنِّيَّ كُلَّه وانتظـاري
فعليك السلام كُنّا من الأهـ ـلِ فصرنا كسائر الزُّوّارِ[٣]

وله إليه أيضاً :

قد أطَلْنا بالباب أمسِ القُعودا وجُفِينا به جفاءً شـديدا
وذممنـا العبيدَ حتى إذا نحـ ـنُ بلَونا المولَى عَذَرنا العبيدا[٤]
وعلى موعدٍ أتيناك معـلو مٍ وأمرٍ مُؤكَّد تأكيـدا
فأقمْنا لا الإذنُ جاء ولا جا ءَ رسولٌ قال انصرفْ مطرودا
وصـبَرنا حتّى رأينـا قُبيلَ الـ ـظُّهـرِ يرذونَ بعضِهِم مردودا

١٥٣ و

---

(١) هذا البيت ساقط من طراز المجالس .
(٢) فى الأصل وإحدى مخطوطتى الطراز: «وطرا» ،صوابه من مطبوع الطرار. وفى المخطوطة الأخرى : « وترا نقضى من الأوطار » .
(٣) فى الطراز : « من جملة الزوار » .
(٤) هذا البيت وسابقه بدون نسبة فى عيون الأخبار ١ : ٨٧ .

واستقرَّ المكانُ بالقوم والغلـ ـمانُ فى ذاك يمنحونا صدودا
ويُشيرون بالمضىّ فلمّا أُحرجوا جرّدوا لنا تجريدا
فانصرفنا فى ساعةٍ لو طرحت الـ ـلّحمَ فيها نِيًّا كُفيتَ الوقودا
فلعمرى لو كنت تعتدّ لى ذنـ ـبًا عظيما وكنتَ فظًّا حقودا
وطلبتَ المزيدَ لى فى عذابٍ فوقَ هذا لَمَا وجدتَ مزيدا
كان ظنّى بك الجميلَ فألفيـ ـتُكَ من كلّ ماظننتُ بعيدا
فعليك السلامُ تسليمَ من لا يَضمن الدهرَ بعدها أن يعودا

وله فى أحمد بن داود السِّيبى[1] وقصد إليه بكتاب إسحاق بن سعدٍ الكاتب :

يا ابن سعدٍ إن العقوبة لاتلـ ـزَم إلّا من ناله الإعذارُ
وابن داود مستخفٌّ وقد وا فَتْه مشحوذةً عليه الشِّفارُ
فاهـدِه للتى يكون له منـ ـها مَفرٌّ مادامَ يُنجِى الفِرارُ
سامَنى أحمد بن داود أمراً ما على مثله لدَىَّ اصطبارُ
لى إليه فى كلّ يومٍ جديدٍ رَوحةٌ ماأُغِبُّها وابتكارُ
ووقوفٌ ببابه أُمنَعُ الإذ نَ عليه ويَدخل الزُّوّارُ
خُطّةٌ مَن يُقم عليها من النا سِ ففيها ذُلٌّ له وصَغارُ
لو ينال الغنى لما كان فى ذ لكَ حظٌّ يناله مختارُ

---

(١) نسبة إلى السيب ، بكسر أوله ، وهو كورة من سواد الكوفة . وفى مطبوع الطراز : « البسق » .

عزبَ الرأىُ فىّ عنه وعزّتْ ه أناةٌ طويلةٌ وانتظارُ

وحُجب بباب بعض الكُتّاب فكتب إليه :

أقمتُ ببابك فى جفوةٍ يلوِّن لى قولَه الحاجبُ

فيطمعنى تارةً فى الوصول وربَّتَما قال لى : راكبُ

فأعلم عند اختلاف الكلام وتخليطِه أنه كاذبُ

وأعزمُ عزماً فيأبى عَلَىَّ إمضاءَه رأيىَ الثاقبُ

وإنّى أراقب حتى يثوبَ للحرِّ من رأيه ثائبُ

فإن تعتذرْ تُلفِنى عاذراً صَفوحاً وذاك هو الواجبُ

وإلا فإنى إذا ما الجبالُ رثَّتْ قُواها ، لها قاضبُ

١٥٣ ظ

وقال لعلىِّ بن يعقوبَ الكاتبِ وحُجب ببابه :

قد أتيناك للسّلام فصادَفْنا على غير ما عَهِدنا الغلاما

وسألناه عنك فاعتلَّ بالنَّوم وما كان مُنكَراً أن تناما

غير أنّ الجواب كان جواباً سيئاً يُعقِب الصّديقَ احتشاما

فانصرفنا نوجّه العُذرَ إلاّ أنّ فى مضمَر القلوب اضطراما

يا ابنَ يعقوب لا يلومنَّ إلاّ نفسَه بعدَ هذه مَن ألاما

وقال لعلى بن يحيى المنجِّم (1) ، وحجبَه غلامُه :

---

(١) هو أبو الحسن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم ، فارسى الأصل ، وأسلم أبوه يحيى على يد المأمون . وأبو الحسن أديب شاعر مفتن فى علوم العرب والعجم ، وكان جواداً ممدحاً ، نادم المتوكل وعلت منزلته عنده ، ثم لم يزل مع الخلفاء يكرمونه واحداً واحداً إلى أيام المعتمد . ومات سنة ٢٧٥ . معجم المرزبانى ٢٨٦ — ٢٨٧ .

ليس يرضى الحرُّ الكريم ولو أوْ طعمتَه الأرضَ أن يذلَّ لعبدِ
فعليك السلامُ إلاَّ على الطّرْ ق وحيِّى كما علمتَ وودِّى[١]

وقال أبو هِفّان[٢] لعلى بن يحيى ، يعاتبه فى حجابه :

أبا حسنٍ وفِّنا حقَّنا بحقِّ مكارمك الوافيه
أأُحجَب دونك شرَّ الحجاب ويدخل دونى بنو العافيه[٣]
أعوذُ بفضلك من أن أُساء وأسألُ ربِّى لك العافيه
فإنى امرؤٌ تتَّقينى الملوكُ وتدخل فى حَلَق الصَّافيه[٤]
كتبت على نفسِ من رامَنى ببعض الأذى للرَّدى صافيه

وأُنشِدت لبرقوق الأخطل[٥] وحُجب بباب بعض الكُتّاب :

قد حُجبنا وكان خطباً جليلا وقليلُ الجفاءِ ليس قليلا
لم أكن قبلها ثقيلا وهل يثْ قُل من خاف أن يكون ثقيلا ١٥٤ و
غير أنى أظنُّ لازال ذاك الظْ ظَنُّ ينقاد أن يكون ملولا

---

(١) الطرق ، كذا وردت فى الأصل والطراز .

(٢) هو عبد الله بن أحمد المهزمى ، المترجم فى ص ٤٦ .

(٣) العافية . طلاب الرزق ، واحدهم عاف . عفاه يعفوه : أتاه لطلب معروفه

(٤) أى فى دروعى السابغات . وفى الأصل : « خلق الصافية » . وفى مطبوع الطراز : «فى حلق الصافية » ، وفى إحدى مخطوطتى الطراز : «حلق الصافية » وسقط البيت من المخطوطة الأخرى .

(٥) كذا . وفى طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٢١ أن اسمه الأخيطل ، ويعرف ببرقوقا . وهو صاحب الشعر العجيب فى تشبيه المصلوب :

كأنه عاشق قد مد بسطته يوم الفراق إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل

وأخذه من قول الآخر :

لمَّا تحاجبتَ وقد خِفت أن تَدنوَ من ودِّك بالقبلِ
أقللتُ إتيانكمُ إنَّه من خافَ أن يُثقِلَ لم يثقُلِ[١]

وأنشدني أبو عبد الرحمن العَطَويّ[٢] :

لأبي بكرٍ خليلي حُسنُ رأيٍ في الحجابِ
يا أبا بكر سقاك الله من صَوب السَّحاب
لن تراني بعدها من بَعدِها قارعَ باب
إن يَنُبْ خَطْبٌ فني الرُّسْلِ بلاغٌ والكتاب

ولخالدٍ الكاتب في جعفر بن محمود :

احتجبَ الكاتبُ في دهرنا وكان لا يحتجب الكاتبُ
القوم يخلُونَ لحجّابهِمْ فيُنكحُ المحجوب والحاجبُ

ولأبي سَعْدٍ المخزوميّ[٣] في الحسن بن سهل :

ترهَّبَ بَعدك الحسنُ بن سهلٍ فأَغلَقَ بابَه دون المديحِ

---

(١) في مطبوع الطراز : « أقللت من إتيانكم » .

(٢) منسوب إلى جده عطية . وهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن ابن عطية العطوى . شاعر من أهل البصرة ، وكان يعد في متكلمي المعتزلة ، ويذهب مذهب الحسين النجار في خلق الأفعال . قدم بغداد أيام أحمد بن أبي دواد واتصل به. وقد اختار له المبرد من شعره . تاريخ بغداد ٣:١٢٧ وأنساب السمعاني ٣٩٤ .

(٣) أبو سعد المخزومي ممن عرف بكنيته ، واسمه عيسى بن الوليد . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، عاصر دعبلا وعبد الله بن أبي الشيص . وفيه يقول ابن أبي الشيص :

=

كذبتُ له ولم أكذبْ عليه ... كما كذبَ النَّصارى للمسيحِ

وأنشدنى البَلاذُرىّ فى بعض كتاب أهل العسكر :

أيحجُبنى من ليس من دون عرسه ... حِجابٌ ولا من دون وَجْعائه سِترُ[1]

ومَن لو أماتَ اللهُ أهونَ خلقه ... عليـــه لأضحى قد تضمَّنه قبرُ

وأنشدَنى حبيبُ بن أوسٍ ، فى موسى بن إبراهيم ، أبى المغيث :

أمُوَيسُ لا يُغني اعتذارُك طالباً ... وُدِّى فما بعد الهجاء عتابُ[2]

هَبْ مَن له شىءٌ يريد حجابَه ... ما بالُ لاشىء عليـــه حجابُ

١٥٤ ظ

ما إن سمعتُ ولا أرانى سامعاً ... يوماً بصحراء عليها بابُ[3]

من كان مفقودَ الحياء فوجهُهُ ... من غــير بوّابٍ له بوّابُ

ولآخر :

بَخِلَ الأمــــيرُ بإذنه ... فجلستُ فى بيتى أمـــيرا

وتركت إمـــرتَه له ... والله محمـــودٌ كثـــيراً

=

أبا سعد بحـــق الخمـ ... ـس والمفروض من صومك

أقلت الحـــق فى النبـ ... ـة أم تحـــلم فى نومك

الأغانى ١٨ : ٥٠ — ٥٤ .

(١) الوجعاء : الدبر .

(٢) مويس : تصغير ترخيم لموسى . وفى ديوان أبى تمام ٤٨٨ :

أمويس لا تغن اعتذارك طالبا ... عفوى فما بعد العقاب عتاب

(٣) فى ديوان أبى تمام : « أبدا بصحراء » .

وأنشدني الزُّبير بن بكّارٍ لبعض الشعراء[١] :

سأترك هذا البابَ ما دام إذنُه على ما أرى حتّى يَلين قليــلا[٢]
إذا لم نجد للإذن عنــدك سُلَّما وجَدنا إلى ترك المجيء سبيلا[٣]

الزُّبير بن بكّارٍ قال : وقَدَ ابنُ عمٍّ لداود بن يزيد المهلّبيّ عليه فحجبَه ، وجعل يَمطُله بحاجته ، فكتبَ إليه :

أبا سليمانَ وعداً غيرَ مكذوبِ اليأس أروَحُ من آمال عُرقوبِ
أرى حمامةَ مَطْلٍ غير طائرةٍ حتى تُنقَّب عن بعض الأعاجيب
لا تركبنَّ بشعرى غير مَركبه فيركبَ الشِّعر ظهراً غير مركوب
لئن حُجبتُ فلم تأذن عليك فما شِعرى إذا سارَ عن أُذنٍ بمحجوبِ
إن ضاق بابُك عن إذنٍ شددت غداً رحلى إلى المَطَريّين المناجيبِ[٤]
قومٌ إذا سئلوا رقّت وجوههم لا يستقيدون إلاّ للمواهبِ

---

(١) هو أبو العميثل ، كما فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٧٨ . ونسبه المرزبانى فى معجمه ٤٣١ لأبى نبقة محمد بن هشام السدرى . وذكر أنه كان قد صار إلى باب رجل من وجوه أهل البصرة فأبطأ إذنه قليلا .

(٢) فى عيون الأخبار ١ : ٨٥ ومعجم المرزبانى : « حتى يخفّ » . وفى طبقات ابن المعتز ٢٨٧ : « حتى تلين » .

(٣) فى عيون الأخبار والعقد ١ : ٧٤ والمحاسن والمساوى ١ : ١٢٦ : « عندك موضعا » . وفى معجم المرزبانى : إذا لم أجد يوما إلى الإذن سلما » .

(٤) المَطَريون ، يعنى بنى مطر ، وكانوا قوما ممدحين ، مدحهم مروان ابن أبى حفصة بقوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها فى غيل خفان أشبل

وللأحوص بن محمد الأنصاريّ فى أبى بكر بن حزم :

أعجبتَ أنْ ركب ابنُ حَزمٍ بغلةً ... فركوبُه فوق المنابر أعجبُ

وعجبتَ أن جَعل ابن حزمٍ حاجباً ... سبحانَ مَن جَعلَ ابن حَزمٍ يُحجَبُ

وأُنشدت لابن حازمٍ[1] يعاتب رجلاً فى حجابه :

صحبتُك إذْ أنت لا تُصحبُ ... وإذْ أنت لا غيرك الموكبُ[2]

وإذْ أنت تفــــرح بالزائرين ... ونفسُك نفسَــــك تستحجبُ

وإذ أنت تُكثر ذمَّ الزمانِ ... ومشيُك أضعافُ ما تركبُ

فقلتُ : كريمٌ له همّـــــــةٌ ... تُنـــــال فأُدركُ ما أطلبُ

فنِلْتَ فأقصـــيتَنى عامداً ... كأنّىَ ذو عُـــــرّةٍ أجربُ

وأصبحتُ عنك إذا ماأتيـ ... ـتُ دونَ الورى كلِّهم أُحجبُ

١٥٥ و

وأنشدنى أبو تمّامٍ الطائىّ :

ومحجّبٍ حاولتُه فوجــــدتُه ... نَجِمْاًعنالرّكب العُفاة شَسُوعَا[3]

لما عَدِمتُ نوالَه أعدمتُه ... شكرِى فرُحنا مُعدِمَين جميعاً

---

(١) هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلى ، نشأ بالبصرة ، ثم سكن بغداد ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، وكان كثير الهجاء للناس فاطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون . الأغانى ١٢ : ١٥١ — ومعجم المرزبانى ٤٢٩ وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(٢) فى مطبوع طراز المجالس : « المركب » بالراء .

(٣) يعرض فى هذا الشعر بإسحاق بن إبراهيم المصعبى ، كما فى ديوان أبى تمام ٤٩٨ .

ووقف العُتبىُّ بباب إسماعيل بن جعفرٍ يطلب إذنَه ، فأعلمه الحاجبُ أنّه فى الحمّام ، فقال :

وأميرٍ إذا أردنا طعاماً قال حُجّابُه أتى الحمّاما
فيكون الجواب منّىَ للحا جب ما إن أردتُ إلاّ السّلاما
لستُ آتيكمُ من الدّهر إلاّ كلَّ يومٍ نَويتُ فيه الصِّياما
إنّنى قد جعلتُ كلَّ طعامٍ كان حِلاًّ لكمْ علىَّ حراما

وأنشدنى إسحاق بن خلَفٍ البصرىُّ له :

أيَحْجُبنى أبو الحسَنِ وهذا ليسَ بالحسَنِ
وليس حِجابُه إلاّ عن الزّيتون والجُبُنِ

وأنشدنى بعضهم :

لا تتّخذْ باباً ولا حاجباً عليك من وجهك بوّابُ
أنت ولو كنتَ بِدَوِّيّةٍ عليك أبوابٌ وحُجّابُ

ولعلى بن جبلة فى الحسن بن سهل :

اليأس عزٌّ والذِّلّة الطَّمَعُ يضيق أمرٌ يوماً ويتّسِعُ
لا تستربثَنَّ إذنَ محتجبٍ إن لم تكن بالدُّخول تنتفع[1]
١٥٥ ظ أحقُّ شىء بطولِ مَهجَرةٍ من ليس فيه رِىٌّ ولا شِبَعُ[2]

---

(١) استرابه : استبطأه .

(٢) فى طراز المجالس : « يطول مهجره » ، وفى إحدى مخطوطاته : « بطول هجره » .

قُل لابن سهل فإنَّنى رجلٌ   إنْ لم تَدَعْنى فإننى أدعُ[1]
اليـأس مالى وجُنّتى كرمٌ   والصَّـبر والٍ علىَّ لا الجـزعُ

ولأبى تمام الطائىّ فى أبى المغيث[2] :

لا تـَـكْلَفَنَّ وأرضُ وجهك وجهه   فى غير منفعةٍ ، مؤونةَ حاجبِ[3]
لا تمتهنِّى بالحجـاب فإننى   فَطِنُ البديهة عالم بموارِبى[4]

ولبعض الشعراء فى العباس بن خالد ، وخُبِّرت أنّه لابن الأعمش :

أتحجُبنى فليس لديك نَيـلٌ   وقد ضيّعتَ مـكرمةً ومجـدا
وفى الآفاق أبدالٌ ورزقٌ   وفى الدُّنيا مَراحٌ لى ومَغـدى

وأنشدنى أبو الخطاب ، لدِعبِل ، فى غسَّانَ بن عباد[5] :

لَقَطْعُ الرمال ونَقْل الجبـال   وشرب البحار التى تصطخبْ
وكشفُ الغطاء عن الجنِّ أو   صُعودُ السَّماء لمن يرتقب
وإحصاء لُؤْم سـعيدٍ لنا   أو الشُّـكلُ فى ولدٍ مُنتجَبْ

---

(١) فى عيون الأخبار ١ : ٨٧ : «لما عدمت نواله أعدمته» .

(٢) هو أبو المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى انظر ص ٥٩ .

(٣) كلفه كلفا : أولع به وأحبه . وفى ديوان أبى تمام ٤٨٩ : « وأرض وجهك صخرة » .

(٤) المؤاربة : المداهاة ، يقال هو يؤارب صاحبه ، إذا داهاه . وفى الديوان : « لا تدهشنى » و « ندس البديهة » . وفى مطبوع الطراز : « بمآربى » .

(٥) كان غسان بن عباد واليا على خراسان فى عصر المأمون . الأغانى ١٤ : ٣٦ . وسيأتى ذكره ولده « محمد » قريبا .

أخفُّ على المرء من حاجةٍ تكلَّفَ غشيانَها مرتقِبْ
له حاجبٌ دونه حاجبٌ وحاجب حاجِبِه محتجِبْ

ولمرداس بن حزام الأسدى[1] ، فى بَشِير بن جرير بن عبد الله :

أتيتُ بَشيراً زائراً فوجدته أخَا كبرياء عالِياً بالمعاذرِ
فصدَّ وأبدى غِلظةً وتجهُّماً وأغلقَ بابَ العُرف عن كلِّ زائرِ
حجاباً لحرٍّ لا جواداً بمالِه ولا صابراً عند اختلافِ البواترِ[2]

وحُجب أبو العتاهيَة بباب أحمدَ بن يوسُفَ الكاتب ، فكتب إليه :

ألم تَرَ أنَّ الفقرَ يُرجَى له الغِنى وأنَّ الغنى يُخشَى عليه من الفقرِ
فإن نِلتَ تيهاً بالذى نلتَ من غنىً فإنَّ غناىَ بالتكرُّم والصَّبرِ

١٥٦ و وله أيضاً فيه :

إنّى أتيتُك للسَّلا م تكلُّفا منى وحُمقا
فصَددْتَ عنِّى نخوةً وتجبُّراً ولَوَيتَ شِدقا
فلوَ أنَّ رزقى فى يَدَيْـ ـكَ لما طلبتُ الدَّهرَ رزقا

---

(١) وكذا فى طراز المجالس وكنايات الجرجانى ٨٩ . وفى الحيوان ١ : ١٠٥ والمؤتلف ١٠٩ : « خذام » ، وفى معجم المرزبانى ٣٧٠ : « حذام » ، وفى الأغانى ١٠ : ٨٧ « جذام » . وفى ثمار القلوب ٢٠٨ « حرام » . وذكر الآمدى أنه شاعر إسلامى كان ينزل الكوفة ، وكان خبيثاً فاحشاً .

(٢) البواتر : السيوف القواطع . يعنى اختلافها فى الضرب .

(٣) قبله فى ديوان أبى العتاهية ٣٥٢ :

أبا جعفر إن الشريف يشينه تتايهه على الأخلاء فى الوفر

ولأحمد بن أبى طاهر :

ليس العجيب بأن أرى لك حاجبًا ولأنت عندى من حجابك أعجبُ
فلئن حُجبتُ لقد حجبتُ معاشراً ما كان مثلُهمُ ببابك يُحجَب

وله فى بعض الكتاب :

ردَّنى بالذُّلِّ صاحبُه إذا رآى أنّى أطالبُه
ليس كَشْخانًا فأشتُمَه إنّما الكَشْخانُ صاحبُه[1]

وله أيضاً فى على بن يحيى يعاتبه فى بعض قصائده :

أصَوَابًا تراه أصلحك اللهُ فما إنْ رأيتُه بصوابِ
صرتُ أدعوكَ من وراءِ حجابِ ولقد كُنْتَ حاجبَ الحجّابِ

أتى أبو العتاهية باب أحمد بن يوسفَ الكاتب[2] فى حاجةٍ فلم يؤذَن له ، فقال :

لئن عدتُ بعد اليومِ إنّى لظالمٌ سأصرف وجهى حيث تُبغَى المكارمُ
متى يُنجِح الغادى[3] إليك بحاجةٍ ونصفك محجوبٌ ونصفك نائم

ولآخر :

رأيتُك تطرُدنا بالحجا ب عنك برِفقكَ طَردًا جميلا[4]

---

(١) الكشخان : الديوث القواد .

(٢) وكذا فى المحاسن والمساوى ١ : ١٢٦ وفى العقد ١ : ٧٣ : « إلى باب بعض الهاشميين » .

(٣) وكذا فى العقد وعيون الأخبار ١ : ٨٥ . وفى المحاسن والمساوى : « الغادى لديك » .

(٤) فى الطراز : « عنك برِوقك » ، وفى إحدى مخطوطتيه : « بزوقك » .

ولكنْ فى طمع الطامعيـ ـنَ والحرّ من ذا يفُكُّ العقولا[١]

فهل لك فى الإذن لى بالرَّحيـ ـلِ فقد أبَتِ النفسُ إلا الرحيلا

وحدّثنى أبو علىٍّ البَصير قال : حدَّثنى محمد بن غَسَّان بن عباد[٢] قال : كنتُ بالرَّقّة ، وكان بها مُوسوَسٌ يقول الشِّعر المُحالَ والمنكر ، فغدَّيتُه يومًا معى احتسابًا للثواب ، فأتانى من غدٍ وعندى جماعةٌ من العُمَّال ، فحجبَه الغُلام ، فلمَّا كان من غدٍ وقف على الباب وصاح :

١٥٦ظ

عليك إذنٌ فإنّا قد تغدّينا لسنا نعود لأكلٍ قد تغدَّينا[٣]

يا أكلةً سلفَتْ أبقت حرارتُها داءً بقلبكَ ما صُمنا وصلَّينا

قال : وما علمتُه قال شعرًا على استواء غيرَه ، ولكنّى وُعظت به فوقع مكروهى على لسانى .

وأُنشِدت لحَمَّادٍ عجردٍ يعاتب بعضَ الملوك :

إذا كنت مكتفيًا بالكتا بِ دونَ اللِّمام تركتُ اللِّماما

وإلّا فأوصِ هَدَاكَ المليـ ـكُ بوّابكمْ بى وأوصِ الغلاما

فإن كنتُ أُدخلت فى الزائريـ ـن ، إمّا قعودًا وإما قيـاما

وإنْ لم أكن منك أهلاً لذاك فلا لومَ لست أحبُّ الملاما

فإنّى أذمُّ إليـك الأنا مَ أخزاهم الله ربِّى أناما

فإنّى وجدتهمُ كلَّهمْ يُميتون مجداً ويُحيون ذامَا[٤]

---

(١) كذا فى الأصل والطراز .

(٢) سبقت ترجمة والده فى ص ٦٣ .

(٣) فى طراز المجالس : « نعود للأكل إنا قد تغذينا » .

(٤) الذام : العيب .

ولأبى الأسَد الشَّيبانى[١] ، يعاتب أبا دُلَف فى حجابه[٢] :

ليت شعرى أضاقت الأرضُ عَنّى ... أم نفِىٌّ من البــلاد طريدُ[٣]

أم قُدارٌ أم الحَبَابة أم أحـ ... ـمرُ لاقت به البــلاءَ ثمودُ[٤]

أم أنا قانعٌ بأدنى معــاشٍ ... همَّتى القوتُ والقليلُ الزهيدُ

مِقولى قاطعٌ وسيفى حســامٌ ... ويدى حُرَّةٌ وقلبى شــديدُ

رُبَّ باب أعزَّ من بابك اليو ... مَ عليـه عســاكرٌ وجنودُ

قد ولجنــاه داخلينَ غدُوًّا ... ورَواحًا وأنت عنــه مَذودُ

فاكفف اليوم مِن حجابك إذ لَسْـ ... ـتَ أميرًا ، ولا خميسًا تقودُ

لن يقيم العزيز فى البلد الهُو ... نِ ولا يكسَــدُ الأديبُ الجليد[٥]

كل مَن فرَّ من هوانٍ فإن الـ ... رُّحبَ يلقاه والفضــاء العتيد

---

(١) اسمه نباتة بن عبد الله الحمانى ، شاعر مطبوع متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية ، من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغانى ١٢ : ١٦٧ — ١٧١ . وانظر ديوان المعانى ٢ : ١٠٣ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ .

(٢) كان قد زاره بالكرج فحجب عنه أياما ، كما فى الأغانى ١٢ : ١٦٩ :

(٣) الأغانى : « أم بفج أنا الغداة طريد » .

(٤) قدار ، هو قدار بن سالف الذى يقال له أحمر ثمود ، عاقر ناقة صالح . والحبابة : جارية يزيد بن عبد الملك ، وكانت قد أفسدت عليه نفسه بشدة تعلقه بها . أمالى الزجاجى ٧٤ والأغانى ١٣ : ١٥١ . والبيت لم يرد فى الأغانى .

(٥) فى الأغانى : « ولا يكسب الأريب » .

١٥٧ و ولعلىّ بن جبلة فى بعض الملوك :

حجابك ضيّقٌ ونداك نَزرٌ وإذنك قد يُراد عليه أجرُ
وذلٌّ أن يقوم إليك حرٌّ وطُلَّاب الثوَاب لديك نَقْرُ[١]

وأنشدنى اليمامىّ فى أبى الصَّقر إسماعيل بن بلبل ، يعاتبه فى حجابه :

لكلِّ مؤمِّلٍ جدوَى كريمٍ على تأميله يومًا ثوابُ
وأنت الحرُّ ما خانتك نفسٌ ولا أصلٌ إذا وقع انتسابُ
وشكرى ظاهر ورجاىَ جَزلٌ ففيم جَزاىَ من ذلٍّ حِجابُ
وحقّى أن تكافئنى مزيدًا بشكرى إذ به نزلَ الكتابُ

وأنشِدت لأبى مالك الأعرج[٢] :

علّقت عينى بباب الدار منتظراً منك الرسولَ تخلّصُها من البابِ
لمّا رأيت رسولى لا سبيلَ له إلى لقائك من دفعٍ وحجّابِ
صانعت فيك بمثلَىْ ما أؤمّله فيما لديك وهذا سَعىُ خَيَّابِ

ولبشَّار بن برد ، فى عُبيد الله بن قَزَعة :

إذا سُئل المعروفَ أغلَقَ بابَهُ فلم تَلقَه إلّا وأنت كمِينُ
كأنَّ عُبيدَ الله لم يرَ ماجدًا ولم يدرِ أنَّ المكرماتِ تكون
فقل لأبى يحيى متى تدركُ العلا وفى كلِّ معروف عليك يمينُ

---

(١) النقر : القليل ، وأصل النقر والنقير النكتة فى النواة .

(٢) هو أبو مالك النضر بن أبى النضر التميمى ، وفد على الرشيد ومدحه الأغانى ١٩ : ١٥٠ — ١٥١ .

وأنشدَ لأبي زُرعة — رجلٍ من أهل الشام — في أبي الجهم بن سيف :

ولكنْ أبو الجهم إن جئته لهيفًا حُجبت عن الحاجبِ
وليس بذي موعدٍ صادق ويبخلُ بالموعد الكاذبِ

وحُجب سعيد بن حُميد بباب الحسن بن مَخْلَد[1]، فكتب إليه :

ربّ بِشرٍ يصيِّر الحرَّ عبدًا لك غالته جفوةٌ في الحجابِ
وفتًى ذي خلائقٍ مُعجِباتٍ أفسدَتْها خلائقُ البوّابِ
وكريم قد قصَّرت بأيادِيـ ـهِ عبيدٌ تسيء للآداب[2]

١٥٧ ظ

لا أرى للكريم أن يشترى الدنـ ـيا جميعًا بوقْفةٍ بالباب
إنْ تركتَ العبيدَ والحُكمَ فينا صار فضلُ الرءوس للأذناب
فأحلُّوا أشكالهم رُتَبَ الفضْـ ـلِ،وحَظُّ الأحرارِ عَفْر التراب[3]

وأُنشِدت لعبد الله بن العباس[4] :

أنا بالباب واقفٌ منذ أصبَحْـ ـتُ على السَّرج ممسك بعناني[5]
وبعين البوّاب كلُّ الذي بي ويراني كأنَّه لا يراني

(١) الحسن بن مخلد بن الجراح ، كان يخلف إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الضياع في عصر المتوكل . إعتاب الكتاب ١٥١ ، ثم صار وزيراً للمعتمد . إعتاب الكتاب ١٦٢ والتنبيه للمسعودي ٣٢٠ .

(٢) في مطبوع طراز المجالس : « بالآداب » .

(٣) في الأصل وطراز المجالس : « وحط الأحرار » .

(٤) هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع بن يونس بن أبي فروة . وكان شاعراً مطبوعاً ومغنياً محسنا . الأغاني ١٧ : ١٢١ — ١٤١ .

(٥) ذكر أبو الفرج ١٧ : ١٢٥ من قصة هذا الشعر أن عبد الله بن العباس طلب من أحمد بن المرزبان أن يعرض له رقعة على الخليفة المنتصر ، وكان نائماً ، =

وأُنشِدتُ لأبى عيينة المُهلَّبى[1] ـ واسمه عبد الله بن محمد ـ[2] يعاتب رجلًا من قومه :

أتيتُك زائراً لقضاء حقٍّ فحالَ السِّتْرُ دونَك والحجابُ[3]

ولستُ بساقطٍ فى قدر قومٍ وإن كَرِهوا كما يقع الذبابُ

ورأيى مذهبٌ عن كلِّ ناءٍ بجانبِه إذا عزَّ الذَّهابُ[4]

وأنشدنى ابنُ أبى فَنَن[5] :

ما ضاقت الأرضُ على راغبٍ يطَّلبُ الرزق ولا ذاهبِ

بل ضاقت الأرضُ على صابرٍ أصبحَ يشكو جَفوةَ الصَّاحبِ

مَن شَتَمَ الحاجبَ فى ذَنْبِه فإنّما يَقصِدُ للصَّاحبِ

فارغبْ إلى الله وإحسانه لا تطلبِ الرزق من الطالبِ

= فلما انتبه من نومه وجد مكتوباً فيه هذان البيتان فأمر بإدخاله ، فدخل فعرفه أحمد خبره واعتذر إليه وعرض رقعته على المنتصر . والبيتان كذلك فى العقد ١ : ٧٥ بدون نسبة .

(١) ذكر ابن المعتز فى طبقات الشعراء ٢٨٨ أن « أبا عيينة » كنية لكل من كان من المهالبة .

(٢) ذكره فى جمهرة أنساب العرب ٣٦٩ . وذكر ابن المعتز أنه صحب طاهر ابن الحسين فلم يرض صحبته وهجاه .

(٣) عيون الأخبار ١ : ٨٩ مع نسبته إلى عبد الله بن أبى عيينة . وكذا فى المحاسن والمساوى ١ : ١٢٦ مع نسبته إلى عبد الله بن محمد بن أبى عيينة .

(٤) البيت لم يرد فى المصادر المتقدمة . وفى طراز المجالس: « ورأيى مذهبى » . وفيه نظر إلى قول الله : « أعرض ونأى بجانبه » .

(٥) اسمه أحمد بن صالح . سبقت ترجمته فى ص ٥٠ .

قال المدائنى : أتى عُويفُ القوافى[١] بابَ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فحُجِبَ أيّامًا ، ثم استأذنَ له حُبيش صاحبُ إذنِ عمر ، فلمّا قام بين يَدَيه قال :

أجبنى أبا حفص .لقيتَ مُحمَّدًا على حَوْضه مستبشِرًا بدُعا كا[٢]

فقال عمر : أقول لبَّيك وسَعدَيك ! فقال :

وأنت امرؤٌ كلتا يديكَ طليَةٌ شِمالُك خيرٌ مِن يمينِ سِواكا

علامَ حجابى ، زادكَ اللهُ رِفعةً وفضلًا ، وماذا للحجابِ دعاكا ١٥٨و

فقال : ليس ذاكَ إلّا لخير ! وأمرَ له بصِلة .

المدائنى قال : أقام عبد العزيز بن زُرارةَ الكلابىّ[٣] ، بباب معاوية حينًا لا يُؤذَن له ، ثم دخل فقال :

---

(١) هو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن ، سمى عايف القوافى بقوله :

سأكذب من قد كان يزعم أننى إذا قلت قولا لا أجيد القوافيا

وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة . معجم المرزبانى ٢٧٧ — ١٧٨ والأغانى ١٧ : ١٠٥ — ١١٨ والخزانة ٣ : ٨٧ .

(٢) البيت وتاليه فى الطبرى ٨ : ١٣٧ . وفى الطبرى : « مستبشراً من وراكا » .

(٣) عبد العزيز بن زرارة : أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً فى الحيوان ٣ : ٨٤ . ومدحه بعض الشعراء . الحيوان ٦ : ٣٢٩ ، وذكر أبو الفرج فى الأغانى ١٠ : ٦٨ أنه هو الذى تكفل بدفن توبة بن الحمير فى أيام مروان بن الحكم . وفى جمهرة أنساب العرب ٢٨٣ أنه وقف على باب معاوية مستأذناً ، وأنه توفى فى عهده .

دخلتُ على معاويةَ بنِ حربٍ وكنتُ وقد يئستُ من الدخولِ
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وأيهاتَ الحظوظُ من العقول[١]

قيل لُحبّى المدنيةِ : ما الُجرحُ الذى لا يندمل ؟ قالت : حاجة الكريم إلى اللئيم ثم لا يُجدَى عليه[٢] . قيل لها : فما الذُّل ؟ قالت : وقوف الشريف ببابِ الدنىِّ ثم لا يُؤذَن له . قيل لها : فما الشَّرف ؟ قالت : اعتقاد المِنَن فى أعناق الرجال ، تبقى للأعقاب فى الأعقاب[٣] .

وقيل لعُروة بن عدىِّ بن حاتم وهو صبىٌّ ، فى رليمة كانت لهم : قِفْ بالباب فاحجُبْ من لا تعرف وائذَنْ لمن تعرفُ[٤] . فقال : لا يكون ـ واللهِ ـ أوّلَ شىء استُكفِيتَه منعُ الناس من الطَّعام .

وأُنشِدتُ لأبى عُيينة المهلَّبى[٥] :

بُلغةٌ تحجُب الفتى عن دُناةٍ وعتابٌ يخاف أو لا يخافُ[٦]

---

(١) أيهات : لغة فى هيهات ، أى بعد .

(٢) فى عيون الأخبار ٣ : ١٣٩ : « ثم يرده » . جدا عليه : أعطاه .

(٣) فى مطبوع طراز المجالس : « فى الأحقاب » . والأحقاب : الدهور ، جمع حقب بالضم ، وهو مقدار ثمانين سنة .

(٤) فى مطبوع الطراز : « وأدخل من تعرف » .

(٥) انظر ما سبق فى ص٧٠ .

(٦) الدناة : جمع دنى ، وهو الخسيس الذى لا غناء عنده . ولم أجد هذا الجمع ، ولا هو منقاس فى دنى ، إلا أن يكون جمع دانى ء بعد تسهيله . والدانى ء : الخبيث البطن والفرج ، الماجن ، كما فى اللسان . وانظر أمالى الزجاجى ١٢٠ حيث أنشد قول القائل :

ورفضت صفحته التى لم أرضها وأزلت عن رتب الدناة مقامى

هو خيرٌ من الرُّكوب إلى با ... بِ حِجابٍ عنوانُهُ الانصرافُ
بئس للدولةِ التى تُرفع السِّـ ... ـفْلَةُ فيهـا وتَسقُط الأشرافُ

وأُنشِدت لموسى بن جابرٍ الحنفى[1] :

لا أشتهى يا قوم إلّا مُـكرَهًا ... بابَ الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ[2]
ومن الرِّجال أسِـنَّةٌ مذروبة ... ومزنَّدون شُهودُهم كالغائبِ[3]
منهم أُسـودٌ لا تُرام ، ومنهمُ ... مِمّا قَمَشْتَ وضَمَّ حبلُ الحاطبِ[4]

وأنشدَنى بعضُ أصحابنا :

إنى امرؤٌ لا أُرى بالباب أقرعُه ... إذا تَنَمَّرَ دونى حاجبُ البابِ
ولا ألوم امرأً فى ودِّ ذى شَرَفٍ ... ولا أُطالبُ وُدَّ الكاره الآبى[5]

وأنشدنى ابنُ أبى فَنَن :

الموت أهونُ مِن طول الوقوف على ... ١٥٨ ظ
بابٍ ، علىّ لبوّابٍ عليـــه يدُ

---

(١) موسى بن جابر بن أرقم بن مسلمة الحنفى ، شاعر نصرانى جاهلى كثير الشعر ، وكان يلقب أزيرق اليمامة ، ويقال له ابن الفريعة كما كان يقال لحسان بن ثابت . المؤتلف ١٦٥ والمرزبانى ٣٧٦ .

(٢) الأبيات فى الحماسة ٣٦٣ — ٣٦٥ بشرح المرزوقى .

(٣) مذروبة : محددة ، أى يمضون فى الأمور مضاء هذه الأسنة . والمزند : البخيل . الشهود : الحاضرون : جمع شاهد . وأراد بالغائب الغائبين . يقول: لاغناء عندهم، لحاضرهم كغائبهم .

(٤) فى الحماسة : « وبعضهم مما قمشت » .

(٥) فى الأصل : « ذى سرف » بالسين . صوابه فى الطراز .

مالى أقيمُ على ذلِّ الحجابِ كأنْ قد مَلَّنى وطنٌ أو ضاقَ بى بلَدُ

وأنشدنى الزبير بن بكّار لجعفر بن الزبير[1]:

إنَّ وُقوفى من وراء البابْ[2] يَعدِلُ عندى قَلْعَ بعض أنيابْ[3]

وأنشد لمحمود الورّاق :

شاد الملوكُ حصونَهم[4] وتحصَّنوا من كل طالب حاجةٍ أو راغبِ

عالَوْا بأبواب الحـديد لعزِّها وتنوّقوا فى قُبْحِ وجه الحاجب[5]

فإذا تَلَطَّف للدخـول إليهم راجٍ تلقَّوْه بوعـدٍ كاذبِ

فاضرعْ إلى مَلِكِ الملوك ولا تكنْ بادِى الضَّراعة طالبًا من طالب

وأنشدنى أبو موسى المكفوف :

لن ترانى لك العيـونُ ببابِ ليس مثلى يُطيق ذُلَّ الحجابِ

ياأميراً على جَريبٍ من الأر ضِ له تِسعةٌ من الحجّابِ

---

(١) يقوله لعمر بن عبد العزيز ، كما فى الأغانى ١٣ : ١٠٠ .

(٢) قبله فى الأغانى :

* ياعمر بن عمر بن الخطاب *

وذلك أن أم عمر بن عبد العزيز هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ٥ وجمهرة أنساب العرب ١٠٥ .

(٣) فى الأصل وإحدى مخطوطتى الطراز : «عنى» موضع « عندى » . صوابه فى الطراز والأغانى . أنياب ، أى أنيابى . وفى الأصل والطراز : « قلع أنيابى » وفى مطبوع الطراز : « قلعهم أنيابى » ، والوجه ما أثبت . وفى الأغانى : « حطم بعض الأنياب »

(٤) فى حواشى الأصل : « قصورهم »

(٥) التنوق : التأنق ، وهو التجود والمبالغة .

قاعداً فى الحرب تُحجَبُ عنّا ماسمعنا إمارةً فى خراب

الأبيات رواها ابن خلكان فى ترجمته ٢ : ٢٢٩ مع خلاف فى الرواية والترتيب . وأولها هنا هو آخرها عنده » .

وأنشدنى أبو قَنْبَر الكوفىّ :

ولستُ بمتخذٍ صاحبا يُقيم على بابه حاجبا[١]

إذا جئتُه قيل لى نائمٌ وإن غبتُ ألفيتُه عاتبا[٢]

ويُلزم إخوانَه حَقَّهُ وليس يَرى حقّهمْ واجبا

فلستُ بلاقيه حتّى المماتِ إذا أنا لم ألقه راكبا

وأنشدنى أبو بكر محمد بن أحمد ، من أهل رأس العَيْن[٣] ـ لنفسه فى بعض بنى عمران بن محمدٍ الموصلىّ :

يا بَا الفوارس أنت فتى النَّدَى شهدَتْ بذاك ولم تَزَلْ قحطانُ

فلأىِّ شىء دون بابك حاجبٌ من بُغضه يتخبَّطُ الشَّيطانُ[٤] ١٥٩ و

فإذا رآنى مالَ عنِّى مُعرِضًا فكأنَّنى من خوفه سَرَطانُ

---

(١) الأبيات بدون نسبة أيضاً فى عيون الأخبار ١ : ٨٥ — ٨٦ .

(٢) وكذا فى طراز المجالس وفى عيون الأخبار :

إذا جئت قال له حاجة وإن عدت ألفيته غائبا

(٣) ويقال رأس عين أيضا : مدينة كبيرة قديمة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ، وفيها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور . وفيها يقول الأسود بن يعفر :

وعمرو بن مسعود وقيس بن خالد وفارس رأس العين سلمى بن جندل

(٤) وكذا فى طراز المجالس ، لكن فى إحدى المخطوطتين : « من مسه » .

من عاتب على حجابه والإذن لغيره

قال الأشهب بن رُمَيلة :

أبلغ أبا داود أنِّى ابنُ عمِّه وأنَّ البَعيث من بنى عمٍّ سالِم[١]
أتُولج بابَ الملك مَن ليس أهلَه وريشُ الذُّنابَى تابعٌ للقـوادم

وقال عاصمٌ الزِّمَّانىُّ[٢] ، من بنى زِمَّان[٣] :

أبلغ َأبا مِسمعٍ عنى مغلغَـــلةً وفى العتابِ حيـاةٌ بين أقوامِ
أدخلتَ قبلى رجالاً لم يكن لهمُ فى الحقِّ أن يَلجوا الأبوابَ قُدّامى
فقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضَتْ ببــاب دارك أدلُوها بأقوامِ

وقال هشام بن أبيضَ ، من بنى عبد شمس :

وليس يَزيدُنى حَسَبى هــواناً علىَّ ولا ترانى مســتكينا
فإنْ قدّمتمُ قبــــلى رجالاً أُرانى فوقَهم حســباً ودينا
ألســـنا عائدين إذا رجعنا إلى ما كانَ قــدَّمَ أوّلونا
فأرجِــعَ فى أَرومــة عَبْشَمىٍّ ترى لى المجدَ والحسبَ السَّمينا

وقال دينار بنُ نُعَيمٍ الـكلبىّ :

أبلغْ أمـــيرَ المؤمنينَ ودونَه فراسخُ تَطوى الطَّرف وهو حديدُ

---

(١) فى مطبوع طراز المجالس : « وأن البعيثى » ، تحريف .

(٢) كذا . والذى فى البيان ٢ : ٣١٦ و ٣:٢٠٢ و ٨٥:٤ : « همام الرقاشى » وفى العقد ١ : ٦٨: « هشام الرقاشى » :

(٣) فى الأصل : « مازن »، صوابه من الطراز .

بأنى لدى عبد العزيز مدفَّعٌ يقدَّم قبلى راسبٌ وسعيد
وإنّى لأدنَى فى القرابة منهما وأَشرفُ إن كنتَ الشريفَ تُريدُ

المدائنى قال : أتى ابن فَضالة بن عبد الله الغنوىُّ باب قُتيبةَ بنِ مسلمٍ ، فأساء إذنَه فقال :

١٥٩ ظ

كيفَ المُقامُ أبا حفصٍ بساحتكم وأنت تُكرمُ أصحابى وتجفونى
أراهمُ حين أغشَى بابَ حجرتكمْ تُدعوهم النَّقَرَى دونى ويُقصونى
كم من أميرٍ كفانى الله سَخْطتَه مذْ ذاك أوليتُه ما كان يولينى
إنَّ أبَى لىَ أن أرضَى بمنقصَةٍ عمٌّ كريمٌ وخالٌ غير مأفونِ
خالى كريمٌ وعمِّى غير مؤتَشَبٍ ضَخم الحَمَالة أبَّاء على الهُونِ[1]

المدائنى قال : كان مَسْلمة بن عبد الملك تزوّجَ ابنةَ زُفَرَ بن الحارث الكلابىّ ، وكان ببابه عاصمُ بن يزيد الهلالىّ ، والهُذَيل وكوثرٌ ابنا زفر ، فكان يأذن لهما قبل عاصم ، فقال :

أمَسْلَمُ قد منَّيتنى ووعدتَنى مَواعدَ صدقٍ إن رجعتَ مؤمَّرا
أيُدعَى هُذيلٌ ثمّ أُدعَى وراءه فيالكَ مَدْعًى ما أذلَّ وأحقرا
وكيف ولم يشفع لى اللّيلَ كلَّه شفيعٌ وقد ألقى قناعاً ومئزرا
فلستُ براضٍ عنك حتّى تحبَّنى كحبِّك صِهرَ بكَ الهُذيلَ وكوثرا

---

(١) المؤتشب : المخلوط غير الصريح فى نسبه . والحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وقال الأصحم ، أحدُ بنى سعد بن مالك بن ضُبيعة[1] بن قيس بن ثعلبة ، يذكر خالدَ بن عبد الله القسريَّ ، وأبان بنَ الوليد البَجَليّ ، وحجبَه خالد :

ومنزلةٍ ليست بدارِ تثيّـةٍ أطال بها حبسى أبانٌ وخالدُه[2]

فإنْ أنا لم أنزلْ بلاداً هُما بهـا فلا ساغَ لى من أعذب الماء باردُه

إذا ما أتيتُ البابَ صادفتُ عنده بَجيلةَ ، أمثالَ الكلاب ، تُراصِدُه

عليهمْ ثياب الخزِّ تبكى كما بكت كَراسيُّه ، من لُؤمه ، ووسائده

ويُدعَونَ قُدّامى ويُجعَل دوننـا من السّاج مسمورًا تئطُّ حدائده[3]

المدائنى قال : كان تَميم بن راشدٍ مولى باهلةَ ، حاجباً لقُتيبة بن مسلم بخراسان ، فكان يأذن لسُويد بن هَوبرٍ النّهشليّ ، ومُجفَر بن جزيّ[4] الكلابىّ ، قبلَ الحُضَين بن المنذر الرقاشى ، فقال الحُضَين[5] :

إنّى لألقَى من تميم وبابِهِ عَنـاءً ويدعو مُجفَرًا وابن هَوبرا

١٦٠ و

نَزيعَين من حيَّينِ شـتّى كأنّما يرى بهما البوّابُ كسرى وقيصرا

---

(١) فى الأصل والطراز : « صعصعة » . صوابه من جمهرة أنساب العرب ٣١٩ — ٣٢٠ .

(٢) التثية : التلبث والتحبس . تأيا : تحبس .

(٣) مسمورا ، أى مشدودا بالمسامير ، يعنى الباب . تئط : تصوت

(٤) فى مخطوط الطراز : « مجفر بن جزى » وفى المطبوع : « مخفر بن حرب » .

(٥) فى الأصل والطراز : « الحصين » فى هذا الموضع والذى قبله . وصوابه « الحضين » بالضاد المعجمة . وهو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة ، شاعر فارس ، من كبار التابعين . مات على رأس المائة فى أمارة سليمان بن عبد الملك . جمهرة أنساب العرب ٣١٧ والمؤتلف ٨٧ والخزانة ٢ : ٨٩ — ٩٠ وتهذيب التهذيب والقاموس (حضن) .

وقال عُبَيد الله بن الُحرّ الفاتكُ ، لعبد الله بن الزُّبير ، وشكا إليه مُصعبًا وحجّابَه :

أبلغ أميرَ المؤمنين نصيحتي ... فلستُ على رأيٍ قبيحٍ أُواربُه
أفي الحقّ أن أجفَى ويَجعلَ مصعب ... وزيريه مَنْ قد كنتُ فيه أحاربه[1]
وما لامرئٍ إلاّ الذي اللهُ سائقٌ ... إليه وما قد خَطَّ في الزُّبْر كاتبُه
إذا ما أتيتُ البابَ يُدخَل مسلمٌ ... ويمنعني أن أدخل البابَ حاجبُه
لقد رابني من مُصعبٍ أنّ مصعبًا ... لدى كلِّ ذي غشٍّ لنا هو صاحبُه

وقال ابن نوفل[2] لخالد بن عبد الله القسريّ ، وحجَبَه :

فلو كنتُ غَوْثيًّا لأدنيتَ مجلسي ... إليك، أخا قَسْرٍ، ولكنّني فَحلُ[3]
رأيتك تُدني ناشئًا ذا مجيزةٍ ... بمَحجرِ عينيه وحاجبِه كُحلُ
فوالله ما أدري إذا ما خلوتُما ... وأُرْخِيت الأستارُ أيُّكما الفحلُ

---

(١) في مطبوع طراز المجالس : « وزيرا به من كنت » .

(٢) هو يحيى بن نوفل ، شاعر من شعراء الدولة الأموية كان معاصرًا للحكم ابن عبدل الأسدي . ذكره في الحيوان والبيان . وانظر الأغاني ٢ : ١٤٤ .

(٣) غوثيا : نسبة إلى الغوث بن نبت ، من أجداد قسر ، وهو قسر بن عبقر ابن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث . وفي الأصل وطراز المجالس وإحدى مخطوطتي الطراز : « عوثيا » ، وفي المطبوعة والمخطوطة الأخرى : «عوتيا» وانظر جمهرة أنساب العرب ٣٨٧ .

وقال عمرو بن الوليد[١]، فى عُقبة بن أبى مُعَيط[٢] :

أفى الحق أن نُدنَى إذا ما فزعتمُ ونُقصَى إذا ما تأمنون ونُحجبُ
ويُجعلَ فوق مَن يودُّ لَوَانَّكم شهابٌ بكَفَّىْ قابسٍ يتلهَّبُ[٣]
فهـا أنتمُ داويتمُ الـكَلْمَ ظاهراً فمن لكَلومٍ فى الصُّدور تَحَوَّبُ[٤]
فقلتُ وقد أغضبتمونى بفعلكم وكنت امرأً ذا مِرّةٍ حين أغضَبُ
أمالىَ فى أعدادِ قومىَ راحةٌ ولاعند قومى إنْ تَعَتَّبتُ مُعتَبُ[٥]

المدائنىُّ قال : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أن يستعمل مِسمَع ابن مالكٍ[٦] على سجستان ، فولاَّه إياها ، فأتاه الضَّحّاك بن هشام فلم يُنِلْه خيراً وأقصاه ، فقال :

وما كنت أخشى يابنَ كبشة أن أرى
لبـــابك بوّاباً ولاستِكَ مِنبرا

---

(١) هو أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بنى أمية إلى الشام . الأغانى ١ : ٦ — ١٨ . ومعجم المرزبانى ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٢) فى معجم المرزبانى أنه يقوله لعبد الملك بن مروان ، وكان تقدم عليه فى الإذن عبد الله بن جعفر وخالد بن يزيد بن معاوية .

(٣) فى معجم المرزبانى : «لو أنكم ضرام» .

(٤) فى معجم المرزبانى : « فهل أنتم » و « فمن لقروح » ثم قال : «ويروى : فإن أنتم » . ولم يرو المرزبانى البيتين بعده .

(٥) فى الأصل وإحدى مخطوطتى الطراز : « أعداء » ، وصوابه من المطبوع والمخطوطة الأخرى .

(٦) له أخبار فى الأغانى . وفى طراز المجالس : « سبع بن مالك » ، تحريف . وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٣٠ .

١٦٠ ظ

وما شجَرَ الوادى دعوتَ ولا الحَصى
ولكن دَعَوت الُحرقتين وجَحدرا[١]

أخذْنا بآفاق السماء فلم ندَعْ لعينك فى آفاقها الُخضرِ منظرا

من مُدح برفع الحجاب

قال أيمن بن خُرَيم[٢] فى بِشْر بن مروان :

ولو شاء بشرٌ كان مِن دون بابه طَماطمُ سُودٌ أو صَقالبةٌ حُمْرُ[٣]
ولكنَّ بشرًا أسهلَ الباب للتى يكون له مِن دونها الحمدُ والشُّكرُ
بعيدُ مَرادِ الطَّرف ما رُدَّ طرفَه حذارَ الغواشى بابُ دار ولا سِترُ[٤]

وله أيضاً فى عبد العزيز[٥] :

لِعبدِ العزيز على قومِه وغـيرهمُ مِنَنٌ ظاهرَه

(١) الحرقتان : سعد وتيم ابنا قيس بن ثعلبة بن عكابة ، كما فى جنى الجنتين ٤٠ واللسان (حرق ٣٢٩) وجحدر هو جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة . جمهرة أنساب العرب ٣٢٠ . وشجر الوادى والحصى : مثل فى الكثرة .

(٢) أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وجعله أبو الفرج فى الأغانى ٢١ : ٥ شيعيا ، ولكن المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٦٣ عده عثمانيا ، وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين .

(٣) فى الأغانى ٢١ : ٨ : « أو صقالبة شقر » .

(٤) الغواشى والغاشية : من ينتابون من سؤال وزوار وأصدقاء .

(٥) هو عبد العزيز بن مروان . ونسبة الشعر إلى أيمن مقول فيها . ونسبه الجاحظ فى الحيوان ١ : ٣٨٢ والبخلاء ٢٢٠ إلى عمران بن عصام ، وأبو الفرج فى الأغانى ١ : ١٢٩ إلى نصيب . وديوان المعانى ١ : ٣٣ لعمران بن عصام ، ويروى لنصيب . وفى الشعر والشعراء ٣٧٤ لنصيب .

فبـابُك ألينُ أبوابهم ودارُك مأهولةٌ عامره
وكلبُك أرأف بالمعتفيـنَ من الأمِّ بابنتها الزائره
وكفُّك حينَ ترى السائليـ ـنَ أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنّا الثناء بكل مُحَبَّرةٍ سـائره

ولآخر أيضاً :

مالى أرَى أبوابَهم مهجورةً وكأنَّ بابَكَ مجمعُ الأسواقِ
إنّى رأيتُك للمكارم عاشقًا والمكرُماتُ قليلةُ العُشّـاقِ

والتيمىّ[1] :

يزدحمُ النـاسُ على بابه والمنهلُ العذبُ كثير الزِّحامْ

ولأشجعَ بن عمرٍو السُّلمىّ :

على باب ابن منصورٍ علاماتٌ من البـذْلِ
جماعاتٌ وحَسْبُ البـا بِ جودًا كثرةُ الأهلِ

١٦١ و

وأنشِدتُ لعُمارة بن عقيل ، فى خالدِ بن يزيد :

تأبَى خلائقُ خالد وفِعـالُه إلاَّ تجنُّبَ كلِّ أمرٍ عائبِ
وإذا حضرْنا الباب عند غَدائه أذن الغَدَاءُ برغم أنفِ الحاجبِ

وأنشِدتُ لبعضهم :

أبلج بين حَاجبيه نورُه إذا تغدَّى رُفعت سُتوره

---

(١) فى الطراز : « والتميمى » . وهو فى عيون الأخبار ١ : ٩٠ بدون نسبة .

ولثابت قُطنَةَ(١) ، في يزيد بن المهلّب :

أبا خالدٍ زدتَ الحيــاةَ محبّةً إلى الناس أنْ كنتَ الأميرَ المتوّجا
وحُقّ لهم أن يرغبوا في حياتهم وبابُك مفتوحٌ لمن خاف أو رجا
تَزيد الذي يرجو نداك تفضُّلا وتُؤمن ذا الإجرام إنْ كان مُحرَجا

من أمّل حجابُه ولم يُذمّ عليه

المدائني قال : حضر أبو سفيانَ بنُ حربٍ بابَ عثمانَ بن عفّـانَ رضي الله عنه ، فحُجِبَ عنه ، فقال له رجلٌ يُغْريه به : حجبَك أميرُ المؤمنين يا أبا سفيان ؟ فقال : لا عَدِمتُ مِن قومي مَن إذا شاء أن يحجبَني حجبَني .

وأنشدني الطائيُّ(٢) في إسحاقَ بنِ إبراهيم الموصليّ :

يأيُّهـــا الملكُ المــأمول نائلُه وجُوده لمُراعي جُوده كَثَبُ(٣)
ليس الحجابُ بمُقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماءَ تُرَجّى حين تحتجبُ

---

(١) في الأصل والطراز : « بن قطنة » ، صوابه ما أثبت كما في البيـان ١ : ١٤٩ ، ٣٢٢،٢٣١ و ٤ : ٥١ .وهو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب . ولقب « قطنة » لأن سهماً أصابه في عينه في بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنة ، الأغاني ١٣ : ٤٧ – ٥٤ والشعراء ٦١٢ والطبري ٨ : ١٨٥ والخزانة ٤ : ١٨٥ .

(٢) هو أبو تمام . ديوانه ٢٢ . وفيه : « وقال يعاتب أبا دلف . وقيل عبد الله ابن طاهر » .

(٣) في الديوان :

يأيها الملك النــائي بغُرته وجوده لمرجي جوده كثب .

وله أيضاً فى مالك بن طوق[١] :

قل لابن طوقٍ رحَى سعدٍ، إذا خَبطتْ ... حوادثُ الدهر أعلاها وأسفلَها

١٦١ ظ

أصبحتَ حاتِمَها جودًا ، وأَحنفَها ... حلماً ، وكيِّسها علما ودَغفلَها[١]

مالى أرى الحجرةَ الفيحاءَ مقفلةً ... عنِّى وقد طال مااستفتحتُ مقفلَها

كأنَّها جنّةُ الفِردوس مُعرِضةً ... وليس لى عملٌ زاكٍ فأدخلَها

ولأبى عبد الرحمن العَطَوىّ فى ابن المدبِّر :

إذا أنت لم ترسل وجئتُ فلم أصلْ ... ملأتُ بعذرٍ منك سمعَ لبيبِ

قَصدتُكَ مشتاقًا فلم أر حاجبًا ... ولا ناظرًا إلاَّ بعينِ غضوبِ

كأنى غريمٌ مقتضٍ أو كأنَّنى ... طلُوعُ رقيبٍ أو نُهوضُ حبيبِ

فقمتُ وقد فَكَّ الحجابُ عزيمتى ... على شكر بُسطِ الراحتين وَهوبِ[٣]

علىَّ له الإخلاصُ ماردعَ الهوى ... أصالةُ رأيٍ أو وقارُ مَشيبِ

وأنشدنى الخثعمىّ :

كيفما شئتَ فاحتجب يأبا اللَّيْـ ... ـثِ ومن شئت فاتَّخِذْ بوّابا

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٣٦ .

(٢) الكيس النمرى ، من علماء النسب . انظر البيان ١ : ٣٢٢ ، ٣٥١ ودغفل هو ابن حنظلة بن زيد الشيبانى النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . وغرق فى يوم دولاب فى قتال الخوارج سنة ٩٧٠ الإصابة ٢٣٠٥ وابن النديم ١٣١ والميدانى ٢ : ٢٧٣ والمعارف ٢٣٢ والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام ٢ : ٢٨٧ .

(٣) البسط ، بكسر الباء وضمها : المبسوطة . وفى قراءة عبد الله : « بل يداه بسطان » وفى مطبوع الطراز : « سبط الراحتين » .

أنت لو كنت دون أعراضٍ قحطا نَ وأسبلْتَ دونها الأحسابا[١]
لرأيناك فى مرايا أياديـ ـكَ يقينًا ولو أطلتَ الحجابا

وأنشدنى البلاذُرىّ فى عُبيد الله بن يحيى بن خاقان :

قالوا اصطبارُكَ للحجابِ وذُلّه عارٌ عليك يَدَ الزّمانِ وعابُ[٢]
فأجبتُهم ولـكلِّ قولٍ صادقٍ أو كاذبٍ عند الـكريم جوابُ
إنّى لأغتفرُ الحجابَ لـماجد ليست له مِنَنٌ علىَّ رِغابُ
قد يرفع المرء اللئيمُ حجابَه ضَعةً ، ودون العُرف منه حجابُ
والحرُّ مبتذَل النّوالِ وإن بدا من دونه سِترٌ وأُغلِقَ بابُ

* * *

تمّ كتاب الحجـاب[٣] ، ولله الحمد والمنّة ، وبيده الحول والقوّة ، ١٦٢ و
والله سبحانه الموفّق للصواب برحمته .

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب « مفاخرة الغلمان والجوارى » من كلام
أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أيضاً ، والله المستعان وعليه التّـكلان ، إنّه
سميعٌ مجيب الدعاء

والحمد لله أولاً وآخرًا ، وصلواته على سيدنا محمـد نبيه وآله وصحبه
وسلامُه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) فى الطراز : « دونه الأبوابا » .
(٢) يد الزمان ، أى الزمان كله، كقولهم : « يدَ الدهر » و« يدَ المسنَد » .
وانظر اللسان (يدى ٣٠٨ – ٣٠٩) .
(٣) بدله فى الطراز : « وهذا آخر كتاب الحجاب » .

١٣

كِتَابُ

مُفاخَرَة الجَوَارى وَالغِلمانِ



وهذه هى الرسالة الثالثة عشرة من رسائل الجاحظ ، وعنوانها :

« كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان »

وقد ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ١٦ : ١٠٧ باسم : « كتاب الجوارى »
وقد نشر هذه الرسالة من قبل « شارل بلاّ » فى دار المكشوف بيروت سنة ١٩٥٧ .

ومن هذا الكتاب نسخة واحدة ، هى نسخة مكتبة داماد ، وهى الأصل المعتمد . وقد عنيت بمقابلتها على نشرة «شارل » ؛ لأبين بعض وجوه التصحيح لتلك النشرة ، موضحا بعض السهو فى الأسقاط أو فى قراءة الناشر لنصوص الأصل ، وله العذر فى ذلك ، فإن النسخة مهملة النقط فى كثير من كلماتها .

ولا يسعنى إلا أن أعترف للأستاذ « شارل » بفضل السبق فى نشر هذه الرسالة وإتحاف المكتبة العربية بها .

وللأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد نقد لنشرة شارل بلا فى الجزء الثانى من المجلد الثالث من مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٣٥ عدد (نوفمبر سنة ١٩٥٧) ، أشار فيه إلى كتاب مماثل لكتاب الجاحظ هو (كتاب الحكايات) لقاضى القضاة بدر الدين العينى ، مخطوطة بورصة ، حسن جلبى ٥١ (٣٣) ورقة ٧ ب وما بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين ، وإياه نستهدى ، وعليه نتوكل . ١٦٣ ظ

إنّ لكل نوعٍ من العلم أهلًا يَقصدونه ويُؤثرونه ، وأصناف العلم لا تُحصَى ، منها الجزلُ ومنها السَّخيف . وإذا كان موضعُ الحديث على أنّه مُضحِكٌ ومُلهٍ ، وداخلٌ فى باب حدّ المزح ، فأُبدلتِ السَّخافة بالجزالة انقلبَ عن جهته ، وصار الحديث الذى وُضع على أن يَسُرَّ النفوس يكرُبُها ويغُمّها .

ومَن كان صاحبَ علمٍ ممرَّنًا موقَّحا[١] ، إلفَ تفكير وتنقيب[٢] ودراسة ، وحِلفَ تبيُّن ، وكان ذلك عادةً له ، لم يَضِره النَّظرُ فى كلِّ فنٍّ من الجدّ والهزل ؛ ليخرج بذلك من شكل إلى شكل . فإنّ الأسماعَ قد تملُّ الأصوات المُطرِبة ، والأوتارَ الفصيحة ، والأغانىَّ الحسنة ، إذا طالَ ذلك عليها .

وقد رُوِى عن أبى الدّرداء رضى الله عنه أنه قال : « إنِّى لأستجمُّ نفسى[٣] ببعض الباطل مخافةَ أن أَحملَ عليها من الحقّ ما يُملُّها » .

وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « العلم أكثر من أن يُحصَى ، فخذوا من كلِّ شىء أحسنَه » .

---

(١) واضحة فى الأصل بوضع علامة الإهمال تحت الحاء . والموقح : الذى أصابته البلايا فصار مجربا .

(٢) فى الأصل : «وتنقب» ،ونظيره فى الحيوان ٣ : ٦ « إلف تفكير وتنقير ، ودراسة كتب وحلف تبين » .

(٣) فى الحيوان ٣ : ٧ : « إنى لأجم نفسى » .

ورُوى عن الشَّعبى أنه قال : « إنّ القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة » .

وبعض من يُظهر النسك والتقشُّف إذا ذُكر الحِرُ والأير والنَّيك تقزَّز وانقبض . وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجلٌ ليس معه من المعرفة والكرم[1] ، والنُّبل والوقار ، إلّا بقدر هذا التصنُّع .

ولو عَلم أنّ عبد الله بن عباس أنشد فى المسجد الحرام[2] وهو مُحرِمٌ :

وهُنَّ يمشين بنـــا هميسا   إنْ تَصدُقِ الطَّيرُ ننكْ لَميسا[3]

فقيل له : إنّ هذا من الرَّفَث ! فقال : إنما الرَّفَث ما كان عند النساء .

وقول علىٍّ رضوانُ الله عليه ودخل على بعض أهل البصرة ، ولم يكن فى حَسَبه بذاك[4] ، فقال : مَن فى هذه البيوت ؟ فقال : عقائل من عقائل العرب . فقال : « مَن يَطُلْ أيرُ أبيه ينتطقْ به[5] » .   ١٦٤ و

فعلى علىٍّ فى التَّنزُّه يُعَوَّل[6] .

---

(١) فى الحيوان ٣ : ٤٠ : « من العفاف والكرم » .

(٢) انظر حواشى الحيوان فى هذا الموضع .

(٣) الهميس : المشى الخفى الحس . ولميس : اسم امرأة .

(٤) فى الحيوان : « وقال بن أبى طالب بن أبى طالب رضى الله حين دخل على بعض الأمراء .

(٥) معناه من كثر إخوته اشتد ظهره وعزَّ بهم . مجمع الأمثال ٢ : ٢٢٨ .

(٦) فى الأصل : « افعلى على فى التزه يعول » . وفى الحيوان ٣ : ٤٢ : « فعلى على رضى الله عنه يعول فى تنزيه اللفظ وتشريف المعانى » .

وقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لبُديل بن وَرقاء يومَ الحُديبيَة ، وقد تهدَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَضِضتَ ببَظْر اللات ، أنحنُ نخذُله[1] ؟ ! » .

وقول حمزة بن عبد المطّلب رضى الله عنه : « وأنت يا ابنَ مقطِّعة البُظور ممن يكثِّر علينا ! » .

وحديثٌ مرفوع : « مَن عَذيرى من ابن أمٍّ سِباع[2] مقطِّعة البُظور » .

ولو تتبّعتَ هذا وشِبهَه وجدته كثيرا .

وإنّما وُضعت هذه الألفاظُ ليستعملها أهل اللغة ، ولو كان الرأى ألّا يُلفظَ بها ما كان لأوّلِ كونِها معنًى ، ولكان فى التَّحريم[3] والصَّون لُغة العرب أن تُرفع هذه الأسماء والألفاظ منها .

وقد أصاب كلَّ الصَّواب من قال : « لكلِّ مقامٍ مقال[4] » .

ولو كان ممن يتصوَّف ويتقشَّف، عَلِم قول امرأة رِفاعةَ القُرَظى[5] تجَبَهه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرَ محتشِمة : إنّى تزوّجت عبد الرحمن

(١) انظر التعليق عليه فى حواشى الحيوان ٣ : ٤٢ .

(٢) سباع هذا ، هو ابن عبد العزى الغبشانى ، السيره ٦١١ . وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٣) فى الحيوان ٣ : ٤٣ : « فى الحزم » .

(٤) الحيوان ٣ : ٤٣ وأمثال الميدانى ٢ : ١٣٢ .

(٥) رفاعة بن سموأل القرظى . الإصابة ٢٦٦٣

ابن الزَّبير[١] ، وإنّما معه مثل هُدبة الثَّوب[٢] ، وكنت عند رفاعة فطلّقنى ــ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما يَزيد على التبسُّم[٣] حتى قضتْ كلامها ــ فقال : « تريدين أن تَرجعى إلى رفاعة ؟ لا ، حتّى تذوقى من عُسَيلته ويذوقَ من عُسَيلتك[٤] » . ورَوَاه[٥] ابن المبارك عن مَعمر عن الزُّهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ــ لعلم أنّه على سبيل التَّصَنُّع والرِّياء .

ولو سمعوا حديثَ ابن حازم حين زعم أنَّه يُقيمُ ذكَرَه ويصعد السُّلَّم وامرأتُه متعلِّقة بذكره حتَّى يصعَد .

وحديثَ ابن أخى أبى الزِّناد إذْ يقول لعمّه : أنَخَرُ عند الجماع ؟ قال : يا بُنىَّ إذا خلوتَ فاصنع ما أحببت . قال : يا عمِّ ، أتنخَرُ أنت ؟ قال : يا بنىّ ، لو رأيت عمَّك يجامع لظننتَ أنّه لا يؤمن بالله العظيم !

---

(١) عبد الرحمن بن الزَّبِير ، بفتح الزاى وكسر الموحدة ، ابن باطيا القرظى . الإصابة ٥١١٣ .

(٢) فى الأصل : « الثور » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه فى صحيح مسلم ١٠٥٥ وابن ماجه ٦٢١ واللسان (هدب) ، قال : « أرادت متاعه وأنه رخو مثل طرف الثوب لا يغنى عنها شيئاً » . والحديث أيضا فى صحيح البخارى (كتاب الطلاق) ولفظه فيه : « فذكرت أنه لا يأتيها ، وأنه ليس معه إلا مثل هدبة » . وهو أيضاً فى (كتاب اللباس) بلفظ . « وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة ، وأخذت هدبة من جلبابها » ونظير هذا اللفظ فى مسلم ١٠٥٦ وانظر الموطأ ٥٣١ .

(٣) فى الأصل : « على الرمر » ، صوابه من صحيح البخارى (كتاب اللباس : باب الإزار المهدب) .

(٤) كناية عن المخالطة . وقد بسط الكلام عليها فى اللسان (عسل) .

(٥) فى الأصل : « وروى » . وإنما هو إسناد للحديث السابق . وهو فى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة .

وهذان من ألفاظ المُجّان .

ورُوى عن بعض الصَّالحين من التابعين رحمه الله ، أنه كان يقول فى دعائه : اللهمَّ قَوِّ ذَكَرِى على نكاحِ ما أحللتَ لى .

ونحن لم نقصد فى ذكرنا هذه الأخبارَ الردَّ على من أنكرَ هذه الأمور ، ولكنَّا لما ذكرناَ اختصام الشِّتاء والصيف[1] ، واحتجاج أحدهما على صاحبه ، ١٦٤ ظ واحتجاج صاحب المعز والضَّأن بمثل ذلك[2] ، أحببنا أن نذكر ما جَرَى بين اللاَّطة والزُّناة ، وذكرنا ما نقلَ حُمَّال الآثار ورَوَته الرُّواة ، من الأشعار والأمثال ، وإن كان فى بعض البَطالات[3] ، فأردنا أن نقدِّم الُحجَّة لمذهبنا فى صدر كتابنا هذا .

ونعوذ بالله أن نقول ما يُوتِغ ويُردِى[4] ، وإليه نرغب فى التأييد والعصمة ، ونسأله السلامة فى الدِّين والدُّنيا برحمته .

* * *

قال (صاحب الغلمان) : إنّ من فضل الغلام على الجارية أن الجارية إذا وُصفت بكمال الحسن قيل : كأنَّها غلام ، ووصيفةٌ غُلاميّة .

قال الشاعر يصف جارية :

لها قدُّ الغلام وعارِضـاهُ وتفتير المبتَّلة اللَّعـوبِ

---

(١) ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ١٦ : ١٠٧ بلفظ « كتاب افتخار الشتاء والصيف » .

(٢) يشير إلى ما أورده فى كتاب الحيوان ٥ : ٤٥٥ — ٥١١ .

(٣) البطالة ، بفتح الباء : الهزل . بَطِل يبطَل بَطالة .

(٤) أوتغه وأرداه : أهلكه .

وقال :

فطِبْ لحديثٍ من نديم موافقٍ وساقيةٍ بَيْنَ المُرَاهَقِ والحُلْمِ[١]

إذا هى قامت والسُّداسىّ طالَها وبينَ النَّحيفِ الجسمِ والحسَنِ الجسمِ[٢]

وقال والبة بن الحُباب :

وميراثيَّـــــة تمشى اختيالاً من التكريه قاتلة الـكلام[٣]

لهـا زِىُّ الغـــلام ولم أقِسْها إليه ولم أُقصِّر بالغــــلام

وقال عُـكَّاشة[٤] :

مطمومة الشَّعر فى قُمُصٍ مزرَّرةٍ فى زىّ ذى ذكرٍ سيماهُ سيماها[٥]

وأكثر من قول الشاعر قول الله عزّ وجلّ : ﴿ يَطُوفُ عليهمْ غِلمانٌ لهمْ كأنَّهمْ لؤلؤٌ مكنونٌ[٦] ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ يَطُوف عَلَيهمْ وِلْدانٌ مُخلَّدُونَ . بأكوابٍ وأباريقَ[٧] ﴾. فوصفَهم فى غير موضعٍ من كتابه ، وشوّقَ إليهم أولياءهُ .

١٦٥ و قال (صاحب الجوارى) : قد ذكر الله جلّ اسمُه الحُورَ العينَ أكثرَ مما ذكر الولدان ، فما حجّتك فى هذا إلا كحجّتنا عليك .

---

(١) أى بين المراهقة والاحتلام .

(٢) السداسى : الذى طوله ستة أشبار .

(٣) كذا ورد البيت محرفا

(٤) هو عكاشة بن عبد الصمد العمى ، من أهل البصرة ، من بنى العم وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، له ترجمة فى الأغانى ٣ : ٧٣ — ٧٧

(٥) طم شعره : جزه أو عض منه .

(٦) الطور ٢٤ .

(٧) الواقعة ١٧ — ١٨ .

ومما صان الله به النســاء، أنه جعل فى جميع الأحكام شاهدين : منها الإشراك بالله ، وقتلُ النَّفس التى حرَّم الله تعالى ؛ وجَعَل الشهادةَ على المرأة إذا رُميت بالزِّنى أربعةً مجتمعين غير مفترقين فى موضع ، يشهدون أنَّهم رأوه مثلَ الميل فى المُكحُلَة[1] . وهذا شىء عَسير ؛ لمـا إراد الله من إغماض هذا الحدِّ[2] إذ جعل فيه الشَّدخَ بالحجارة .

وإنّما خلق الله الرِّجال بالنساء .

وريحُ الجارية أطيبُ ، وثيابُها أعطَر ، ومِشيتُها أحسن ، ونَغْمتها[3] أرقّ ، والقلوب إليها أمْيَل . ومتى أردتَها من قُدَّام أو خَلْف من حيث يحسُن ويحلّ وجدتَ ذلك كما قال الشاعر :

وصيفةٌ كالغُلامِ تصلح لل * أمرَين كالغُصنِ فى تثنّيهــــا[4]
أكلَها اللهُ ثم قالَ لهــــــا لما استَتَمّتْ فى حُسنِها : إيها[5]

قال : ونظر بعض الحاجِّ إلى جاريةٍ كأنها دُمية فى محراب ، قد أبْدت عن ذراعٍ كأنه جُمّارة ، وهى تَــكلَّمُ بالرَّفَث ، فقال : يا هذه ، تَــكلَّمين بمثل هذا وأنت حاجَّة ! قالت : لستُ حاجّةً ، وإنما يحجُّ الجملُ ، ألست ترانى

---

(١) الميل : المرود يكتحل به .
(٢) يعنى حد الزنى . ووقعت فى نشرة شارل « الحكم » ، خطأ مخالفا الأصل .
(٣) فى الأصل : « ومشيها أحسن » والوجه ما أثبت . وفى نشرة شارل : « ونعمها » ، خلافا لما فى الأصل الذى لم ينبه عليه .
(٤) فى الأصل : « للغلام » ، وصححها شارل بدون تنبيه .
(٥) إيها بمعنى حسبك ، كما فى اللسان .

جالسةً وهو يمشى ! قال : ويحكِ ، لم أر مثلَك فمن أنت ؟ قالت : أنا من اللواتى وصفهنّ الشّاعر[1] فقال :

دقّت وجلّت واسبكرّت وأُكملتْ
فلو جُنّ إنسانٌ من الُحسن جُنّتِ

قال (صاحب الغلمان) : إنّ أحداً لا يدخل الجنّة إلا أمردَ ، كما جاء فى الحديث : « إنّ أهلَ الجنّة يدخلونها جُرْدًا مكحّلين » . والنّساء إلى المُرْدِ أمْيَل ، وله أشهى ، كما قال الأعشى :

وأرى الغوانىَ لا يواصلن امرأً
فَقدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا[2]

وقال امرؤ القيس :

فيارُبَّ يومٍ قد أروحُ مرجَّلًا
حبيبًا إلى البيض الأوانسِ أملسا[3]

١٦٥ ظ أراهن لا يُحبِبنَ مَن قَلّ مالُه
ولا مَن رأين الشّيب فيه وقوّسا

---

(١) هو الشنفرى الأزدى . المفضليات ١٠٩ والحيوان ٣ : ١٠٨ والبيان ٣ : ٢٢٤ ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٢) ديوان الأعشى ١٥١ برواية : « إن الغوانى » .

(٣) ديوان امرئ القيس ١٠٦ — ١٠٧ . وصواب روايته : «ويارب يوم» ، وفى الديوان أيضاً : « إلى البيض الكواعب » والأملس : الناعم ، أو النقى من العيوب . وقبله :

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وقال عَلْقمة بن عَبَدَة :

فإنْ تسألونى بالنِّساء فإنَّنى بَصيرٌ بأدواء النِّساء طبيبُ[١]

إذَا شابَ رأسُ المرء أو قلّ ماله فليس له فى ودِّهنَّ نصيبُ

يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حيث علِمنَه وشَرخُ الشَّباب عندهنَّ عجيبُ

قال (صاحب الجوارى) : فإنّ الحديث قد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « حُبِّب إلىَّ النِّساء والطِّيب ، وجُعلَ قُرَّةُ عينى فى الصَّلاة[٢] » . ولم يأت للغلمان مثلُ هذه الفضيلة . وقد فُتِن بالنساء الأنبياء عليهم السلام ، منهم داودُ ، ويُوسفُ ، عليهما السلام[٣] .

قال (صاحب الغلمان) : لو لم يكن من بليّة النساء إلّا أنّ الزِّنى لا يكون إلّا بهنّ[٤] ، وقد جاء فى ذلك من التغليظ ما لم يأتِ فى غيره فى الكتاب نصًّا ، وفى الروايات الصحيحة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا[٥] ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

---

(١) ديوان علقمة ١٣١ — ١٣٢ والمفضليات ٣٩٢ والبيان ٣ : ٢٣٩ والشعر والشعراء ١٧١ .

(٢) الجامع الصغير ٣٦٦٩ . والرواية : « جعلت » .

(٣) فى الأصل : « عليهم السلام » .

(٤) كذا وردت العبارة محذوفة الجواب ، ونحو هذا كثير فى الكتاب العزيز وكلام العرب .

(٥) فى الأصل : « فاحشة ومقتا وساء سبيلا » . وهو تحريف للآية ٣٢ من سورة الإسراء . وفى سورة النساء ٢٢ : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » . وانظر ما كتبت فى تحريف آيات القرآن فى كتابى تحقيق النصوص ص ٣٩ .

يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا[1] ﴾ ، وقال : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ[2] ﴾ . وقد جعل بينهما[3] إذا لم يكن شهودٌ التلاعُنَ والفُرقة فى عاجل الدّنيا ، إلى ما أعدَّ للكاذب منهما[4] من اللَّعن والغضب فى الآخرة .

قال (صاحب الجوارى) : ما جَعَل الله من الحدّ على الزّانى إلّا ما جعل على اللُّوطىّ مثلَه . وقد رُوى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه أُتِىَ بلُوطىٍّ ، فأُصعِدَ المئذنة ثم رُمِىَ منكَّسًا على رأسه ، وقال : « هكذا يُرمَى به فى نار جهنّم » .

وحُدِّث عن أبى بكر ، رضى الله عنه ، أنه أُتِىَ بلوطىٍّ فعَرقَبَ عليه حائطا[5] .

وحديث أبى بكر أيضاً رضى الله عنه ، أنَّ خالد بن الوليد كتب إليه فى قومٍ لاطُوا فأمر بإحراقهم .

١٦٦ و وأحرقهم هشام بن عبد الملك ، وأحرقهم خالد بن عبد الله بأمر هشام .

وفى حديث مجاهد أنَّ الذى يعمل عملَ قومِ لُوطٍ لو اغتسلَ بكلِّ قطرةٍ من السّماء وكلِّ قطرة فى الأرض لم يزَلْ نجِسًا .

---

(١) الفرقان ٦٨ — ٦٩ .
(٢) النور ٢ .
(٣) فى الأصل : « بينهم » .
(٤) فى الأصل : « منها » .
(٥) أصله عن عرقب الدابة : قطع عرقوبها ، وهو فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها . والمعنى هدم عليه جدارا .

وحديث الزُّهريّ : « اللُّوطيّ يُرجَم ، أُحصِنَ أو لم يُحصَنْ ؛ سُـنّةٌ ماضيةٌ » .

ورُوِى عن الحكم بن عُتَيْبَة[١] أن عليًّا رحمه الله رجمَ لوطيًّا وقال : « لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الذَّكرين يَلعَبُ أحدُهما بالآخَر » .

وحديث أنسٍ قال : « لعَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤنَّثين من الرجال ، والمذكَّراتِ من النساء[٢] » .

وقد نَفَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مخنَّثًا من المدينـــة يقال له « هِيتٌ[٣] » وسمِعَه يقول لأمِّ سَلَمة زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا فَتَحتم الطَّائفَ فعليكِ بادِيَةَ بنتَ غَيْلان[٤] ، فإنها هَيفاء شَموع[٥] ، إذا

---

(١) الحكم بن عتيبة الكندى ، سمع بعض الصحابة والتابعين ، وحدث عنه الأعمش وقتادة وشعبة وغيرهم . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ١١٣ تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «بن عينية » ، تحريف .

(٢) الحديث فى الجامع الصغير ٧٢٦٨ من حديث ابن عباس .

(٣) قال ابن حجر فى فتح البارى ٨ : ٣٥ : «وهو بكسر الهاء وسكون التحتانية بعدها مثناة . وضبطه بعضهم بفتح ، وأما ابن درستويه فضبطه بنون ثم موحدة ، وزعم أن الأول تصحيف . قال : والهنب : الأحمق » .

(٤) حديثها فى صحيح البخارى . انظر فتح البارى ٨ : ٣٥/٩ : ٢٩٣/١٠ : ٢٨٠ وروى : « ببادية » ، والأكثر إثبات الباء مع مفعول أسماء الأفعال كما ذكر الرضى . ومن حذفها قوله تعالى : « عليكم أنفسكم » . الصبان ٣ : ٢٠٠ .

(٥) الهيفاء : الضامرة البطن . والشموع : الآنسة اللعوب الضحوك .

قامت تثنَّت ، وإذا تكلَّمتْ تغنَّتْ ، تُقبِل بأربعٍ وتُدبِرُ بثمانٍ[١] ، وبين رجليها كالإناء المكفوء ، فزوِّجيها عُمرَ ابنَكِ» . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لقد تغلغلتَ فى النظر ياعدوَّ الله[٢]، وما ظننتُك من ذوِى الإربة[٣]!» ، فنفاه عن المدينة .

قال (صاحب الغلمان) : من عيوب المرأة أنّ الرجلَ إذا صاحبَها شيَّبتْ رأسَه ، وسهَّكت ريحَه ، وسوَّدت لونَه ، وكثُر بولُه . وهنَّ مصايد إبليس وحبائلُ الشيطان ، يُتعِبن الغنىَّ ، ويكلِّفن الفقير ما لايجد . وكم من رجلٍ تاجرٍ مستُورٍ قد فلَّسته امرأتُه حتَّى هامَ على وجهه ، أو جلسَ فى بيته ، أو أقامته من سُوقه ومَعاشه .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما تركتُ بعدى فتنةً أضرَّ على الرجال من النِّساء[٤] » .

قال (صاحب الجوارى) : قد جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تزوَّجوا فإنِّى مُكاثرٌ بكم الأممَ[٥] » .

وجاء عنه : « إذا قضيتُم غزوَكم فالكَيْسَ الكَيْسَ » . يعنى النكاح .

---

(١) تقبل بأربع ، يعنى عكن بطنها ، أنها أربع . وتدبر بثمان ، يعنى أطراف العكن من عن يمين وشمال : أربع وأربع . انظر هذا التفسير النادر فى فتح البارى . وفى اللسان (ستت) : «تمشى على ست إذا أقبلت ، وعلى أربع إذا أدبرت» وانظر اللسان (سدس) أيضا .

(٢) وقع فى نشرة شارل : « يا عبد الله » . خلافا لما أثبت واضحا فى الأصل .

(٣) قال ابن حجر فى فتح البارى ٨ : ٣٥ : «وهو بكسر الهاء وسكون التحتانية

(٤) الحديث فى الجامع الصغير ٧٨٧١ .

(٥) الجامع الصغير ٣٢٨٧ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مِسكينٌ مِسكينٌ رجلٌ لا زوجةَ له . مسكينةٌ مسكينةٌ امرأةٌ لا بعلَ لها » .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم : « تزوّجوا والتمِسُوا الولدَ ؛ فإنّهم ثمراتُ القلوب . وإيّاكم والعُجُزَ العُقُر » . ١٦٦ ظ

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرَ أهلِ عصره نساء ، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلامُ قبله .

وقد أنبأك الله عزّ وجلّ بخبر داود عليه السلامُ فى القرآن ، وما روى أنّه كان لسليمان عليه السلام .

وقد تزوّج ابنُ مسعودٍ فى مرضه الذى مات فيه .

وقال مُعاذ : زوِّجونى لا ألقى الله تعالى وأنا عَزَب[1] .

ورُوى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : إنى لأُجْهِد نفسى فى النّكاح حتى يُخرِجَ الله منّى نسمةً تسبِّحه[2] .

وروى أنه قال : عليكم بالأبكار الشُّواب ؛ فإنهنَّ أطيبُ أفواهًا ، وأنتق أرحاما[3] .

والحديث فى هذا أكثر من أن نأتىَ عليه .

---

(١) نحوه ما جاء فى البخلاء ١٣٢ — ١٣٣ . « وقد قال أبو الدرداء فى وجعه الذى مات فيه : زوجونى فإنى أكره أن ألقى الله عزبا » .

(٢) قرأها شارل : « شبهة بشيخه » ، مع وضوح ما أثبت من الأصل .

(٣) الجامع الصغير ٥٥٠٧ — ٥٥٠٩ . واللسان (نتق) أنتق أرحاما : أكثر أولادا ، وأصل النتق الرمى ، يقال للمرأة ناتق لأنها ترمى بالأولاد رميا . وفى الأصل : « أفتق » ، تصحيف .

قال (صاحب الغلمان) : إنّ من عيوب الجوارى أنّ الرجل إذا اشترى الوصيفةَ إلى أن يستبرئها محرَّمٌ عليه[١] أن يستمتع بشىء منها قبل ذلك ، والوصيف لا يحتاج إلى ذلك . وقد قال الشاعر :

فديتُكَ إنّما اخترناك عَمْدًا   لأنك لا تحيض ولا تَبِيضُ

وقد جاء فى الحديث أنّ الزّنى فيه ست خصال : ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الأخرى . فأما التى فى الدنيا فيذهب بالبهاء ، ويعجّل الفناء ، ويقطعُ الرّزق من السماء . وأمّا اللواتى فى الآخـرة فالحسابُ ، والعذاب ، ودخول النار .

ورُوى عن مجاهدٍ ، قال : إنّ لأهل النار صرخةً من ريح الزُّناة .

وقالوا : إن أهل النار ليتأذّونَ بريح الزُّناة .

قال (صاحب الجوارى) : لم نسمع بعاشقٍ قَتَلَهُ حبُّ غلام . ونحن نعدُّ من الشّعراء خاصةً الإسلاميّين جماعةً ، منهم جَميل بن مَعْمَر قتله حبُّ بُثينة ، وكثيِّر قتله حبُّ عَزّة ، وعُرْوة[٢] قتـله حبّ عفراء ، ومجنون بنى عامر هيَّمته ليلى ، وقَيس بن ذَريح قتلته لُبْنى ، وعبد الله بن عَجْلان[٣]

---

(١) فى الأصل : « محرمة عليه » . والاستبراء : ألا يمسها حتى يستبرئها بحيضة ، أى يعلم براءتها من الحمل . قرأها شارل « يشتريها » خطأ .

(٢) عروة بن حزام العذرى . الشعر والشعراء ٦٠٤ — ٦١٠ والأغانى ٢٠ : ١٥٢ — ١٥٨ والخزانة ١ : ٥٣٣ — ٥٣٦ وتزيين الأسواق ٧٠ .

(٣) عبد الله بن عجلان النهدى ، شاعر جاهلى . يقول فى هند :

ألا إن هندا أصبحت منك محرما   وأصبحت من أدنى حموتها حما

الشعر والشعراء ٦٩٥ . وانظر الأغانى ١٩ : ١٠٢-١٠٥ وتزيين الأسواق ٧٦

قتلته هند ، والغمر بن ضرار قتلته جُمل . هؤلاء من أحصينا ، ومن لم نذكر أكثر .

١٦٧ و قال (صاحب الغلمان) : لو نظر كثيّر وجميلٌ وعروةُ ، ومَن سمَّيتَ من نظرائهم ، إلى بعض خَدَم أهل عصرنا ممن قد اشتُرِىَ بالمال العظيم فَراهة وشَطاطًا[1] ونقاء لون ، وحُسنَ اعتدالٍ ، وجَودةَ قدٍّ وقَوَام ، لنبذوا بُثَينة وعَزّة وعَفْراء من حالقٍ[2] ، وتركوهُنَّ بمزجَرِ الكلاب . ولكنك احتججتَ علينا بأعراب أجلافٍ جُفاة ، غُذُوا بالبؤس والشَّقاء ونشؤوا فيه ، لا يعرفون من رَفَاغة العَيش[3] ولذّاتِ الدنيا شيئاً ، إنّما يسكنون القِفارَ ، وينفِرون من الناس كنُفور الوحش ، ويقتاتون القنافذَ والضِّباب ، وينقُفُون الحنظل[4] ، وإذا بلَغ أحدُهم جُهْدَهُ بكى على الدِّمنة ونعَتَ المرأة ، ويشبِّهها بالبقرة والظَّبية ، والمرأةُ أحسنُ منهما . نعم حتَّى يشبِّهها بالحيّة ، ويسمِّيها شوهاء وجرباء ، مخافة العين عليها بزَعمه .

فأمّا الأدباء والظرفاء فقد قالوا فى الغلمان فأحسنوا ، ووصفُوهم فأجادوا ، وقدّموهم على الجوارى ، فى الجدّ منهم والهزل .

---

(١) الشطاط ،كسحاب : الطول واعتدال القوام ، وقيل حسن القوام .

(٢) الحالق : الجبل العالى . وفى الحديث : « فهممت أن أطرح بنفسى من حالق » .

(٣) الرفاغة : رغد العيش وطيبه .

(٤) ينقفون الحنظل : يشقونه عن الهبيد ، وهو حبه يستخرجونه ليأكلوه وجعلها شارل : « وينفعون » بالعين ! وانظر الحيوان ٥ : ٤٤٣ .

وقال الشاعر يصف الغلام :

شبيهٌ بالقضيبِ وبالكثيب غريبُ الحسن فى قدٍّ غريبِ
برَاه الله بدرًا فوقَ غصنٍ ونيطَ بحقوه دِعصُ الكثيبِ[1]
أغنُّ تولَّدُ الشهواتُ منه فما تَعدوه أهواءُ القلوبِ
وما اكتحلت به عينٌ ففاتت مسلَّمةَ الضميرِ من الذُّنوبِ
شَغَلتُ به الهَوَى ونزَعْتُ عنه ولم أُدنَس به دَنَسَ المُريبِ

وقال آخر :

كلِفتُ بظبيٍ له سوالفُ أُدمانَهْ[2]
قضيبٌ على رَمْلةٍ على شُعبتَيْ بَانه
له لحظُ وحشيةٍ وألفاظُ إنسانَه

وقال أبو نواس :

سَقْيًا لغير العلياءِ والسَّنَدِ وغيرِ أطلال مَىَّ بالجَرَدِ[3]
ويا صبيبَ السَّحاب إن كنت قد جُدتَ اللِّوَى مرةً فلا تَعُدِ
لا تَسقيَنْ بلدةً إذا عُدَّت الـ بُلدانُ كانت زيادةَ الكَبِدِ[4]

---

(١) الدعص : قور من الرمل مجتمع . وفى الأصل . « دعص كثيب » .

(٢) الأدمانة ، بضم الهمزة : الظبية الخالصة البياض ، ومثلها فى وزنها الخصانة وقد أنكر الأصمعى الأدمانة مع ورودها فى شعر ذى الرمة .

(٣) الجرد : جبل فى ديار بنى سليم . وفى الأصل : « بالجدد » ، صوابه فى ديوان أبى نواس ٢٦٥

(٤) زيادة الكبد : هنة متعلقة منها تزيد على سطحها . وفى الأصل : « الكمد » صوابه من الديوان

١٦٧ ظ

إنْ أتحرّزْ من الغُـــراب بها يكن مَفَرِّى منه إلى الصُّرَدِ[١]

بحيث لا تجلب الفِجاجُ إلى أذنيك إلاَّ تَصـايُحَ النَّقَدِ[٢]

أحسنُ عندى من انكبابك بال فِهْر مُلحًّـا به على وتدِ[٣]

وَقوفُ ريحانةٍ على أُذُنٍ وسَـيرُ كأس إلى فمٍ بيـدِ

يَسقيكها من بنى العِباد رشاً منتسبٌ عِيـدُه إلى الأحدِ[٤]

إذا بنى الماء فوقَهـا حَبَبًا صلَّبَ فوق الجبـين بالزَّبَدِ

أشربُ من كفِّه الشمول ومن فيه رُضاباً [يجرى] على بَرَدِ[٥]

فذاك خَيرٌ من البكاء على الـ رَّبعِ وأنمى في الرُّوح والجسَدِ

قال (صاحب الجوارى) : فقد قال أبو نُواسٍ الحكمىُّ شاعركم أيضاً :

لا تبكِ ليـــلَى ولا تطرَبْ إلى هنـــدِ

واشربْ على الوردِ من حمـــراءَ كالوردِ

---

(١) فى الأصل : « إذا تحدى مر الغراب بها » ، صوابه من الديوان . والصرد بضم ففتح طائر فوق العصفور .

(٢) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع . وفى الديوان : « الرياح » . والنقد : صغار الغنم ، واحدتها نقدة .

(٣) فى الديوان : « على الوتد » .

(٤) العباد : قوم من قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية ونزلوا بالحيرة .

(٥) الشمول : الخمر . وفى الأصل : « من كفه رضابا » ، صوابه فى الديوان . وكلة « يجرى » ساقطة من الأصل . وفى الديوان : « تجرى » .

كأساً إذا انحدرتْ فى حَلْقِ شاربها
رأيتَ حمرتَها فى العين والخدِّ[١]
فالخمر ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ
من كفِّ لؤلؤةٍ ممشوقة القدِّ[٢]
تَسقيك من عَينها سحراً ومن يدها
خمراً فما لك من سكرين من بُدِّ[٣]
لى نَشوتانِ وللنَّدمانِ واحدةٌ
شىءٌ خُصِصتُ به من بينهم وحدى[٤]

وقال أيضاً :

دع عنك لَومى فإنَّ اللومَ إغراءُ ... وداوِنى بالتى كانتْ هى الداءُ[٥]
صَفراءُ لاتَنزِل الأحزانُ ساحتَها ... لو مَسَّها حجرٌ مسَّته سَرَّاء
من كفِّ ذات حِرٍ فى زىّ ذى ذكر ... لهـا مُحبّانِ : لوطىٌّ وزنّاء
قامت بإبريقها واللَّيلُ معتكرٌ ... فظَلَّ من وجهها فى البيت لألاء[٦]

(١) فى الديوان ٢٦٥ : « أجدته حمرتها » .

(٢) فى الديوان : « فى كف جارية » .

(٣) فى الديوان : « من يدها خمرا ومن فمها » .

(٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يكون مفرداً ويكون جمعا كما هنا فى البيت .

(٥) ديوان أبى نواس ٢٣٤ .

(٦) فى الديوان : « فلاح من وجهها » .

فأرسلتْ من فم الإبريق صافيةً   كأنّما أخذُها بالعين إغفاءُ[١]
فى فتيةٍ زُهُــــرٍ ذلّ الزمانُ لهم   فما يصيبُهمُ إلاّ بمــا شاءوا[٢]
لتلك أبكى ولا أبـــكى لمنزلةٍ   كانت تكون بها هندٌ وأسماءُ[٣]

١٦٨ و

[قال صاحب الغلمان[٤]] . . . . . وقال النظام :

بانَ بك الشّـــكل والنّظيرُ   وجلّ عن وصفك الضّميرُ[٥]
فليس يُخطِيكَ فى امتحــــانٍ   صغـــيرُ أمرٍ ولا كبـــيرُ
خُلِقتَ من مثلٍ لا عِيـــانٍ   جسماً على أنّه منـــيرُ
فأنت عنـــد المَجَسّ نارٌ   وأنت عنـــد اللّحاظ نورُ[٦]

وقال أبو هشامٍ الخرّاز :

يا مَن تعدَّى العبادَ من شبَهِه   لمّا قَصُرنَ الصِّفاتُ عن كُنهِه
ويا غـــــزالاً يَسبِى بلحظَته   مكتحِلاً راحَ أو على مرهِه[٧]
يَجمَلُ قتـــلَ النُّفوس نَزهتَه   يوشك يُفنى النُّفوسَ فى نُزَهِه
لبّيك داعٍ دعَا فقلتُ له   والقَلبُ فى كربه وفى ولَهِه

---

(١) فى الأصل : « كأنها أخذها » ، وأثبت ما فى الديوان .

(٢) فى الديوان : « دارت على فتية دار الزمان بهم » .

(٣) فى الديوان : « كانت تحل بها » .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) يقول : بَعُد أن يكون لك مشاكل أو مناظر وفى الأصل: «والضطير» ، والوجه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « عند المجس نور » ، والوجه ما أثبت

(٧) المرَه : ضد الكحل وامرأة مرهاء : لا تتعهد عينها بالكحل .

هذا فــؤادى أتاكَ مبتدعاً طَوعاً ولم يأتكمْ على كُرْهِهِ
يَشرَهُ منكم إلى مواصلةٍ يا بُؤسَ قلبٍ يذوبُ من شَرَهِهِ
فالآن قل للخيال يطرقُ مَنْ أعيا عليه وصالُ منتبِهِ

وقال الحكَمىّ[1] :

رَسْمُ الكَرَى بين الجفون مُحِيلُ عفَّى عليه بُكاً عليكَ طويلُ
يا ناظراً ما أقلعَتْ نظراتُه حتى تشحَّطَ بينهنَّ قتيلُ[2]
أحللتُ من قلبى هواكَ محلةً ما حلّها المشروبُ والمأكولُ

وقال أيضاً :

لى حبيبٌ كلّما زاد فى جفوتِهِ لى كان أشهَى
هو وجهٌ كلُّه فى كلِّ ما نَظرتْ عيناك منه كان وجها
وكذا الدُّرّةُ لا يَدرِى الفتى أيُّها من أيِّها فى العَينِ أبهى

وقال أيضاً :

١٦٨ ظ

أفنيتُ فيكَ معانىَ الشكوى وصفاتِ ما ألقى من البلوى[3]
قلَّبتُ آفاقَ الكلام فما أبصرتُنى أغفلت عن معنى
وأعُدُّ ما لا أشتكى عَبَثاً فأعودُ فيه مرّةً أخرى[4]

---

(١) أبو نواس . ديوانه ٣٨٨ ، يقوله فى صاحبته « جنان » . فالاستشهاد به هنا فى غير موضعه .

(٢) فى الديوان : « ما أقلعت لحظاته » . تشحط فى دمه وبدمه : تخبط فيه واضطرب .

(٣) هى أول مقطوعة فى غزل المذكر من ديوان أبى نواس ص ٤٠٢ .

(٤) كذا فى الديوان . وفى الأصل : « مالا أشتهى عبثا » .

فلو أنى ما أشكو إلى بشرٍ لأراحنى ظنّى من الشكوى
لكننى أشكو إلى حجرٍ تنبو المعاولُ عنه بل أقسى[1]

فهذا وشبهه من الشعر كثير .

وإذا جئتَ إلى أصحاب الهزْل كقول بعضهم ممّن ذمّ النساء :

هـذه الخمرُ فاشربِ واسقنى يا ابنَ مصعبِ[2]
اسقنيها وغنِّنى : مَن لقلبٍ معذَّبِ
طمِعَتْ فىّ طَفْلَةٌ ربَّ راجٍ مجنَّبِ[3]
قلتُ لما رأيتها أسفرَتْ لى : تنقَّبى
لستُ والله مُدخِلًا إصبَعى جُحْرَ عقربِ

وقال آخر :

لا أبتغى بالمُردِ مطمومةً ولا أبيع الظّبىَ بالأرنبِ[4]
لا أُدخِل الجُحْرَ يدى طائعاً أخشى من الحيّة والعَقربِ

وقال آخر :

ليس لى فى الحِرِّ حاجَه نَيكُه عندى سَماجه[5]

---

(١) فى الديوان : « منه أو أقسى »

(٢) هذا البيت وتاليه فى ديوان أبى نواس ٢٤٨ برواية :

اسقنى يا ابن مصعب من سلافات زرنب
اسقنيها وغنِّنى : مَنْ لصب معذب

(٣) الطفلة ، بالفتح : الرخصة الناعمة الرقيقة .

(٤) المطمومة ، سبق تفسيرها فى ص ٩٦ .

(٥) الحر بكسر الحاء وتشديد الراء كما ضبط فى الأصل : لغة فى الحر =

ما نَيْـــــك الحِرِّ إلا كلُّ ذى فقـــرٍ وحاجـــه
فإذا نكتم فنيكـــــوا أمرداً فى لون عاجَـــه

وقال يوسف لَقْوَه[1] :

ما يساوِى نَيْـــــكُ أنثى عنـــد أيرى بَعـــرتَين
إنّما نَيْـــك الجـــوارى حَـــلُّ دَيْنٍ بعـــدَ دين
١٦٩ و ليس للأيرِ حيــــاةٌ غــــير ريحِ الخصيتَين

وهو الذى يقول :

وعلى اللُّوَاط فلا تلُومَنْ كاتبًا إنَّ اللِّوَاطَ سجيَّةٌ فى الكاتبِ
ولقد يتُوب مِن المحارم كلِّها ، وعن الخصَى ما عاشَ ليس بتائب

وقال الحَكَمىّ :

لَلَطمــــةٌ يلطمنى أمـــــردٌ تأخذُ منّى العينَ والفكّا[2]
أطيبُ من تُفّاحةٍ فى يدى معضوضةٍ قد ملئتْ مِسْكا

وقال آخر :

إنْ تَزنِ محصَنَةٌ تُرجَمْ علانيَةً وإن يَلُطْ عَزَبٌ لا يُرجمِ العَزَبُ

= بالتخفيف ، وهو الهن ، كما فى اللسان (حرح) . وأصله حرح ، فحذفوا الحاء الأخيرة وشددوا الراء .

(١) فى الأصل : «أبو يوسف لقوة» صوابه ما أثبت . وهو يوسف بن الحجاج الصيقل ، والصيقل لقب أبيه فيقال أيضاً يوسف بن الصيقل ، ولقوة لقب يوسف . وكان كاتباً مولده ومنشؤه بالكوفة ، وكان يصحب أبا نواس ويأخذ عنه ويروى له وكان فاسقا مجاهرا باللواط . وله أخبار مع هارون الرشيد . الأغانى ٢٠ :٩٣-٩٦ .

(٢) لم أجده فى ديوان أبى نواس .

وقال آخر :

أيسرُ ما فيـــه من مفاضَلةٍ أَمْنُكَ من طَمْثِه ومن حَبَلِه

وهذا قليلٌ من كثيرٍ ما قالوا ، فقد قالت الشعراء فى الغلام فى الجدّ والهزل فأحسَنُوا ، كما قالت الشعراء فى الغَزَل والنَّسيب ، ولا يَضِير[1] المحسنَ منهم أقديماً كان أو محدَثاً .

قال (صاحب الجوارى) : أمّا أنت فحيث اجتهدتَ واحتفلتَ جئت بالحكَمىّ ، والرَّقاشىّ ، ووالبَـة ، ونظرائهم من الفُسَّاق والمرغوب عن مذهبهم ، الذين نبغوا فى آخر الزمان ، سُقّاطٌ عند أهل المروءات ، أوضاعٌ عند أهل الفضل[2] ؛ لأنّهم وإن أسهبوا فى وصف الغلمان ، فإنما يمدحون اللِّوَاطَ ويُشِيدون بذكره .

وقد علمتَ ما قال الله تبارك وتعالى فى قوم لوطٍ ، وما عجَّل لهم من الخزى والقذف بالحجارة ، إلى ما أعَدَّ لهم من العذاب الأليم . فمن أسوأُ حالًا ممن مَدَحَ ما ذمّه الله ، وحَسَّنَ ما قبّح ! وأين قول من سمّيتَ من قول الأوائل فى الغزل والنَّسيب والنساء ! وهل[3] كان البكاء والتشبيب والعويل إلا فيهنَّ وعليهنّ ، ومن أجلهنّ ! وهل ذمّت العرب الشَّيبَ مع الخصال المحمودة التى فيه

---

(١) فى الأصل : « ولا يضر » .

(٢) الأوضاع : أراد به جمع الوضيع ، كما الأشراف جمع شريف ، وهو جمع لم يرد فى المعاجم .

(٣) الأصل : « وكل » .

١٩٦ ظ إلا لكراهتهنّ له . قال شاعر الشعراء من الأوّلين والآخرين ، امرؤ القيس :

أراهنّ لا يُحببن من قَلّ ماله
ولا مَن رأينَ الشَّيبَ فيه وقوّسا[1]

وقال علقمة بن عَبَدة الفحلُ ، وكان نظيرَ امرئ القيس فى عصره :

إذا شابَ رأسُ المرء أو قَلّ مالُه فليس له فى ودِّهِنّ نصيبُ[2]
يُرِدْنَ ثَراء المال حيث علمْنَه وشَرخُ الشَّباب عندهُنّ عجيبُ

وما قالت القدماء فى النسيب أكثرُ من أن نأتى عليه . وأين قولُ من ذكرتَ فى صفات الغلمان من قول امرئ القيس فى التشبيب حيث يقول :

وما ذَرفتْ عيناكِ إلّا لتضربِى
بسَهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتَّلِ[3]
أغرَّكِ منّى أنّ حُبّكِ قاتلى
وأنّكِ مهما تأمرى القلبَ يفعلِ

وقول الأعشى :

لو أسندَتْ مَيتًا إلى نحرها عاشَ ولم يُنقَل إلى قابرِ[4]

---

(١) ديوان امرئ القيس ١٠٨ . وقد سبق فى ص ٩٨

(٢) ديوان علقمة ١٣٢ والمفضليات ٣٩٢ .

(٣) البيتان من معلقته . وانظر الميسر والأزلام من تأليفنا ص ٢٥ — ٣١ ففيه بحث مسهب .

(٤) ديوان الأعشى ١٠٥ .

حتّى يقــولُ الناس مما رأوا   يا عجبًـــا للقاتلِ النـــاشرِ

وقال جرير :

إنّ الذين غَدَوْا بلبِّك غادروا   وشَلًا بعينك لا يزالُ مَعينا[١]

غيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقلنَ لى   ماذا لقيتَ من الهـوى ولقينا

وقال جميل :

خليـــلىّ فيما عشتما هل رأيتُما   قتيلًا بكى من حبِّ قاتلِهِ قبلى[٢]

وقال القُطامىّ :

يقتُلننا بحديثٍ ليس يعلمُــه   مَن يتّقينَ ولا مكنونُه بادى[٣]

فهنّ ينبذنَ من قولٍ يُصبْن بهِ   مَواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصادى

فهؤلاء القدماء فى الجاهلية والإسلام ، فأين قول من احتججتَ به من قولهم !

ولا نعلم أحداً قال فى الغلام ما قال الحكَمىّ وهو من المحدَثين . وأين يقع قولُه من قول الأوائل الذين شبَّبوا بالنساء ! فدَعْ عنك الرَّقاشىّ والبَة والخرّاز[٤] ومن أشبههم ؛ فليست لك علينا حجّة فى الشعراء .   ١٧٠ و

---

(١) ديوان جرير ٥٧٨ . وقد ورد البيتان فى الأصل بتقديم ثانيهما على أولهما ، والوجه ما أثبت من الديوان .

(٢) ديوان جميل ١٧٦ .

(٣) ديوان القطامى ٨ .

(٤) سبق فى ص ١٠٩ باسم « أبو هشام الخراز » .

وأخرى : ليس من قال الشعر بقريحته وطبعه واستغنى بنفسه ، كمن احتاج إلى غيره يطردُ شِعَره[(١)] ، ويحتذى مثالَه ، ولا يبلُغ مِعشَاره .

قال (صاحب الغلمان) : ظَلمتَ في المناظرةِ ولم تُنصِف في الحجَّة ؛ لأن لم ندفع فضلَ الأوائل من الشعراء ، إنّما قلنا إنهم كانوا أعراباً أجلافاً جُفاةً ، لا يعرفون رقيقَ العيش ولا لذّاتِ الدنيا ؛ لأنَّ أحدَهم إذا اجتهد عند نفسه شبَّه المرأة بالبقرة ، والظبية ، والحيَّـة . فإنْ وصفَها بالاعتدالِ في الخلقة شبّهها بالقضيب ، وشبَّه ساقَها بالبَرْديّة ؛ لأنّهم مع الوحوش والأحناش نشؤوا ، فلا يعرفون غيرها .

وقد نعلم أنّ الجارية الفائقة الحُسنِ أحسنُ من البقرة ، وأحسنُ من الظَّبية ، وأحسن من كلِّ شيء شُبِّهَتْ به .

وكذلك قولهم : كأنَّها القمر ؛ وكأنّها الشمس ؛ فالشَّمس وإن كانت حسنةً فإنما هي شيء واحد ، وفي وجه الإنسان الجميل وفي خلقهِ ضروبٌ من الحُسن الغريب ، والتركيب العجيب . ومن يشكُّ أنّ عينَ الإنسان أحسنُ من عين الظَّبي والبقرة ، وأن الأمر بينهما متفاوت !

وهذه أشياء يشترك فيها الغلمانُ والجوارى ، والحجَّة عليك مثلُ الحجّة لك في هذه الصفات .

وأمّا احتجاجُك علينا بالقرآن والآثار والفقهاء ، فقد قرأنا مثل ما قرأت ، وسَمِعْنا من الآثار مثلَ ما سمعت . فإن كنت إلى سرور الدُّنيا تذهب ، ولذّاتِها تَريدُ ، فالقولُ قولُنا . كما قال الشاعر :

---

(١) الطرد والاطراد : الاصطياد ، والمراد التتبع .

ما العيش إلّا فى جُنون الصِّبا فإنْ تولّى فزمانُ المُدام
كأسًا إذا ما الشيخُ والَى بها خمسًا تردَّى برداء الغلام

١٧٠ ظ

وإن كنتَ إلى التقشُّف والتزهيد فى اللّذَّاتِ تَعمِد فترْكُ جميع الشّهوات من النساء وغيرهنّ أفضل . فإنْ أنصفتَ فأْتنا بمثل حجّتنا . فأمّا أن تتلو علينا القرآنَ وتأتينا بأحاديثَ ألّفتَها فهذا منك انقطاع . ومَثَلنا ومثلك فى ذلك مَثَلُ بَصرىٍّ وكوفىٍّ تفاخَرا بعدد أشراف أهل البصرة وأشراف أهل الكوفة ، فقال البصرىّ للكوفىّ :

هاتِ فى أربعِ قبائل الكوفة مثلَ أربعة رجالٍ بالبصرة فى أربع قبائل : فى تميم الكوفة مثل الأحنف ، وفى بكر الكوفة مثل مالك بن مسمع ، وفى قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم ، وفى أزد الكوفة مثل المهلب .

فقال الكوفىّ : مِخنف بن سُليم من أزد السَّراة ، وهم أشرف من أزد عُمان .

فقال البصرىّ : إنا لم نكن فى شرف القبائل وفرقِ ما بينهما[1] ، فإنما ذكرنا المهلّبَ بنفسه ، وما علمتُ أن أحداً يبلغ من جهله أن يفخر بمخنف ابن سليم فيفضّله على المهلب . وأخْمَل رجل من ولد المهلّب أشهر فى الولايات وفى الفرسان وفى الناس من مخنف . والمهلّب رجلٌ ليس له بالعراق نظيرٌ يقاومه ، ومناقبه وأيّامه وفتوحُه أكثر وأشهر من أن يجوز لنا أن نجعله إزاءَ مِخنف . وما زالوا يقولون : « بصرة المهلّب » . ولو لم يكن للمهلّب إلّا أنه

(١) أى بين أزد السراة وأزد عمان ، أو لعلها : « بينها » أى بين القبائل .

وَلَدَ يزيدَ بن بن المهلَّب كان كافيا(١) . ونحن إذا قلنا : ليس فى قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم(٢) ، قال قائل : فزارة أشرف من باهلة . قلنا : ليس هذه معارضة ؛ فإنّما المعارضة أن تذكر أسماء بن خارجة ثم تقول ونقول ، فنذكر فتوح قتيبة العِظام ، والشَّهامة والنفسَ الأبية ، والشّجاعةَ والحزمَ والرأى ، والوفاء ، وشرفَ الولاية ، ونذكر سُودَدَ أسماء ، وجودَه ونوالَه . فأمّا أن نتخطّى أنفسَهما إلى قبائلهما كما تخطَّيتَ(٣) بدنَ المهلّب وبدن مِخنف إلى أزْدِ عمانَ وأزدِ السَّراة ، فهذا ليس من معارضة العلماء .

وكذلك إذا ذكرنا عُبّادَ البصرة وزُهّادَها ونُسَّاكها فقلنا : لنا مثل عامر ابن عبد قيس ، وهَرِم بن حَيَّان(٤) ، وصِلَةَ بن أشْيَمَ(٥) . قلتَ : فعُبَّاد

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ٣٦٧ — ٣٧٠ .

(٢) قتيبة بن مسلم الباهلى عامل الحجاج على الرى ثم خراسان ، قام بأعمال جليلة فى الفتح الإسلامى ، وقتل غدراً بفرغانة سنة ٩٦ فقال فيه بعض الأعاجم : يامعشر العرب ، قتلتم قتيبة ! والله لو كان قتيبة منّا فمات فينا جعلناه فى تابوت ، فكنا نستفتح به إذا غزونا . المعارف ١٧٨ — ١٧٩ والطبرى فى حوادث سنة ٩٦ .

(٣) فى الأصل : « تخطأت » ، صوابه ما أثبت . وفى اللسان : « ولا يقال تخطأت » ، وهو دليل أنها كانت مستعملة فى لغة العامة .

(٤) هرم بن حيان العبدى ، أحد عمال عمر ، وبعثه عثمان بن أبى العاص إلى قلعة بجرة فافتتحها عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة ٣ : ٣٧ . وانظر البيان ١ : ٣٦٣ .

(٥) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوى الناسك ، لقى جماعة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وغيره . وقتل شهيداً فى غزاة فى أول إمرة الحجاج على العراق سنة ٧٥ فاجتمعت النساء عند زوجته الناسكة معاذة العدوية للتعزية فقالت : مرحبا ، إن كنتن جئتن لتهنئنى فمرحبا بكن ، وإن كن جئتن لغير ذلك فارجعن . صفة الصفوة ٣ : ١٣٩ والإصابة ٤١٢٧ .

الكوفة : أُويسٌ القَرَنِىّ[1] ، والرَّبيع بن خُثَيم[2] ، والأسود بن يزيد النَّخَعى . وهذا جواب .

١٧١ و

فأمّا أن تذكرَ طِيبَ الدُّنيا والتمتُّع من لذّاتها وصفات محاسنها ، وتذكر ظرفاءها وأربابَها ، وتحيئَنا بأحاديث الزهّاد والفقهاء ، فقد انقطع الحِجَاج بيننا وبينك .

وقد قلنا فى صدر كتابنا[3] : إن الكلامَ إذا وُضِع على المزْح والهزل ، ثم أخرجتَه عن ذلك إلى غيره من الجدّ ، تغيّر معناه وبَطَل .

وقد رُوى أنَّ معاوية سأل عمرو بنَ العاص يومًا – وعنده شَبابٌ من قريش – فقال له : ياأبا عبد الله ، ما اللذّة ؟ فقال : مُر شبابَ قريشٍ فليقوموا . فلما قاموا قال : « إسقاط المروءة » .

---

(١) هو أويس بن عامر القرنى ، بفتح القاف والراء ، نسبة إلى قرن بن ردمان ، وهم حى من مراد بن مذحج . أدرك أويس حياة الرسول وشهد صفين مع على ، وفيها قتل . الإصابة ٤٩٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ٢٢ وجمهرة أنساب العرب ٤٠٧ .

(٢) الربيع بن خثيم ، بضم الخاء بعدها ثاء مفتوحة ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى . قال له ابن مسعود : «لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك» توفى سنة إحدى ، وقيل ثلاث ، وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ٣١ وابن النديم ٢٦٠ .

(٣) أقحم الجاحظ نفسه فيما اصطنع لنفسه من مناظرة بين صاحب الغلمان وصاحب الجوارى . وانظر كذلك ص ١٢٥ س ٥ –٦ .

قال الشاعر[١] فى مثل ذلك :

مَن راقبَ النّاسَ ماتَ غمّاً وفاز باللّذّةِ الجسورُ

وقال الحكمىّ :

تجاسرتُ فكاشفتُ ـكَ لمّا غُلِب الصّبرُ[٢]

وما أحسنَ فى مثـ ـلكَ أن يَنْهتِكَ السّترُ

قال (صاحب الجوارى) :

فنحن نترك ما أنكرتَ علينا ونقول : لو لم يكن حلال ولا حرام ، ولا ثواب ولا عقاب ، لكان الذى يُحصّله المعقولُ ويدركه الحسُّ والوجدان ، دالًّا على أنّ الاستمتاع بالجارية أكثر وأطولُ مدّة ؛ لأنه أقل ما يكون التمتّع بها أربعون عامًا ، وليس تجد فى الغلام معنًى إلّا وجدتَه فى الجارية وأضعافَه . فإن أردت التفخيذ فأردافٌ وثيرة ، وأعجاز بارزة لا تجدها عند الغلام . وإن أردت العِناق فالثُّدِيُّ النواهد ، وذلك معدومٌ فى الغلام . وإن أردتَ طِيبَ المأتَى فناهيك ، ولا تجد ذلك عند الغلام . فإن أتَوْه فى مَحَاشّه[٣] حدثَ هناك من الطَّفَاسة[٤] والقذر ما يكدِّر[٥] كلَّ عيش ، وينغِّص كلَّ لذّة .

---

(١) هو سلم بن عمرو الخاسر . انظر ترجمته وتحقيق اسمه فى حواشى الحيوان ٣ : ٩٠ . والبيتان كذلك له فى التمثيل والمحاضرة الثعالبى ٧٧ .

(٢) قبله فى ديوان أبى نواس ص ٤٢٢ :

أيا من طرفه سحر ومن مبسمه در

(٣) المحاش ، بتشديد الشين : جمع محشة ، وهى الدبر .

(٤) الطفاسة : القذر . طفس يطفس طفسا وطفاسة .

(٥) فى الأصل : « يكد » .

وفى الجارية من نَعمة البشَرة ولدونة المفاصل ، ولطافة الكفَّين والقدمين ، ولين الأعطاف ، والتثنّى وقلّة الحَشَن[1] وطِيبِ العَرق ما ليس للغلام ، مع خصالٍ لا تحصى ، كما قال الشاعر[2] :

١٧١ ظ

... ...

يصفُ جَودة القَدّ وحُسنَ الخرط ، ويفرق بين المجدولة والسَّمينة .

وقولهم « مجدولة » يريدون جودةَ العَصَب وقلّة الاسترخاء ، ولذلك قالوا : خُمصانة وسَيفانة ، وكأنها جانٌّ[3] ، وكأنَّها جَدْلُ عِنانٍ[4] ، وكأنّها قضيبُ خيزُران . والتثنّى فى مِشية الجارية أحسنُ ما فيها ، وذلك فى الغلام عيبٌ ؛ لأنّه يُنسَب إلى التخنيث والتأنيث ـ وقد وصفت الشعراء المجدولةَ فى أشعارها ، فقال بعضهم :

لها قِسمةٌ من خُوط بانٍ ومن نقًا
ومن رشأ الأقواز جِيــدٌ ومَذْرِفُ[5]

---

(١) الحشن : الوسخ ، واللزج من دسم البدن . وفى الأصل : « الحسو » ولا وجه له .

(٢) يعنى به أبا نواس ، كما هو عادته . ولعل الشعر الساقط من الأصل بعده ، قوله فى ديوانه ٣٨٨ :

فوق القصيرة والطويلةُ فوقها ... دون السمين ودونها المهزول

(٣) الجان : ضرب من الحيات دقيق خفيف .

(٤) أى عنان مجدول . وفى الأصل : « جذل عنان » . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ .

(٥) الأقواز : جمع قوز ، بالفتح ، وهو الكثيب من الرمل . وفى الأصل : « الأمرار » . والمذرف : المدمع ، يعنى العين . ذرف الدمع : سال . وفى الأصل : « ومرذف » .

وقال آخر :

مجدولة الأعلى كثيبٌ نصفها إذا مشَتْ أقعدها ما خلفَها

وقال الآخر :

ومجدولةٍ جدلَ العنانِ إذا مشَتْ ينوء بخَصريها ثِقالُ الرَّوادِفِ

وقال الأحوص :

مِن المدمَجاتِ اللحمِ جَدْلًا كأنّها عِنانُ صَناعٍ أنعمَتْ أن تجوّدا

وقالوا في ذلك أكثرَ من أن نأتيَ عليه .

والغلام أكثر ما تبقى بهجته ونقاء خدّيه عشرةَ أعوام ، إلى أن تتّصل لحيتُه ويخرج من حدّ المُرودَة[1] ، ثمّ هو وَقاحٌ طورًا ينتف لحيتَه ، وتارة يَهْلُبُها ليستدعيَ شهوةَ الرِّجال[2] . وقد أغنى الله الجاريةَ عن ذلك ، لما وهب لها من الجمال الفائق ، والحسن الرائق .

فإن قلتَ : إنّ من النساء من يتحسَّن ويستر عيبه[3] بخضاب الشعر وغيره ، كما قال الشاعر :

عجوزٌ ترَجَّى أن تكون فتيّــــــةً

وقد لحِبَ الجنبانِ واحدَوْدَبَ الظَّهرُ[4]

(١) في الأصل : « المردة » . يقال في المصدر مرد ومرودة أيضاً .

(٢) واضحة في الأصل ، وقد ظنها شارل في الأصل : « ليستبد عن سهوة » فصححها إلى « ليستبد على شهوة الرجل » . يهلبها : ينتفها .

(٣) في طبعة شارل : « من يتحسن ويسترن عيبهن » ، خلافا لما في الأصل .

(٤) نسبهما المبرد في الكامل ١٧٦ إلى شيخ من الأعراب . وذكر أبو الحسن الأخفش في حواشيه على الكامل بعدهما بيتين من القصيدة نسبا في ديوان جران العود ١١ إلى الرحال بن عزرة بن المختار . وفي عيون الأخبار ٤ : ٤٤ : « كانت لرجل من الأعراب امرأة عجوزة ، وكانت تشترى العطر بالخبز فقال » . وأنشد البيتين .

تدسُّ إلى العطّار مِيرة أهلها ... ولن يصلحَ العطّارُ ما أفسَد الدّهرُ[١]

قلنا : قد يفعل ذلك بعض النساء إذا شُيِّبَتْ وليس كالغلام[٢] ، لعموم هَلْب اللِّحَى فى الغلمان .

١٧٢ و وذكرتَ الخِصْيانَ وحُسن قدودِهم ، ونَعْمة أبشارهم ، والتلذُّذ بهم ، وأنَّ ذلك شىءٌ لا تعرفه الأوائل ، فألجأتَنا إلى أن نَصِفَ ما فى الخِصيان وإن لم يكن لذلك معنًى فى كتابنا ، إذ كنّا إنّما نقول فى الجوارى والغِلمان .

والخصىُّ — رحمك الله — فى الجملة ممثَّل به ، ليس برجل ولا امرأة ، وأخلاقه مُقسَّمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصِّبيان ، وفيه من العيوب التى لو كانت فى حَوْراء كان حقيقًا[٣] أن يُزهَد فيها منه ؛ لأن الخصىَّ سريع التبدُّل والتنقُّل من حدّ البَضاضة ومَلاَسة الجلد ، وصفاء اللَّون ورِقَّته ، وكثرة الماء وبريقه ، إلى التكسُّر والجمود والكمود ، والتقبُّض والتجعُّد والتحدُّب ، وإلى الهُزَال وسوء الحال . لأنّك ترى الخصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع فى وجهه[٤] ، وكأنه مرآةٌ صِينيّة ، وكأنه جُمّارة ، وكأنه قضيب فِضّةٍ قد مسّه ذهب ، وكأنّ فى وجَناته الوردَ . فإن مَرِضَ مَرْضةً ، أو طعنَ فى السنِّ ذهب ذَهابًا لا يعود .

---

(١) وكذا فى عيون الأخبار ، والرواية المعروفة : « وهل يصلح العطار » كما فى الكامل ، ورسالة التربيع والتدوير ، والتمثيل والمحاضرة للثعالبى ٢١٩ .

(٢) فى الأصل : « بالغلام » .

(٣) فى الأصل : « حقيق » .

(٤) فى الحيوان ١ : ١٠٧ : « فى لونه » .

وقال بعض العلماء : إنّ الخصىَّ إذا قُطع ذلك العضوُ منه قويتْ شهوتُه ، وقويتْ مَعِدته ، ولانت جِلدتُه ، وانجردت شعَرتُه ، وكثرتْ دمعته ، واتّسعت فقحتُه ، ويصير كالبغل الذى ليس هو حِمارًا ولا فَرسًا[١] ؛ لأنّه ليس برجلٍ ولا امرأة . فهو مذبذبٌ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

ويعرض للخَصىّ سُرعة الدَّمْعة والغضب ، وذلك من أخلاق النساء والصِّبيان . ويَعرض له حبُّ النميمة وضيقُ الصَّدر بما أُودِع من السِّرِّ .

ويعرض لهم البَول فى الفراش ولا سيَّما إذا باتَ أحدهم ممتلئًا من النَّبيذ .

ومما ناله[٢] من الحسرة والأسف لما فاتهم من النكاح مع شدّة حبِّهم للنساء ، أبغَضوا الفحول أشدَّ من تباغض الأعداء ، فأبغضوا الفحول بُغضَ الحاسد لذوى النِّعمة .

وزعم بعضُ أهل التجربة من الشُّيوخ المعمَّرين أنَّهم اعتبروا أعمارَ ضروب الناس فوجدوا [طولَ[٣]] أعمار الخصيان أعمَّ من جميع أجناس الرجال ، وأنهم لم يجدوا لذلك عِلّةً إلاَّ عدمَ النكاح . وكذلك طول أعمار البغال لقلة النَّزْو . ووجدوا أقل الأعمار أعمار العصافير ؛ لكثرة سفادها . ١٧٢ ظ

ثم الخصىُّ مع الرِّجال امرأةٌ ، ومع النِّساء رجل . وهو من النمائم والتحريش والإفساد بين المرء وزَوْجِه ، على ما ليس عليه أحد . وهذا من النَّفاسة والحسَد للفحول على النساء . ويعتريه إذا طعن فى السنِّ اعوجاج فى أصابع اليد ، والتواءٌ فى أصابع الرِّجل .

---

(١) فى الأصل : « حمار وفرس » . وانظر الحيوان ١ : ١٠٨ .
(٢) كذا فى الأصل ، وسيأتى الضمير بعده لجماعة الخصيان ، وهو تعبير جائز .
(٣) التكملة من الحيوان ١ : ١٣٦ .

ودخل بعضُ الملوك على أهله ومعه خصىٌّ(١) فاستترت منه ، فقال لها : تستترين منه وإنما هو بمنزلة المرأة ! فقالت : ألموضعِ المُثْلة به يحلُّ له ما حرَّم الله عليه .

مع أنَّ فى الخصىِّ عيوباً يطول ذِكرُها .

ولولا خوف الملال والسآمة على الناظر فى هذا الكتاب ، لقُلْنا فى الاحتجاج عليك بمالا يدفعه من كانت به مُسكةُ عقل ، أو له معرفة . وفيما قُلْنا ما أقنعَ وكفَى . وبالله الثِّقة .

* * *

وقد ذكرنا فى آخر كتابنا هذا مقطَّعاتٍ من أحاديث البطَّالين والظُّرفاء ، ليزيد القارئُ لهذا الكتاب نشاطا ، ويَذهبَ عنه الفتور والكَلال ، ولا قوَّة إلا بالله .

١ — قال : مرض رجلٌ من عُتاة اللاَّطَة مرضًا شديدا ، فأيسوا منه ، فلما أفاقَ وأبلَّ من مرضِهِ ، دخل عليه جيرانُه فقالوا له : احمدِ الله الذى أقالَكَ ، ودعْ ما كنتَ فيه من طلب الغلمان والانهماك فيهم ، مع هذه السنِّ التى قد بَلغتَها . قال : جَزاكم الله خيراً ؛ فقد علمتُ أنّ فَرط العناية والمودَّة دعاكم إلى عِظتى . ولكنّى اعتدتُ هذه الصناعةَ وأنا صغير ، وقد علمتم ما قال بعض الحكماء : ما أشدَّ فِطامَ الكبير !

(١) جعلت فى نشرة شارل : « خصيه » ، خلافاً لما فى الأصل .

قال الشاعر[١] :

والشيخ لا يترك أخلاقَه حتى يُوارَى فى ثَرَى رمسِه[٢]

فقاموا مِن عنده آيسينَ من فلاحه .

٢ — قال : كان رجلٌ من اللاَّطة وله بنون لهم أقدارٌ ومروءات ، فشانَهم بِمشيته مع الغلمان وطلبِه لهم ، فعاتَبوه وقالوا : نحن نشترى لك من الوصائف على ما تشتهى ، تشتغل بهنّ ، فقد فضحتَنا فى الناس . فقال : هبكم تشترون لى ما ذكرتم فكيف لشيخكم بحرارة الجُلجُلتين ! فتركوا عتابه وعلموا أنّه لا حيلةَ فيه .

١٧٣ و

٣ — وقال بعض اللُّوطيين : إنّما خُلق الأيرُ للفَقْحة ، مدوّرٌ لمدوَّرة ؛ ولو كان للحِرِ كان على صيغة الطَّبَرْزِين[٣] .

وقال شاعرهم :

إذا وجدتُ صغيراً وجأتُ أصلَ الحَمَاره[٤]
وإن أصبت كبيرا قصدت قَصد الحَرَاره
فما أبالى كبيراً قصدتُ أو ذا غَرَاره[٥]

٤ — وقيل لامرأة من الأشراف كانت من المتزوِّجات : ما بالُكِ مع

---

(١) هو صالح بن عبد القدوس ، كما فى الحيوان ٣ : ١٠٢ والبيان ١ : ١٢٠ والتمثيل والمحاضرة ٧٨ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ ونهاية الأرب ٣ : ٨٢ .

(٢) فى الأصل : « فى الثرى رمسه » ، وصوابه من المراجع السابقة .

(٣) الطبرزين : فأس يعلقها الفارس فى سرج جواده . المعرب للجواليقى ١٩٤ ، والألفاظ الفارسية ١١١ .

(٤) الحمارة بفتح الحاء مع فتح الحاء وتشديد الراء وقد تخفف فى الشعر ، كما فى القاموس : شدة حر القيظ .

(٥) الغرارة ، كسحابة : قلة الفطنة للشر عن كرم وحسن خلق .

جمالك وشرفك لا تمكثين مع زوجك إلّا يسيراً حتى يطلّقك ؟ قالت : يريدون الضِّيق ، ضيَّق الله عليهم .

٥ — قال : طلّق رجلٌ امرأتَه ، فمرّ رجلٌ فى بعض الطُّرقات فسمع امرأةً تسأل أخرى عنها فقالت : البائسة طلّقها زوجُها ! فقالت : أحسَنَ باركَ اللهُ عليه . فقال لها : يا أمَةَ الله ، من شأن النِّساء التعصُّب بعضُهن لبعض ، وأسمعكِ تقولين ما قلتِ . قالت : يا هذا ، لو رأيتَها لعلمتَ أنّ الله تعالى قد أحلّ لزوجها الزِّنى ، من قُبح وجهها .

٦ — وقال مخنّثٌ لامرأة : يا معشرَ النِّساء ، مالكنّ هِمّةٌ إلّا طلب النَّيك ، لا تؤْثِرنَ عليه شيئاً . فقالت : إن أمْرًا[1] انتقلتَ من شَهوتِه من طَبْع الرِّجال إلى طبع النساء حتّى عقَرْتَ لحيتَك له[2]، لحقيق ألّا تُلامَ عليه .

٧ — قال إسحاقُ الموصلىّ : نظرتُ إلى شابٍّ مخنَّثٍ حسنِ الوجه جدًّا قد هَلَب لحيته فشانَ وجهَه ، فقلت له : لِمَ تفعلُ هذا بلحيتك ، وقد علمتَ أنّ جمالَ الرجال فى اللِّحى ؟ فقال : يأبا محمد[3] ، أيسرُّك بالله أنّها فى استِك ؟ قلت : لا والله ! فقال : ما أنصفتَنى ، أتكره أن يكون فى استك شىءٌ وتأمرنى أن أدَعَه فى وجهى ! .

---

(١) قرأها شارل : « امرأ » ، مع وضوح ما أثبت من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونه .

(٢) هو من قولهم عقر النخلة : قطع رأسها كله مع الجمّار .

(٣) هى كنيه إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، ويقال أيضاً له « أبو صفوان » كما فى الأغانى ٥ : ٤٩ .

٨ — وقال : اشترى بعض وُلاة العراق قَينةً بمالٍ كثير ، فجلس يومًا يشربُ وأمرَها أن تغنّيَه ، فكان أوّل صوتٍ تغنّت به :

أرُوح إلى القَصّاص كلَّ عشيَّةٍ   أرجّى ثوابَ الله فى عدد الخُطَى

١٧٣ ظ

فقال للخادم : يا غلامُ ، خذْ بيد هذه الزّانية فادفعْها إلى أبى حَزْرة القاصّ . فمضى بها إليه فلقيَه بعد ذلك ، فقال : كيف رأيتَ تلك الجارية ؟ فقال : ما شئتَ أصلحك الله ، غير أنّ فيها خَصلتين من صفات الجنّة ! قال : ويلك ماهُما ؟ قال : البَرد ، والسَّعة .

٩ — قال : علِقَ رَجلٌ من أهل المدينة امرأةً فطال عَناؤه وشقاؤه بها حتى ظفِر بها ، فصار بها إلى منزل صديقٍ له مغنٍّ ، ثم خرج يشترى ما يحتاج إليه ، فقالت له : لو غنَّيتَ لى صوتًا إلى وقت مجى صديقك !

فأخذ العودَ وتغنّى :

من الخَفِرات لم تفضَحْ أخاها   ولم تَرفع لوالدها شَنارا[١]

قال : فأخذت المرأةُ خُفَّها ولبستْ إزارَها وقالت : ويلى ويلى ، لا والله لا جلستُ ! فجَهَد بها فأبَتْ وصاحت ، فخشىَ الفضيحةَ فأطلقها . وجاء الرجلُ فلم يجدْها ، فسأله عنها فقال : جئتَنى بمجنونة ! قال : ما لها ويلك ؟ قال : سألَتْنى أن أغنّيها صوتًا ففعلتُ ، فضربتْ بيدها إلى خفِّها وثيابها فلبستْ وقامت تولول ، فجَهَدْتُ أن أحبسَها فصاحت فخلّيتُها . قال : وأىَّ شىء غنّيتَها ؟ فأخبره ، فقال : لعنك الله ! حُقَّ لها أن تهرب !

---

(١) الشنار ، بالفتح: العيب .

قال : تَواصف قومٌ الجماعَ ، وأفاضوا فى ذكر النساء ، وإلى جانبهم مخنَّث فقال : بالله عليكم دعُوا ذِكر الحِرِ لعنَه الله ! فقال له بعضُهم: متى عهدُك به ؟ قال : مُذْ خرجتُ منه !

١٠ — قال : تزوّج رجلٌ امرأةً ، فمكثت عنده غيرَ بعيد ، ثم أتى الرجلُ بالذى زوّجه فقدَّمه إلى القاضى فقال : أصلحكَ الله ، إنّ هذا زوّجنى امرأةً مجنونة . قال : وأىَّ شىء رأيت من جنونها ؟ قال : إذا جامعتُها غُشِيَ عليها حتَّى أحسبَها قد ماتت . فقال له القاضى : قم قَبَحك الله فما أنت لمثلِ هذه بأهل . وكانتْ رَبوخاً[1] .

١١ — قال : كانت عائشة بنت طلحة من المتزوّجات[2] ، فتزوّجها عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التَّيمىّ ، فبينا هى عنده تحدَّثُ مع امرأةٍ من زَوَّارِها إذْ دخل عُمر فدعا بها فواقَعَها ، فسمِعت المرأة من النَّخير والشَّهيق أمراً عجيباً ، فلمَّا خرجت قالت لها : أنتِ فى شرفكِ وقَدْرك تفعلين مثل هذا ! قالت : إنّ الدوابَّ لا تُجيد الشُّربَ إلاّ على الصَّفير !

١٧٤ و

١٢ — قال : وكانت حُبَّى المدِينيَّةُ[3] من المغتلمات ، فدخلَ عليها نسوةٌ من المدينة فقُلن لها : يا خالةُ ، أتيناكِ نسألك عن القَبْع[4] عند الجماع يفعلُه النِّساء ، أهو شىءٌ قديم أم شىءٌ أحدثَه النِّساء ؟ قالت : يا بناتى ، خرجتُ

---

(١) الربوخ : التى يغشى عليها عند الجماع .

(٢) كذا فى الأصل . وعنى بها « الردفات » . انظر ما كتبت فى نوادر المخطوطات ١ : ٥٩ .

(٣) انظر الحيوان ٢ : ٢٠٠ و ٦ : ٧٥ .

(٤) القبع ، سيفسره الجاحظ فيما يلى .

للعمرة مع أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، فلمّا رجعنا فكُنّا بالعَرْج نظر إلىّ زوجى ونظرتُ إليه ، فأعجبَه منّى ما أعجبَنى منه فواثبَنى ، ومرّت بنا عيرُ عثمان فقبعتُ قبعةً وأدركنى ما يصيب بناتِ آدم ، فنفرتِ العيرُ ـ وكانت خمسَ مائة [1] ـ فما التقى منها بعيران إلى الساعة .

والقَبْع : النَّخير عند الجماع . والغربلة : الرَّهز . كذلك تسمِّيه أهل المدينة .

ويقال إن حُبَّى علَّمت نساء أهل المدينة القَبْعَ والغَربلة .

١٣ — قال : وكانت خُلَيدةُ امرأةً سوداء ذاتَ خَلْق عجيب ، وكان لها دارٌ بمكّة تُكريها أيّامَ الحاجّ ، فحجَّ فتًى من أهل العراق فاكترى منزلَها ، فانصرفَ ليلةً من المسجد وقد طافَ فأعيا ، فلما صَعِد السَّطحَ نظر إلى خليدةَ نائمةً فى القَمَر ، فرأى أهيأَ النّاسِ وأحسنَه خَلْقاً [2] ، فدعَتْه نفسُه إليها فدنا منها ، فتركَتْه حتى رفَع برجليها فتابعَتْه وأرتْه [3] أنها نائمة ، فناكها ، فلمّا فرغَ ندِم فجعل يبكى ويلطِم وجهَه ، فتعاربَتْ [4] وقالت : ما شأنك ؟ لسعَتْك حيّة ؟ لدغتْكَ عقرب ؟ ما بالك تبكى ؟ قال : لا والله ولكنّى نكتك وأنا محرِم . قال : فتنيكنى وتبكى ؟ أنا والله أحقُّ بالبكاء منك . قمْ يا أرعن !

---

(١) قرأها شارل : « حمر مائة » مع وضوحها فى الأصل .

(٢) وحد الضمير ذهابا إلى المعنى ، أى من وُجد ومن خُلق . انظر اللسان دثقل ٩٣ حنا ٢٢١ .

(٣) فى الأصل : « وأورته »

(٤) فى الأصل : «فتعارفت »، ولعل وجهه ما أثبت إن صح اشتقاقه من قولهم : امرأة عروب :ضحاكة متحببة إلى زوجها ؛كما قالوا : تعربت المرأة : تغزلت .

١٤ — وقال ابن حُبَّ[1] لأمِّه : يا أُمَّه ، أيُّ الحالات أعجبُ إلى النِّساء من أخْذ الرجال إيّاهنّ ؟ قالت : يا بنىَّ ، إذا كانت مُسِنَّةً مثلى فأبركْها وألصقْ خدَّها بالأرض ثمَّ أوعبْه فيها . وإذا كانت شابّةً فاجمع فخذيْها إلى صدرها فأنت تدرك بذلك ما تريدُ منها وتبلغُ حاجتك منها .

١٥ — وقال : اشترى قومٌ بعيراً وكان صَعباً ، فأرادوا إدخالَه الدّارَ فامتنع ، فجعلوا يضربونه وهو يأبَى ، فأشرفتْ عليهم امرأةٌ كأنّها شِقَّةُ قمر ، فبُهتوا ينظرون إليها ، فقالت : ما شأنه ؟ فقال لها بعضهم : نريده على الدُّخول فليس يدخل . قالت : بُلَّ رأسَه حتَّى يدخُل . ١٧٤ ظ

١٦ — قال : نظر رجلٌ بالمدينة إلى جاريةٍ سَرِيّة ترتفع عن الخدمة ، فقال : يا جاريةُ ، فى يدك عمل ؟ قالت : لا ، ولـكنْ فى رجلى .

١٧ — قال بعضُهم : كنّا فى مجلس رجلٍ من الفقهاء فقال لى رجل : عندك حُرّةٌ أو مملوكة ؟ قلت : عندى أمُّ ولدٍ ، ولمَ سألتَنى عن ذلك ؟ قال : إنّ الحرّة لها قدرُها فأردتُ أن أعلّمك ضرباً من النَّيك طريفاً . قلت : قل لى . قال : إذا صرتَ إلى منزلكَ فنم على قفاك ، واجعل مخدّةً بين رجليك ورُكَبك[2] ليكون وِطاء لك ، ثمّ ادعُ الجارية وأقم أيرك وأقعدْها عليه ، وتحوِّل ظهرها إلى وجهك ، وارفع رجلَيك ومُرها أن تأخذ بإبهامك كما يفعل الخطيبُ على المنبر ، ومُرها تَصعَد وتنزِل عليه ؛ فأنَّه شىء عَجَب .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١٢٩ .

(٢) هو من وضع الجمع موضع المثنى ، وهو كثير فى كلامهم . انظر همع الهوامع ١ : ٥٠ — ٥١ .

فلمَّا صار الرجلُ إلى منزله فعلَ ما أمره به ، وجعلت الجارية تعلو وتستفِل ، فقالت : يا مولاىَ ، مَن علَّمك هذا النَّيك ؟ قال : فلانٌ المكفوف . قالت : يامولاى ، ردّ الله عليه بَصَره !

١٨ — قال : كانت امرأة من قريش شريفةً ذاتَ جمال رائعٍ ومال كثير ، فخطبَها جماعةٌ وخطبها رجلٌ شريفٌ له مالٌ كثير ، فردّته وأجابت غيره ، وعزموا على الغدُوّ إلى وليّها ليخطُبوها[1] ، فاغتمَّ الرجلُ غمًّا شديداً ، فدخلتْ عليه عجوزٌ من الحيّ فرأتْ مابه وسألته عن حاله فأخبرَها ، قالت : ما تجعل لى إنْ زوّجتُك بها ؟ قال : ألف درهم . فخرجتْ من عنده ودخلَتْ عليها ، فتحدَّثتْ عندها مليًّا وجَعلَتْ تنظر فى وجهها وتتنفَّس الصُّعَداء ، ففعلتْ ذلك غير مرَّة ، فقالت الجارية : ما شأنُكِ يا خالة ، تنظرين فى وجهى وتَنَفَّسين ؟ قالت : يا بُنَيّة ، أرى شبابكِ ، وما أنعَم الله عليكِ به من هذا الجمال ، وليس يتمُّ أمرُ المرأة إلاَّ بالزَّوْج ، وأراكِ أيِّمًا لا زوجَ لك . قالت : فلا يَغُمُّكِ الله ، قد خطَبَنى غير واحدٍ وقد عزمتُ على تزويج بعضهم . قالت : فاذكرى لى مَن خطبك . قالت : فلان . قالت شريفٌ ، ومن ؟ قالت : فلان . قالت : شريف ، فما يمنعُك منه ؟ قالت : وفلانٌ — لصاحبها — قالت : أفٍّ أفّ ، لا تريدينه[2] . قالت : وماله أليس هو شريفًا[3] كثير المال ؟ قالت : بلى ، ولكن فيه خصلةً أكرهُها لك . قالت : وما هى ؟

١٧٥ و

---

(١) فى الأصل : « يخطبوها » .

(٢) إخبار فى معنى النهى ، أى لا تريديه ولا تفكرى فى شأنه .

(٣) فى الأصل : « شريف » .

قالت : دعى عنك ذِكرَها . قالت : أخبرينى على كلِّ حال . قالت : رأيتُه يبول يوماً فرأيتُ بين رجليه رجلاً ثالثة . وخرجَتْ من عندها فأتته ، فقالت : أعِدْ إليها رسولَك . وأتاها الرجل الذى كانت أجابته ــ بعد مجىء الرسول ــ فردَتْه وبعثَتْ إلى صاحب المرأة : أنِ اغدُ بأصحابك . فتزوّجها فلما بنَى بها إذا معه مثل الزِّرّ ، فلمّا أتتْها العجوز فقالت : بكم بِعتينى يالَخنَاء[1] ؟ قالت : بألف درهم . قالت : لا أكلتيها إلاّ فى المرض !

١٩ — قال : كان هشام بن عبد الملك يقبض الثِّياب[2] من عِظَم أيره ، فكتب إلى عامله على المدينة : « أمّا بعد فاشتر لى عِكاكَ النَّيك[3] » . قال : وكانَ له كاتبٌ مدينىٌّ ظريف ، فقال له : ويحك ، ما عِكاكُ النَّيك ؟ قال : الوصائف . فوجَّه إلى النَّخَّاسينَ فسألهم عن ذلك . فقالوا : عِكاكُ النَّيك الوصائفُ البيضُ الطِّوال . فاشتَرَى منهنّ حاجتَه ، ووجّه بهنَّ إليه .

قال : وكانت بالمدينة امرأةٌ جميلةٌ وَضِيَة ، فخطبَها جماعةٌ وكانت لا ترضَى أحدًا ، وكانت أمُّها تقول : لا أزوجها إلاَّ مَن ترضاه . فخطبها شابٌّ جميلُ الوجه ذو مالٍ وشرف . فذكرتْه لابنتها وذكرت حالَه وقالت : يا بنيّةُ إن لم تَزَوّجى هذا فمن تَزَوَّجين ؟ قالت : يا أُمّه : هو ما تقولين ، ولكنّى بلغنى

---

(١) كذا فى الأصل ، وهو وجه جائز فى العربية ، يزيدون بعد تاء المخاطبة وكافها ياء . انظر سيبويه ٢ : ٢٩٦ . وقد تكرر هذا الوجه فيما سيأتى من قوله : « لا أكلتيها » . واللخناء : الخبيثة رائحة المكان .

(٢) فى الأصل . « الثيب » .

(٣) العكاك : جمع عكة ، بالضم . وأصل العكة زقيق صغير أصغر من القربة يتخذ للسمن .

عنه شيء لا أقدرُ عليه . قالت : يا بنيتي لا تحتشمين من أمّك ، اذكري كلَّ شيء في نفسك . قالت : بلغني أنَّ معه أيرًا عظيما وأخافُ ألاَّ أقوى عليه . فأخبرت الأمُ الفتى فقال : أنا أجعلُ الأمرَ إليك تُدخلين أنتِ منه ما تريدُ وتحبسين ما تريد . فأخبرت الابنةَ فقالت : نَعَمْ أرضى إن تكفَّلتِ لي بذلك[1] . قالت : يا بنيّةُ والله إنّ هذا هو لشديدٌ عليّ ، ولكنّي أتكفَّلُهُ لك . فتزوّجته . فلما كانت ليلةَ البناء قالت : يا أمَّه ، كوني قريبةً منّي لا يقتلني بما معه . فجاءت الأمّ وأغلقت الباب وقالت له : أنتَ على ما أعطيتَنا من نفسِك ؟ قال : نعم ، هو بين يديكِ . فقبضت الأمّ عليه وأدنته من ابنتها فدسَّتْ رأسَه في حِرِها وقالت : أزيدُ ؟ قالت : زيدي . فأخرجتِ إصبعًا من أصابعها فقالت : يا أمَّه زيدي . قالت : نعم . فلم تزل كذلك حتَّى لم يبق في يدها شيء منه ، وأوعبَه الرجلُ كلَّه فيها ، قالت : يا أمَّه زيدي . قالت : يا بنيّةُ لم يبقَ في يدي شيء . قالت بنتُها : رحمَ الله أبي فإنّه كان أعرفَ الناسِ بك ، كان يقول : إذا وقع الشيء في يديك ذهب البركةُ منه . قومي عنّي !

١٧٦ ظ

٢٠ — قال : تزوّج رجلٌ امرأةً وكان معه أيرٌ عظيم جدًّا ، فلمَّا نا كها أدخلَه كلَّه في حِرِها ، ولم تكن تَقوى عليه امرأة ، فلم تتكلَّم ، فقال لها : أيُّ شيء حالكِ خرجَ من خلفِك بعدُ ؟ قالت : بأبي أنتَ وهل أدخلتَه ؟

٢١ — قال : نظر رجلٌ إلى امرأةٍ جميلة سريّة ، ورجُلٌ في دارها دميم مشوّهٌ يأمُر وينهى ، فظنَّ أنّه عبدُها ، فسألها عنه فقالت : زَوجي . قال : يا سبحانَ الله ، مثلُكِ في نعمة الله عليكِ تتزوَّجين مثل هــذا ؟ فقالت :

---

(١) في الأصل : « ذلك » . وقرأها شارل : « تكلفت لي ذلك » خطأ .

لو استدركتَ بما يستقبلنى به لعَظُم فى عينك . ثم كشفَتْ عن فخذها فإذا فيه بُقَع خُضْر ، فقالت : هذا خَطاؤُه فكيف إصابتُه .

٢٢ — قال : وكانت بالمدينة امرأة ماجنة يقال لها سَلاَّمة الخضراء ، فأُخذت مع مخنَّثٍ وهى تنيكه بكِيرنَج[1] ، فرُفعتْ إلى الوالى فأوجعَها ضرباً وطافَ بها على جَمل ، فنظرَ إليها رجلٌ يعرفها فقال : ما هذا يا سلاَّمة ؟ فقالت : بالله اسكُتْ ، ما فى الدُّنيا أظلمُ من الرجال ، أنتم تنيكونا[2] الدَّهرَ كلَّه فلمَّا نكنا كم مرَّة واحدة قتلتمونا .

٢٣ — قال : تزوّج رجلٌ امرأةً فقيل له : كيف وجدتَها ؟ قال : كأنَّ رَكَبَها دارةُ القَمَر[3] ، وكأنَّ شُفْرَيها أيرِ حمارٍ مَثْنيّ .

٢٤ — وقال بعض العجائز المغتلمات :

وخضَبتُ ما صَبَغَ الزَّمانُ فلم يدُم ... صِبْغى ودامت صِبغةُ الأيّامِ[4]

١٧٧ و

أيّامَ أُمْسِى والشَّبابَ غريرةً ... وأَناكُ مِن خلفى ومن قُدَّامى

٢٥ — وقال سِيَاه ، وكان من مَرَدَة اللاطة ، واسمُه ميمون بن زياد ابن ثَرْوان ، وهو مولًى لخزاعة :

---

(١) الكيرنج : نموذج لقضيب الرجل ، والكلمة فارسية مركبة من « كير » بمعنى القضيب ، كما فى معجم استينجاس ١٠٦٨ ، و « رنج » وهو بالفارسية « رنك » ومعناه الشكل . وانظر حواشى الأغانى ١ : ١٦٩ طبع دار الكتب وفى الأصل : « بكيدنج » ، صوابه ما أثبت .

(٢) كذا فى الأصل ، وقد يكون حكاية للغتها .

(٣) الركب ، بالتحريك : منبت العانة .

(٤) فى الأصل : « ماصنع » .

أَخُزاعُ إنْ عَدَّ القبائلُ فَخرَهم فضَمُوا أكُفَّكمُ على الأفواهِ
إلاّ إذا ذُكر اللِّواطُ وأهلُه والفاتقون مشارجَ الأستاهِ
فهناك فافتخروا فإنّ لكم به مجدًا تليدًا طارفًا بسياهِ[1]

٢٦ — قال : وجاء سِياه إلى الكُميت فقال له : ياأبا عُمارة ، قد قلتُ على عروض قصيدتك :

* أبتْ هذه النَّفسُ إلاّ ادِّكارا[2] *

فقال : هات . فقال :

أبتْ هذه النفسُ إلاّ خَسَارا وإلاّ ارتداداً وإلاّ ازورارا[3]
وحَمْلَ الدُّيوكِ وقَودَ الكلابِ فهذا هِرَاشًا وهذا نِقارا
وشُربَ الخمور بماء الغمام تنفجر الأرضُ عنه انفجارا

٢٧ — وقال : أُخِذ « ديكٌ » ، وكان من كبار اللاّطة ، وهو رجلٌ من أهل الحجاز ، مع غلامٍ من قُرَيش كأنه قديدَة[4] ، فقيل له : عدوَّ الله هبك تُعذَر في الغلمان الصِّباح فما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : بأبي أنتم وأمّي ، قد والله علمتُ أنه كما تقولون ، وإنَّما نكتُه لشرفه .

---

(١) أي مجدا تليدا وطارفا : قديما وحديثا . وفي الأصل : « مجدا ليه » .

(٢) انظر الموشح للمرزباني ١٩٣ .

(٣) في الأصل : « وإلا ردا » . والكلمتان بعدها واضحتان في الأصل . وقرأهما شارل : « وإلا انفرارا » .

(٤) القديدة : تصغير القدّة بالكسر ، وهي واحدة القِد : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ . انظر الحيوان ٤ : ١٢١ .

٢٨ — وقد يُضرب المثلُ فى اللِّواط بالحجاز فيقال : « ألْوَطُ من ديك » ، كما يقول أهل العراق : « ألْوَطُ من سِياه » ، وهو كوفىّ .

وقد اختصرتُ كتابى هذا لئلا يملَّه القارئ . وبالله التوفيق .

* * *

تم كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان ، والله المستعان ، وعليه التُّكلان ، ولا إله إلا هو .

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب القيان من كلام أبى عثمان عمرو بن بحرٍ الجاحظ أيضًا ، والله الموفق للصواب . والحمد لله أولاً وآخرًا ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . ١٧٦ ظ

١٤

كِتَابُ
القِيَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه هى الرسالة الرابعة عشرة من رسائل الجاحظ فى مجموعة داماد ، وعنوانها :

« كتاب القيان »

ووردت فى معجم الأدباء ١٦ : ١٠٨ باسم « كتاب القيِّنين والغناء والصنعة »

ومن هذه الرسالة نسختان :

الأولى : نسخة الأصل ، وهى نسخة مكتبة داماد .

والثانية : النسخة التى نشرها « يوشع فنكل » فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٤ هـ فى مجموع ثلاث رسائل .

أولاها : فى الرد النصارى .

والثانية : فى ذم أخلاق الكتاب .

والثالثة : كتاب القيان .

ونسخة يوشع فنكل نشرها عن أصل فى مكتبة نور الدين مصطفى فى ضمن مجموعة رسائل خطية للجاحظ وغيره برقم ١٠٠ وفى آخر ما نصه :

« استكتبه محمد بن خالد خليل الأزهرى الحسينى اللاذقى النائب فى مركز ولاية الموصل ، غرة ذى القعدة سنة ١٣١٧ » .

وقد حاولت أن أعثر على هذا المخطوط فلم أوفق ، فجعلت مطبوعة « يوشع فنكل » أساساً فى المقابلة ورمزت لها بالرمز « ط » .

ونص الرسالة فى نشرة « فنكل » يستوعب ما بين ص ٥٣ إلى ص ٧٥ .

ومهما يكن فالفضل الأول فى إظهار هذه الرسالة عائد إلى الأستاذ «يوشع فنكل» الذى أسجل له شكر قراء العربية لإسهامه فى نشر آثار شيخنا الجاحظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

١٧٧ ظ

من آبي موسى بن إسحاقَ بن موسى ، ومحمد بن خالد خذار خذاه ، وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ، ومحمد بن حماد كاتب راشد ، والحسن بن إبراهيم ابن رباح ، وأبي الخيار ، وأبي الرنال[1] ، وخاقان بن حامد ، وعبد الله ابن الهيثم بن خالد اليزيديّ المعروف بمَشرَطة ، وعلك بن الحسَن ، ومحمد ابن هارون كتّبة ، وإخوانهم المستمتعين بالنّعمة ، والمؤثرين للذّة ، المتمتّعين بالقيان وبالإخوان[2]، المعدِّين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة ، والراغبين بأنفسهم عن قبول شيء من الناس ، أصحاب الستر والستارات ، والسُّرور والمروءات .

إلى أهل الجهالة والجفاء ، وغلظ الطّبع ، وفساد الحسّ .

سَلامٌ على من وفِّق لرشده ، وآثَر حظَّ نفسه ، وعرف قدر النِّعمة ؛ فإنَّه لا يشكر النِّعمة مَن لم يعرفها ويعرف قدرها ، ولا يزاد[3] فيها من لم يشكرها ، ولا بقاء لها على[4] مَن أساء حملها .

وقد كان يقال : حَمْل الغِنَى أشدُّ من حمل الفَقر ، ومؤونة الشكر أضعفُ من مشقَّة الصبر . جعلنا الله وإياكم من الشاكرين .

---

(١) كذا في النسختين .

(٢) في الأصل : « من القيان وبالإخوان » ، وأثبت ما في ط .

(٣) ط : « ولا يزداد » .

(٤) في ط : « عند » .

أمَّا بعد فإنه ليس كلُّ صامتٍ عن حجّته مبطلاً فى اعتقاده ، ولا كلُّ ناطقٍ بها لا برهانَ له محقًّا فى انتحاله . والحاكم العادل من لم يعجَلْ بفَصْل القضاء دون استقصاء حُجَج الخصماء ، [و[1]] دون أن يحوّل[2] القول فيمن حضر من الخُصَماء والاستماع منه ، وأن تبلغ الحجّة مداها من البيان ، ويشرك القاضى الخصمين فى فهم ما اختصما فيه ، حتى لا يكون بظاهر ما يقع عليه من حكمه أعلمَ منه بباطنه ، ولا بعلانيَةِ ما يُفْلِج الخصامَ منه أطبَّ منه بسرِّه[3] . ولذلك ما استعمل أهلُ الحزم والرويَّة من القضاة طُولَ الصمت ، وإنعامَ التفهُّم والتمهُّل ، ليكون الاختيار بعد الاختبار ، والحكم بعد التبيُّن[4] .

وقد كُنّا ممسكين عن القول بحجّتنا فيما تضمَّنه كتابُنا هذا اقتصارًا[5] على أن الحقَّ مكتفٍ[6] بظهوره ، مُبينٌ عن نفسه ، مستغنٍ عن أن يُستدَلَّ عليه بغيره ؛ إذْ كان إنَّما يُستدَلُّ بظاهرٍ على باطن ، وعلى الجوهر بالعرض ، ولا يُحتاج أن يستدَلَّ بباطن على ظاهر .

١٧٨ و

وعلْمنا أنّ خصماءنا وإنْ موّهوا وزخرفوا ، غير بالغِينَ للفلَج والغلبة

---

(١) هذه من ط .

(٢) ط : « يجول » .

(٣) أفلجه على خصمه : غلبه . والخصام : جمع خصم ، كما قاله الزجاج . انظر تفسير أبى حيان ٢ : ١١٤ . أطب : أعلم . وفى ط : «أطيب منه لسره» ، تحريف .

(٤) ط : « اليقين » .

(٥) فى الأصل : « اقتصادا » ، صوابه فى ط .

(٦) ط : « مكيف » ، تحريف .

عند ذوى العَدْل دون الاستماع منّا ، وأنَّ كلَّ دعوَى لا يفلُجُ صاحبُها بمنزلة ما لم يكن ، بل هى على المدَّعِى كَلٌّ وكَربٌ حتَّى تؤدِّيَه إلى مسرّة النُّجح أوراحة اليأس .

إلى أنْ تفاقَمَ الأمرُ وعِيلَ الصَّبر ، وانتهى إلينا عيبُ عصابةٍ لو أمسكْنا عن الإجابة عنها والاحتجاج فيها ، علماً بأنَّ من شأن الحاسد تهجينَ ما يَحسُد عليه ، ومن خُلق المحروم ذمَّ[1] ما حُرِم وتصغيرَه والطَّعنَ على أهله ـ كان لنا فى الإمساك سَعة . فإنّ الحسدَ عقوبةٌ موجبةٌ للحاسد بما يناله منه ويَشينُه[2] ، من عصيان ربّه واستصغار نعمته ، والسَّخط لقَدَره[3] ، مع الكرب اللازم والحزن الدائم ، والتنفس صُعُداً[4] ، والتشاغل بما لا يُدرَك ولا يُحصَى . وأنَّ الذى يشكر فعلى أمرٍ محدودٍ يكون شكره ، والذى يحسد فعلى مالا حدّ له يكون حسدُه . فحسده متَّسع بقدر تغيُّر اتّساع ما حَسد عليه . لأنّا خفنا أن يظنّ جاهل أنَّ إمساكنا[5] عن الإجابة إقرار بصدق العَضيهة[6] ، وأن إغضاءنا لذى الغيبة[7] عجز عن دَفْعها .

---

(١) الكلمة ساقطة من ط ، وجعل مكانها ناشرها [تقبيح] اقتراحا منه .

(٢) الكلمة مهملة النقط فى الأصل ، وإعجامها من ط .

(٣) ط : « والسخط على القدرة » .

(٤) يقال : هو يتنفس الصعداء ويتنفس صعداً ، الأولى ممدودة بضم ففتح ، والأخيرة مقصورة بضمتين ، وهو النفس بتوجع .

(٥) فى الأصل : « أن أمسكنا » ، صوابه فى ط

(٦) العضيهة : الإفك والبهتان .

(٧) ط : « عن ذى الغيبة » .

فوضعنا فى كتابنا هذا حُججاً على مَن عابنا بملك القيان ، وسبَبْنا بمنادمة الإخوان ، ونَقَم علينا إظهارَ النِّعم والحديث بها . ورجونا النّصر إذ قد بُدِينا والبادى أظلم ، وكاتب الحقّ فصيح ـ ويروى « ولسان الحقّ فصيح » ـ ونَفْس المُحرَج[١] لا يُقامُ لها ، وصَولة الحليم المتأنّى لا بقاء بعدها .

فبيَّنّا الحجّة فى اطِّراح الغَيرة فى غير محرَّم ولا ريبة ، ثم وصَفْنا فضلَ النعمة علينا ، ونقَضْنا أقوال خصمائنا بقولٍ موجَزٍ جامعٍ لما قصدْنا . فمها أطنبنا فيه فللشَّرح والإفهام ، ومها أدمجنا وطوينا فليخفّ حمله . واعتمدنا على أنّ المطوّل يقصَّر ، والملخَّص يختصَر ، والمطوىّ يُنشَر ، والأصولَ تتفرع ، وبالله الكفاية والعون .

١٧٨ ظ

إنّ الفروع لا محالةَ راجعةٌ إلى أصولها ، والأعجاز لاحقةٌ بصدورها ، والموالىَ تبعٌ لأوليائها ، وأمور العالم ممزوجة بالمشاكلة ومنفردة بالمضادّة ، وبعضها عِلّةٌ لبعض ، كالغيث علّةً السّحابَ والسّحابُ علّةً الماء والرُّطوبة ، وكالحبّ عِلّته الزّرعُ ، والزّرعُ عِلّته الحبّ ، والدّجاجة علّتها البيضة ، والبيضة[٢] علّتها الدجاجة ، والإنسان علّتهُ الإنسان .

والفَلَك وجميع ما تحويه أقطار الأرض ، وكلُّ ما تُقِلُّه أكنافها للإنسان خَوَلٌ ومتاعٌ إلى حين . إلاّ أنّ أقربَ ما سُخِّرَ له من روحه وألطفَه عند نفسه « الأنثى » ؟ فإنّها خُلقَتْ له ليسكنَ إليها ، وجُعلت بينه وبينها مودّة ورحمة .

---

(١) ط : « المجروح » .

(٢) فى الأصل : « البيض والبيض » . صوابه فى ط .

ووجب أن تكون كذلك وأن يكون أحقَّ وأولى بها[1] مِن سائرِ ماخُوِّل[2] إذْ كانت مخلوقةً منه . وكانت بعضاً له وجزءاً من أجزائه ، وكان بعضُ الشيء أشكلَ ببعض وأقرب به قُرباً من بعضه ببعض غيره . فالنساء حرثٌ للرجال ، كما النباتُ رزقٌ لما جُعل رزقاً له[3] من الحيوان .

ولولا المحنة والبلوى فى تحريم ما حرَّم وتحليل ما أُحلّ ، وتخليص المواليد من شُبهات الاشتراك فيها ، وحصول المواريث فى أيدى الأعقاب ، لم يكن واحدٌ أحقَّ بواحدةٍ منهن من الآخَر ، كما ليس بعضُ السَّوامِ أحقَّ برعْى مواقع السَّحاب من بعض ، ولكان الأمر كما قالت المجوس : إن للرجل[4] الأقربَ فالأقربَ إليه رحماً وسبباً منهنّ . إلا أنّ الفرض[5] وقع بالامتحان فخصَّ المطلق ، كما فعل بالزَّرع فإنّه مرعًى لولد آدم ولسائر الحيوان إلاَّ ما مَنَعَ منه التحريم .

وكلُّ شيء لم يُوجَد محرَّمًا فى كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمباحٌ مُطْلَق . وليس على استقباح الناس واستحسانهم قياسٌ ما لم نُخرِج من التحريم دليلًا على حسنه ، وداعيًا إلى حَلاله .

---

(١) ط : « أحق بها وأولى » .

(٢) فى الأصل : « لسائر ما حول » ، وتصحيحه وإثبات « من » فى ط .

(٣) فى الأصل « رزق له » ، صوابه فى ط .

(٤) فى الأصل وط : « ان الرجال » ، وقد ارتضيت ما اقترح ناشر ط من هذا التصحيح .

(٥) ط : « الغرض » .

١٧٩ و

ولم نعلم للغَيرة في غير الحرام وجهًا ، ولولا وقوع التحريم لزالت الغيرة ولزِمَنا قياس مَن أحقُّ بالنساء[1] ؛ فإنَّه كان يقال : ليس أحدٌ أولى بهنَّ من أحد[2] ، وإنَّما هنَّ بمنزلة المَشَامّ والتُّفَّاح الذى يتهاداه الناسُ بينهم . ولذلك اقتصرَ من له العِدَّة على الواحدة منهنَّ ، وفرّق الباقى منهنَّ على المقرّبين . غير أنَّه لما عزم الفريضة بالفرق بين الحلال والحرام ، اقتصر المؤمنون على الحدِّ المضروب لهم ، ورخّصوه فيما تجاوزَه[3] . فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجابٌ ، ولا كانوا يرضَون مع سقوط الحجاب بنظرة الفَلْتة ولا لحظة الخُلْسة ، دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامَرة ، ويزدوجوا فى المناسمة والمثافَنَة[4] ، ويسمَّى المولَع بذلك من الرِّجال الزِّيرَ ، المشتقَّ من الزيارة . وكلّ ذلك بأعين الأولياء وحضور الأزواج ، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا المنكَر ، حتَّى لقد حَسِكَ فى صدر أخى بُثَينة من جميل ما حَسِكَ[5] من استعظام المؤانسة ، وخروج العُذر عن المخالطة ، وشكا ذلك إلى زوجها وهزَّه ما حشّمه ، فكَمَنا لجميل عند إتيانه بُثينة ليقتلاه ، فلما دنا لحديثه وحديثها سمِعاه يقول ممتحنًا لها : هل لك فيما يكون بين الرِّجال

---

(١) كلمة « قياس » ليست فى ط .

(٢) هذا ما فى ط . وفى الأصل : « واحد » .

(٣) هذا ما فى ط وفى الأصل : « تجاوزوه » .

(٤) ناسمه مناسمة : دنامنه وشامّه ، وحادثه ، وسارّه . كما فى المعجم الوسيط . والمثافنة : المجالسة والمحادثة . وفى الأصل : « المثافعه » . وفى ط : « المشافعة » ، والوجه ما أثبت.

(٥) الحسك : الضغن والحقد . وفى ط : « حصل ... ما حصل » .

والنساء ، فيما يَشفى غليل العشق ويُطفئ نائرة الشوق ؟ قالت : لا . قال : ولم ؟ قالت : إنَّ الحبَّ إذا نكح فَسَد ! فأخرج سَيْفاً قد كان أخفاه تحت ثوبه ، فقال : أمَا والله لو أنْعَمتِ لى لملأتُه منك[1] ! فلمَّا سمعا بذلك وثِقا بغَيبِهِ وركنا إلى عفافه ، وانصرفا عن قتله ، وأباحاه النظرَ والمحادثة .

فلم يزل الرِّجال يتحدّثون مع النساء ، فى الجاهلية والإسلام ، حتَّى ضُرب الحجاب على أزواج[2] النبيّ صلى الله عليه وسلم خاصَّة .

وتلك المحادثة كانت سببَ الوُصلة بين جَميلٍ وبثينة ، وعَفراء وعُروة ، وكثيِّر وعزَّة ، وقَيسٍ ولُبنى ، وأسماءَ ومرقِّش ، وعبد الله بن عَجْلان وهِنْد[3] .

١٧٩ ظ

ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرِّجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عاراً فى الجاهلية ، ولا حرامًا فى الإسلام .

وكانت ضَباعة ، من بنى عامر بن قُرط[4] بن عامر بن صعصعة ، تحت عبد الله بن جُدعانَ زماناً لا تلد ، فأرسَلَ إليها هشامُ بن المغيرة المخزوميُّ :

---

(١) أى لو أجبتنى بنعم لملأت السيف من دمك .

(٢) ط : « نساء » .

(٣) انظر ما سبق فى رسالة مفاخرة الجوارى ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٤) فى الأصل : « قرطة » ، وأثبت ما فى ط . وفى جمهرة ابن حزم ٢٨٢ أن القرطاء بطن من عامر بن صعصعة ، من العدنانية ، وهم بنو قرط وقريط وقريطة بنى عبيد بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وانظر معجم قبائل العرب ٩٤٥ . وفى الإصابة ٦٧٠ قسم النساء : « ضباعة بنت عامر بن قرط ابن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة »

ما تصنعين بهذا الشَّيخ الكبير الذى لا يُولَد له ، قولى له حتَّى يطلِّقك[١] .
فقالت لعبد الله ذلك ، فقال لها : إنِّى أخافُ عليكِ أن تتزوَّجى هشامَ بن المغيرة.
قالت : لا أتزوّجه . قال : فإن فعلتِ فعليك مائة من الإبل تنحرينها
فى الحَزْوَرَة[٢] وتنسجين لى ثوباً يَقطع ما بين الأخشبَيْن[٣] ، والطوافُ
بالبيت عُريانة . قالت : لا أطيقه . وأرسلتْ إلى هشامٍ فأخبرتْه الخبرَ فأرسلَ
إليها : ما أيسَرَ ما سألكِ ، وما يَكرُثُك[٤] وأنا أيسرُ قريشٍ فى المال ،
ونسائى أكثر نساء رجل من قريش ، وأنت[٥] أجملُ النِّساء فلا تأبَيْ عليه .
فقالت لابن جُدعان : طلِّقنى فإنْ تزوَّجتُ هشامًا فعلىَّ ما قلتَ . فطلَّقها بعد
استيثاقه منها ، فتزوَّجها هشامٌ فنحر عنها مائةً من الجُزُر ، وجمع نساءه فنسجن
ثوباً يسعُ ما بين الأخشبَين ، ثم طافت بالبيت عُريانة ، فقال المطَّلب
ابن أبى وَدَاعة : لقد أبصرتُها وهى عُريانةٌ تطوفُ بالبيت وإنِّى لَغلامٌ أتْبعها

---

(١) كلمة « حتى » ساقطة من ط .

(٢) فى الأصل وط : « الجزورة » صوابه ما أثبت والحزورة : سوق مكة ، وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه. معجم البلدان . والخبر فى الإصابة ٦٧٠ قسم النساء برواية أخرى .

(٣) الأخشبان : جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى . أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان .

(٤) كرثه الأمر يكرثه : ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة . وفى ط . « يلويك » ، تحريف .

(٥) هذا ما فى ط . وفى الأصل : « فأنت » .

إذا أدبرتْ ، وأستقبلها إذا أقبلت ، فما رأيت شيئاً مما خلق الله أحسنَ منها ، واضعةً يَدَها على رَكَبها وهى تقول :

اليومَ يبـــدو بعضُه أو كلُّه فما بدا منـــــه فلا أُحِلُّه
كم ناظرٍ فيـــه فما يملُّه[1] أخْثم مثل القَعْب بادٍ ظلُّه[2]

قال : ثم إنَّ النساء إلى اليوم من بنات الخلفاء وأمهاتهن ، فمن دونهنَّ يَطُفن بالبيت مكشّفات الوجوه ، ونحو ذلك لا يكمل حجٌّ إلا به .

وأعرسَ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بعاتكة ابنة زَيد [بن عمرو[3]] ابن نُفَيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبى بكر ، فمات عنها بعد أن اشترط عليها ألا تتزوّج بعده أبدًا ، على أن نَحَلَها[4] قطعةً من ماله سوى الإرث ، ١٨٠ و فخطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأفتاها بأن يعطيَها مثلَ ذلك من المال فتصدَّقَ[5] به عن عبد الله بن أبى بكر ، فقالت فى مرثيته :

فأقسمتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليك ولا ينفكُّ جلدىَ أغبرا

---

(١) ط : « فما أبله » ، تحريف .

(٢) فى الأصل وط : « أجثم » بالجيم ، تحريف . والأخثم بالخاء المعجمة : المرتفع الغليظ . وفى قول النابغة :

وإذا لمست لمست أخثم جاثما متحيزاً بمكانه ملء اليد

(٣) التكملة من نوادر المخطوطات ١ : ٦١ وجمهرة أنساب العرب ١٥١ ، ١٥٣ والإصابة ٦٩٥ من قسم النساء .

(٤) ط : « ينحلها » .

(٥) أى فتتصدق . وفى ط : « فتتصدق » .

فلما ابتنَى بها عمر بن الخطاب رضى الله عنــه أولَمَ ، ودعا المهاجرين والأنصار ، فلمَّا دخل علىُّ بن أبى طالب عليه السلام قَصَد لبيتِ حَجَلتها ، فرفعَ السِّجفَ ونظر إليها فقال :

فأقسمتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدىَ أصفرا

فخجلت فأطرقت ، وساء عمرَ رضى الله عنه ما رأى من خجلها وتشَوُّرِها[١] عند تعيير علىٍّ إيّاها بنقض ما فارقت عليه زوجَها ، فقال : ياأبا الحسن ، رحمك الله ، ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : حاجةٌ فى نفسى قضيتُها .

هذا . وأنتم تروون أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان أغيَرَ الناس ، وأنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال له : « إنى رأيت قصراً فى الجنة فسألت : لمن هــذا القصر ؟ فقيل : لعمر بن الخطاب . فلم يمنعنى من دخوله إلّا لمعرفتى بغيرتك » . فقال عمر رضى الله عنه : وعليك يُغَارُ يا نبىَّ الله !

فلو كان النظرُ والحديث والدُّعابة يُغار منها ، لـكان عمر المقــدَّمَ فى إنكاره ؛ لتقدُّمه فى شدَّة الغيرة . ولو كان حرامًا لمنعَ منه ؛ إذ لا شكَّ فى زهده وورعه وعلمه وتفقُّهه .

وكان الحسن بن على عليهما السلامُ تزوَّج حفصةَ ابنة عبد الرحمن[٢] ، وكان المنذر بن الزُّبير يهواها[٣] ، فبلغ الحسنَ عنها شىء فطلَّقها ، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوَّجه وقالت : شَهَّرنى ! . وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب

---

(١) التشور : الخجل . وفى الأصل : « نشوزها » .

(٢) حفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق . جمهرة ابن حزم ١٢٣ .

(٣) المنذر بن الزبير بن العوام . الجمهرة ١٢٣ .

رضى الله عنها فتزوَّجها ، فرقَّ[1] المنذرُ عنها شيئاً فطلَّقها ، وخطبها المنذر فقيل لها : تزوَّجيه ليعلمَ الناسُ أنَّه كان يعضَهُك[2] . فتزوَّجته فعلم الناس أنَّه كذَب عليها ، فقال الحسن لعاصم : لنستأذن[3] عليها المنذرَ فندخلَ إليها فنَتحدَّثَ عندها[4] ، فاستأذناه ؛ فشاور أخاه عبد الله بنَ الزُّبير فقال : دعهما يدخلان . فدخلا فكانت إلى عاصمٍ أكثر نَظَراً منها إلى الحسن ، وكان أبسطَ للحديث . فقال الحسن للمنذر : خذ بيد امرأتك . فأخذَ بيدها وقام الحسن وعاصمٌ فخرجا . وكان الحسن يهواها وإنَّما طلَّقها لما رقَّ إليه المنذر[5].

١٨٠ ظ

وقال الحسن يومًا لابن أبى عَتيق : هل لك فى العقيق[6] ؟ فخرجا فعدل الحسن إلى منزل حَفْصة فدخل إليهـا فتحدَّثا طويلا ثم خرج ، ثم قال لابن أبى عتيق : هل لك فى العقيق ؟ قال : نعم . فنزل بمنزل حفصة ودخَل ، فقال له مرَّة أخرى : هل لك فى العقيق ؟ فقال : يا ابن أُمٍّ ، ألا تقول : هل لك فى حفصة ! !

وكان الحسن فى ذلك العصر أفضلَ أهلِ دهره . فلو كان محادثةُ النساء

---

(١) يقال رق فـــلان علىَّ الباطل ترقية ، إذا تقول مالم يكن وزاد فيه . وفى الأصل : « رقا » ، صواب كتابته من ط

(٢) عضهه عضها : قال فيه مالم يكن .

(٣) ط : « استأذن »

(٤) فى الأصل : فيدخل إليها فيتحدث عنها » ، وصوابه فى ط .

(٥) فى الأصل : « رقا » . وانظر ما سبق .

(٦) العقيق : واد عليه أموال أهل المدينة فيه عيون ونخل .

والنَّظرُ إليهنَّ حرامًا وعارًا لم يفعلْه ولم يأذن فيه المنذر بن الزُّبير ، ولم يُشِرْ به عبد الله بن الزُّبير .

وهذا الحديث وما قبله يُبطلان ماروت الحشوية من أنَّ النظَر الأوَّلَ حرام والثانيَ حرام ؛ لأنَّه لا تكون محادثة إلَّا ومعها ما لا يحصى عددُه من النَّظرِ . إلَّا أن يكون عنَى بالنظرةِ المحرَّمَةِ النَّظَرَ إلى الشعَر والمجاسِد[1] ، وما تخفيه الجلابيبُ مما يحلُّ للزَّوج والوليِّ ويحرُم على غيرهما .

ودعا مصعبُ بن الزُّبير الشَّعبيَّ ، وهو فى قُبَّةٍ له مجلَّلةٍ بوشى ، معه فيها امرأتُه[2] ، فقال : يا شعبيُّ ، مَن معى فى هذه القبّة ؟ فقال : لا أعلم أصلح الله الأمير ! فرفع السِّجفَ ، فإذا هو بعائشة ابنة طلحة .

والشعبيُّ فقيه أهلِ العراق وعالمُهم ، ولم يكن يستحلُّ أن ينظر إن كان النَّظرُ حرامًا .

ورأى معاوية كاتبًا له يكلِّم جاريةً لامرأته فاختةَ بنتِ قَرَظة[3] ، فى بعض طُرق داره ، ثم خطب ذلك الكاتبُ تلك الجارية فزوَّجها منه ، فدخل معاوية إلى فاختة وهى متحشِّدة[4] فى تعبئة عِطر لعُرس جاريتها ، فقال : هوِّنى عليك يا ابنةَ قَرَظة ، فإنى أحسب الابتناء قد كان منذُ حين ! ١٨١ و

---

(١) المجاسد : جمع مجسد كمنبر ومصحف ، وهو القميص الذى يلى الجسد . وفى الأصل وط : « والنظر إلى الشعر والمجاسد » .

(٢) ط : « معه امرأته فيها » .

(٣) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل . جمهرة أنساب العرب ١١٦ .

(٤) التحشد : التجمع .

ومعاوية أحد الأئمة ، فلما لم يقع عنده ما رأى من الكلام موقعَ يقينٍ ، وإنّما حلَّ محلَّ ظنٍّ وحِسبان[1] ، لم يقضِ به ولم يوجبْه ، ولو أوجبَه لحَدَّ عليه .

وكان معاوية يؤتى بالجارية فيجرِّدها من ثيابها بحضرة جلسائه ، ويضَع القضيبَ على رَكَبها ، ثم يقول : إنَّه لمتاعٌ لو وجَدَ متاعًا ! ثم يقول لصعصعة ابن صُوحان : خذْها لبعض ولدك ، فإنّها لا تحلُّ ليزيد بعد أن فعلتُ بها ما فعلتُ .

ولم يكن يُعدَم مِن الخليفة ومَن بمنزلته فى القُدرة والتأنِّى[2] أن تقف على رأسه جارية تذبُّ عنه وتروِّحه ، وتعاطيه أخرى فى مجلسٍ عامٍّ بحضرة الرجال .

فمن ذلك حديث الوصيفة التى اطَّلعت فى كتاب عبد الملك بن مَرْوانَ إلى الحجّاج وكان يُسِرُّه[3] ، فلما فشا ما فيه رجَع على الحجّاج باللَّوم وتمثَّل :

ألم ترَ أنَّ وشاة الرجا ل لا يتركون أديمًا صحيحا[4]

فلا تُفشِ سرَّك إلّا إليك فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

ثم نظر فوجد الجارية كانت تقرأ فنمَّت عليه .

ومن ذلك حديثُه حين نَعَس فقال للفرزدق وجرير والأخطل : مَن

(١) الحسبان ، بالكسر : الظن . وبضم الحاء بمعنى الحساب والعد .

(٢) ط : « التأنى » . والكلمة مهملة فى الأصل . والتأنى : من قولهم تأنى له الشىء ، أى تهيأ ، كما يقال تأتى لفلان أمره .

(٣) من الإسرار والإخفاء . وفى الأصل : « يستره » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) انظر حواشى الحيوان ٥ : ١٨١ . وقد سبق فى كتاب كتمان السر .

وصَفَ نُعاسًا بشعرٍ وبمَثَلٍ يُصيب فيه[1] ويُحسن التمثيلَ ، فهذه الوصيفةُ له .

فقال الفرزدق :

رماه الكرى فى الرأس حتّى كأنّه
أميمُ جَلاميدٍ تَركنَ به وَقْرا[2]

فقال : شدختَنى ويلكَ يافرزدق ! فقال جرير :

رماهُ الكرى فى الرأس حتّى كأنّه
يَرَى فى سواد الليل قُنبرةً سَقْرا[3]

فقال : ويلك تركتَنى مجنونًا ! ثم قال : ياأخطلُ فقل . قال :

رماه الكرى فى الرأس حتّى كأنّه
نديمٌ تَرَوَّى بين نَدمانه خَمرا[4]

قال : أحسنتَ ، خُذْ إليك الجارية .

١٨١ ظ

ثم لم يزل الملوك والأشراف إماءٌ يختلفن فى الحوائج ، ويدخلن فى الدواوين ، ونساءٌ يَجلِسْنَ للناس ، مثل خالصة جارية الخيزُران ، وعُتْبة جارية ريطة[5] ابنة أبى العباس ، وسُكَّر وتُركيَّة جاريتى أمِّ جعفر ، ودُقاق جارية العبّاسة[6] ، وظَلُوم وقُسطنطينَة جاريتى أم حبيب ، وامرأة

---

(١) ط : « وتمثل نصيبا فيه » وما هنا صوابه .

(٢) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه .

(٣) فى الأصل وط : « فسله » وأثبت ما فى العقد ٥ : ٣٧٤ . والسقر : لغة الصقر . وفى ط : « سفرا » ، وفى العقد : « صفرا » ، أى صفراء .

(٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يقال للواحد وللجمع .

(٥) فى الأصل : « رابطة » ، صوابه فى ط وجمهرة أنساب العرب ٢٢ ، ٣٥ .

(٦) العباسة بنت المهدى . وفى الأصل « العباسية » ، صوابه فى ط .

هارون بن جعبويه[١] ، وحَمْدونة أَمَةُ نصر بن السِّنديِّ بن شاهَك[٢] . ثمّ كنّ يبرزْن للناس أحسنَ ما كنّ وأشبَهَ ما يتزيَّنَّ به ، فما أنكر ذلك منكرٌ ولا عابَه عائب .

ولقد نظر المأمونُ إلى سُكَّرَ فقال : أحُرَّةٌ أنت أم مملوكة ؟ قالت : لا أدرى ، إذا غضِبَتْ علىَّ أمُّ جعفر قالت : أنت مملوكة ، وإذا رضِيَتْ قالت : أنتِ حُرَّة . قال : فاكتبى إليهـا السَّاعةَ فاسأليها عن ذلك . فكتبَتْ كتاباً وَصلَتْه بجناح طائرٍ من الهُدَّى[٣] كان مَعها ، أرسلته تعلم أمَّ جعفرٍ ذلك ، فعلمت أمُّ جعفرٍ ما أراد فكتبتْ إليها : « أنتِ حُرَّة » . فتزوّجها على عشرة آلاف درهم ، ثم خلا بها من ساعتها فواقَعَها وخلَّى سبيلَها ، وأمر بدفْع المال إليها .

والدَّليل على أنَّ النَّظرَ إلى النساء كلِّهنَّ ليس بحرام ، أنَّ المرأة المعنَّسة[٤] تبرزُ للرِّجال فلا تحتشم من ذلك . فلو كان حرامًا وهى شابَّةٌ لم يحلَّ إذا عُنِّستْ ، ولكنَّه أمرٌ أفرَط فيه المتعدُّونَ حَدَّ الغَيرة إلى سُوء الخُلق وضِيق العَطَن[٥] ، فصار عندهم كالحقّ الواجب .

---

(١) ط : « معبوبة » .

(٢) انظر البيان ٣ : ٣٦٧ .

(٣) الهدى : جمع هاد ، وهو الحمام المدرب الذى يسمى حمام الزاجل . انظر حواشى الحيوان ٢ : ٧٩ والحيوان ٣ : ٢١٣ ، ٢١٧ . وفى ط : « الهوى » تحريف .

(٤) المعنسة بفتح النون المشددة على الأصح ، ويقال بكسرها أيضا ، وهى التى بقيت زمانا بعد أن تدرك لا تتزوج .

(٥) فى الأصل وط : « وضيق الفطنة » ، والتصحيح لناشر ط .

وكذلك كانوا لا يرون بأساً أن تنتقل المرأة إلى عدّة أزواج لا ينقلها عن ذلك إلاّ الموت ما دام الرجال يريدونها . وهم اليومَ يكرهون هذا ويستسمجونه فى بعض ، ويعافون المرأة الحرّةَ إذا كانت قد نكحت زوجاً واحداً ، ويُلزمون مَن خَطَبَها العـارَ ويُلحقون به اللّومَ ، ويعيِّرونها بذلك ، ويتحظَّون الأَمَة[1] وقد تداولها من لا يُحصَى عدده من الموالى . فمَنْ حَسَّن هذا فى الإماء وقبّحه فى الحرائر ! ولمَ [لَمْ[2]] يَغاروا فى الإماء وهنَّ أمّهاتُ الأولاد وحظايا الملوك ، وغارُوا على الحرائر . ألا ترى أنَّ الغَيرةَ إذا جاوزَتْ ما حرّم اللهُ فهى باطلٌ ، وأنّها بالنّساء لضعفهنَّ أولَع ، حتى يَغَرْنَ على الظّنّ والحُلْم فى النّوم . وتغار المرأة على أبيها ، وتعادِى امرأتَه وسُرِّيّتَه .

١٨٢ و

ولم تزل القيان عند الملوك من العرب والعجم على وجه الدّهر . وكانت فارس تعُدُّ الغناء أدباً والرُّومُ فلسفةً .

وكانت فى الجاهليّة الجرادتان لعبد الله بن جُدعان[3] .

---

(١) هذا الفعل لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وهو من الحظوة بمعنى قرب المكانة . وقالوا : امرأة حظية : مفضلة على غيرها فى المحبة .

(٢) التكملة من ط .

(٣) فى العقــد ٦ : ٢٨ أنهما كانتا قينتين لعاد . وفى جنى الجنتين ٣٣ أن الجرادتين قينتا معاوية بن بكر أحد العماليق . وكذا فى أمثال الميدانى (ألحن من جرادتين) . وفى اللسان والقاموس (جرد) أنهما مغنيتان للنعمان . لكن ما فى الأغانى ٨ : ٢ — ٣ مطابق لما ذكر الجاحظ هنا فى قصة طويلة . وفيهما يقول أمية بن أبى الصلت حين أحداهما إليه عبد الله بن جدعان :

عطاؤك زين لامرىءٍ إن حبوته ... ببذل وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرىءٍ بذل وجهه ... إليك كما بعض السؤال يشين

وكان لعبد الله بن جعفر الطّيار[١] جوارٍ يتغنَّين ، وغلامٌ يقال له « بديع » يتغنّى ، فعابَه بذلك الحكم بن مروان ، فقال : وما علىَّ أن آخُذَ الجيِّدَ من أشعار العرب وأُلقيَه إلى الجوارى فيترنَّمن به ويشذِّرنَه[٢] بحلوقهنَّ ونغمهنَّ !

وسمع يزيد بن معاويةَ الغناء .

واتّخذ يزيد بن عبد الملك حَبَابة وسَلاَّمة[٣] ، وأدخل الرجال عليهنَّ للسَّماع ، فقال الشاعر فى حَبَابة :

إذا ما حَنَّ مِزهرُها إليها ... وحنَّتْ دونه أُذنُ الكرامِ
وأصغَوْا نحوَهُ الآذانَ حتَّى ... كأنَّهمُ وما ناموا نِيامُ[٤]

وقال فى سَلاَّمة :

ألم تَرَها ، واللهُ يكفيك شرَّها ، ... إذا طرَّبتْ فى صوتها كيف تصنعُ
ترُدُّ نظامَ القول حتَّى تردَّه ... إلى صُلصُلٍ من حلقها يترجَّعُ

وكان يسمع فإذا طرِبَ شقَّ بُردَه ثم يقول : أطير ! فتقول حبابة : لا تطير[٥] ؛ فإنَّ بنا إليك حاجة .

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . والطيار لقب لجعفر . وفى الحيوان ٣ : ٢٣٣ : « ونحن نؤمن بأن جعفراً الطيار بن أبى طالب ، له جناحان يطير بهما فى الجنة ، جعلا له عوضا من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين فى يوم مؤتة » . وانظر جمهرة ابن حزم ٦٨ — ٦٩ .

(٢) هو من قولهم : شذر النظم : فصله بالخرز ونحوه . وفى ط : « وينشدنه » .

(٣) حبابة بتخفيف الباء الموحدة ، وسلامة بتشديد اللام كما نص ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٥٠ ومما يؤيد ضبط حبابة بالتخفيف ما ورد فى الأغانى ١٣ : ١٥٤ :

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر ... ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

(٤) فى البيت إقواء ظاهر .

(٥) أى لا تطر . وفى ط : « لا تطر » بالنهى الصريح .

ثم كان الوليد بن يزيد المتقدِّمَ فى اللَّهو والغزل ، والملوك بعد ذلك يسلكون على هذا المنهاج وعلى هذا السبيلِ الأوّل .

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، قبل أن تنالَه الخلافةُ يتغنَّى . فممّا يُعرَف من غنائه :

أَلِمَّا صاحبىَّ نزُرْ سعادا لقُرب مَزارِها ودعَا البِعادا[١]

وله :

عاودَ القلبُ سعادَا فَقَلاَ الطَّرفُ السُّهادا[٢]

ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوًّا نغماً : فما كان منه صدقاً فحسَنٌ ، وما كان منه كذباً فقبيح .

وقد قال النبى عليه السلام : « إنَّ من الشِّعر لحِكمةً » .

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : « الشعر كلامٌ ، فحسَنُه حسنٌ ، وقبيحه قبيح » .

ولا نرى وزن الشعر أزالَ الكلامَ عن جهته ، فقد يوجد ولا يضرُّه ذلك ، ولا يزيل منزلته من الحكمة .

فإذا وَجَب أنّ الكلام غير محرَّم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريماً لعلّة من العلل . وإنّ الترجيع له أيضاً لا يخرج إلى حرام . وإنّ وزنَ الشعر من جنس وزن الغناء ، وكتاب العروض من كتاب الموسيقى ، وهو من

(١) فى الأغانى ٨ : ١٤٥ : « لو شك فراقها وذرا البعادا » .

(٢) فى الأصل و ط : « فعلا » ، وجعلها فنكل « فقلى » ، وما أثبت أقرب تصحيح . يقال قلاه يقلوه وقلاه يقليه : أبغضه .

كتاب حدّ النُّفوس ، تحدُّه الألسنُ بحدٍّ مقْنِع ، وقد يعرف بالهاجس كما يعرف بالإحصاء والوزن . فلا وجهَ لتحريمه ، ولا أصلَ لذلك فى كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيِّه عليه السلام .

فإن كان إنّما يحرِّمه لأنه يُلهى عن ذكر الله فقد نجد كثيراً من الأحاديث والمطاعم والمشارب والنَّظر إلى الجنان والرَّياحين ، واقتناص الصيد ، والتشاغل بالجماع وسائر اللذّات ، تصدُّ وتُلهى عن ذكر الله . ونعلم أنّ قَطعَ الدَّهر بذكر الله لِمَنْ أمكنه أفضل ، إلاّ أنّه إذا أدّى الرجلُ الفرضَ فهذه الأمور كلُّها له مباحة ، وإذا قصَّر عنه لزمه المأثم .

ولو سلم من اللَّهو عن ذكر الله أحدٌ لسَلِمَ الأنبياء عليهم السلام . هذا سليمانُ بن داودَ عليهما السلامُ ، ألهاه عَرضُ الخيل عن الصَّلاة حتّى غابت الشَّمس ، فعرقَبَها وقطعَ رقابها .

وبعد فإنَّ الرقيق تجارةٌ من التجارات تقع عليه المساوماتُ[1] والمشاراة بالثَّمن ، ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يَستشِفّا العِلْق[2] ويتأمّلاه تأمُّلا بيّنًا يجب فيه خيار الرؤية المشترطُ فى جميع البِياعات[3] . وإن كان لا يُعرَف مبلغهُ بكيلٍ ولا وزنٍ ولا عددٍ ولا مساحة ؛ فقد يُعرف بالحُسن والقبح .

---

(١) ط : « المساومة » .

(٢) فى أصل ط : « ينشفا » ، وجعلها فنكل « ينتقيا » . وما أثبت من الأصل واضح صحيح .

(٣) فى الأصل : « المشترطة من جميع البياعات » ، وأثبت ما فى ط . والبياعات ، بكسر الباء : جمع بياعة ، وهى السلعة .

ولا يقف على ذلك أيضاً إلاّ الثاقب فى نظره ، الماهر فى بَصره ، الطَّبُّ بصناعته ؛ فإنّ أمرَ الحسن أدقُّ وأرقُّ من أن يدركَه كلُّ من أبصره .

١٨٣ و

وكذلك الأمور الوهميّة ، لا يُقضَى عليها بشهادة إبصار الأعين ، ولو قُضِيَ عليها بها كان كلُّ مَن رآها يَقضى ، حتّى النَّعَمُ والحَمِيرُ ، يحكم فيها لـكلٍّ بصير العين يكون فيها شاهداً وبَصيراً للقلب ، ومؤدِّياً إلى العقل ، ثم يقع الحـكم من العقل عليها .

وأنا مبِّين لك الُحسن . هو التَّمامُ والاعتدال . ولست أعنى بالتمام تجاوُزَ مقدار الاعتـدال كالزيادة فى طول القامة ، وكدقّة الجسم أو عِظَم الجارحة من الجوارح ، أو سَعَة العين أو الفم ، مما يتجاوز مثلَه من الناس المعتدلين فى الَخلْق ؛ فإنّ هذه الزيادةَ متى كانت فهى نُقصانُ من الحسن ، وإن عُدَّت زيادةً فى الجسم .

والحدودُ حاصرةٌ لأمور العالَم ، ومحيطة بمقاديرها الموقوتة لها[1] ، فـكلُّ شىء خرجَ عن الحدِّ فى خُلُق ، حتى فى الدِّين والحـكمة اللَّذَين هما أفضلُ الأمور ، فهو قبيحٌ مذموم .

وأمّا الاعتدالُ فهو وزن الشىء لا الـكمّيّة[2] ، والـكونُ كونُ الأرض لا استواؤها[3] .

ووزن النفوس فى أشباه أقسامها . فوزن خِلقة الإنسان اعتدالُ محاسنه وألاّ يفوتَ شىء منهـا شيئاً ، كالعين الواسعة لصاحب الأنف الصغير

---

(١) الموقوتة : المقدّرة . وفى الأصل : « الموقوفة » .

(٢) فى الأصل : « لا للـكية » ، صوابه فى ط .

(٣) فى الأصل : « ولـكن كون الأرض لاستوائها » . صوابه فى ط .

الأفطس ، والأنف العظيم لصاحب العين الضَّيِّقة ، والذَّقَن الناقص والرأس الضَّخم والوجه الفَخْم لصاحب البدن المجدَّع النِّضو[١] ، والظَّهرِ الطويل لصاحب الفخذين القصيرتين[٢] ، والظَّهر القصيرِ لصاحب الفخذين الطويلتين ، وكسَعَة الجبين بأكثر من مقدار أسفل الوجه .

ثم هذا أيضاً وزنُ الآنية وأصنافِ الفُرُش والوشْى واللباس ، ووزنُ القَنوات التى تجرى فيها المياه .

وإنّما نعنى بالوزن الاستواء فى الخرط والتركيب .

فلا بدَّ مما[٣] لا يمنع الناظر من النظر إلى الزَّرع والغرس والتفسُّح فى خضرته[٤] والاستنشاق من روائحه . ويسمّى ذلك كلّه له حلاًّ[٥] ما لم يمد له يداً . فإذا مدّ يداً إلى مثقالِ حبّةٍ من خردل بغير حقِّها فعلَ ما لا يحلُّ ، وأكلَ ما يحرُم عليه .

١٨٣ ظ

وكذلك مكالمة القيان ومفاكهتهنَّ ، ومغازلتهنّ ومصالحتهنَّ للسَّلام ، ووضعُ اليد عليهنَّ للتَّقليب والنظر ، حلالٌ ما لم يَشُبْ ذلك ما يَحرُم .

---

(١) المجدع عنى به المنقوص الخلق ، وأصله المجدع من النبات ، وهو ما قطع من أعلاه ونواحيه . والنضو ، بالكسر : المهزول .

(٢) فى الأصل و ط : « القصيرتين » ، و « الطويلتين » فيما سيأتى ، صوابه ما أثبت والفخذ مؤنثة .

(٣) فى الأصل و ط : « فلا بد لما » .

(٤) ط : « والفرش والبنفسج » ، وما هنا صوابه .

(٥) فى الأصل و ط : « حل » ، تحريف .

وقد استثنى الله تباركَ وتعالى اللَّمَمَ فقال : ﴿ الذينَ يجتنبونَ كبائرَ الإثم والفواحشَ إلاَّ اللَّممَ إنّ ربَّك واسعُ المغفرة[١] ﴾ . قال عبد الله بن مسعود ، وسُئل عن تأويل هذه الآية فقال : إذا دنا الرجلُ من المرأة فإنْ تقدَّم ففاحشة ، وإنْ تأخَّرَ فلممٌ . وقال غيره من الصَّحابة : القُبلة واللَّمس . وقال آخرون : الإتيان فيما دون الفرج .

وكذلك قال الأعرابيّ حين سئل عمّا نال مِن عشيقته ، فقال : ما أقربَ ما أحلَّ اللهُ مما حرَّم الله !

فإن قال قائل : فيما روى من الحديث : « فرِّقوا بين أنفاس الرجال والنِّساء » ، وقال : « لا يَخْلُ رجلٌ بامرأة فى بيتٍ وإن قِيلَ حَمْوُها ، ألاَ إنَّ حَمْوَها الموت[٢] » وإنّ فى الجمع بين الرِّجال والقيان ما دعا إلى الفسق والارتباط والعشق ، مع ما ينزل بصاحبه من الغُلمة التى تَضطرُّ إلى الفجور وتَحمِل على الفاحشة ؛ وأنَّ أكثر من يحضُر منازل القيان إنّما يحضُر لذلك لا لسماع ولا ابتياع .

قلنا : إن الأحكام إنّما تقع على ظاهر الأمور ، ولم يكلِّف الله العبادَ الحكمَ على الباطن ، والعملُ على النيَّات ، فيُقضَى للرجل بالإسلام بما يظهر

---

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم . وفى الأصل و ط : « والذين يجتنبون » وسبب هذا التحريف اشتباه بالآية ٣٧ من سورة الشورى .

(٢) الحمو ، بالفتح : لغة فى حم المرأة ، إذ فيه ست لغات ذكرها الأشمونى فى ١ : ٧١ . وانظر صحيح مسلم ١٧١١ . وفى اللسان (حما) : « ألا حَمُوها الموت » بدون « إن » . وهذا على لغة من يعرب الحم بالحروف الثلاثة .

منه ولعلَّ ملحدٍ فيه ، ويُقضَى أنّه لأبيه ولعلّه لم يلدْهُ الأبُ الذى ادَّعى إليه قطّ ، إلاَّ أنّه مولود على فراشه ، مشهورٌ بالانتماء إليه . ولو كُلِّف من يشهد لرجلٍ بواحدٍ من هذين المعنَيين على الحقيقة لم تَقُم عليه شهادَة . ومن يحضر مجالسنا لا يظهر نسباً مما ينسبونه إليه ، ولو أظهرَ ثُمَّ أغضينا له عليه لم يلحقْنا فى ذلك إثم .

والحسب والنَّسب الذى بَلغ به القيانُ الأثمانَ الرغيبة إنما هو الهَوَى[1] . ولو اشترى على مثل شِرَى الرَّقيق لم تجاوز الواحدةُ منهنَّ ثمنَ الرأس الساذَج . فأ كثر مَن بالغَ فى ثمنِ جاريةٍ فبالعشقِ ولعله كان ينوى فى أمرها الرِّيبةَ ، ويجدُ هذا أسهلَ سبيلاً إلى شِفاء غليله[2] ثم تعذَّر ذلك عليه فصار إلى الحلال وإن لم يَنْوِه ويعرفْ فضلَه[3] ، فباع المتاعَ وحَلَّ العُقَد[4] وأثقل ظهره بالعُبِّيَّة[5] حتى ابتاع الجارية . ١٨٤ و

ولا يعمل عملاً ينتج خيراً غير إغرائه[6] بالقيان وقيادته عليهنّ ؛ فإنّه لا ينجم[7] الأمرُ إلاّ وغايته فيهنّ العشق ، فيعوق[8] عن ذلك ضبط الموالى

---

(١) فى الأصل و ط : « لهواء » .

(٢) فى الأصل وط : « إلى إشفاء غليله » .

(٣) فى ط : « وتعرف فضله » ، وما هنا صوابه .

(٤) العقد : جمع عقدة ، وهى الضيعة . واعتقدها : اشتراها .

(٥) العبية بكسر العين وضمها وتشديد كل من الباء المكسورة والياء المفتوحة : الكبر والفخر . وفى ط : « بالعيبة » .

(٦) ط : « إغرابه » .

(٧) ط : « لا يتحمل » .

(٨) فى الأصل : « فيغرق » .

ومراعاة الرقباء وشدَّة الحجاب ، فيُضطر العاشق إلى الشراء ، ويحلّ به الفرَج[1] ، ويكون الشيطان المدحور .

والعِشقُ داء لا يُملَك دفعه ، كما لا يستطاع دفعُ عوارض الأدواء إلاّ بالحمية ، ولا يكاد يُنتَفع بالحمية مع ما تولَّد الأغذية وتزيد فى الطبائع بالازدياد فى الطُّعم .

ولو أمكن أحداً أن يحتميَ من كلّ ضرر ويقفَ عنْ كل غذاء ، للزمَ ذلك المتطبِّبَ فى آفات صحته[2] ، ونَحَل جسمُه وضَوِيَ لحمُه ، حتَّى يؤمر بالتخليط ، ويشار عليه بالعناية فى الطَّيبات . ولو ملك أيضاً صرفَ الأغذية واحترس بالحمية ، لم يملك ضرر تغيرُّ الهواء ولا اختلاف الماء .

وأنا واصفٌ لك حدَّ العشق لتعرف حدَّه :

هو داء يُصيب الرُّوح ويشتمل على الجسم بالمجاورة ، كما ينال الروحَ الضعفُ فى البطش والوهنُ فى المرء ينهكه . وداء العشق وعمومه فى جميع البدن بحسب منزلة القلب من أعضاء الجسم . وصعوبة دوائه تأتى من قبل اختلاف عِلله ، وأنّه يتركب من وجوهٍ شتَّى ، كالحمَّى التى تَعرِض مركَّبَةً[3] من البرد والبلغم . فمن قصدَ لعلاج أحد الخلطين كان ناقصاً من دائه[4] زائداً فى داء الخلط الآخر ، وعلى حسب قوّة أركانه يكون ثبُوتُه وإبطاؤه

(١) ط : « الفرح » .

(٢) فى الأصل : فى أوقات صحته » ، صوابه فى ط .

(٣) فى الأصل : « للركبة » ، وصوابه فى ط .

(٤) فى الأصل و ط : « دوائه » ، صوابه ما أثبت .

فى الانحلال . فالعشق يتركّب من الحبّ والهَوَى ، والمشاكلة والإلف ، وله ابتداء فى المصاعدة ، ووقوف على غاية ، وهبوطٌ فى التوليد إلى غاية الانحلال ووقف الملال .

١٨٤ ظ

والحبّ اسمٌ واقع على المعنى الذى رُسم به ، لا تفسير له غيره[1] ؛ لأنه قد يقال : إن المرء يحبُّ الله ، وإنّ الله جلّ وعزّ يحبّ المؤمن ، وإن الرجل يحبُّ ولده ، والولد يحبّ والدَه ويحبُّ صديقَه وبلدَه وقومه ، ويحبُّ على أى جهة يريد ولا يسمَّى ذلك عشقاً . فيُعلم[2] حينئذ أن اسم الحبّ لا يُكتفى به فى معنى العشق حتّى تُضاف إليه العللُ الأُخر[3] إلاّ أنه ابتداء العشق ، ثم يتبعه حبُّ الهوى[4] فربّما وافق الحقّ والاختيار[5] ، وربّما عَدَل عنهما . وهذه سبيل الهوى فى الأديان والبُلدان وسائر الأمور . ولا يميل صاحبُه عن حجّته واختياره فيما يهوى . ولذلك قيل : « عَين الهوى لا تصدُق » ، وقيل : « حبُّك الشىء يُعمى ويُصمّ[6] » . يتخذون أديانهم أرباباً لاهوائهم . وذلك أنّ العاشق كثيراً ما يعشق غير النّهاية فى الجمال ، ولا الغاية فى الكمال ، ولا الموصوف بالبراعة والرشاقة ، ثم إن سئل عن حجّته فى ذلك لم تقم له حجّة .

---

(١) ط : « لا يعتبر له غير » .
(٢) ط : « فتعلم » .
(٣) ط : « الأخرى » .
(٤) ط : « ثم يتبعه الهوى » .
(٥) ط : « والاختبار » .
(٦) أمثال الميدانى ١ : ١٧٩ وانظر الحيوان ٤ : ٣٨٦ .

ثم قد يجتمع الحبُّ والهوى ولا يسمَّيان عشقاً ، فيكون ذلك في الولد والصديق والبلد ، والصِّنف من اللِّباس والفُرش والدوابّ . فلم نر أحداً منهم يسقم بدنه ولا تتلف روحُه من حبّ بلده ولا ولده ، وإن كان قد يصيبه عند الفراق لوعةٌ واحتراق .

وقد رأينا وبلغَنا عن كثير ممن قد تَلِفَ وطال جُهده وضَناه بداء العشق .

فعلم أنّه إذا أضيف إلى الحبّ والهوى المشاكلةُ[1] ، أعنى مشاكلةَ الطبيعة ، أى[2] حبّ الرجالِ النساءَ وحبَّ النساء الرجالَ ، المركَّبَ في جميع الفحول والإناث من الحيوان ، صار ذلك عشقاً صحيحاً . وإن كان ذلك عشقاً[3] من ذكر لذكرٍ فليس إلا مشتقًّا من هذه الشهوة ، وإلاّ لم يسمَّ عشقاً إذا فارقَت الشهوةُ .

ثم لم نره ليكونَ مستحكماً عند أوّل لُقياه حتّى يَعقِد ذلك الإلفُ ، وتغرِسَه المواظبةُ في القلب ، فينبت كما تنبت الحَبّة في الأرض حتّى تستحكم وتشتد وتثمر ، وربّما صار لها كالجذع السَّحوق والعمودِ الصُّلب الشديد . ١٨٥ و وربما انعقف فصار فيه[4] بَوار الأصل . فإذا اشتمل على هذه العلل صار عشقاً تاماً .

---

(١) في الأصل : « والمشاكلة » والوجه حذف الواو كما في ط .

(٢) في الأصل : « أن » ، صوابه في ط .

(٣) في الأصل : « وإن ذلك كان عشق » .

(٤) في الأصل : « فيها » ، صوابه من ط .

ثم صارت قلّة العِيان تزيد فيه وتُوقِد نارَه ، والانقطاعُ يسعِّره حتى يُذهَل العقلُ ويُنهَك البدن ، ويشتغل القلبُ عن كلٍّ نافعة ، ويكون خيال المعشوق نُصبَ عين العاشق والغالبَ على فكرته ، والخاطرَ فى كلِّ حالة على قلبه .

وإذا طال العهدُ واستمرَّت الأيام نقص[1] على الفرقة ، واضمحلَّ على المطاولة ، وإن كانت كلومُه وندوُبه لا تكاد تعفو آثارُها ولا تدرس رسومُها .

فكذلك الظَّفَر بالمعشوق يُسرِع فى حَلِّ عِشقه . والعلّة فى ذلك أنّ بعض الناس أسرعُ إلى العشق من بعض ؛ لاختلاف طبائع القلوب فى الرِّقَّة والقسوة ، وسرعة الإلف وإبطائه ، وقلّة الشَّهوة وضعفها .

وقلَّ ما يظهر[2] المعشوق عِشقاً[3] إلاَّ عداه بدائه ، ونكت فى صدره وشَغف فُؤادَه . وذلك من المشاكلة ، وإجابة بعض الطبائع بعضاً ، وتَوَقانِ بعض الأنفس إلى بعض ، وتقارُب الأرواح . كالنائم يرى آخَر ينام ولا نومَ به فينعَس ، وكالمتثائب يراه من لا تثاؤب به فيفعل مثلَ فعله ، قسراً من الطبيعة .

وقلَّ ما يكون عشقٌ[4] بين اثنين يتساويان فيه إلّا عن مناسبةٍ بينهما

---

(١) فى الأصل : « تنقص » ، صوابه فى ط . وتنقص لم ترد إلا متعدية .

(٢) فى الأصل : « بأقل مما يظهر » . وفى ط : «فما يظهر» بإسقاط « بأقل » ، وأرى الصواب فيما أثبت . وانظر ما سيأتى فى الفقرة التالية .

(٣) ط : « عشقه » .

(٤) فى الأصل : « عشقا » ، صوابه ط .

فى الشَّبَه فى الخَلْق والخُلُق وفى الظَّرف[١]، أو فى الهوى أو الطِّباع . ولذلك ما نرى الحسن يعشق القبيح ، والقبيح يحبُّ الحسن ويختار المختار الأقبح على الأحسن ، وليس يرى الاختيار فى غير ذلك فيتوهّم الغلط عليه ، لكنّه لتعارف الأرواح وازدواج القلوب .

ومن الآفة عشق القِيان على كثرة فضائلهن ، وسكون النفوس إليهنّ ، وأنّهنّ[٢] يجمعن للإنسان من اللذّات ما لا يجتمع فى شىء على وجه الأرض . ١٨٥ ظ

واللذّاتُ كلُّها إنّما تكون بالحواسّ ، والمأكول والمشروب حظٌّ لحاسّة الذّوق[٣] لا يشركها فيه غيرها . فلو[٤] أكلَ الإنسانُ المسكَ الذى هو حظُّ الأنف وجدَه بشِعًا واستقذَره ، إذْ كان دمًا جامداً . ولو تنسَّمَ أرواحَ الأطعمة الطيِّبة[٥] كالفواكه وما أشبهها عند انقطاع الشهوة ، أو ألحّ بالنَّظر إلى شىء من ذلك ، عاد ضرراً . ولو أدنى من سمعه كل طيِّب وطِيب لم يجد له لذّة .

فإذا جاء باب القيان اشترك فيه ثلاثة[٦] من الحواسّ ، وصارُ القلب لها رابعًا . فللعين النَّظر إلى القينة الحسناء والمشتّهية[٧] إذْ كان الحذق والجمال

---

(١) فى الأصل : « والخلق فى الظرف » . وإثبات الواو من ط .

(٢) ط : « ولأنهن » .

(٣) ط : « حظ حاسة الذوق » .

(٤) فى الأصل : « لو » ، وأثبت ما فى ط .

(٥) فى الأصل وط : « غير الطيبة » .

(٦) ط : « ثلاث » . وكلاهما جائز .

(٧) فى الأصل : « المشتهة » ، صوابه فى ط .

لا يكادان يجتمعان لمستمتع ومرتع ، وللسّمع منها حظّ الذى لا مؤونة عليه ، ولا تطرب آلته[1] إلا إليه .

وللّمس فيها الشّهوة والحنينُ إلى الباه . والحواسُّ كلُّها رُوّاد للقلب ، وشهودٌ عنده .

وإذا رفعت القينة عقيرةَ حلقها تغنّى حدّق إليها الطَّرْفُ ، وأصغى نحوها السّمع ، وألقى القلب[2] إليها الملك ، فاستبقَ السّمعُ والبصرُ أيُّهما يؤدّى إلى القلب ما أفاد منها قَبل صاحبه ، فيتوافيان عند حبّة القلب فيُفرغان ما وَعَياه ، فيتولّد منه مع السّرور حاسّة اللمس ، فيجتمع له فى وقتٍ واحد ثلاث لذات لا تجتمع له فى شىء قطّ ، ولم تؤدِّ إليه الحواسُّ مثلَها . فيكون فى مجالسته للقَينة أعظمُ الفتنة ؛ لأنه روى فى الأثر : « إياكم والنّظرة فإنّها تَزْرَع فى القلب الشّهوة » . وكفى بها لصاحبها فتنةً ، فكيف بالنّظر والشهوة إذا صاحبَهما السّماع ، وتكانفتهما المغازَلة .

إنّ القينةَ لا تكاد تُخالِص فى عشقها ، ولا تُناصِح فى ودّها ؛ لأنّها مكتسِبة ومجبولةٌ على نَصب الحِبالة والشَّرَك للمتربّطين ، ليقتحموا فى أُنشوطتها ، فإذا شاهدها المشاهدُ رامته باللّحظ ، وداعبته بالتبسّم ، وغازلته فى أشعار الغناء ، ولهجت باقتراحاته ، ونشِطت للشُّرب عند شربه ، وأظهرت الشّوق إلى طول مكثه ، والصَّبابةَ لسرعة عودته ، والحُزنَ لفراقه . فإذا أحسَّت بأنَّ سحرها ١٨٦ و

(١) فى الأصل : « ولا تطرب اله » بهذا الإهمال ، وأثبت ما فى ط .

(٢) ط : « والقلب القلب » ، وما هنا صوابه .

قد نفذ فيه[١] ، وأنّه قد تعقّل فى الشَّرَك ، تزيّدت فيما كانت قد شرعَتْ فيه ، وأوهمته أنّ الذى بها أكثر مما به منها ، ثم كاتبته تشكو إليه هواه[٢] ، وتُقسم له أنّها مَدَّت الدواةَ بدَمْعَتِها ، وبلّت السِّحاءة بريقِها[٣] ، وأنه شَجَنُها وشَجْوها فى فكرتها وضميرها ، فى ليلها ونهارها ، وأنّها لا تريد سواه ، ولا تؤثر أحداً على هواه ، ولا تنوى انحرافاً عنه ، ولا تريده لماله بَل لنفسه ؛ ثم جعلَتِ الكتاب فى سُدْسِ طُومار ، وختَمَتْه بزعفران ، وشدّته بقطعة زِير[٤] ، وأظهرت سَتْرَه عن مواليها[٥] ، ليكون المغرور أوثق بها . وألحّتْ فى اقتضاء جوابه ، فإن أجيبت عنه ادّعت أنها قد صيّرت الجوابَ سَلوتَها ، وأقامت الكتاب مقام رؤيته ، وأنشدت :

وصحيفةٍ تحكى الضَّمِيـ ... رَ مليحةٍ نغماتُها
جاءت وقد قَرِح الفؤا ... دُ لطول ما استبْطأتُها[٦]
فضحكت حين رأيتُها ... وبكيت حينَ قرَأتُها
عَينى رأت ما أنكرتْ ... فتبادرت عَبَرَاتُها
أظَلومُ ، نفسِى فى يديْـ ... ـكِ : حياتُها ووفاتُها

---

(١) ط : « قد تقلب فيه » .

(٢) ط : « هواها » وكلاهما متجه . وانظر ما سيأتى من قوله : «على هواه» .

(٣) السحاءة ، بالكسر : ما يشد به الكتاب من قشرة قرطاسه .

(٤) الزير : وتر من أوتار العود .

(٥) ط : « دسره عند مواليها » .

(٦) يقال قرح قلبه من الحزن ، كأنه جرح . وفى ط : «فرح» ، وكلاهما متجه .

ثم تغنَّتْ حينئذ :

بات كتاب الحبيب نَدمانى　محـدِّثى تارةً وريحانى[1]

أضحكنى فى الـكتاب أوّله　ثم تمـــادَى به فأبكانى

ثم تجنّتْ عليه الذُّنوبَ ، وتغايرتْ على أهله ، وحَمَتْـه النظرَ إلى صَواحباتِها ، وسَقَتْه أنصافَ أقداحها ، وجَمَّشته بعَضوض تفاحها[2] ، وتحيَّةٍ من ريحانها ، وزوّدته عند انصرافه خُصْلةً من شعرها ، وقِطعةً من مِرطها ، وشَظِيَّةً من مِضرابها[3] ، وأهدت إليه فى النَّيروز[4] تِـكَّةً وسُـكَّرًا ، وفى المِهرجانِ خاتمًا وتُفّاحة ، ونقشت على خاتَمها اسمَه ، وأبدت عند العثرة اسمَه[5] ، وغنَّته إذا رأته :

١٨٦ ظ

نظرُ المحبِّ إلى الحبيب نعيمُ　وصـدودُه خطرٌ عليكَ عظيمُ

---

(١) الندمان ، بالفتح : النديم . ط : « إن كتاب » .

(٢) الجمش والتجميش : المغازلة . والعضوض : ما يعض عليه فيؤكل ، كما فى القاموس .

(٣) المضراب : ما يضرب به العود .

(٤) انظر لما كتبت فى تحقيق النيروز والمهرجان نوادر المخطوطات ٢ : ٤ — ١٤ .

(٥) من مذاهب العرب أن الرجل منهم كان إذا خدرت رجله ذكر من يحب أو دعاه فيذهب خدرها . قال جميل :

وأنت لعينى قرة حين تلتقى　وذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى

وقال الموصلى :

والله ما خدرت رجلى وما عثرت　إلا ذكرتك حتى يذهب الخدَر

انظر بلوغ الأرب ٢ : ٣٢٠ — ٣٢١ .

ثم أخبرته أنها لا تنام شوقاً إليه ، ولا تتهنَّأ بالطعام وجداً به ، ولا تملُّ — إذا غاب — الدُّموعَ فيه ، ولا ذكرته إلا تنغَّصت ، ولا هتفتْ باسمه إلَّا ارتاعت ، وأنَّها قد جَمعتْ قنِّينةً من دُموعها من البكاء عليه ، وتنشد عند موافاة اسمه بيتَ المجنون :

وأهوى من الأسماء ما وافق اسمَها وَأَشبَهَه ، أو كانَ منه مُدانيا[1]

وعند الدُّعاء به قوله :

ودايع دعا إذ نحن بالخيف من مِنًى
فهيَّج أحزانَ الفؤادِ وما يدرى[2]
دعا باسم ليلَى غيرَها فكأنما
أطارَ بليلَى طائراً كان فى صدرى

وربَّما قادها التمويه إلى التصحيح ، وربَّما شاركت صاحبَها فى البلوى حتَّى تأتى إلى بيته فتمكِّنه من القبلة فما فوقها ، وتُفرشه نفسَها إن استحلَّ ذلك منها ، وربَّما جحدت الصناعة لترحض عليه[3] ، وأظهرت العلَّة والتاثت على الموالى ، واستباعت من السادة ، وادَّعت الحريَّة احتيالاً لأن يملكها ، وإشفاقاً أن يجتاحه كثرةُ ثمنها ، ولا سيَّما إذا صادفته حلوَ الشمائل ، رشيق الإشارة ، عذبَ اللَّفظ ، دقيق الفهم ، لطيفَ الحسّ ، خفيفَ الرُّوح . فإن كان يقول الشعر ويتمثَّل به أو يترنَّم كان أحظى له عندها .

(١) فى الأغانى ٢ : ٦ : « أحب من الأسماء » .
(٢) فى الأغانى ١ : ١٦٧ : « فهيج أطراب » .
(٣) كذا . وفى ط : « لترخص عليه » .

وأكثر أمرها قلّة المناصحة ، واستعمال الغَدر والحيلة فى استنطاف ما يحويه المربوط والانتقال عنه . وربّما اجتمع عندها من مربوطيها ثلاثة أو أربعة على أنَّهم يتحامَون من الاجتماع ، ويتغايَرُون عند الالتقاء ، فتبكى لواحدٍ بعين ، وتضحك للآخر بالأخرى ، وتغمز هذا بذاك ، وتعطى واحداً سرَّها والآخر علانِيَتها ، وتُوهمه أنَّها له دونَ الآخر ، وأنَّ الذى تُظهر خلافُ ضميرها . وتكتب إليهم عند الانصراف كتبًا على نسخة واحدة ، تذكر لكلِّ واحدٍ منهم تبرُّمَها بالباقين وحرصَها على الخلوة به دونهم .

١٨٧ و

فلو لم يكن لإبليس شَرَكٌ يقتل به ، ولا عَلَمٌ يدعو إليه ، ولا فتنةٌ يستهوى بها إلّا القيانُ ، لكفاه .

وليس هذا بذمٍّ لهنّ ، ولكنَّه من فرط المدح . وقد[1] جاء فى الأثر : « خير نسائكم السَّواحر الخلَّابات » .

وليس يُحسن هاروتُ وماروت ، وعصا موسى ، وسَحَرة فرعون ، إلّا دونَ ما يُحسِنه القيان .

ثم إذا منعهنَّ الزِّنى غَلبه عليهنَّ مخارجُ بيوت الكشاخنة ترميهنَّ فى حُجور الزُّناة[2] . ثم هنَّ أمّهاتُ أولادِ من قد بلغ بالحبِّ لهنَّ أنْ غفروا[3]

---

(١) فى الأصل و ط : « وإن » ، والتصحيح لفنكل .

(٢) فى الأصل : « ثم هذا منعهن الزنى أغلبه عليهن ومخارج بيوت الكشاخنة تربيتهن فى حجور الزناة » ، صوابه فى ط . والكشاخنة : جمع كشخان ، والكشخان : الديوث ، وهو القواد على أهله .

(٣) فى الأصل : « أمهات أولادهن » وفيها أيضاً زيادة « على » قبل « أن غفروا » ، وأثبت ما فى ط . وإفراد الضمير العائد على « من » ثم جمعه بعد ذلك مألوف فى كلام العرب، ومنه قراءة : « لمن أراد أن يتموا الرضاعة » .

لهنّ كلّ ذنب ، وأغضَوْا منهنّ على كلّ عيب .

وإذا كنّ في منزل رجلٍ من السُّوقة عَذَرتَهنّ[1] ، وإذا انتقلن إلى منازل الملوك زال العُذْر . والسببُ فيه واحد ، والعِلّة سواء .

وكيف تَسلَم القَينةُ من الفِتنة أو يمكنها أن تكون عفيفةً ، وإنّما تُكتسب الأهواء ، وتُتعلَّم الألسنُ والأخلاقُ بالمنشأ ، وهى تنشأ من لَدُن مولدِها إلى أوانِ وفاتها بما يصدُّ عن ذكر الله من لهو الحديث ، وصنوف اللعب والأخانيث ، وبين الخُلَعاء والمُجّان ، ومن لا يُسمع منه كلمةُ جِدٍّ ولا يُرجَع منه إلى ثقةٍ ولا دين ولا صيانة مروّة .

وتروِى الحاذقةُ منهن أربعةَ آلافِ صوتٍ فصاعداً ، يكون الصَّوتُ فيما بين البيتين[2] إلى أربعة أبيات ، عددُ ما يدخل فى ذلك من الشِّعر إذا ضُرِب بعضه ببعض عشرةُ آلاف بيتٍ ، ليس فيها ذِكرُ الله إلّا عن غفلة ولا ترهيب [مِنْ] عقاب ، ولا ترغيبٌ فى ثواب ؛ وإنما بُنيتْ كلُّها على ذكر الزِّنى والقيادة ، والعِشْق والصَّبوة ، والشَّوق والغُلْمة .

١٨٧ ظ

ثم لا تنفكُّ من الدراسة لصناعتها منكبَّةً عليها[3] ، تأخذ من المُطارِحين الذين طَرْحُهم كلُّه تجميشٌ وإنشادُهم مراودة[4] . وهى مضطرّةٌ إلى ذلك فى صناعتها ؛ لأنّها إن جَفَتْها تفلّتت ، وإنْ أهملتْها نقَصَتْ ، وإن لم تَستَفِد

---

(١) فى الأصل : «عيرهن» ، صوابه فى ط .

(٢) كلمة « بين » ساقطة من الأصل ثابتة فى ط .

(٣) فى الأصل : « ومنكبة عليها » ، والوجه إسقاط الواو كما فى ط .

(٤) التجميش : المغازلة . وفى الأصل : « وأشدهم مرواده » ، صوابه من ط .

منها وقفتْ . وكلٌّ واقف فإلى نقصانٍ أقرب . وإنّما فَرق بين أصحاب الصناعات وبين من لا يُحسنُها التزيُّدُ فيها ، والمواظبةُ عليها . فهى لو أرادت الهُدى لم تعرفْه ، ولو بَغت العفلة لم تقدر عليها ، وإنْ ثبَّتَت حُجّة أبى الهُذَيل[1] فيما يجب على المتفكِّر زالت عنها خاصّته ؛ لأنّ فكرها وقلبها ولسانها وبدنها ، مشاغيلُ بما هى فيه ، وعلى حسب ما اجتمع عليها من ذلك فى نفسها لمن يلى مجالستها عليه وعليها .

ومن فضائل الرجل منّا أنّ الناس يقصدونه فى رَحلِهِ بالرّغبة كما يُقصَد بها للخلفاء والعظماء ، فيزُار ولا يُكلَّف الزيارة ، ويُوصَل ولا يُحمَل على الصِّلة ، ويُهدَى له ولا تُقتَضى منه الهديّة ، وتبيت العيون ساهرةً والعيون ساجمة ، والقلوب واجفة ، والأكباد متصدِّعة ، والأمانى واقفة ، على ما يحويه مِلكه وتضمُّه يده ، ممـا ليس فى جميع ما يباع ويُشتَرى[2] ، ويستفاد ويُقتَنى ، بعد العُقَد النَّفيسة . فمن يبلغُ شيئاً من الثمن ما بلغت حبشيّةُ جاريةُ عَوْن ، مائةَ ألفِ دينار وعشرون[3] ألفَ دينار .

ويرسلون إلى بيت مالكها بصنوف الهدايا من الأطعمة والأشربة ، فإذا جاءوا حَصَلوا على النظر وانصرفوا بالحسرة ، ويجتنى مَولاها ثمرةَ ما غَرسوا ، ويتملَّى به دونهم ، ويُكفَى مَؤونةَ جواريه .

---

(١) أبو الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف المعتزلى . انظر الفرق بين الفرق ١٠٢ والملل ١ : ٦٢ والمواقف ٦٢١ ومفاتيح العلوم ١٨ .

(٢) فى الأصل : « ولا يشترى » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ط : « وعشرين » .

١٨٨ و فالذى يقاسيه الناسُ من عَيلة العِيال ، ويفكِّرون فيه من كثرة عددهم وعظيم مؤونتهم ، وصعوبة خدمتهم ، [هو][١] عنه بمعزلٍ : لا يهتمُّ بغَلاء الدقيق ، ولا عَوَز السَّويق ، ولا عِزَّة الزيت ، ولا فَساد النبيذ ؛ قد كُفِيَ حَسرَتَه إذا نَزَر ، والمصيبةَ فيه إذا حَمَض ، والفجيعةَ به إذا انكسر .

ثم يَستقرض إذا أعسَرَ ولا يُرَدُّ ، ويَسأل الحوائجَ فلا يُمنَع ، ويُلقَى أبدًا بالإعظام ، ويكَنَّى إذا نودىَ ، ويُفدَّى إذا دُعى ، ويُحيَّا بطرائف الأخبار[٢] ، ويُطْلع على مكنون الأسرار ، ويتغاير الرُّبطاء عليه ، ويتبادرون فى برِّه ، ويتشاحُّون فى ودّه ، ويتفاخرون بإيثاره .

ولا نعلم هذه الصِّفة إلّا للخلفاء : يُعطَون فوق ما يأخذون ، وتحصَّل بهم الرغائب ، ويُدرَك منهم الغنى .

والقيِّن يأخذ الجوهر ويُعطى العَرَض ، ويفوز بالعين ويعطى الأثَر ، ويَبيع الرِّيح الهابَّةَ بالذَّهب الجامد ، وفِلَذ اللُّجين والعسجد . وبين المرابطين وبين ما يريدون منه خَرطُ القَتاد ؛ لأنَّ صاحب القيان لو لم يترك إعطاء المربوط سُؤْلَه عِفَّةً ونَزاهة ، لَترَكه حذقًا واختيارًا ، وشُحًّا على صناعته ، ودفعًا عن حريم ضيعته ؛ لأن العاشق متى ظفر بالمعشوق مرَّةً واحدة نقص تسعةُ أعشار

---

(١) ليست فى الأصل ، وزادها فنكل .

(٢) ط : « بطريف الأخبار » .

عشقه ، ونقص من برّه ورفده بقدر ما نقص من عشقه . فما الذى يحمل المقيِّنَ على أنْ يهتِك جاريتَه ، ويكسِرَ وجهه ويصرف الرَّغبة عنه .

ولولا أنّه مثَلٌ فى هذه الصناعة الكريمة الشريفة لِمَ يُسْقِطُ الغَيرةَ عن جواريه ويعنى بأخبار الرُّقباء[1] ، ويأخذ أجرة المَبيت ويتنادم قبل العِشاء ، ويُعرِض عن الغَمْزة ، ويَغفِر القبلة ، ويتغافل عن الإشارة ، ويتعامى عن المكاتَبة ، ويتناسى الجارية يومَ الزِّيارة ، ولا يُعاتبها على المبيت ، ولا يفضُّ ختام سِرّها ، ولا يسألها عن خَبَرها فى ليلها ، ولا يَعْبأ بأن تُقفَل الأبوابُ ، ويُشَدَّدَ الحِجاب ، ويُعِدّ لكلّ مربوطٍ عُدَّةً[2] على حِدَة ، ويَعرِف ما يَصلح لكلٍّ واحدٍ منهم[3] ، كما يميِّز التاجرُ أصنافَ تجارته فيسعِّرها على مقاديرها . ١٨٨ ظ

ويعرف صاحب الضياع أراضيه لمزارع الخَضِر[4] والحِنطة والشعير . فمن كان ذا جاهٍ من الرُّبطاء اعتمدَ على جاهه وسأله الحوائج . ومن كان ذا مالٍ ولا جاهَ له استقرَض منه بلا عِينَة[5] . ومن كان من السُّلطان بسببٍ كُفيت به عاديةُ الشُّرَط والأعوان ، وأُعلِنت فى زيارته الطبول والسَّرَانىّ[6] ، مثل سلمة

---

(١) فى الأصل : « ويسى اختيار الرقباء » ، وأثبت ما فى ط .

(٢) فى الأصل و ط : « علة » ، صوابه فى ط .

(٣) فى الأصل و ط : « كل واحد منهم » ، والوجه ما أثبت .

(٤) الخضر : جمع خَضِرة ، وهى الخضراء من النبات .

(٥) العينة ، بالكسر : الربا .

(٦) السرانى : جمع سرناى . والسرناى بضم السين ، كلمة فارسية معناها البوق الذى ينفخ فيه ويزمر . معجم استينجاس ٦٧٨ والبيان والتبيين ١ : ٢٠٨ .

الفُقّاعى[١] ، وحَمْدون الصِّحنانى[٢] ، وعلىّ الفامىّ[٣] ، وحَجَر التَّور[٤] ، وقَفْحة ، وابن دَجاجة ، وحَفْصَويه ، وأحمد شَعْرة ، وابن المجوسىّ ، وإبراهيم الغلام[٥] .

فأىُّ صناعة فى الأرض أشرف منها !

ولو يَعْلمُ هؤلاء المسمَّونَ فرقَ ما بين الحلال والحرام لم ينسُبوا إلى الكَشْخ[٦] أهلها ؛ لأنّه قد يجوز أن تباع الجارية من المَلِىء فيصيبُ منها وهو فى ذلك ثقةٌ ، ثم يرتجعُها صاحبُها بأقلَّ مما باعَها به فيحصُل له الرِّبح ، أو تُزَوَّجَ ممن يثق به ويكون قصدُه للمتعة .

فهل على مزوَّجة من حَرَج ، وهل يفرُّ أحدٌ من سعة الحلال إلّا[٧] الحائن الجاهل[٨] ، وهل قامت الشهادة بزناء[٩] قطُّ فى الإسلام على هذه الجهة .

* * *

---

(١) الفُقّاعى : نسبة الفقاع ، كرمان ، وهو شراب يتخذ من الشعير .

(٢) الصحنانى : نسبة إلى الصحناء ، بالكسر ، وهو إدام يتخذ من السمك ، فارسية ، والعرب تسميها الصير . ط : « الصحناوى » .

(٣) الفامى : نسبة إلى « فامية » مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص ، ويقال لها أيضاً « أفامية » . ط : « الغامى » ، تحريف .

(٤) أصل التور إناء من صفر أو حجارة كالإجانة . ط : « حجر النور » .

(٥) ط : « إبراهيم العلام » .

(٦) الكشخ ، من قولهم للشاتم : لا تكشخ فلانا ، أى لا تقل له يا كشخان . والكشخان : الديوث ، كما سبق فى ص ١٧٥ .

(٧) فى الأصل : « إلى » ، ووجهه من ط .

(٨) الحائن : الهالك . ط : « الخائن » .

(٩) كذا فى الأصل ، وهى صحيحة وفى ط : « الزنا » . والزنى يمد ويقصر فإن =

هذه الرسالة التى كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمّيناها فى صدرها .

فإن كانت صحيحةً فقد أدّينا منها حقّ الرواية[١] ، والذين كتبوها أولى بما قد تقلّدوا من الحجّة منها . وإن كانت منحولة فمن قِبَل الطُّفيليّين ؛ إذْ كانوا قد أقاموا الحجّة فى اطِّراح الحشمة ، والمرتبطين[٢] ليسهّلوا على المقيّنين ما صنعه المقترفون[٣] .

فإن قال قائل : إنّ لها فى كل صنفٍ من هذه الثلاثة الأصناف حظا وسببًا فقد صدَق . وبالله سبحانه التوفيق[٤] .

* * *

= قصر كتب بالياء لأن أصله يأى . قال الجعدى :

كانت فريضة ما تقـــول كما كان الزناء فريضة الرجم

وهذا على القلب ، أى كما كان الرجم فريضة الزناء .

(١) ط : « منها الرواية » ، بإسقاط « حق » .

(٢) فى الأصل : « والمرتبكين » ، وفى ط : « والمرتـكبين » وانظر ما سبق

(٣) ط : « المقرفون » .

(٤) بعده فى ط : « ومنه الهداية إلى الطريق ، والحمد لله وحده وكفى » .

١٧٩ و

تمت الرسالة فى القيان ، من كلام أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، بعون الله تعالى ومنّه وتوفيقه ، وتأييده ومشيئته .

والله سبحانه المسئول فى التجاوز عن الخطأ واللغو فى نقل ذلك[1] ، والمرتجى عفوُه ومغفرتُه برحمته .

يتلوه إن شاء الله : (كتاب ذمّ أخلاق الكُتّاب) من كلامه أيضاً ، والله الموفِّق للصواب .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين وسلامُه ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

(١) إلى هنا ينتهى ختام النسخة فى ط .

١٥

كِتَابُ

ذَمّ أخلاق الكُتّاب



وهذه هي الرسالة الخامسة عشرة من رسائل الجاحظ في مجموعة داماد ، وعنوانها :

« كتاب ذم أخلاق الكتّاب »

وجاء ذكره في معجم الأدباء ١٦ : ١٠٩ برسم « كتاب رسالته في ذم الكتاب » كما ذكر ياقوت أيضاً « كتاب رسالته في مدح الكتاب » .

ومن هذه الرسالة نسختان :

الأولى : نسخة الأصل ، وهي نسخة مكتبة داماد .

والثانية : النسخة التي نشرها « يوشع فنكل » في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٤ هـ في مجموع ثلاث رسائل ، كما سبق القول في تقديم الرسالة الرابعة عشرة . وقد رمزت لها بالرمز « ط » .

ونص الرسالة في نشرة « فنكل » يستوعب ما بين ص ٤٠ إلى ص ٥٠ .



بسم الله الرحمن الرحيم

١٩٠ ظ

حفظك الله وأبقاكَ وامتعَ بك .

قد قرأت كتابك ومدحتك أخلاقَ الكتّاب وأفعالَهم[1] ، ووصْفَك فضائلَهم وأيّامَهم ، وفهمتُه .

ومتى وقَع الوصفُ من القائل تقصِّياً ، والنَّعت من الواصف تألُّفاً ، قَلَّ شُهداؤه وكثُر خُصماؤه ، وخفَّت المَؤُونة على مجاوبيه فى دَعواه ، وسُهلتْ مُناسَبة الأدْنياء له فى مَعناه . لأنّ أغلظ المحَن ما عُرِض على المشهود فأزالَه ، وتصفَّحه المعقولُ فأحاله .

وأضعَفُ العلل ما التُمِس بعد المعلول ، ونصبتَ له علماً على الموجود بعد الوجود . وإذا تقدَّم المعلولَ عِلَّته[2] والمخبر عنه خبره ، استُغنِى عن الحاكم ، وظهر عَوار الشّاهد .

فقد رأيتكَ أطنبتَ بإحماد هذا الصِّنف من الناس ، وحكمتَ بفضيلة هذه الطبقة من الخلْق ، فعلمتُ أنّ فرطَ الإعجاب من القائل متى وافقَ صناعة المادح رسخ فى التركيب هواه ، ورسَبَتْ[3] فى القلوب أوتادُه ، واشتدَّ على

---

(١) ط : « فعالهم » . والفعال بالفتح : العمل الجيد . لكن اتفقت النسختان فيما سيأتى فى أن تكون الكلمة « أفعالهم » .

(٢) فى الأصل : « عنه » .

(٣) كذا فى الأصل وط . وهى صحيحة . يقال : رسب : ذهب سفلا . وجبل راسب : ثابت .

المُناظِر[1] إفهامه ، وعلى المخاصم بالحقّ توقيفه ، وكان حكمُه فى صعوبة فَسْخه وتعذُّر دفعِه حكمَ الإجماع إذا لاقَى محكمَ التنزيل .

ولستُ أدعُ مع ذلك توقيفك على موضع زَللك[2] فى الاحتجاج ، وتنبيهَك على النكتة من غَلطك فى الاعتلال ، بما لا يمكن[3] السامعَ إنكارُه ولا ينسَاغُ[4] له إبطاله . وأبيِّن مع ذلك رداءة مذاهب الكتّاب وأفعالهم[5] ، ولؤم طبائعهم وأخلاقهم بما تعلم أنت والناظرُ فى كتابى هذا : أنِّى لم أقل إلاّ بعد الحجّة ، ولم أحتجَّ إلاّ معَ ظُهور العِلّة ، ثم أستشهدُ مع ذلك الأضدادَ تبياناً[6] ، وأجمع عليه الأعداء إنصافا[7] ، إذ كان فى ذلك من التبيان ما يبهرهم ، ومن القول ما يسكتهم .

ثم أقول : ما ظنّك بقوم منهم أوّل مرتدّ كان فى الإسلام ، كَتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخالف فى كتابه إملاءه ، فأنزل الله فيه آياتٍ من القرآن نَهَى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهربَ حتّى ماتَ بجزيرة العرب كافراً ، ١٩١ و
وهو عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح[8] .

---

(١) ط : « الناظر » ، وما هنا صوابه .
(٢) فى الأصل : « ذلك » ، صوابه فى ط . والزلل : الخطأ .
(٣) فى الأصل : « ينكر » ، صوابه فى ط .
(٤) الكلمة غير واضحة فى الصورة ، وقراءتها من ط .
(٥) انظر ماسبق أول الرسالة .
(٦) فى الأصل : « فلا تبيانا » ، صوابه فى ط .
(٧) فى الأصل : « فصافا » ، صوابه من ط .
(٨) فى الإصابة ٤٧٠٢ فى ترجمته : « فأزله الشيطان فلحق بالكفار ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل ــ يعنى يوم الفتح ــ فاستجار له عثمان فأجاره =

ثم استكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده معاويةَ بنَ أبى سفيان ، فكان أوّل من غَدر فى الإسلام بإمامِه ، وحاول نَقضَ عُرَى الإيمان بأَثامِه .

وكتب عثمان بن عفّان لأبى بكر رضوانُ الله عليهما ــ مع طهارة أخلاقه وفضائل أيّامه ــ فلم يمتْ حتى أدّاه عِرقُ الكتابة إلى ذمٍّ من ذمّه من أوليائه .

ثم كتب لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه زيادُ بن أبيه ، فانعكسَ شرٌّ ناشئٌ فى الإسلام ، نُقِضت بدعوته السُّنّة ، وظهرت فى أيّام ولايته بالعراق الجَبْرية .

ثم كتب لعثمان بن عفان رضى الله عنه مَروانُ بن الحكم ، فخانَه فى خاتَمه ، وأشعلَ الرَّعيّة حرباً عليه فى مُلكه .

ثم أفضى الأمر إلى على بن أبى طالب رضوان الله عنه ، فتبيّن من البصيرة فى الكتّاب ما لم يَرَ[1] التنويه بذكرِ كاتبٍ حتّى مات .

ولو كانت الكتابة شريفةً والخطُّ فضيلة كانَ أحقَّ الخلْق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أَولى الناس ببلوغ الغاية فيها ساداتُهم

= النبى صلى الله عليه وسلم » . وذكر بعد ذلك أن عثمان أقره على مصر ؛ وكان محموداً فى ولايته . وأنه قال : « اللهم اجعل آخر عملى الصبح » فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه سنة ٥٩ فى آخر عهد معاوية . فالقول بأنه مات كافرا موضع شك شديد . ونحو ذلك فى الاستيعاب ١٥٥٣ وفيه أيضاً أنه أسلم أيام الفتح ، فحسن إسلامه فلم يظهر منه شىء ينكر عليه بعد ذلك وانظر جمهرة ابن حزم ١٧٠ .

(١) فى الأصل : « ترى » ، صوابه فى ط .

وذوُو القدر والشرف فيهم . ولـكنَّ الله منعَ نبيَّه صلى الله عليه وسلم ذلك ، وجعل الخطَّ فيه دَنِيَّة ، وصَدَّ العِلْمِ به عن النبوَّة[١] . ثم صيَّر المَلِكَ في مُلـكه ، والشَّريفَ في قومه يتبجَّح[٢] برداءة الخط ، ويَنْبُل بشَنَجِ الـكِتَاب[٣] . وإنَّ بعضهم كانَ يقصد[٤] لتقبيح خطِّه وإنْ كان حُلوا ، ويرتفع عن الـكِتابِ بيده — وإن كان ماهراً — وكان ذلك عليه سهلاً — فيكلِّفه تابعَه ، ويحتشم من تقليده الخطيرَ من جلسائه[٥] .

وكتب أحمد بن يوسف يوماً بين يدى المأمون خطًّا أعجبه فقال : ودِدتُ والله أنِّى كتبتُ مثلَه وأنِّى مُغرَّمٌ[٦] ألفَ ألف . فقال له أحمد بن يوسف : لا تأسَ عليه يا أمير المؤمنين ، فإنَّه لو كان حَظًّا ما حُرِمَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

١٩١ظ ومع ذلك إنَّ سِنخ[٧] الـكتابة بُنِى على أنّه لا يتقلَّدها إلاَّ تابع ، ولا يتولاَّها إلاَّ من هو فى معنى الخادم . ولم نر عظيماً قطُّ تولَّى كفاية نفسه[٨] ،

---

(١) فى الأصل : « على النبوة » ، وفى ط : « وسد العلم به على النبوة » .

(٢) التبجح : الفخر والتباهى . ط : « ينجح » ، تحريف .

(٣) الشنج : التقبض والتقلص ، وفى الأصل : « بشتح » . وفى ط : « بقبح » .

(٤) فى الأصل : « كان أن بعضهم كان أن بعضهم كان يقصد » ، وأثبت ما فى ط .

(٥) أى أن يقلد القيام بالخط رجلا خطيراً من جلسائه فيكله إلى تابعه غير الخطير ، أو من هو فى معنى الخادم كما سيأتى .

(٦) فى الأصل : « مغرما » ، صوابه فى ط .

(٧) السنخ ، بالكسر : الأصل . وفى ط : « قبح » ، وما هنا صوابه .

(٨) كتبت « تولى » فى الأصل برسم « تولا » وفى ط : « تولاها بنفسه » .

أو شاركَ كاتبَه فى عمله . وكلُّ كاتب فمحكومٌ عليه بالوفاء ، ومطلوبٌ منه الصَّبر على اللأواء . وتلك شروطٌ متنوِّعة عليه ، ومِحنةٌ مستكملة لديه .

وليس للكاتب اشتراط شىء من ذلك ، بل يناله الاستبطاء عند أول الزَّلَّة وإن أكدَى ، ويُدركه العَذْل[1] بأوَّل هفوةٍ وإن لم يرضَ[2] .

يجب للعبد استزادةُ السيِّد بالشكوى ، والاستبدال به إذا اشتهى . وليس للكاتب تقاضى فائتِه إذا أبطأ ، ولا التحوُّل عن صاحبه إذا التوى . فأحكامُه أحكام الأرِقّاء ، ومحلُّه من الخدمة محل الأغبياء .

ثم هو مع ذلك فى الذِّروة القصوى من الصَّلَف ، والسَّنامِ الأعلى من البَذَخ ، وفى البحر الطامى من التِّيه والسَّرف[3] . يتوهَّم الواحد منهم إذا عرَّض جُبَّتَه[4] وطوَّلَ ذيلَه ، وعقَص على خدِّه صُدغَه ، وتحذف الشابورتين[5] على وجهه ، أنَّه المتبوع ليس التابعَ ، والمليك فوق المالك .

ثم الناشئ فيهم إذا وطئ مقعد الرياسة ، وتورَّك مشورة الخلافة ، وحُجزت السَّلَّةُ دونه[6] ، وصارت الدواةُ أمامَه ، وحَفِظ من الكلام فَتيقَه[7] ، ومن العلم مُلَحَه ، ورَوى لبُزُرْجِمْهرَ أمثالَه ، ولأردَشير عَهْده ،

---

(١) ط : «العدل» ، وما هنا صوابه .

(٢) فى الأصل : « يرضى » .

(٣) فى الأصل : « والسرف » ، صوابه فى ط .

(٤) فى الأصل : « جبينه » ، صوابه فى ط .

(٥) وفى ط : « وتحدف الشابورتين » ولم يتضح لى وجه العبارة .

(٦) لعله يعنى سلة الشكاوى والرقاع .

(٧) الفتيق : الفصيح المتقح . والكلمة مهملة النقط فى الأصل .

ولعبد الحميد رسائلَه ، ولابن المقفّع أدبَه ، وصيَّر كتاب مَزْدَك[١] معدنَ علمه ، ودفترَ كليلةَ ودمنةَ كنزَ حِكمته – [ظنّ[٢]] أنّه الفاروق الأكبر فى التدبير ، وابنُ عبّاسٍ فى العلم بالتأويل ، ومُعاذ بن جَبَلٍ فى العلم بالحلال والحرام ، وعلىُّ ابن أبى طالب فى الجرأة على القضاء والأحكام ، وأبو الهُذَيل العلّاف[٣] فى الجُزْء والطَّفرة[٤] ، وإبراهيم بن سيار النظّام فى المكامنات والمجانسات[٥] ، وحسينٌ النّجّار فى العبارات[٦] والقول بالإثبات ، والأصمعىُّ وأبو عبيدة فى معرفة اللغات والعِلم بالأنساب . فيكون أوّل بَدْوه الطعنَ على القرآن فى تأليفه ، والقَضاء عليه بتناقضه . ثم يُظهر ظَرفه بتكذيب الأخبار ، وتهجين مَن نَقَل الآثار . فإن استرجَحَ أحدٌ عنده أصحابَ الرسول صلى الله عليه وسلم فَتَل عند ذِكرهم شِدقه[٧] ، ولوى عند محاسنهم كَشحَه . وإن ذُكر عنده

١٩٢ و

(١) فى الأصل : « مروك » ، صوابه فى ط . وانظر حواشى البيان ٣ : ٣٥٠ .

(٢) بها أو بمثلها يلتئم الكلام .

(٣) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المعتزلى . الفرق بين الفرق ١٠٢ والملل ١ : ٦٢ والمواقف ٦٢١ .

(٤) الجزء ، يعنى الجزء الذى لا يتجزأ . انظر حواشى الحيوان ٣ : ٣٨ ، والفرق بين الفرق ١١٣ . وفى الأصل وط : « الجر » ، تحريف . وانظر الكلام على الطفرة الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٥) المكامنات ، يعنى بها الكمون ، وهو مذهب كلامى ، يزعم أصحابه أن النار كامنة فى الحجر ، وفى دهن السراج ، كما يكمن الدم فى الإنسان . وانظر حواشى الحيوان . والمجانسات ، يعنى بها أن الحيوان كله جنس واحد ، وأن أفعاله كلها من جنس واحد . انظر الفرق بين الفرق ١٢٠ — ١٢١ .

(٦) ط : « العبادات » . وانظر الفرق بين الفرق ١٩٥ — ١٩٨ .

(٧) فتل شدقه : لواه استنكاراً .

شُرَيح[١] جرّحه ، وإن نُعِتَ له الحسَنُ استثقله ، وإن وُصف له الشعبيُّ استحمقه ، وإن قيل له ابنُ جُبَير[٢] استجهله ، وإن قدِّم عنده النَّخَعيُّ[٣] استصغره .

ثم يقطع ذلك من مجلسه سياسةُ[٤] أردَشِير بابَكان[٥] ، وتدبير أنو شِروان ، واستقامة البلاد لآل ساسان .

---

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندى الكوفى القاضى ، كان من أبناء الفرس الذين كانوا باليمن ، واستقضاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على وكان يقول له : أنت أقضى العرب . وولاه زياد قضاء البصرة . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٣ وابن خلكان والمعارف ١٩١ .

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الكوفى ، وكان مولى أسود لبنى والبة من بنى أسد ، وكان كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة ، ثم كتب لأبى بردة بن أبى موسى . ثم خرج مع ابن الأشعث فى جملة القراء . وقتل سنة ٩٥ . وكان فقيها عابداً . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ٤٢ والمعارف ١٩٧ .

(٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى الكوفى الفقيه . روى عن مسروق ، وعلقمة ، وشريح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ٩٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ٤٧ . وفى عيون الأخبار ١ : ٢٣٠ : «وحمل الناس عن إبراهيم النخعى وهو ابن ثمانى عشرة سنة» . ومثله فى المعارف ٢٠٤ .

(٤) ط : « بسياسته » .

(٥) هو أردشير بن بابك ، أول ملوك الفرس الساسانية ، وهو الذى أزال ملوك الطوائف . مروج الذهب ١ : ٢٤٣ والتنبيه والإشراف ٨٧ والحيوان ١ : ٧٢ ، ١٣٩ .

فإنْ حذِر العيون وتفقّده المسلمون ، رجع بذكر السُّنن إلى المعقول ، ومحكَمِ القرآنِ إلى المنسوخ ، ونَفَى ما لا يُدْرَك بالعِيان ، وشَبَّه بالشاهد[1] الغائبَ . لا يرتضى من الكتُب إلّا المنطق ، ولا يحمد إلّا الواقف ، ولا يستجيد منها إلا السّائر .

هذا هو المشهور من أفعالهم ، والموصوف من أخلاقهم .

ومن الدليل على ذلك ، أنّه لم يُرَ كاتبٌ قطُّ جعل القرآن سميره ، ولا علمَه تفسيرَه ، ولا التفقّه فى الدِّين شعارَه ، ولا الحِفظ للسُّنن والآثار عماده ، فإن وُجِد الواحدُ منهم ذَاكراً شيئاً من ذلك لم يكن لدوران فكّيه به طلاقة ، ولا لمجيئه[2] منه حلاوة . وإن آثر الفردُ منهم السَّعْىَ فى طلب الحديث ، والتشاغُلَ بذكر كتب المتفقّهين ، استثقله أقرانُه ، واستوخَمَهُ أُلّافُه ، وقضَوا عليه بالإدبار فى معيشته ، والحِرفة فى صناعته ، حين حاولَ ما ليس من طَبعه ، ورامَ ما ليس من شكله .

قال الزُّهرىّ لرجل : أيُعجبك الحديث ؟ قال : نعم . قال : أمَا إنّه لا يعجب إلّا الفحولَ من الرِّجال ، ولا يُبغضه إلّا إناثهم !

ولئن وافَقَ هــذا القولُ من الزُّهرى فيهم مذهبًا ، إنَّ ذلك لَبَيِّنٌ فى شمائلهم ، مفهوم فى إشاراتهم .

---

(١) الشاهد : الحاضر . ومنه : « وذلك يوم مشهود » ، أى يحضره أهل السماء والأرض .

(٢) ط : « ولا المحبة » ، وما هنا صوابه .

وسئل ثُمامة بن أشرسَ يومًا ، وقد خرج من عند عَمرو بن مَسْعَدة[١] ، فقيل له : ياأبا معن ، مارأيتَ من معرفةِ هذا الرّجُل وبلوتَ من فَهْمِه ؟ فقال : مارأيتُ قومًا نفرَتْ طبائعُهم عن قَبول العلوم ، وصغُرت همَمُهم عن احتمال لطائف التميز ـ فصار العلمُ سببَ جهلهم ، والبيانُ عَلَمَ ضلالتهم ، والفَحْصُ والنظر قائدَ غَيِّهم[٢] ، والحكمةُ مَعْدِنَ شُبَهِهم ـ [أكثر[٣]] من الكُتّاب . ١٩٢ ظ

وذكر أبو بكرٍ الأصمُّ[٤] ابنَ المقفَّع فقال : مارأيتُ شيئًا إلّا وقليلُه أخفُّ من كثيره إلّا العلم ، فإنّه كلَّما كثُر خفَّ مَحمِله . ولقد رأيتُ عبد الله ابن المقفَّع هذا فى غزارة علمه وكثرة روايته ، كما قال الله عزّ ذكره : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا[٥] ﴾ . قد أوهنَه علمُه ، وأذهلَه حلمُه ، وأعمتْه حكمتُه ، وحَيَّرَتْهُ بصيرته .

---

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب فى زمان المأمون . ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد ١٢ : ٢٠٣ أنه ابن عم إبراهيم بن عباس الصولى . ومسعدة ، بفتح الميم والعين كما ضبطه ابن خلكان . توفى سنة ٢١٧ .

(٢) فى الأصل : « قائد عيهم » ، وفى ط : « حايد عنهم » ، تحريف .

(٣) ليست فى الأصل ولا فى ط .

(٤) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ، ذكره عبد الجبار الهمدانى فى طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب . وهو من طبقة أبى الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان ٣ : ٤٢٧ .

(٥) الآية ٥ من سورة الجمعة .

وكنّا فى مجلس بشرِ بن المعتمر يومًا وعندهُ المُرْدار[١] ، وثُمامة[٢] ، والعَلّاف[٣] ، فى جماعةٍ من المعتزلة وأصحاب الكلام ، فتذاكروا العوامَّ واستحواذَ الفتنة عليهم فى التقليد ، واستغلاقَ قلوبهم بكثيرٍ مما ليس فى طبعهم[٤] ، فتعظِّمهم[٥] وتقضى لكلٍّ من نُبل منهم بالصَّواب فى قوله وإنْ لم يعلموا[٦] . لا يَدِينون بالحقيقة ، ولا يَحمَدون إلا ظاهر الحِلْية .

---

(١) المردار ، هو أبو موسى عيسى بن صبيح ، تلميذ بشر بن المعتمر ، كما ذكر الرازى . وقال البغدادى فى الفرق ١٥١ : « وكان يقال له راهب المعزلة ، وهذا اللقب لائق به إن كان المراد به مأخوذا من رهبانية النصارى . ولقبهُ بالمردار لائق به أيضاً ، وهو كما قيل :

وقلما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه إن فكرت فى لقبه

يشير البغدادى بهذا إلى أن « مردار » بالفارسية معناه القذر أو الجيفة . انظر استينجاس ١٢١٢ . وهو بضم الميم بعدها راء ساكنة . وفى الأصل : « المردان » وفى ط : « المدكان » صوابهما ما أثبت . وانظر الملل والنحل ١ : ٨٨ والمواقف ٦٢٢ واعتقادات الرازى ٤٢ . ويقع محرفاً أيضا بالمزدار .

(٢) ثمامة بن أشرس المعتزلى البصرى ، ورد بغداد واتصل بهارون وغيره من الخلفاء . وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ — ١٤٨ .

(٣) العلاف ، هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل المعتزلى الذى تنسب إليه الهذيلية . وقد سبقت ترجمته فى ص ١٩٢،١٧٧ وفى الأصل : «والقلال» . وفى ط : «الغلال» بدون واو قبلها . والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « ما ليس » ، صوابه فى ط . وفى ط بعده: « من طبعهم » .

(٥) فى الأصل : « فتعظمه » ، ووجهه من ط . والمراد : فتعظم العوام من يقلدونهم . وكأن فى العبارة نقصا .

(٦) فى الأصل : « وإن لم يعلمه » ، صوابه فى ط .

ومن الدليل على نَذَالة طبعهم ، والعلم بفَسَالة رأيهم[١] ، تقديمهم بالفضل لمن لا يفهمونه[٢] ، وقضاؤهم بالعلم لمن لا يعرفونه ، حتَّى إنهم يضربون بالكاتب فيما بينهم المثل ، ويحكمون له بالبصيرة فى الأدب ، على غير مُعاشرةٍ جرتْ بينهم ، ولا محبّةٍ ظهرت له منهم . ليس إلّا أنَّ هممهم صَغُرت عنهم ، وامتلأت قلوبهم منهم ، فصار المحفوظُ من أقوالهم ، والذى يدينون به من مذاهبهم : كيف لا يأمن فلانٌ الخطأ مع جلالته ، وكيف ينساغ لأحدٍ تجهيلُه مع نبله . فإنْ وُقفوا على تمييزه هابوه ، وإن دُعوا إلى تفهُّمه أكبروه ، وقالوا : لم يُنْصَب هذا بموضعه إلّا لخاصَّةٍ فيه وإن جَهِلْناها ، وفضيلةٍ موسومة وإن قَصُرَ عِلْمُنَا عنهم . ولعلَّهُ عُمَرَ بن فَرَجٍ[٣] فى السَّفَه والمباهَتة ، وإبراهيم ابن العبّاس فى الشَّرَه والرَّقاعة ، ونَجاح بن سَلَمة[٤] فى الطَّيش والسخافة ، وأحمد بنُ الخصيب[٥] فى اللُّؤم والجَهالة ، وآلُ وهب فى النَّهَم والنَّذالة ، ١٩٣ و

---

(١) الفسالة : الضعف . وفى الأصل : « بغسالة » ، وفى ط : « بسفالة » ، كلاهما محرف عما أثبت .

(٢) فى الأصل : « لا يفهموه » ، ووجهه من ط .

(٣) فى معجم البلدان عند الكلام على « رخج » ، كسكر ، وهى كورة ومدينة من نواحى كابل : « وينسب إلى الرخج فرج ، وابنه عمر بن فرج ، وكانا من أعيان الكتاب فى أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، شبيها بالوزراء وذوى الدواوين الجليلة . وله أخبار فى الأغانى ٩ : ١٠٩ و ١٩ : ١٤١ وإعتاب الكتاب ١٤٥ .

(٤) سبقت ترجمته فى ١ : ٣٢٣ .

(٥) كان أحمد بن الخصيب كاتبا للواثق ، ثم نكبه حينا عمل محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة وأوصلها إليه على أنها لبعض أهل العسكر . وفيها :

وابن الخصيب الذى ملكت راحته ... خلافة الشام والغازين والقفل

فنيل مصر وبحر الشام قد جريا ... بما أراد من الأموال والحلل =

ويحيى بن خاقانَ[١] فى الذُّلِّ والفاقة ، وموسى بن عبد الملك فى الوَخَم والبلادَة ، وابن المدبِّر فى الخِبِّ والمكابرة[٢] ، والفَضْل بن مروان فى القَدَامة مقصورةً[٣] .

وفى عمر بن فرج يقول الشاعر :

لا تطلبِ الخيرَ من بنى فَرَجِ لا باركَ اللهُ فى بنى فَرَجِ
والعَنْ إذا ما لقيتَه عُمَرًا لعنًا يقينًا بأعظم الهَرَجِ
فلعنةٌ إنْ لَعَنْتَها عُمَرًا تَعْدِلُ مقبولةً من الحِجَجِ
ليس على المفترِى على عُمَرٍ من ضَرْبِ حَدٍّ يُخْشَى ولا حرجِ

وخُبِّرْت أنَّ أبا العتاهية أتى يحيى بن خاقان يومًا ليسلِّمَ عليه ، فلم يأذنْ له حاجبُه فانصرفَ ، وأتاه يومًا آخرَ فصادفَه حينَ نزل فسلَّمَ عليه ، ودخل يحيى إلى منزله ولم يأذَنْ له ، فكتب إليه أبو العتاهية من ساعته رُقْعَةً فيها :

= وانظر إعتاب الكتاب ١٣٨ وجمع الجواهر ١٦٨–١٧٢ . وقد سرد الحصرى كثيراً من هجاء الأدباء له . كما ذكر أنه كان القائم بأمر المنتصر بعد قتله أباه المتوكل واستيلائه على الخلافة . فلما مات المنتصر أقره المستعين أحمد بن المعتصم على ما كان .

(١) يحيى بن خاقان : والد عبيد الله بن يحيى . من كتاب الحسن بن سهل . انظر كتاب بغداد لابن طيفور ١٦٠ . وانظر كذلك التنبيه والإشراف ٣١٤ والوزراء والكتاب للجهشيارى ١٨٣ ، ١٨٦ والأغانى ٣ : ١٦٣ ، ١٨ : ٣٥ و ٢٠ : ٤٩ .

(٢) كذا فى الأصل و ط ، ولعلها : « المكايدة » .

(٣) فى الأصل و ط : « مقصودة » ، والوجه ما أثبت ، أى مقصورة عليه .

أُراكَ تُراعُ حين تَرَى خيالى   فما هذا يَرُوعُك من خيالى[1]
لعلك خائف منِّى سؤالًا   ألَا فلكَ الأمانُ من السُّؤالِ
كفيتُكَ إنَّ حالَك لم تَمِل بى   لأطلبَ مثلَهَا بدلًا بحالِى[2]
وإنَّ العُسْرَ مثل اليُسر عندى   بأيِّهمَا مُنِيتُ فما أُبالى

فلما قرأ يحيى بن خاقان رُقْعَتَهُ ووثق بأمانه من السُّؤال أذِنَ له ، فخرج الحاجب فوجَده قد انصرف ، ولم يَعُدْ إليه ، ولا التقيا بعد ذلك .

وَجَلَسَ الجاحظ[3] يومًا فى بعض الدواوين ، فتأمَّل الكُتَّاب فقال : خَلَقٌ حُلوة ، وشمائلُ معشوقة ، وتظرُّف أهل الفهم ، ووقار أهلِ العلم ، فإن ألقيت عليهم الإخلاصَ وجدتَهم كالزَّبد يَذْهب جُفاء ، وكَنِبْتة الرَّبيع يُحرقها الهَيْف من الرياح[4] ؛ لا يستندون من العلم إلى وثيقةٍ ، ولا يدينون بحقيقةٍ ؛ أخفرُ الخلق لأماناتهم ، وأشراهم بالثمن الخسيس لعهودهم ؛ الويلُ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون .

١٩٣ ظ

ثم وَصَفَ أصحاب الصناعات ، وذكر تعاطف أهلها على نظرائهم ، وتعصُّب رجالها على غيرهم فقال :

---

(١) أى فما ذا يروعك . والخبر فى الأغانى ٣ : ١٦٣ .

(٢) فى الأصل : « بحال » ، صوابه فى ط والأغانى .

(٣) فى الأصل : « وحبس الجاحظ » ، والوجه ما أثبت من ط . على أن الخبر التالى يبدو أنه دخيل على الكتاب .

(٤) الهيف ، بالفتح : ريح حارة تأتى من قبل اليمن ، وهى النكباء التى تجرى بين الجنوب والدبور .

لا أعلم أهل صناعة إلا وهم يَجْرُون فى ذلك إلى غاية محمودة ، ويأتُون منه آيةً مذكورة ، إلا الـكُتّاب ، فإنَّ أحدهم يتحاذق عند نظرائه بالاستقصاء على مثله ، ويسترجح رأيه إذا بلغ فى نكايه رجلٍ من أهل صناعته .

ثم ضرب لهم فى ذلك مثـلا ، ثم قال : هم كالهرمة[(١)] من الكلاب فى مرابضها ، يمرُّ بها أصناف الناس فلا تَحَرَّكُ[(٢)] ، وإن مرَّ بها كلبٌ مثلها نهضَتْ إليه بأجمعها حتى تقتلَه .

وحدّثنى عُمَر بن سيف ، أنه حضر مجلس أبى عبّاد ثابت بن يحيى[(٣)] يومًا فى منزله ، وعنده جماعة من الـكتاب ، فذكر ما هم عليه من ملائم الأخلاق ومدانس الأفعال ، قال : ووصف تقاطعهم عند الاحتياج ، و [عدم] تعاطفهم عند الاختلال[(٤)] ، وزُهدَهم فى المواصلة فقال :

معاشر الـكتاب ، ما أعلم أهل صناعة أملأ لقلوبِ العامّة منكم ، ولا النعمُ على قومٍ أظهر منها عليكم . ثم إنّكم فى غاية التقاطع عند الاحتياج ، وفى ذِروة الزُّهد فى التعاطف عند الاختلال . وإنّه ليبلغنى أنَّ رجلًا من القصابين يكون

---

(١) فى الأصل : « كالهرهة » . وفى ط : « كالهرهرة » .

(٢) أى تتحرك ، بحذف إحدى التاءين . وفى ط : « تتحرك » .

(٣) كان أبو عباد ثابت بن يحيى من كتاب المأمون ثم من وزرائه . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ ومختصر تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٧٢ .

(٤) الاختلال : الفقر والإعدام . وكلة : « عدم » من مقترحات « فنكل » لاستقامة الـكلام .

فى سُوقِهِ ، فيتلَف ما فى يديه ، فيخلِّى له القصَّابون سُوقَهم يومًا ، ويجعلون له أرباحَهم ، فيكون بربحِها منفرداً ، وبالبيع مُفرَدا ، فيسدُّون بذلك خَلَّته ، ويجبُرون منه كسرَه . وإنّكم لتَناكَرون عند الاجتماع والتعارُف ، تناكُرَ الضِّباب والسَّلاحف ، ثم مع استحواذكم على صناعتكم ، وقلَّة ملابسة أهل الصناعاتِ لها معكم ، لم أر[1] صناعة من الصناعات إلّا وقد يجمع أهلَها غيرَها إليها فيعانونها[2] جميعاً ، وينزلون[3] لضربٍ من التجاراتِ معاً ، إلّا صناعتكم هذه ؛ فإنَّ المتعاطىَ لها منكم ، والمتسمِّىَ بها من نظرائكم ، لا يليق به ملابسةُ سِواها ، ولا ينساغ له التَّشاغل بغيرها . ثم كأنكم أولاد عَلّاتٍ ، وضرائر أُمَّهات ، فى عداوةِ بعضكم بعضا ، وحَنَقِ بعضِكم على بَعض . أُفٍّ لكم ولأخلاقكم !

١٩٤ و

إنَّ للكُتّابِ طبائع لئيمة ، ولولا ذلك لم يكن سائرُ أهلِ التجاراتِ والمكاسب بنظرائهم بَرَرةً ، ومن وَرائهم لهم حَفَظَة ، وأنتم لأشكالكم مُذِلُّون ، ولأهل صنائعكم قالُون . قَبَحَ اللهُ الذى يقول قَضَينا فى الأمور بالأغلب.

وعرفنا علل الناس فى مكاسبهم[4] وتعامُلهم ، فمن كانت علَّته أكرمَ كان كرمُ فَعاله أعمَّ .

ولستُ أعلَمَ عِلَّةً فى مكتسبٍ أنبلَ عند الخاصَّة من مكسبكم .

---

(١) فى الأصل : « ولم أر » ، والوجه حذف الواو كما فى ط .

(٢) فى الأصل وط : « فيعاونونها » ، صوابه فى ط من تصحيح « فنكل » .

(٣) فى الأصل وط : « ويتركون » . وهذا من تصحيح « فنكل » .

(٤) ط : « تكاسبهم » .

ثمَّ وَصَف مَن سلف من هذه الطّبقة يومًا فقال : كتب سالمٌ[١] لهشام ابن عبد الملك ، وكان أشدَّ الناسِ غَلَطًا ، وأضعفَهم رأيًا ، وكان هشامٌ يُحضِره فيَسمع من ضَعْفِه ويستميحه الرأيَ ، يهزأ به .

ثم كتب لهم مَسْعَدة[٢] وكان مؤدِّبًا ، وكانت ضَعْفة المؤدِّبين فيه[٣]

ثم كتب لهم عبدُ الحميد[٤] وكان معلّمًا ، وبتحامله على نصر بن سيار انتقضت خراسان ، وزال ملك بنى مَرْوان .

ثم كتب لبنى العباس عبد الله بن المقفَّع ، فأغرى بهم عبد الله بن على[٥] ، ففُطِن له وقُتل وهُدم البيتُ على صاحبه .

ثم كتب لهم يونس بن أبى فروة[٦] ، وكان زنديقًا ، فطُلب فاختفى

---

(١) كان سالم هذا مولى لسعيد بن عبد الملك ، وكتب لهشام كما فى التنبيه والإشراف ٢٧٩ . وكتب أيضاً للوليد بن يزيد كما فى الجهشيارى ٦٨ .

(٢) مسعدة الكاتب هذا ، والد عمرو بن مسعدة الذى سبقت ترجمته فى ص ١٩٥ . وكان مسعدة مولى لخالد القسرى ، وكان فى ديوان الرسائل بواسط ، كما فى عيون الأخبار ٣ : ١٧٣ .

(٣) الضعفة : ضعف الفؤاد وقلة الفطنة ، كما فى المعجم الوسيط .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، وكان من أهل الشام ، وكتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وقتل معه فى مدينة بوصير بمصر سنة ١٣٢ . وفيات الأعيان وسرح العيون ١ : ٢٥٦

(٥) انظر ابن خلكان ١ : ٥١ فى ترجمة الحسين بن منصور الحلاج

(٦) ويقال له أيضاً يونس بن فروة ، كما فى الحيوان ٤ : ٤٤٦ حيث أورد الجاحظ شعرا يؤيد هذه التسمية . وكذا ورد بها فى جمع الجواهر ٢٠٩ والعمدة ٢ : ١٨٥ . والمعروف « ابن أبى فروة » كما فى لسان الميزان ٢ : ١٨٥ و ٦ : ٣٣٥ =

بالكوفة والنِّيل[١] حتى هَلَك .

واستكتب الرشيدُ أزدانقاذار[٢] على ديوان الخراج ، وكان ثَنَويًّا . ١٩٤ ظ

ثم لم ينوِّهوا بذكر كاتبٍ حتى ولىَ المأمون ، فقدِم معه ابن أبى العباس الطُّوسى ، فبه انتشرت السِّعاية بالعراق .

واستكتب أبا عبّاد[٣] ، وكان بالرَّىّ مؤدِّبًا ، وكان سخيفا حديدا ، ولم يزل بمكانه فى ديوانه قيِّمًا لابن أبى خالد الأحول[٤] والاسمُ له .

ثم كتب له[٥] رجاء بن أبى الضحّاك[٦] ، وكان أظلمهم وأغشمهم ، واستخلف حفصويه على ديوان الخراج ، وكان ركيكا لسعايته .

= وأمالى المرتضى ١ : ١٣١ نقلا من كل منهما عن الحيوان، والوزراء للجهشيارى ١٣٠ . وذكرهو وصاحب لسان الميزان أنه كان كاتبا لعيسى بن موسى. وهو من أجداد الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبى فروة — واسم أبى فروة كيسان — مولى الحارث الحفار . وإنما قيل له أبو فروة لأنه أدخل المدينة وعليه فروة ، فاشتراه عثمان وأعتقه وجعل يحفر القبور .

(١) النيل : بليدة فى سواد الكوفة . ط : « واكتبل » ، تحريف .

(٢) فى الأصل وط : « يزدا بعادان » ، تحريف ما أثبت . وانظر البيان ١ : ٧٢ والجهشيارى ١٦٩ .

(٣) اسمه ثابت بن يحيى ، كما فى التنبيه والإشراف ٣٠٤ . وكان مع ذلك من خواص للمأمون ، كما فى مروج الذهب ٤ : ١٨ .

(٤) هو أحمد بن أبى خالد الأحول ، كما فى التنبيه والإشراف ٣٠٤ . وانظر نوادر المخطوطات ٢ : ١٩٩ والجهشيارى ٣١٨ .

(٥) فى الأصل : « لهم » ، صوابه فى ط .

(٦) له خبر فى العقد ٢ : ١٥٥ . وهو والد الحسن بن رجاء . وكان شاعراً . الفهرست ٢٣٦ . وكان على الخراج فى خلافة المعتصم . الطبرى (حوادث ٢٢٦) ، وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٣١٦ .

ثم كتب لهم ابن يزداد[١] ، وكان أشقاهم ، حتّى هلك .

وكتب لهم عمرو بن مسعدة ، وكان رسائليا فقط .

واسترجح المأمون وهو بخراسان قبل مقدمه من كتاب العراق على غير بَلْوَى[٢] إبراهيم بن إسماعيل بن داود ، وأحمد بن يوسف ، فلما قدم امتحنهما فتعنَّتا[٣] ، فاستنهضهما فى الأعمال ففشلا ، فلم يعملا على شىء حتّى هلكا .

وكان إبراهيم شُعوبيا ، وكان يتهم بالثَّنويَّة . فإن كان ذلك صحيحاً فقد كانت صَبابتُه بها على جهة التقليد فيها ، لا على جهة التفتيش والاحتجاج فيها . وهذه علة المرتدّ من سائر الكُتَّاب .

وقد قال أهل الفطن : إنّ محض العمى التقليد فى الزندقة ؛ لأنَّها إذا رسخَتْ فى قلبِ امرئٍ تقليداً أطالت جــرأته ، واستغلق على أهل الجدل إفهامه .

وكان أحمد بن يوسف مأفونا ، وهو أول من قُرِف بالآفةِ المخالفة لطبع الكُتَّاب .

واستَقصَى على ديوان الخراج والجند إبراهيمَ الحاسب ، والحسنَ ابن أبى المشرف . فلَقِن إبراهيم من سائر الآداب والعلوم علمَ الحساب فقط ، ولم يُفزَع إليه فى قضيةٍ ولا رأيٍ حتّى هلَك ، فكان الذى وضعه وأدناه شرهُه ، وهى علَّةٌ قائمة فى كتّاب الجند خاصة .

---

(١) اسمه محمد بن يزداد بن سويد . وقد توفى المأمون وهو على وزارته . التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

(٢) البلوى : الاختبار .

(٣) ط : « فتعسا » .

واستضعف ولاةُ الدواوين الحسنَ بن أبى المشرف عنـد قول الفضل مروان له وهو على الوزارة[1] : « يا حسَنُ ، احتجنا إلى رجلٍ جزلٍ فى رأيه ، متوفّر لأمانته ، متصرِّف فى الأمور بتجربته ، مستقدَرٍ على الأعمال بعلمه ، تصف لنا مكانَه ، وتُشير علينا به ، فنقلِّده جسيماً من عملنا » . فأجابه سريعاً قال : وجدتُه لك ـ أصلحكَ الله ـ كذلك . قال : من هو ؟ قال : أنا . وألحَّ عليه فى قوله ، فتبسَّم الفضل وقال : هذا مِن غَيرك فيك أحسنُ منك بلسانك لك ، نَعُود وننظر إن شاء الله !

١٩٥ و

وحسبُك بقومٍ أنبلُهم أخسُّهم[2] فى الرِّزق مرتبة ، وأعظمهم غَناء أقلُّهم عند السُّلطان عقلاً . يُرزَق صاحب ديوان الرسائل ـ وبلسانه يخاطَب الخلق ـ العُشْرَ من رزق صاحب الخراج . ويرزق المحرِّر ـ وبخطِّه يكون جمالُ كتبِ الخليفة ـ الجُزْء من رزق صاحب النَّسخ فى ديوان الخراج . لا يَحضر كاتبُ الرسائل لنائبة ، ولا يُفزَع إليه فى حادثة . فإذا أبرمَ الوُزراء التدبيرَ ، ووقفوا منها على التقدير ، طُرحت إليه رقعةٌ بمعانى الأمر لينسِّقَ فيه القولَ ، فإذا فَرَغ من نظامه واستوى له كلامُه ، أحضر له محرِّرَه[3] فجلس فى أقرب المواطن من الخليفة ، وأمنع المنازل من المختلفة[4] ، فإذا تقضَّى[5] ذلك فَهُما والعوامّ سواء .

---

(١) وزارته للمعتصم ، وكان الفضل هذا كاتباً للمعتصم قبل الخلافة ، فلما استخلف استوزره . التنبيه والإشراف ٣٠٨ .

(٢) فى الأصل : « أحسنهم » ، صوابه فى ط .

(٣) ط : « محررا » .

(٤) المختلفة : الذين يختلفون إليه ، أى يترددون . ط:«وأمتع المنازل» بالتاء .

(٥) ط : « انقضى » .

هذا وليست صناعتهما بفاشية فى الكتّاب ، ولا بموجودة فى العوامّ ؛ فأغزرهم علماً أمهنهم ، وأقربهم من الخليفة أهوَنُهم . فكيف بكاتب الخراج الذى علمه ليس بمحظور ، وإشراك الناس فيه ليسَ بممنوع ، يصلح لموضعه كلٌّ من عَمِل وعُمِل عليه ، أحمد أحواله عند نفسه التعقُّد على الخصوم ، وأسعد أموره التى يرجو بها البلوغَ الشَّرهُ ومنعُ الحقوق . وأحذق ما يكون بصناعته عند نفسه حين يأخذ بإبطال السُّنن ، ويعمل بفلتات الدفوع .

ولذلك ما ذكر أنَّ بعضَ رجال الشَّعبىِّ قال له : يا أبا عَمرو ، الكتّاب شرار خلق الله ! فقال[1] : لا تفعل[2] .

ولكنَّ الشعبىَّ كان لسلطانه مُدارياً .

١٩٥ ظ ومن كتاب الجند : محمود بن عبد الكريم ، كان حُمَيد بن عبد الحميد عند دخول المأمون مدينة السلام وبعد سكون الهَيْج وخمود النَّائرة[3] ، رفع إلى المأمون يذكر أن فى الجند دغلا كثيراً[4] ممن دخل فيهم بسبب تلك الحروب فى أيام الأجناد — [وهم[5]] قومٌ من غير أهل خراسان ممَّن تشبَّه بهم وادّعى إليهم من الأعراب والدُّعّار[6] ، وممن لا يستحقُّ الدِّيوان ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) أى لا تقل ذلك .

(٣) النائرة : الفتنة الحادثة والشر والهيج . ط : « الثائرة » .

(٤) فى الأصل : « دغل كثير » ، صوابه فى ط .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) ط : « والدعاة » .

وقومٌ من أهل خراسان صارت لهم الخواصُّ السَّنيَّة ، [و] لم يكن لهم من الغَناء ما يستحقُّون به مثلَها ـ وذكر أنَّ بيت المال لا يحتمل ذلك ، وسأل المأمونَ أن يولِّيَه تصنيفَ الجند . ولم يكن مذهب حُميدٍ في ذلك التوفير على المأمون ، ولا الشفقةَ على بيتِ مال المسلمين ، ولكنه تعصَّب على أبناء أهل خراسان ، واضطغن عليهم محاربتَهم إياه أيَّام الحسن بن سهل مع ولَدِ محمد ابن أبي خالد[١] وغيرهم ، وما كانوا قد انتحَوْهُ به[٢] من تلك الوقائع والهزائم ، وما ذهبَ له من الأموال بذلك السَّبب .

فولَّاه المأمونُ التصنيف ، وأَمَر للجند برزق شهرين ، فولَّى حُميدٌ العطاء والتصنيفَ محمودَ بن عبد الكريم الكاتب ، وعرف محمود ما غَزَا حُميدٌ[٣] ، فتحاملَ على الناس واستعمل فيهم الأحقاد والدِّمن ، لخفض الأرزاق[٤] ، وأسقَطَ الخواصَّ ، وبعث في الكُوَر وأنحى على أهل الشَّرف والبُيوتات ، حسداً لهم وإشفاءً لغليل صاحبه منهم[٥] ، فقصَد لهم بالمكروه والتعنُّت ،

---

(١) انظر الجهشيارى ٣٠٢ . وقد ذكر أن محمداً غلب على بغداد وحارب الحسن ابن سهل ، وذكر الطبرى فى حوادث سنة ٢٠١ أن ولده عيسى بن محمد بن أبي خالد وإخوته أبناء محمد قاموا مقام أبيهم فى تلك الحرب . وأن حميداً الطوسى جاء فى طلب بنى محمد حتى انتهى إلى المدائن . ط : « ولده محمد بن أبى خالد » ، تحريف .

(٢) أى قصدوه به .

(٣) غزا ، أى قصد وأراد . وفى الأصل وط : « عزا » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « لحفظ الأرزاق » ، وفى أصل ط : « وحفظ الأرزاق » ، وقد جعلها « فنكل » : « وخفض » .

(٥) يقال أشفى المريض إشفاء : وصف له الدواء الشافى . وفى أصل ط : « وأشفى لغليل صاحبه منه » . وقد جعلها فنكل : « وشفاء لغليل صاحبه منهم » .

فامتنعت طائفة من الناس من التقدُّم إلى العطاء وتركوا أسماءهم ، وطائفة انتدبوا مع طاهر بن الحسين بخراسان ، فسقط بذلك السبب بشرٌ كثير .

ثم إنّ المأمون أمر للناس بتمام عطاياهم[١]، واكتسب محمود بن عبد الكريم المذمّة ، وصار مَلعنةً فى محالِّ بغداد وفى مجالسها وطُرقها .

ومنهم : زيد بن أيوب الكاتب ، عمل فى ديوان الجند أربعين سنة ، ثم صار فى آخر عُمره قَوّادًا ليحيى بن أكثم القاضى[٢] . وذلك أن المأمون أمرَ له بفَرض ، فصيَّر يحيى بن أكثم أمرَ ذلك الفرضِ إلى زيد بن أيوب ، وأمره ألاّ يَفرضَ إلاّ لأمردَ بارع الجمال ، حسنِ القَدِّ والصُّورة . فكان أمر ذلك الفرض مشهوراً مُتعالَمًا . ففى ذلك يقول الحسن بن على الحِرمازىّ لزيد ابن أيوب : ١٩٦ و

يا زيد يا كاتب فَرضِ الفِراشْ أكلُّ هذا طلبٌ للمعـــاشْ
مالى أرى فرضَك حُمـــلانهم يثبُتُ فى القَرنين قَبْلَ الكِباشْ[٣]

---

(١) ط : « أعطياتهم » ، وهى أمثل .

(٢) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن ، من ولد أكثم بن صيفى ، وكان فقيها عالماً ، روى عنه الترمذى والبخارى فى غير الجامع . وغلب على المأمون فولاه قضاء القضاء وتدبير أهل مملكته ، فكانت الوزراء لا تعمل شيئاً فى تدبير الملك إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم . وفى أيام المتوكل عزل القاضى محمد بن أحمد ابن أبى دُواد وفوض إليه ولاية القضاء ، ثم عزله المتوكل سنة ٢٤٠ وأخذ أمواله . وتوفى سنة ٢٤٦ وله ثلاث وثمانون سنة . تاريخ بغداد ١٤ : ١٩١ - ٢٠٤ ووفيات الأعيان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وثمار القلوب ١٢٢ - ١٢٤ وتهذيب التهذيب .

(٣) كذا ورد البيت .

وعلى ذلك فإنَّه لم يبلغنى أنَّه كان فى ولاة ديوان الجند ولا فى كتّابهم مثل المعلَّى بن أيوب فى نُبله وارتفاع همته ، وكرم صُحبته ، وعفافه ، وجميل مَذهبه ، وشدة محاماته عمن صحبه وتحرَّمَ به . فكان المأمون يعرف له ذلك ومَن بعده من الخلفاء ، فثبتت وطأته ، ودامت ولايتهُ ، وحُمِد أثره .

* * *

قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصَدْنا ، ولم نستعمل الانتزاعات فيما ذكرنا ، وأعرضْنا عن التأويلات فيما وصفنا ، وقَصَدنا إلى المأثور لحكيناه ، وإلى المذكور فى الأزمنة فأجريناه ، لئلا يجدَ الطاعنُ فيما وصفنا مَقالا ، والمنكِر لذمّ ما ذممنا مَساغا ، وعَلِمْنا أنَّ من عاندَ مع ذلك فقد دَفع عِياناً وأنكر كائنا مذكوراً . وفى ذلك دليلٌ باهر على اضمحلاله ، وشاهدٌ عدلٌ لأضداده .

ولو حكينا كلَّ ما فى هذا الجنسِ من الأقوال ، وما يدخله من المقايسات والأشكال ، لطالَ الكتاب ، ولملَّ الناظر المعجاب ، فاكتفينا بالجزء[1] من الكتاب ، والبعضِ دون التمام ، وعلمنا أنَّ الناظر فيه إنْ كان فطناً أقنعَه القليلُ فقضَى ، وإن كان بليداً جهولا لم يزده الإكثارُ إلاَّ عيًّا ، ومن العلم بما له قصَدْنا إلاّ بعداً . وبالله الكفاية والتوفيق .

* * *

تمَّ كتاب « ذم أخلاق الكتّاب » بعون الله ومنّه ومشيئته وتوفيقه ، والله تعالى الموفّق للصواب . والحمد لله أولا وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين[2] وسلامه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . ١٩٦ ظ

(١) ط : « بالجبر » . (٢) إلى هنا ينتهى اتفاق الخاتمة فى نسخة الأصل وط . وما بعده ليس فى ط . وبدله فيها : «وهو حسبنا ونعم الوكيل . فرغ من تنميقه صبيحة يوم السبت لثمان وعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وثمانين وألف » .



١٦
كِتَابُ
البِغَالِ



وهذا هو الكتاب السادس عشر من مجموعة رسائل الجاحظ ، وله أصل واحد هو نسخة مكتبة داماد ، وعنوانه فيها :

كتاب « القول فى البغال »

وقد ذكر الدكتور داود الجلبى فى « مخطوطات الموصل ص ٢٦٤ — ٢٦٥ » فى مجموعة رسائل الجاحظ التى كانت محفوظة فى مكتبة أمين بن أيوب الجليلى بالموصل نسخة أخرى من هذا الكتاب عنوانها : كتاب « البغال ومنافعها » . ولكن من المؤسف أن تلك المجموعة قد فقدت بعد وفاة صاحبها ولم نهتد إلى الآن إلى موضعها .

ولم يذكر هذا الكتاب أحد ممن ترجم للجاحظ ، ولا أجرى هو له ذكرا فيما سلف من كتبه . ولكن الكتاب ينطق بلا ريب أنه من تأليف الجاحظ ، ينطق أسلوبه ومنهجه ، وتنطق رجاله وحوادثه بأنه للجاحظ ، لاريب عندى فى ذلك .

وقد نشره عن نسخة داماد للمرة الأولى المستشرق : « شارل بلا » فى مطبعة الحلبى سنة ١٣٧٥ وعلق عليه تعليقات مفيدة ، ولكنه وهم كثيراً من الوهم فى قراءة نسخة داماد . وقد كتبت فى ذلك بعض تصحيحات نشرتها فى مجلة معهد المخطوطات العربية (عدد شوال سنة ١٣٧٥) فى الجزء الأول من المجلد الثانى ، فليرجع إليه .

وقد أمكننى أن أستدرك فى نشرتى هذه أضعاف ما نشرته من قبل فى مجلة المعهد ورمزت إلى نشرته هذه بالرمز «ط» .

ويفهم من مقدمة الجاحظ لهذا الكتاب أنه ألفه بعد كتاب الحيوان[1] أى أنه ألفه وهو مفلوج أيضاً .

وقد جريت فى إضافة عنوانات لهذا الكتاب كما جريت على ذلك فى كتاب الحيوان ، وذلك حرصاً منى على بيان معالمه المتفرقة ، وتوضيح فصوله ؛ وميزتها عن الأصل بجعلها بين علامتى الزيادة [ ]

وإليك نص الكتاب :

---

(١) انظر ما كتبت لتأريخ كتاب الحيوان فى تقديم كتاب الحيوان ص ٢٤-٢٧ من الجزء الأول .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وعلى اسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد خاصة ، وعلى أنبيائه عامة .

[مقـدمة]

كان وجه التدبير فى جملة القول فى البِغال ، أن يكون مضموما إلى جملة القول فى الحافر كله ، فيصيرَ الجميع مُصْحَفًا تامًّا ، كسائر مَصاحف « كتاب الحيوان » . والله المقدِّر والكافى .

وقد منع من ذلك ما حدَث من الهمّ الشاغل ، وعَرَضَ من الزَّمانة ، ومن تخاذُل الأعضاء ، وفساد الأخلاط ، وما خالط اللسان من سوء التِّبيان ، والعجزِ عن الإفصاح ، ولن تجتمعَ هــذه العِلَلُ فى إنسانٍ واحد ، فيسلمَ معها العقلُ سلامةً تامَّة .

وإذا اجتمع على الناسخ سوءُ إفهام المُمْلِى ، مع سوء تفهُّم المُستملِى ، كان تركُ التكلُّف لتأليف ذلك الكتاب أسلمَ لصاحبه من تكلُّف نظمه على جمع كُلِّ البال ، واستفراغ كلِّ القُوَى .

فأمَّا الهتة(1) وتشعُّب الخواطر المانعة من صحة الفِكر ، واجتماع البال ، فهذا ما لا بُدَّ من وقوعه .

فليكنِ العذرُ منك على حسب الحال ، والخِيَرة فيما صنَعَ الله . وقد علمنا أن الخِيَرة مقرونة بالكُرْه ، وبالله التوفيق .

---

(1) كذا بالأصل ، ولعله : « فأما فتور الهمة » ، أو نحو ذلك .

[عناية الأشراف بالبغال]

نبدأ إن شاء الله ، بما وَصَفَ الأشرافُ من شأن البغلة ، فى حُسن سيرتها ، وتمام خَلقها ، والأمور الدالّة على السرّ الذى فى جَوْهَرها ، وعلى وجوه الارتفاق بها ، وعلى تصرُّفها فى منافعها ، وعلى خِفّة مئونتها فى التنقّل فى أمكنتها وأزمنتها ، ولِمَ كَلِفَ الأشرافُ بارتباطها ، مع كثرة ما يزعمون من عيوبها ؟ ولِمَ آثروها على ما هو أدْوَمُ طهارةً خُلُقٍ منها ؟ وكيف ظهر فضلُها مع النقص الذى هو فيها ؟ وكيف اغتفروا مكروهَ ما فيها ، لِمَا وجدوا من خصال المحبوب فيها ؟ حتى صار الرجل منهم يُنشد العُذّالَ فيها كقول السَّعدىّ[1] :

أَخٌ لِى كَأَيَّامِ الحَيَاةِ إِخَاؤُهُ ... تَلَوَّنُ أَلْوَانًا عَلَىَّ خُطُوبُهَا
إِذَا عِبْتُ مِنهُ خَصلَةً فَهَجَرْتُهُ ... دَعَتْنِى إِلَيهِ خَصْلَةٌ لَا أَعِيبُهَا[2]

١٩٨ و

ولقد كَلِف بارتباطها الأشراف ، حتى لُقِّبَ بعضُهم من أجل استهتاره بها بـ « رَوَّاض البغال[2] » ، ولقَّبوا آخر : بـ « عاشق البغل » ؛ هذا مع طِيب مَغارسهم ، وكرَم نصابهم ، ولذلك قال الشاعر :

وتَنَغْلَبَ الرَّوَّاضُ بَعْدَ مِرَاحِهِ ... وانْسَلَّ بَيْنَ غِرَارَتَيْهِ الأَعْوَرُ

وهجاه أيضاً الفَرَزْدق[3] بأمر الحجّاج ، ففحُش[4] عليه ، حتى قال :

وأَفْلَتَ رَوَّاضُ البِغَالِ ولَمْ تَدَعْ ... لَهُ الخَيْلُ مِنْ أَحْرَاحِ زَوجَتِهِ مَعْشَرَا[5]

---

(١) هو حريش السعدى ، كما سبق فى ١ : ٣٧ . وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٣ : ١٧ وغرر الخصائص ٣٠١ .

(٢) انظر ما سيأتى فى ص ٢١٨ (٣) ديوان الفرزدق ٢٩٧ .

(٤) كذا ضبطت الحاء بالضم فى الأصل . يقال فَحَش وفحُش وأفحش .

(٥) فى الأصل : « زوجته شعرا » ، صوابه من الديوان . وكان عبد الرحمن =

وقال لشريف آخر :

مازِلْتُ فِي الحَلَبَاتِ أَسْبِقُ ثَانِياً حَتَّى رُمِيتُ بِعَاشِقِ البَغْـــلِ
لَوْ كَانَ شَاوَرُ مَا عَبَـــأْتُ بِهِ يَوْمَ الرِّهَانِ وساعَةَ الحَفْـــلِ

وشاوَرُ هـذا : رائضٌ كان ببغداد ، والشاعر رجلٌ من بنى هاشم ؛ ولم يَعْنِ بقوله « ما زلتُ فى الحَلَبات أسبق ثانيا » : أنه جاء ثانىَ اثنين ، وإنما ذهب إلى أنه جاء متمهِّلا ، وقد ثَنَى من عِنانه .

وكتب رَوْح بن عبد الملك بن مروان إلى وكيل له : « أبغنى بغلةً حَصَّاء الذَّنَب[1] ، عظيمة المَحْزِم ، طويلة العُنق ، سَوْطُها عنانُها ، وهَواها أمامها[2] » .

وكان مَسْلَمة بن عبد الملك يقول : « ما ركب الناسُ مثلَ بغـــلةٍ قصيرة العِذَار ، طويلةِ العِنان[3] » .

= ابن العباس ، قد انهزم فأخذت جاريتاه يوم الزاوية ، كما فى شرح الديوان نقلا عن ابن حبيب .

(١) الحصاء : مؤنث الأحص ، وهو القليل شعر الثنة والذنب .

(٢) مثل قول عروة بن حزام :

هواى أمامى ليس خلفى معـــرج وشوق قلوصى فى الغـــدو يمان

(٣) أورد هذا الخبر صاحب العقد ٦ : ٢٢٩ مختلطا بسابقه .

وقال صَفوان بن عبد الله بن الأهْتَم ، لعبد الرحمن بن عبّاس[١] بن ربيعة ابن الحارث بن المطّلب ، وكان ركّاباً للبغلة : « مالك وهذا المركب الذى لا تُدْرِكُ عليه الثار ، ولا يُنجيك يومَ الفِرار » ؟ قال : « إنها نزلت عن خُيَلاء الخيل ، وارتفعت عن ذِلّة العَيْر ، وخير الأمور أوساطها » . فقال صفوان : « إنّا نُعلِّمكم ، فإذا علِمتم تعلّمنا منكم ! » .

١٩٨ ظ

وهو الذى كان يُلقَّب : « روّاض البغال » ؛ لحذقه بركوبها ، ولشَغَفه بها ، وحُسن قيامه عليها . وكان يقول : « أريدها واسعةَ الجُفرة[٢] ، مُنْدَحَّةَ السُّرَّة[٣] ، شديدةَ العُكْوَة[٤] ، بعيدةَ الخطوة ، ليّنة الظهر ، مُكْرَبَةَ الرُّسْغ[٥] ، سَفْواءَ جَرْداءَ عَنْقاء[٦] ، طويلةَ الأنقاء[٧] » .

وقال ابن كُناسة[٨] : سمعتُ رجلاً يقول : « إذا اشتريتَ بغلةً فاشترِها

---

(١) فى الأصل : « بن عياش » ، تحريف ، صوابه فى جمهرة ابن حزم ٧٠-٧١ ونسب قريش للزبيرى ٨٨ .

(٢) جفرة الفرس : وسطه .

(٣) يقال اندح بطنه اندحاحا : اتسع ، وكذلك السرة .

(٤) العكوة بضم العين وفتحها : أصل الذنب .

(٥) المكرب : الشديد .

(٦) السفواء : الخفيفة شعر الناصية . والجرداء : القصيرة الشعر . والعنقاء : الطويلة العنق .

(٧) الأنقاء : جمع نقى ونقو . بكسر أولهما ، وهو كل عظم فيه مخ .

(٨) هو أبو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى ، وكناسة لقب أبيه عبد الله . وكان محمد شاعراً من شعراء العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شىء =

طويلة العُنق ، نَجْدةٌ فى نَجائها[1] مُشرِفة الهادى[2] ، نَجْدةٌ فى طِباعها ، ضَخْمة الجوْف ، نجدةٌ فى صبرها » .

والعرب تصف الفرس بسَعَة الجوف . قال الراجز :

غَشَمْشَمٌ يَعْلُو الشَّجَرْ[3] بِبَطْنِه يَعْدُو الذَّكَرْ

قال الأصمعىّ : لم يسبِق الحَلْبةَ قطُّ أهضمُ[4] .

وقال يونُس : كان نابغةُ الجَعْدِىُّ[5] أوصفَ النَّاس لِفرس ، قال : فأنشدت رُؤْبةَ قوله :

= من الحديث . وهو صاحب الجارية الشاعرة المغنية « دنانير » . ولد سنة ١٤٣ . وتوفى سنة ٢٠٧ . فهرست ابن النديم ١٠٥ والأغانى ١٢ : ١٠٥ — ١١٠ والورقة لابن الجراح ٨١ — ٨٣ .

(١) النجاء : السرعة . (٢) الهادى : العنق ، جمعه هواد .

(٣) فى أمثال الميدانى ٢ : ٣ عند قولهم « غشمشم يغشى الشجر » : « يراد به السيل لأنه يركب الشجر فيدقه ويقلعه ويراد أيضاً الجمل الهائج » .

(٤) الأهضم : المنضم الجنبين الخميص البطن . وانظر الحيوان ٣ : ٢٥٢ واللسان (هضم) .

(٥) هو عبد الله بن قيس ، وقيل قيس بن عبد الله ، من جعدة بن كعب بن ربيعة . وكان معمراً نادم المنذر أبا النعمان ، فيقال إنه كان أقدم من النابغة الذبيانى . وأدرك الإسلام ولقى الرسول فأسلم . الاستيعاب ١٥١٤ وأسد الغابة ٥ : ٢ — ٤ والإصابة ٦ : ٢١٨ والمعمرين ٦٤ وابن سلام ١٠٣ والأغانى ٤ : ١٢٧ والخزانة ١ : ٥١٢ والمؤتلف ١٩١ والمرزبانى ٣٢١ والشعراء ٢٤٧ . والخبر فى ابن سلام ١٠٧ . ويقال « نابغة » « والنابغة » بأل . وأنشد فى اللسان (نبغ) مطابقاً لما فى كتاب سيبويه ٢ : ٢٤ :

ونابغة الجعدى بالرمل بيته عليه صفيح من تراب موضع

فإنْ صَدَقُوا قَالُوا : جَوَادٌ مُجَرَّبٌ ضَلِيعٌ ، ومِنْ خيْرِ الجِيادِ ضَلِيعُها

فقال : ما كنتُ أظنُّ المرْهَف منها إلا أسرع[1] .

قالوا : ولم يكن رؤبة وأبوه صاحبَيْ خيل[2] .

وقال سليمان بن عليّ لخالد بن صَفْوان ، ورآه على حمار : ما هذا يا أبا صفوان ؟ قال : أصلح اللهُ الأمير ، ألا أُخبرك عن المَطايا ؟ قال : بَلَى . قال : « الإبل للحمْل والزَّمْل[3] ، والبغال للأسفار والأثقال ، والخيل للطَّلَب والهرب ، والبَراذين للجَمال والوطاءة[4] ، وأما الحمير فللدَّبيب والمَرْفَق » .

قالوا : وكانت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بغلة تسمَّى « دُلْدُل[5] » ، وحمار يُسَمَّى « يَعْفُور[6] » ، وفرس يُسَمَّى « السَّكْب[7] » ، وله ناقتان : « العَضْباء » ، « والقَصْواء[8] » .

---

(١) المرهف : الخميص البطن المتقارب الضلوع .

(٢) بعده عند ابن سلام : « ولكن كانا صاحبي إبل ونعتها » .

(٣) يقال زملت الرجل على البعير ، إذا جعلته زميلا يردفك أو يعادلك .

(٤) الوطاءة : السهولة والمواتاة . وفى الأصل : « والوطا » .

(٥) أهداها إليه المقوقس مع حمار يقال له عفير . سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٣٢٢

(٦) أهداه إليه فروة بن عمرو الجذامى ، مع بغلة يقال لها : « فضة » . ابن سيد الناس .

(٧) أفراس الرسول عدها ابن سيد الناس ٢ : ٣٢٠ — ٣٢١ سبعة أفراس اتفق عليها ، وقيل خمسة عشر . وعدها ابن الكلبى فى نسب الخيل ٨ خمسة وابن الأعرابى فى أسماء خيل العرب ٥١ خمسة أيضاً .

(٨) الحيوان ١ : ١٦٠ . وعد ابن سيد الناس ٢ : ٣٢٢ ناقة ثالثة ، تسمى : « الجدعاء » .

قالوا : وكان عليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، يُكثر ركوب بغلة عبد الله بن وَهْب[1] الشهباء ، التي غَنِمها يوم النَّهْرَوان . هذا في قول الشيعة ، وأما غيرهم فينُكرون أن يكون عليّ ، كرّم الله وجهَه ، يرى أن يغنمَ شيئاً من أموال أهل الصلاة ، كما لم يغنم من أموال أصحاب الجَمل .

قال البُقْطُرِيّ[2] ، ويُكنى أبا عثمان ، واسمه فَهدان :

١٩٩ و

لقي رجلٌ بكرَ بنَ عبد الله المُزَنيّ[3] ، فقال له : رأيتُك على فرس كريم ، ثم رأيتك على عَيْرٍ لئيم ، ثم رأيتك قد أدْمَنْتَ ركوب هذه البغلة ! قال : البغال أعدل ، وسيرُها أقصد .

عليّ بن المَدِينيّ[4] قال : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم[5] قال :

---

(١) عبد الله بن وهب الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميدعان . وكان مع على في حروبه ، ثم خرج عليه في أربعة آلاف ، وبايعه الخوارج سنة ٣٧ ، وقتل يوم النهروان سنة ٣٨ . انظر الطبري ٦ : ٤٢ والتنبيه والإشراف ٢٥٦ والكامل ٥٢٧ ، ٥٥٩ والاشتقاق ٥١٥ وجمهرة أنساب العرب ٣٨٦ .

(٢) في القاموس : « وكعصفر : رجل » ، فلعله منسوب إلى جده . أو لعله منسوب إلى بقطر بفتح الباء والقاف أو ضم الباء والقاف . ولم يصرح الجاحظ باسمه إلا في هذا الموضع . ويأتي أحياناً برسم « اليقطرى » بالياء . انظر فهارس الحيوان والبيان .

(٣) انظر ترجمته في البيان ١ : ١٠٠ .

(٤) أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، المعروف بابن المديني. روى عنه البخاري وأبو داود ، وروى أكثر من مائة ألف حديث . ولد بالبصرة سنة ١٦١ وتوفي سنة ٢٣٤ . السمعاني ٥١٦ وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٤٩—٣٦٧ .

(٥) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري ، من أهل المدينة . روى عنه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين ، وعلى بن المديني وغيرهم. توفي سنة ٢٠٨. تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٨ وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٨٠ .

حدَّثنى أبى عن أبى إسحاق ، قال : حدثنى حَكيم بن حَكيم[١] ، عن مسعود بن الحَكَم[٢] ، عن أُمه[٣] ، قالت : كأنى أنظر إلى علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء[٤] ، فى شِعْب الأنصار » .

وروى عن عبد الرحمن بن سَعْد ، قال : رأيت عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، على بغلة بيضاء ، يَصْفِر لحيته[٥] .

ومن حديث الزُّهْرىّ وغيره ، عن كَثير بن العبّاس[٦] ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ حُنَيْن على بغلته الشَّهْباء » فى حديث طويل فى المغازى .

وفى هذا الحديث : فحضّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « الآن حَمِىَ الوطيس » . وهذه كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يسبقه

(١) حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى الأوسى . روى عن مسعود ابن الحكم . تهذيب التهذيب ٢ : ٤٤٨ . وحكيم بفتح الحاء وكسر الكاف اسمه واسم والده ، وعباد بتشديد الباء ، وحنيف بالتصغير .

(٢) مسعود بن الحكم بن الربيع بن عامر بن خالد الزرقى الأنصارى . روى عن أمه وكانت صحابية ، كما روى عن عمر وعثمان وعلى ، وممن روى عنه حكيم بن حكيم . تهذيب التهذيب ١٠ : ١١٦ .

(٣) يقال اسمها اسماء ، ويقال هى حبيبة بنت شويق الإصابة ١٤٩٠ من قسم النساء .

(٤) فى الإصابة فى ترجمة أم مسعود : « البيضاء » . وذكر ابن سيد الناس ٢ : ٣٢٢ أن بغلته الشهباء كان يقال لها « دلدل » ، أهداها له المقوقس .

(٥) فى الأصل : « يصفر لحيته » .

(٦) كثير بن العباس بن عبد المطلب . جمهرة ابن حزم ١٨ ، ٣٨ والمعارف ٥٣ وتهذيب التهذيب ٨ : ٤١٠ والإصابة ٧٤٧٤ وهو بفتح الكاف وكسر الثاء .

إليها أحد ، وكذلك قوله : « مات حَتْفَ أنْفِه » ، وكذلك قوله : « كلّ الصيد فى جَوْف الفَرَا » ، وكذلك قوله : « هُدْنَةٌ على دَخَن » ، وكذلك قوله : « لا يُلْسَع المؤمن من جُحْرٍ مرّتَيْن » . فصارت كلها أمثالاً[1] .

قالوا : وكان ابن أبى عَتِيق يركب البغال ، وكذلك ابن أبى رَبيعة . وكان هِشام بن عبد الملك أكثرَ الناس ركوباً لها .

وعن أبى الأشهب ، عن الحسَن قال : قال قوم وعُثمان رضى الله عنه محصور : « لو بعثتم إلى أمّ المؤمنين رضى الله عنها فركبت ، فلعلّهم أن يكفّوا » . فأرسلوا إلى أمّ حَبيبة بنت أبى سفيان ، واسمها رَمْلة[2] ، فجاءت على بغلة شهباء فى مِحَفَّة . قالوا : مَن هذه ؟ قالوا : أمّ المؤمنين ، أمّ حَبيبة . قالوا : لا — والله — لا تدخل ، فردُّوها .

وقالوا : وقع بين حَيَّيْن من قُريش مُنازَعة ، فخرجت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها على بغلة ، فلقيها ابن أبى عَتيق ، فقال : إلى أين — جُعِلْتُ فِداكِ ؟ قالت : أُصلِح بين هذين الحيَّين. قال : والله ما غَسَلنا رُءوسَنا من يوم الجَمَل ، فكيف إذا قيل : يوم البغل ! فضحكتْ وانصرفت . ١٩٩ ظ

هذا — حفظك الله — حديثٌ مصنوع ، ومن توليد الرّوافِض ، فظنّ الذى ولّد هذا الحديث ، أنه إذا أضافه إلى ابن أبى عَتيق ، وجعله نادرةً

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ — ١٦ والحيوان ١ : ٣٣٥ .

(٢) وقيل اسمها هند ، ورملة أصح . الإصابة ٤٣٢ من قسم النساء . وانظر جمهرة ابن حزم ١١١ ، ١٩١ ونسب قريش ١٢٤ .

ومُلحة ، أنه سيشيع ، ويجرى عند الناس مَجْرَى الخبر عن أمّ حَبيبة وصفيَّة . ولو عرف الذى اخترع هذا الحديثَ طاعةَ الناس لعائشة – رضى الله عنها – لَمَا طمِع فى جَواز هذا عنه .

وقال علىّ بن أبى طالب – كرّم الله وجهه – : « مُنِيتُ بأربعة : مُنِيت بأشجع الناس ، يعنى الزُّبَيْر ؛ وأجودِ الناس ، يعنى طَلْحَة ؛ وأنضّ الناس[١] ، يعنى يَعْلَى بن مُنْيَة[٢] ؛ وأطوَعِ الناس فى الناس ، يعنى عائشة » .

ومن بعدِ هذا ، فأىُّ رئيس قبيلٍ من قبائل قُرَيش كانت تَبعث إليه عائشة – رضى الله عنها – رَسولاً فلا يُسارع ، أو تأمره فلا يُطيع ، حتى احتاجت أن تركب بنفسها ؟ وأىّ شىء كان قبل الركوب من المُراسلة والمُراوضة والمُدافعة والتقديم والتأخير ، حتى اضطرّها الأمر إلى الرُّكوب بنفسها ؟ وإنّ شرًّا يكون بين حَيَّيْن من أحياء قُرَيش ، تَفاقَم فيه الأمرُ ، حتى احتاجت عائشة – رضى الله عنها – إلى الركوب فيه ، لَعظيمُ الخطَر ، مُستَفيضُ الذِّكر ؛ فمَن هذا القبيلان ؟ ومن أىّ ضربٍ كان هذا الشرّ ؟ وفى أىّ شىء كان ؟ وما سببُه ؟ ومَن نطَق من جميع رجالاتِ قُرَيش فعصَوْه وردُّوا قولَه ، حتى احتاجت عائشةُ فيه إلى الركوب ؟ ولقد ضربوا قوادِمَ الجمل ، فلما برَكَ ومال الهَوْدَجُ صاح الفريقان : « أمَّكم ! أمَّكم » .

---

(١) أى أجودهم وأسخاهم ، من قولهم : نض إليه من معروفه شىء ينض نضاً ونضيضاً ، أى سال . وقد شارك فى وقعة الجمل مع عائشة بستمائة بعير وستمائة ألف درهم . الطبرى ٥ : ١٦٦ . كما اشترى لها الجمل الذى ركبت عليه بمائتى دينار ، واسم الجمل « عسكر » . الطبرى ٥ : ٢٠٣ .

(٢) منية : اسم أمه وقيل اسم أبيه . الإصابة ٩٣٦ وجمهرة ابن حزم ٢١٣ ، ٢٢٩ . وفى الأصل : « منبه » ، تحريف . واسم أبيه أمية بن أبى عبيدة بن همام .

فأمرُ عائشة أعظمُ ، وشأنها أجلّ ، عند مَن يعرف أقدار الرجال والنساء ، من أن يُجَوِّز مثلَ هذا الحديث المولَّد ، والشرَّ المجهول ، والقبيلتين اللتين لا تُعْرَفان .

والحديث ليس له إسناد ؛ وكيف وابن أبي عَتِيق شاهدٌ بالمدينة ، ولم يعلم بركوبها ، ولا بهذا الشرِّ المتفاقِم بين هذين القبيلين ؟ ثم ركبت وحدها ، ولو ركبت عائشة لمَا بقِيَ مُهاجريّ ولا أنصاريّ ، ولا أمير ولا قاضٍ إلّا ركب ؟ فما ظَنُّكَ بالسُّوقة والحُشْوة ، وبالدَّهْماء والعامّة . ٢٠٠ و

[رواة الأخبار]

وما هو إلّا أن ولّد أبو مِخْنف[١] حديثاً ، أو الشَّرْقيّ بن القُطاميّ[٢] ، أو الـكلبيّ[٣] ، أو ابن الـكلبيّ[٤] ، أو لَقيط المُحَاربيّ[٥] ، أو شَوْكَر[٦]

---

(١) أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى انظر حواشى البيان ١ : ١١٨ ، ٣٦١.

(٢) انظر لترجمته حواشى البيان ١ : ٣٦٠ .

(٣) الـكلبى هو أبو النضر محمد بن السائب الـكلبى ، صاحب التفسير ، الـكوفى المتوفى سنة ١٤٦ . انظر الفهرست ١٣٩ — ١٤٠ والسمعانى ٤٨٥ .

(٤) هو أبو المنذر هشام بن محمد ، النسابة المتوفى سنة ٢٠٤ . الفهرست ١٤٠ — ١٤٣ والسمعانى ٤٨٥ — ٤٨٦ ونزهة الألباء ١١٦ .

(٥) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربى الـكوفى . المتوفى سنة ١٩٠ . فهرست ابن النديم ١٣٨ . وقد روى له الجاحظ فى البيان ٢ : ١٦٢ .

(٦) وكذا ورد اسمه مجرداً عن النسبة فى الحيوان ٥ : ٣٠٢ . وترجم له فى لسان الميزان ٣ : ١٥٨ وذكر أنه أخبارى مؤرخ ، شيعى ، كان فى المائة الثانية . وذكره عمر بن شبة فى أهل البصرة وقال: كان يضع الأخبار والأشعار . وفيه يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب =

أو عَطَاء المِلْط[١] ، أو ابن دَأْب[٢] ، أو أبو الحَسَن المدائنى[٣] ثم صوَّره فى كتاب ، وألقاه فى الورَّاقين ، إلّا رواه مَن لا يحصِّل ولا يتثبَّت ولا يتوقّف . وهؤلاء كلّهم يتشيَّعون .

وكان يونُس بن حَبيب يقول : « يا عجبًا للناس ، كيف يكتبون عن حمّاد وهو يصحِّف ويكذب ويلحَن ويكسِر » !

ومن أراد الأخبار فليأخذْها عن مثل قَتَادة[٤] ، وأبى عمرو بن العَلاء

=وذكر فى لسان الميزان ٤ : ٤٠٩ أنه كان يضع الحديث بالسند كما كان يضعه ابن داب بالمدينة . ففيه نص على أنه رحل إلى السند . وانظر تاريخ بغداد ١١ : ١٥٢ .

(١) كان عطاء الملط شاعراً معاصراً لبشار ، وله معه خبر فى الأغانى ٣ : ٥٩ — ٦٠ . وله خبر آخر مشهور مع قُريب والد الأصمعى فى الأغانى ٥ : ١٠٢ وأشير إليه فى مجالس العلماء للزجاجى ٧٢ — ٧٣ . وفى الأغانى ١٥ : ٤٠ رواية منسوبة إليه . وورد فى الخامس من الأغانى برسم « عطاء الملك » محرفا . وأصل معنى الملط ، بالكسر ، هو الخبيث .

(٢) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب النسابة الأخبارى . وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . انظر لسان الميزان ٤ : ٤٠٨ والمعارف ٢٣٤ وتاريخ بغداد ١١ : ١٤٨ وروى الخطيب عن خلف الأحمر أنه قال : آفتنا بين المشرق والمغرب : ابن دأب يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . صوابه « وشوكر » .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى صاحب الأخبار والتصانيف الكثيرة ، المتوفى سنة ٢١٥ . الفهرست ١٤٧ — ١٥٢ ولسان الميزان ٤ : ٢٥٣ ونوادر المخطوطات ١ : ٥٨ — ٥٩ .

(٤) قتادة بن دعامة السدوسى ، سبقت ترجمته فى ص ٥٧ .

وابن جُعْدُبة[1] ، ويونُس بن حَبيب ، وأبي عُبَيْدَة ، ومَسْلَمَة بن مُحَارِب[2] ، وأبي عاصم النَّبيل[3] ، وأبي عُمَر الضَّرير[4] ، وخلَّاد بن يزيد الأرقط[5] ، ومحمد بن حَفْص – وهو ابن عائشة الأكبر ، وعُبَيْد الله بن محمد – وهو ابن عائشة الأصغر[6] ، ويأخذها عن أبي اليَقْظَان سُحَيْم بن قادم[7] . فإنَّ

---

(١) هو يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة الليثي المدني ، حجازي انتقل إلى البصرة فسكنها ، وقدم بغداد فحدث بها عن عبد الرحمن الأعرج ، ومحمد بن المنكدر وابن شهاب الزهري وغيرهم . ومات بالبصرة في زمان المهدي . تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٩ — ٣٣٢ ولسان الميزان ٦ : ٧٧٤ والخلاصة ٤٠٨ . ويأتي محرفاً باسم « ابن جعدية » .

(٢) هو مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهري البصري النحوي المقرئ ، ترجم له في لسان الميزان ٦ : ٣٤ وقال : « كان صاحب فصاحة » .

(٣) هو أبو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري . كان فقيها ثقة كثير الحديث ، وكان فيه مزاح . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٣٣ وتهذيب الأسماء ٧٣٧ .

(٤) من يقال له أبو عمر الضرير كثير ، منهم حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري المقرئ الضرير الأصغر ، ومنهم حفص بن عمر الضرير الأكبر . وثلاثة غيرهما . انظر تهذيب التهذيب ٢ . ٤٠٨ — ٤١٣ ونكت الهميان ١٤٦ والخلاصة ٧٤ — ٧٥ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط الباهلي : أحد رواة الأشعار ، والعارفين بأخبار القبائل . وهو صهر يونس بن حبيب البصري، روى عن سفيان الثوري ، وعنه عمر ابن شبة . وكان يقول فيه : « كان من الجبال الرواسي نبلا » . توفي سنة ٢٢٠ . فهرست ابن النديم ١٥٦ وتهذيب التهذيب ٣ : ١٧٦ .

(٦) انظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢ .

(٧) المعروف في اسمه « سحيم بن حفص » . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفي سنة ١٩٠ . الفهرست ١٣٨ .

هؤلاءِ وأشباههم مأمونون ، وأصحاب تَوَقٍّ وخَوْف من الزوائد ، وصَوْن لِمَا فى أيديهم ، وإشفاق على عَدالتهم .

[الحاجة إلى البغال]

ولما خرج قَطَرِىّ بن الفُجَاءَة ، أحبَّ أن يجمع إلى رأيه رأىَ غيره ، فدسَّ إلى الأَحْنَف بن قَيْس رجُلاً ، ليُجرىَ ذكرَه فى مجلسه ، ويحفظ عنه ما يقول . فلما فعل قال الأحنف : « أمَا إنّهم إنْ جَنَبوا بناتِ الصَّهَّال[1] ، وركبوا بناتِ النَّهَّاق ، وأمسَوْا بأرضٍ وأصبحوا بأرضٍ ، طال أمرهم » .

قالوا : فلا نرى صاحبَ الحرب يستغنى عن البغال ، كما لا نرى صاحب السِّلْم يستغنى عنها ، ونرى صاحب السَّفَر فيها كصاحب الحضَر .

قال الأصمعىّ عن جَرير بن حازِم عن الزُّبَير بن الخِرِّيت[2] ، عن أبى لَبيد — واسمه لِمَازَة بن زَبَّار[3] — قال : مرّ بنا زِياد فى سِكَّتنا هذه ، وهو على بغلةٍ قد لوى رَسَنها على عُنقها تحت اللِّجَام ، ومعه رجُل أو رجُلان .

---

(١) انظر ما سبق من التعليق فى ١ : ٤٢ .

(٢) الزبير بن الخريت البصرى ، روى عن السائب بن يزيد ، وأبى لبيد ، وعكرمة ومحمد بن سيرين ، والفرزدق الشاعر . وعنه جرير بن حازم وأخوه الحريش بن الخريت وحمادة بن زيد وجماعة . تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٤ . والخريت ، بكسر المعجمة وتشديد الراء المهملة المكسورة ، كما فى التقريب .

(٣) لمازة بن زبار الأزدى الجهضمى البصرى ، روى عن عمر وعلى وأنس وغيرهم . وعنه الزبير هذا ، ويعلى بن حكيم ، ومحمد بن ذكوان وغيرهم . تهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٧ — ٤٥٨ . و« لمازة » بكسر اللام وتخفيف الميم بالزاى . وزبار ، بفتح الزاى وتثقيل الموحدة وآخره راء ، كما فى التقريب . وفى الأصل : « لماذة بن زياد » تحريف .

هذا وزياد على العراقِ أجمع .

قال : وتهيَّأ الناسُ لخالد بن عبد الله[1] مَقْدَمَه من الشأم ، وركب ابن هُبَيْرة[2] بغلته ، ووقف له فى المَضِيق . فلما طلع خالد غَمزَ ابن هُبَيْرَةَ بغلته غمزةً فإذا ابنُ هبيرة بينه وبين الذى كان يُسايِره ، فقال : كيف أنت يا أبا الهَيْثم ؟ وَلِيتَ مِنَّا أمرًا تولَّى الله أحسنه ، ولك منا المكافأة ! فقال له خالد : فَرَرْت منّى فِرارَ العبد ! فقال عمر : حين نِمْتَ عن حفظى نومَ الأَمَة ! فانتهى الخبر إلى هشام ، فقال : « قاتلهُ الله » !

٢٠٠ ظ

[حمل البغال للهدايا]

قالوا : والهدَايا النفيسة ، والطُّرَف العجيبة ، والكرَامات الثمينة ، التى أهدتْها بِلْقِيس بنت ذى شَرْحٍ[3] إلى سليمان بن داود ، هى الهدايا التى أخبر

---

(١) خالد بن عبد الله القسرى : أمير العراقين (الكوفة والبصرة) من قبل هشام بن عبد الملك الأموى . أقام بالكوفة زماناً إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠ وولى مكانه يوسف بن عمر ، وأمره أن يحاسبه ، فسجنه يوسف وعذبه ثم قتله بالحيرة فى أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . الطبرى ٩ : ١٧ والمعارف ١٧٤ ووفيات الأعيان ١ : ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) هو عمر بن هبيرة الفزارى ، كان والياً على العراقين ليزيد بن عبد الملك معظم مدة خلافته من سنة ١٠٢ إلى سنة ١٠٥ حين تولى الخلافة بعده هشام ، فعزل عمر واستعمل خالد بن عبد الله القسرى . الطبرى ٨ : ١٦٧ والمعارف ١٥٩ والاشتقاق ٥١٨ .

(٣) فى الأصل : « شرج » ، تصحيف . وذو شرح هو ابن ذى جدن بن أيلى شرح بن الحارث بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وانظر الإكليل للهمدانى ٨ : ١٧ ، ٣٠ . وفى الطبرى ١ : ٢٥٤ أن بلقيس هى بلقمة بنت اليشرح ، ويقول بعضهم : ابنة إيلى شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذى شرح =

الله عن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ أنه قال : ﴿ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ[1] ﴾ . ولم تكن الملكة تبتهج بتلك الهدايا ـ وهى إلى سليمان ، وسليمان هو الذى أعطاه الله مُلكاً لا ينبغى لأحدٍ من بعده ـ إلاَّ وهى هدايا شريفة .

قالوا : فهذه الهدايا الشريفة إنّما كانت على البغال الشُّهب .

[إيثار البغال فى الركوب]

وكان ممن يركبها كثيراً إسماعيلُ بن الأشعث[2] ، وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث[3] .

قال : وقال حَوْشَب بن يزيد بن رُوَيم[4] لعبد الرحمن بن محمد

= ابن ذى جدن بن إيلى شرح بن الحارث بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وفى الإكليل ٨ : ٢٤٢ أنها بنت الهدهاد بن شرحبيل . وفى جمهرة أنساب العرب ٤٣٩ بلقيس بنت إيلى أشرح بن ذى جدن بن إيلى أشرح بن الحارث ابن قيس بن صيفى .

(١) سورة النمل ٣٦ .

(٢) فى بعض نسخ البيان ٣ : ٢٥٧ : « إسماعيل بن محمد بن الأشعث » .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى ، القائد الأموى الخارج على عبد الملك والحجاج . جمهرة أنساب العرب ٤٢٥ وكان لابن الأشعث هذا مع عبد الملك أربع وقعات ما بين سنتى ٨٢ ، ٨٣ . المعارف ١٥٦ والطبرى ٧ : ٣ — ٤٢ . وكانت وفاته سنة ٨٥ .

(٤) فى جمهرة ابن حزم ٣٢٥ : « حوشب بن زيد بن الحارث بن رويم » . وذكر أنه ولى شرطة الحجاج . وفى الأغانى ٢٠ : ١٨ « حوشب بن يزيد بن الحارث بن الحويرث ابن رويم الشيبانى »

ابن الأشعث : دَعْنى أهيِّج عليك عمَّك أبا الفضل إسماعيل بن الأشعث . قال : لا تعرِّضْنى له ، فإنه ضعيف ، فأشفِق[١] عليه . فقال : يا أبا الفضل ، إنّ ابن أخيك زعم أنّ بغلتك جَلَّالة . قال : لكنّ بغلته لو أفلتَت ما تركتْ بيتَ زانية ولا بيتَ خمّار ، إلّا وقفتْ عليه ! قال عبد الرحمن : ما كان أغنانا عمَّا أظهرتَ لنا من ضَعْف شيخنا !

ولمَّا وفدتْ عائشةُ بنت طَلْحة[٢] على عبدِ الملك بن مروان ، وأرادت الحجّ ، حَمَلَها وأحشامَها[٣] على ستّين بغلاً من بغال الملوك ؛ فقال عُرْوَة ابن الزُّبَيْر :

يَا عَيْشَ يَا ذَاتَ البِغَالِ السِّتِّينْ ... أَكُلَّ عَامٍ هٰكَذَا تَحُجِّينْ[٤]

---

(١) لم يظهر من هذه الكلمة فى الأصل إلا « فا » .

(٢) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة . وطلحة هذا من المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المسمين للجنة . المعارف ١٠٠ — ١٠٣ ونوادر المخطوطات ١ : ٧٠ — ٧٣ والأغانى ١٠ : ٥١ — ٥٧ والإصابة ٤٣٥٩ والرياض النضرة ٢ : ٢٦٢ .

(٣) الحشم : الأتباع والمماليك والخدم . وفى القاموس : « وحشمة الرجل وحشمه ، محركتين ، وأحشامه : خاصته الذين يغضبون له من أهل وعبيد أو جيرة » .

(٤) نوادر المخطوطات والأغانى ١٠ : ٥٦ . وبعده فى الأغانى : « فأرسلت إليه : نعم يا عُريّة ، فتقدم إن شئت . فكف عنها ولم تتزوج حتى ماتت » . وكانت قد تزوجت من قبلُ عبد الرحمن بن أبى بكر ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم عمر ابن عبيد الله بن معمر .

وكان مروان أبو السِّمط[1] يركب بغلةً له بالبصرة ، لا يكاد يُفارقها . فقال الجمَّازُ[2] وهو يهجوه :

٢٠١ و اجْتَمَعَ النَّاسُ وصَاحُوا : الحريقْ ببَابِ عُثْمَانَ وسُوقِ الرَّقيقْ
فَجَاء مَرْوَانُ عَلَى بَغْــلَةٍ فَأَنْشَدَ الشِّــعْرَ فَأَطْفَأ الحريقْ

يَرمِى شعرَه بالبرْد . وكان حَسَدَه حين سمع قائلاً يقول : لم يُصِبْ شاعرٌ قطُّ ما أصاب أبو السِّمط ، ولا أصاب حجَّامٌ ما أصاب أبو حرملة .

وقد هجاه أيضاً فقال :

يَاأَبَا السِّمْطِ ، حَزِيرَا نُ وتمــوزُ وآبُ
كُنْ لنَا منها مُجيرًا لكَ فى ذَاكَ ثَوَابُ
بِشُــعَيْرٍ يُذْهِبُ الحــرَّ ويَهْنِينا الشَّرَابُ[3]

---

(١) هو أبو السمط مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة ، وكان شاعراً ساقط الشعر بارده ، عاصر الواثق والمتوكل، وله فى المتوكل وأحمد بن أبى دواد قصائد عدة ، كما كانت له مساجلات مع على بن الجهم . تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٣ ، وطبقات ابن المعتز ٣٩٢ والأغانى ١١ : ٢ . أما مروان بن أبى حفصة الأكبر جده فله ترجمة فى الشعر والشعراء ٧٣٩ ومعجم المرزبانى ٣٩٦ وابن خلكان ٢ : ٨٩ ، وطبقات ابن المعتز ٤٢ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٤٢ . ومما جعل المؤرخين يخلطون بينهما أن كلا منهما يكنى « أبا السمط » . والأصح أن الأكبر منهما يكنى « أبا الهيذام » . لكن جرى الجاحظ فى البيان ١ : ٦٣ على تكنية الأصغر منهما بأبى السمط .

(٢) الجماز لقب له ، ومعناه الوثاب . وهو محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان . شاعر أديب بصرى، وكان ماجناً خبيث اللسان ، معاصراً لأبى نواس ، وكان أكبر منه سناً . دخل بغداد فى أيام الرشيد والمتوكل ، وأعجب به المتوكل يوماً ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها . تاريخ بغداد ٣ : ١٢٥ ، وابن خلكان فى ترجمة يوسف بن عبد البر .

(٣) الشعير هنا : مصغر الشعر .

وقال ابن سيرينَ لرجلٍ : ما فعلتْ بغلتُك ؟ قال : بِعْتُها . قال : ولِمَ ؟ قال : لمَؤُونتها . قال : أفتراها خلَّفت رزقَها عندك ؟

وذكر يوسُف بن خالد السَّمْتيُّ[1] ، عن مُجالد[2] ، فيما أحسِبُ ، قال : بال بغلى فتنحَّيْتُ . فقال الشَّعْبيّ : ما عليك لو أصابك .

قال : وكانت لابن سيرين بغلتان : بغلة لخاصّة نفسه ، وبغلة للعاريّة[3] .

وكتب سليمان بن هِشام إلى أبيه : إنَّ بغلتى قد عَجَزت ، فإن رأيتَ أن تأمُرَ لى بدابّة فافعل . فكتب إليه : « قد فهمتُ كتابك ، وما ذكرتَ مِن ضَعف بغلتك ، وما ذاك إلاّ لِقِلة تعهُّدك ، فتفقَّدْها ، وأَحْسِنِ القيام عليها . ويرى أمير المؤمنين فى ذلك رأيَه » .

---

(١) هو أبو خالد يوسف بن خالد بن عمير السمتى الليثى . والسمتى : نسبة إلى السمت ، أى الهيئة ، كما فى الأنساب وتهذيب التهذيب . وكان له بصر بالرأى والفتوى ، وهو أول من جلب رأى أبى حنيفة إلى البصرة ، وأول من وضع كتاباً فى الشروط ، وهو علم يتناول أدب القضاء والشروط والمواثيق . وكان أحد رجال الجهمية . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٣٠٦ وكشف الظنون (علم الشروط والسجلات) .

(٢) هو أبو عمرو مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام الكوفى ، من رواة الشعبى ، وروى عنه جرير بن حازم ، وشعبة ، والسفيانان ، وابن المبارك وغيرهم . تهذيب التهذيب .

(٣) العارية والإعارة : الاستعارة ، منسوبة إلى العارة ، يقال أعرته الشىء أعيره إعارة وعارة ، كما يقال أطعته إطاعة وطاعة . وقال الجوهرى : كأنها منسوبة إلى العار ، لأن طلبها عار وعيب .

[نوادر وأخبار في البغال]

ومن النوادر ، قال : ادَّعى رجل على الهَيْثَم بن مُطَهَّر الفَأْفاء[١] أنه سرَق بغلا ؛ فقال له الوالى : ما يقولُ ؟ قال : ما أَعرفُ مما يقول شيئاً ؛ قال : أصلحك اللهُ ، إنه سَكْران فاستنكِهْهُ . قال : لأىِّ شىء يَستنكِهنى ؟ آ كَلْتُ البغل ؟

وقال آخر يهجو رجلاً :

يا حابِسَ الرَّوْثِ في أعْفَاجِ بَغْلَتِهِ شُحًّا على الحَبِّ مِنْ لَقْطِ العَصافيرِ

وهذا شبيه بقول الشاعر[٢] :

رَأَيْتُ الخُبزَ عزَّ لَدَيْكَ حتَّى حَسِبْتُ الخُبزَ في جَوِّ السَّحابِ
وما رَوَّحْتَنَا لِتَذُبَّ عَنَّا ولٰكِنْ خِفْتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

٢٠١ ظ

وهذا ليس من الهجاء الموجِع ، وإنما الهجاء ما يكون فى الناس مُثْلَة .

قالوا لحَمدانَ أبى سَهْل اللِّحْيانىّ : علمتَ أن بِرْذَون صاحب الحبْس

(١) الهيثم بن مطهر ، ذكره الجاحظ فى البيان ٢ : ٢٦٩ وابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ١٦٠ . وكان فى أيام المهدى ، وهو من أصحاب النوادر ، وكان من العُرجان

(٢) البيتان بدون نسبة فى الحيوان ٣ : ٣١٧ والعقد ٦ : ١٩١ . وهما لأبى الشمقمق كما فى عيون الأخبار ٢ : ٣٦ ، ٣ : ٣٤٧ . وجاء فى البخلاء ٦٤ : « وكان أبو الشمقمق يعيب فى طعام جعفر بن أبى زهير ، وكان له ضيفاً ، وهو مع ذلك يقول » كما أعادهما فى ١١٤ بدون نسبة . وقد نسب البيت الثانى مع سابق له غير المروى هنا إلى أبى الشيص فى محاضرات الراغب ١ : ٣١٨ ، وإلى أبى نواس فى المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوى ٢ : ٢٠٣ .

نَفَقَ ؟ قال : وَالَهفَاهُ ! كنتُ أرجو أن يكسدَ فيخسَرَ ، فإذا هو قد باع وربح . فظنَّ أنَّ قوله : قد نَفَقَ ، من نَفَاق السِّلعَة .

ومثل هـذا وليس من ذكر البغال فى شىء ، ما سمع رجلٌ رجلا يُنشد قوله :

وكانَ أخِلاَّئِى يَقُولُونَ مَرْحَبًا   فَلَمَّا رَأوْنِى مُعْدِمًا مَاتَ مَرْحَبُ

فقال : مَرْحَبٌ [1] لم يمُتْ ، قتله على بن أبى طالب عليه السلام !

ونظر أبو الحارث جُمَّيْن [2] إلى أتانِ وحْش يُنْزَى عليها حِمارٌ أهلىٌّ ، فأنشد :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا   رُمِّل ما أنفُ خَاطِبٍ بِدَمِ [3]

---

(١) هو مرحب اليهودى ، قتله على بن أبى طالب فى غزوة خيبر ، وكان خرج إليه محمد بن مسلمة فضربه فقطع رجليه وسقط ، ثم مر به على فضرب عنقه . إمتاع الأسماع ٣١٥ . وفى السيرة ٧٦١ أن الذى قتله هو محمد بن مسلمة .

(٢) أبو الحارث جمين ، أو جميز ، أحد أصحاب الفكاهة من معاصرى الجاحظ ودعبل بن على ، وسيابة . انظر بعض أخباره فى الأغانى ١ : ٣٧ و ١١ : ٦ و ١٧ : ٤٤ وجمع الجواهر للحصرى ٦٣ ، ٦٤ . وذهب صاحب القاموس إلى أن لفظ « جمين » خطأ ، والصواب « جميز » ، قال فى مادة (جمن) : « ضبطه المحدثون بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة . أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا   قد أوتى الحكمة والميزا » .

(٣) البيت لمهلهل فى اللسان (أبن) ومعجم ما استعجم ومعجم البلدان (أبانان) حيث وردت قصة البيت . ورمل بالدم : لطخ به . وفى الأصل : « زمل » تحريف ، صوابه فى اللسان . ويروى : « ضرج » كما فى معجم البلدان ومعجم ما استعجم . و « ما » بعده زائدة . أراد : ضرج أنف خاطب .

ونظر إلى بِرْذَوْنٍ يُسْتَقَى عليه الماء ، فأنشد :

وَمَا المَرْءُ إلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فَفِي صَالِحِ الأَعْمَالِ نفسَكَ فَاجْعَلِ [(١)]

هذا لو هَمْلَجَ لمْ يُصِبْه ما أصابه[(٢)] .

قالوا : وكان لأبي الحارث بغلٌ قَطُوف[(٣)] ، فلما أعياه استقى عليه الماء ؛ فرآه يوماً في الطريق ، وعليه مَزادة ثقيلة ، وهو يمشي تحتها مشيًا وطيئًا ؛ فقال : لو مشى تحت الخفيف كما يمشي تحت الثقيل ، وكان الإنسان أحبّ إليه من الرَّاوِيَة[(٤)] ، ربح هو الكرامةَ ، وربحت أنا الوَطاءةَ[(٥)] !

قال : ونظر أعرابيٌّ إلى بغلِ سَقَّاء ، وقد تفاجَّ ليبول ، فاستحثَّه بالمِقْرَعة ، وقطعَ عليه البول . فقال الأعرابيّ : إنّها إحدى الغوائل ، قطَعَ اللهُ منك الوتين[(٦)] !

قال إبراهيم بن داحة[(٧)] : كان في طريق المَوْصِل سِكَّةُ بَرِيد[(٨)] ، وبقرب السكَّة مسجد ومُستراحٌ للمُسافر ، وفي تلك السكَّة بغل لا يُرام

---

(١) البيت لمنقر بن فروة المنقري ، كما في البيان ٣ : ٢٢٨ . وتمثل به أبو الحارث كما في البيان ٢ : ١٠٣ و ٣ : ٢٢٨ . وفي الأصل : « فاجعلا » ، تحريف .

(٢) هملج : سار سيرا حسنا في سرعة وبخترة .

(٣) القطوف : السيء السير البطيء .

(٤) الراوية : المزادة فيها الماء .

(٥) الوطاءة : اللين والسهولة . وفي الأصل : « الوطا » .

(٦) الوتين : عرق في القلب .

(٧) ذكره الجاحظ في البيان ١ : ٨٤ في جماعة من مشايخ الشيع .

(٨) في الأصل : « مريد » .

ولا يمانع ، وكان إذا انفلتَ من قَيْده وسِلْسِلته ، وقد عاين بِرْذَوْنًا أو بغلاً أو فرسًا ، اغتصبه نفسَه ، واقتسره اقتسارا ، فلا ينزِع عنه حتى يَـكُومَه ، وربما قتله ، لِعِظَم جُرْدانه ، وإن كان عليه راكبُه صَرَعَه ، وربما قَتَله ، حتى جاء شيخٌ أعرابيّ على فرس له أعرابيّ أعجَفَ بادى الحراقيف[1] ، حتى نزل عن فرسه على دُكّان ذلك المسجد ، وعلّق المِخْلاة فى رأسه ، وحلّ حزامَه ، وترك عليه سَرْجَه ، وأخذ مِخْلاَتَه ، وجاء البغـل قد أدلَى ، يُريد أن يركب فرسَ الأعرابيّ ، فجمع رجليْه ، فواتَرَ على جَبهة البغل ، وعلى حِجَاج عينيه ، فرمَحَه خمسَ رَمَحاتٍ أو ستًّا مُتواليات ، كلّها يقع حافرَا رجليْهِ معًا ، فنـكصَ البغل شيئًا يسيرًا[2] ، ثم عاوَده ، فنثر على وجهه وحِجاج عينيه مثلَ ذلك العدد ، فى أسرعَ من اللَّحظ ، وفرسُ الأعرابيّ فى ذلك كلِّه واقفٌ لا يتحلحَـل ، والأعرابيّ قد ضحك حتى استلقى ، فولّى البغل يريد السكّة ، فشدّ عليه فرسُ الأعرابيّ من بين يديه ، فلحقه الفرس فعضّضه ، وكامه الفرسُ ، ورجع الفرسُ إلى موضعه ، ودخل البغل السكّة ، فـكبّروا عليه ، ونثروا عليه الرَّوث اليابس ، وشَمِتَ به جميع النّاسة ، وافترّوا عليه[3] ، فترك البغلُ ذلك الخُلُق . وقال الأعرابيّ وكأنه يُخاطب البغل :

ظَنَنْتَ فُرَيْسَ الشّيْخِ يا بَغْلُ نُهْزَةً
فَجِئْتَ مُدِلاًّ كالهِزَبْرِ تُطَاوِلُهْ

(١) الحرقفة : عظم رأس الورك ، وجمها حراقف وزيادة الياء فى مثل هذا جائز فى مذهب الكوفيين .

(٢) نـكص : رجع .

(٣) افتر افترارا : ضحك وأبدى أسنانه .

فَوَلَّيْتَ مَغْلُولًا وطَابَقْتَ مُذْعِنًا
كما طَابَقَتْ لِلبعلِ يومًا حَلَائِلُه[١]

قال : وقدَّموا إلى سُليمان بن عبد المَلك جَدْيًا سمينًا ، فقال لأبى السَّرايا[٢] — وكان من مَجانين الأعراب — كُلْ مِنْ شَحْمِ كُلْيَتِه ، فإنه يَزيد فى الدِّماغ . قال : لو كان الأكل من كُلَى الجدى يزيد فى الدِّماغ ، كان رأسُ الأمير أعظمَ من رأس البغل !

وإنما قال « الأمير » ، لأن سليمان كان يومئذٍ ولىَّ عهْد .

وقد غَلِط مَن زعم أنّهم كانوا وضعوا قُدّام سليمان جَدْيا ، وإنما كان يأكل ملوكهم الحُملان ، لأنّها هناك أطيَب ويسمّونها : « العَمَاريس » . ٢٠٢ ظ

ولمّا قدِم عبد الملك بالكوفة ، وضعوا بين يديه جديًا ، قال : فهلاَّ جعلتموه عُمْرُوسًا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، تلك عماريس الشام ؛ فأمّا العِراقُ[٣] فجِدَاؤها أطيب وأكرم[٤] .

وتفاخر ناس بكِبَر الأيور ، وشيخٌ جالسٌ لا يخُوض معهم ؛ فلما أكثروا قال الشيخ : لو كان كِبر الأيورِ مَجدًا كان البغل من بنى هاشم !

---

(١) البعل : الزوج ووردت فى ط : « للبغل » ، تحريف . والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة . طابقت له : انقادت له ووافقته وأذعنت .

(٢) فى الأصل :« لأبى السربال » ، صوابه من البيان ٢ : ٢٣٨ حيث الخبر .

(٣) قرأها ناشر ط سهوا «الشام»، وقال : « لعل الصواب العراق » مع وضوح كلمة « العراق » فى الأصل .

(٤) بدله فى الحيوان ٥ : ٤٦٢ : « فأين أنتم عن العماريس ؟ فقيل له : عماريس الشام أطيب » .

وشهد مُزَبِّد المَدِينى[1] عند قاضى المدينة بشهادة ؛ وكان ذلك القاضى مُفْرِطَ الحِدّة ، شديدَ البَطْش ، سريعَ الطِّيَرَة ، فقال له القاضى : أعَلَيَّ تجترئ وعندى تشهد ؟ ! جُرًّا برجليه وألقِيَاه تحت البغلة ! فلما أمعنَا به نحوَ البغلة ، التفتَ إلى القاضى فقال : أصلحك الله ، كيف خُلُقها ؟ فضحك وخلّى سبيلَه .

وكان نُمَيْـلة بن عُـكَّاشة النُّمَيرى[2] مُتَكايسًا ؛ فدخل دار بلال ابن أبى بُرْدة ، فرأى ثورًا مجلَّلا ، فقال : سبحان الله ! ما أفرهَها من بغلة لولا[3] أنّ حوافرَها مشقوقة !

قالوا : ورأى الطائفُ بالليل شخصًا عظيما قد انخنس[4] عنه ، فشدّ نحوه ، فإذا حَمْدُوَيْهُ المخنَّث قد جلس كأنه يخرأ ، ولم يكن به خِراء ، وكان قد جلس على رَوْث ؛ فقال له : أنت أيّ شيء تصنعُ هاهنا هذه الساعةَ ؟ قال : خرجتُ أخرأ . فنظروا فإذا تحته رَوْثة ، قالوا : ما لكَ ، صرتَ بغلًا ؟ قال : هذا زيادة عليكم ، كل إنسان يخرأ ما يشاء !

قال أبو الحسن[5] : نظر جُحَا[6] إلى رجل بين يديه يسير على بغلة ،

---

(١) مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف فى اسمه كثيرا فيقال : « مزيد » . وانظر تحقيق ضبط اسمه والإشارة إلى ترجمته . فى حواشى البيان ٢ : ١٠٢ .

(٢) وردت فى ط « النهدى » ، خلافا لما فى الأصل .

(٣) فى الأصل : « لو » والوجه ما أثبت .

(٤) انخنس : رجع وتأخر .

(٥) أبو الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢١٥ . ترجمته فى البيان ٢ : ١٨٠

(٦) هذا دليل على قدم هذا الشخص . وقد أجرى له ابن النديم المتوفى سنة =

فقال للرجل : الطريقَ يا حِمْصِيّ ! فقال الرجل : ما يُدْرِيك أنى حمصىّ ؟ قال : رأيتُ حِرَ بغلتك ، فإذا هو يُشبه الحاء ، ورأيت فَقْحَتَها فرأيتها تُشبه الميم ، ورأيت ذَنَبها فإذا هو يشبه الصاد ، فقلتُ : إنَّك حمصىّ !

قالوا : وابتاع عِبَادىٌّ بغلًا ، فمرّ بالحىّ ، فقالوا : بارك الله لك ! قال : لاتقولوا هكذا . فكيف نقول ؟ قال : قولوا : لا بارك الله لك فيه ! قالوا : سبحان الله ! أيقول هذا أحدٌ لأحدٍ له فيه رأى ؟ قال : قولوا كما أقول لكم ! قالوا : لا بارك الله لك فيه ! قال : وقولوا : وأعَضَّك ببَظْر أمِّك[1] ! قالوا : نعم ، قال : إنْ أنا أعَرتُكُمُوهُ أبداً ! ٢٠٣ و

وهذا يُشبه حديث سِنْدِيَةَ الطحّانة ، وكانت تطحن بالنهار ، وتؤدّى الغلّة وتخدم أهلَها بالليل ، فانكسفت الشمس يوماً ، فقالت لها مَوْلاتها : اذهبى يا شَهدة[2] ، أنتِ حُرّة لوجه الله ! قالت : أليس قد صرتُ حُرّة ! ثم عدَتْ

= ٣٨٥ ذكرا فى الفهرست ص ٤٣٥ إذ ذكر كتاب « نوادر جحا » بين أسماء الكتب التى ألفت فى نوادر المغفلين . وفى القاموس : « وجحاً كهدى ! لقب أبى الغصين دجين بن ثابت ، ووهم الجوهرى » . قال الشارح : « أى فى قوله إن جحا اسمه » . ونقل عن كتاب المنهج المطهر للقلب للشعرانى : « عبد الله جحا تابعى كما رأيته بخط الجلال السيوطى . قال : وكانت أمه خادمة لأم أنس بن مالك ، فلا ينبغى لأحد أن يسخر به إذا سمع ما يضاف إليه من الحكايات المضحكة » . وفى اللسان : « وجحا اسم رجل ، قال الأخفش : لا ينصرف لأنه مثل عمر ، قال الأزهرى : إذا سميت رجلا بجحا فألحقه بباب زفر » .

وانظر القاموس (دجن ، غصن) .

(١) أعضه : قال له اعضض به . وقد وقع ناشر ط هنا فى تحريف وتخريج نبهت عليه فى مجلة معهد المخطوطات .

(٢) كذا . وسبق أن اسمها « سندية » .

من بين يديها[١] ، فقامت على باب الدار رافعةً صوتها تقول : مَن قال لى زانية فهى زانية ، من قال لى لِصّة فهى لصة ، من قال لى قوّادة فهى قوادة . هاتى الآنَ رَحًى لك[٢] !

وأخبرنى أبو الزُّبير[٣] كاتب محمد بن حسّان[٤] ـ ، قال : وقف الهَيْثم بن مُطَهَّر الفَأْفَاء[٥] على باب الخَيْزُرَان[٦] ينتظر رجلا يخرج من عندِها ، فبعث إليه عمر الكَلْوَذانىّ[٧] : قد نُهينا أن نجعل ظهور دوابِّنا

(١) فى ط : « عادت من بين يديها » ، خلافاً لما فى الأصل .
(٢) فى الأصل : « هات الآن رحالك » . وإنما تقول لمولاتها : قد أصبحت الآن فى حاجة إلى رحى تطحنين بها بعد أن صرتُ أنا حرة .
(٣) فى الأصل : « أبو الزبرقان » . وانظر البيان ١ : ٨٨ .
(٤) انظر البيان ١ : ٨٨ . (٥) انظر ما سبق فى ص ٢٣٤
(٦) هى الخيزران ابنة عطاء ، مولدة من جرش باليمن ، وكانت أم ولد للمهدى ، وهى أم موسى الهادى وهارون الرشيد . وكان لها شأن فى الدولة العباسية . توفيت سنة ١٧٤ فى خلافة الرشيد . انظر التنبيه والإشراف ٢٩٧ والجهشيارى ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٥٧ ، ١٧٨ ، ٢٢١ والطبرى فى حوادث سنة ١٧٠ ، ١٧٤ والبيان ٢ : ٢٦٩ .
(٧) ذكر الطبرى فى حوادث سنة ١٦٧ أن المهدى جد فى طلب الزنادقة والبحث عنهم فى الآفاق وقتلهم ، وولى أمرهم عمر الكلواذى وفى الجهشيارى ١٥٦ : « وجدَّ المهدى فى طلب الزنادقة ، وقلد عمر الكلواذانى طلبهم فظفر بجماعة منهم ، وظفر فيهم بيزيد بن الفيض كاتب المنصور ، فأقر بالزندقة فحبس وهرب من الحبس » . والكلواذى والكلواذانى : نسبة إلى كلواذى ، من قرى بغداد على خمس فراسخ منها . وقد وردت هنا « الكلوذانى » ويبدو أنها نسبة ثالثة . انظر السمعانى ٤٨٦ . ويقال فى النسبة إليها أيضاً « كلوذى » كما فى معجم البلدان ، نسبة رابعة . وفى كلواذى يقول أبو نواس :

أحين ودعنا يحيى لرحلته وخلف الفرك واستعلى لكلواذى

مجالسَ[١] ، فانزل عن ظهر دابّتك ؛ فالأرض أحملُ لثقلك . فقال للرسول : إنى أنتظر رجلا قد حانَ خروجُه ، فبعث إليه : أن انزلْ عن دابتك ، فإذا خرج صاحبُك فاركبْ والحَق به . فقال للرسول : أَعْلِمْهُ أنّى أعرج ، وأنا مع هذا رجُل مُثْقَل باللحم ، ولا آمَن أن يسبقَنى الرجل سبقاً بَعيداً ، فلا ألحقَه . فردّ الرسول ، فقال : يقول لك : إنْ أنت نزلتَ ، وإلّا أنزلناك صاغراً . فقال الهَيْثم : قُلْ له : إن كنتَ إنّما تنظر للبغل ، فهو حبيسٌ[٢] فى سبيل الله ؛ إنْ أنزلتنى عنه ، إنْ أقضمتُه حَبّة شعيرٍ شهراً ، فسلْه الآن : أيُّما أحبُّ إليه : ركوبى له ساعةً ، أو حِرْمان الشعير شهراً ! فلما جاءته الرسالة قال : ويْلَكم ! هذا شيطان ! دَعوه فى لعنة الله .

قال : ونظر إليه جعفر والفضل ابنا يحيى[٣] ، وهو واقف فى ظلّ قصر من قصور الشَّمّاسيَّة[٤] ، فنظر إلى شيخ عجيبِ الخِلْقة ، وإذا تحته بغلٌ أعجف ، يكاد يسقط هُزالًا وضَعفا ؛ فقالا له : يا شيخ ، لَولا تعالجُ بغلَك هذا حتّى يَعودَ سميناً فارهًا فى أيّامٍ يسيرة ، بأيسر مئُونة ؟ قال : بأىِّ شىءٍ أعالجه ؟ قال :

٢٠٣ ظ

---

(١) إشارة إلى حديث : « لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس » .

(٢) فى بعض نسخ البيان ٢ : ٢٦٩ « حبس » حيث أورد الخبر مختصراً هناك .

(٣) هو يحيى بن خالد البرمكى ، وزير هارون الرشيد ، وهو الذى نشأ هارون ورباه . وكان يقول له : يا أبى ، إلى أن نكب البرامكة فغضب عليه وحبسه فمات فى الحبس سنة ١٩٠ . وكان له من الأبناء : جعفر ، والفضل ، ومحمد ، وموسى . وفيهم يقول القائل :

أولاد يحيى أربع كأربع الطبائع

انظر ابن خلكان ٢ : ٢٤٢ — ٢٤٦ .

(٤) الشماسية : موضع مجاور لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد .

تأخذ عشرة أمْناء مِسْك وعَنْبَر(١) ، وتعجنها بعشرة أمْناء من بانٍ الغاليّة ، وتَطْليه به طَليةً واحدة . فتجافى عن سرجه فولّى(٢) وجوهَهما ظهرَه ، ثم ضرط ضرطةً صُلْبة ؛ قالا : ما هذا ؟ قال : هذا لكما على الصِّفة ، ولو قد أنْجَعَ الدَّوَاء خَرِينا عليكم !

وحدَّثونا عن هِشام بن حسّان(٣) ، عن محمّد بن سِيرين ، قال : كان رجلٌ عيّاب ، فأبصر بَغلةً تحت شُرَيح(٤) ، فقال : أبا أميَّة ، إنَّ بغلتك لَفارهة ! قال : إنها إذا رَبَضَتْ لم تَقُمْ حتى تُبْعَث . قال : لا خير فيها إذَنْ !

قال أبو الحسن : كان هشامُ بن عبد الملك يوماً على باب يزيد بن عبد الملك ينظر إلى بغالٍ تُعْرَض ، فنظر إلى بغلٍ منها لم يَرَ الناسُ مثلَه فى تمام خَلْق ، وطَهارة خُلُق ، ولِين سيرة ، وحُسْن صورة ، فقال : ما يصنع أميرُ المؤمنين بهذه الدوابِّ كلِّها ؟ لو أن رجلا اجتزأ بهذا البغل وحده ، لكان مكتفياً .

قال : فلمّا وَلِيَ هشام ، اتّخذ البراذين البُخَارِيّة ، والبغال الفُرْهَة(٥) ؛

---

(١) الأمناء : جمع مَناً ، وهو ميزان يوزن به ، وقدره رطلان ، كما فى المصباح .

(٢) فى الأصل : « مولى » .

(٣) توفى سنة ١٤٦ . وانظر ترجمته ومراجعها فى حواشى البيان ١ : ٢٩١ .

(٤) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندى الكوفى القاضى . استقضاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على . وكان يقول له : أنت أقضى العرب ! وولاه زياد قضاء البصرة . توفى سنة ٧٢ . المعارف ١٩١ والإصابة ٣٨٧٥ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ٢٠ وابن خلكان .

(٥) الفاره : النشيط الحاد القوى . ويجمع على فواره . ويجمع نادراً على فره وفره ، بضمتين وبضمة واحدة ، كما يجمع على فرهة مثل صاحب وصحبة ، وسيبويه يرى الأخير اسم جمع وليس بجمع .

فأذْكره رجلٌ ذلك الكلام ، فقال : وأنا على الرأى الأول ، ولكن تأتينا أشياء نحسُد الناس عليها .

[ما قيل من الشعر فى البغال]

قال : وكان عند محمد بن سليمان[1] رجل مُغَفَّل ؛ فأنشد رجلٌ رجزاً قيل فى عُمَر بن هُبَيْرة :

جَاءَتْ بِهِ مُعْتَجِــرًا بِبُرْدِهِ سَفْوَاءُ تَرْدِى بِنَسِيجِ وَحْدِهِ[2]
تَقْدَحُ قَيْسٌ كُلُّهـــا بِزَنْدِهِ

فقال الشيخ : بأبى هو وأمّى ــ صلى الله عليه وسلم ! لأنه ظنّ حين سمع بذكر البُرْد والبغلة ، أنه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وإنما هذا كقول أبى دَهْبَل[3] :

---

(١) محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس العباسى ، والى البصرة ثم الكوفة فى عهد المنصور . ثم ولاه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده الهادى وأقرة الرشيد . ثم نقم عليه واستصفى أمواله . وتوفى سنة ١٧٣ . لسان الميزان ٥ : ١٨٨ وتاريخ بغداد ١٧٩٥ وجمهرة ابن حزم ٢٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٣١٦ .

(٢) الرجز لدكين بن رجاء الفقيمى ، كما فى اللسان (وحد ، عجر ، سفا) .

(٣) اسمه وهب بن زمعة الجمحى ، من بنى جمح ، وأكثر أشعاره فى عبد الله ابن عبد الرحمن الأزرق والى اليمن ، وفيه يقول القصيدة التى منها البيت التالى . وهو من شعراء الدولة الأموية ، وكان له غزل فى عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان ، وفيها يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مرمر مسنون

ودهبل ، بفتح الدال والباء . الشعر والشعراء ٥٩٦ والأغانى ٦ : ١٤٩ والمؤتلف ١١٧ والاشتقاق ١٢٩ .

تَحمِلُهُ النَّاقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالبُرْدِ، كالبَدْرِ جَلَّى لَيلةَ الظُّلَمِ[١]

ومثل قول ابن المَوْلَى[٢] لجعفر بن سليمان :

أَوْحَشَتِ الجَمَّاءُ مِنْ جَعْفَرٍ فَجَانِبَا عَيْنِ أبى مشعرِ[٣] ٢٠٤ و

لَمَّا غَدَا تَحْمِلُهُ بَغْلَةٌ مُعْتَجِرًا كَالقَمَرِ الأَزْهَرِ

ولمّا قال المَدينىّ[٤] وهو بالحجاز ، وذَكَر أبا البَخْتَرِىّ[٥] وهو قاضٍ

---

(١) معتجراً : معتما . والاعتجار : لى الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار ، من مخضرمى الدولتين . الأغانى ٣ : ٨٥ — ٩٣ .

(٣) الجماء : موضع من ضواحى المدينة ، وكان جعفر والياً على المدينة وله بها قصور ، ثم عزل عنها ، كما فى معجم البلدان ومعجم ما استعجم . وعين أبى مشعر ، لم أجدها فى كتب البلدان .

(٤) فى الأغانى ٧ : ١٥٠ : « دعى رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير الذى كانوا يشربون منه ، فقال فيهم :

نبيذان فى مجلس واحد لإيثار مثر على مقتر

فلو كان فعلك ذا فى الطعام لزمتَ قياسك فى المسكر

وبعدها البيتان . فبلغت الأبيات أبا البخترى فبعث إليه بثلثمائة دينار » . وفى تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨٢ أن الشعر للعطوى .

(٥) هو وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب . أبو البخترى القرشى المدنى، وكان قد انتقل عن المدينة إلى بغداد فسكنها . وولاه هارون الرشيد القضاء بعسكر المهدى ، ثم عزله فولاه المدينة ، ثم عزل فقدم بغداد وأقام بها حتى مات . وكان جواداً سخياً . توفى سنة ٢٠٠ . تاريخ بغداد ١٣ : ٤٨١ — ٤٨٧ ولسان الميزان ٦ : ٢٣١ — ٢٣٤ والأغانى ٧ : ١٥٠ . والبخترى ، بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء .

ببغداد ، وإنما ضَرَب به المَثل ، ولم تكن قصيدته موجَّهة إليه ، فلما سمع قوله أبو البَخْتَرِيّ :

لَوْ كُنْتَ تَطْلُبُ شَأْوَ الكِرَامِ فَعَلْتَ فَعَالَ أَبِى البَخْتَرِى[1]
تَتَبَّعَ إِخْوَانَهُ فى البِلَادِ فَأَغْنَى المُقِلَّ عَنِ المُكْثِرِ

قال : يا غلام ، علىَّ بأربعمائة درهم ، وتَخْتٍ فيه أربعون ثوباً ، وبغلة ناجية[2] . فأعطاه ، أو فبعثَ بها إليه .

وقال بعض المُحَارَفِينَ[3] الفُقَراء ، أو الطِّيَاب[4] الشعراء :

أَتُرَانِى أَقُولُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْـ ـرِ لِبَعْضِ التِّجَارِ أَفْسَدْتَ مَالِى
أَوْ تُرَانِى أَقُولُ : مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ لِدَوَابِى بِذَا الشَّعِيرِ جِمَالِى[5]
أَوْ تُرَانِى أَقُولُ : يَا قَهْرَمَانِى سَلْ غُلَامِى مُوَفَّقًا عَنْ بِغَالِى
أَوْ تُرَانِى أَمُرُّ فَوْقَ رِوَاقٍ لِىَ عَالٍ فى مَجْلِسٍ لِىَ عَالِى
أَسْرِجُوا لِى ، فَيُسْرِجُونَ دَوَابِى فَأَقُولُ : أَنْزِعُوا السُّرُوجَ ، بَدَا لِى[6]

---

(١) ورد البيت بالخرم فى أوله وفى الأغانى : « ولو كنت » و : « صنعت صنيع » ، وفى هامش الأصل : « كفعل » عن نسخة ، أى فعلت كفعل .

(٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب . والناجية : السريعة .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم الذى لا يصيب خيراً من وجه توجه له .

(٤) الطياب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد . والطيب : الفكه المزاح . انظر الحيوان ٣ : ٢٧ والبيان ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ .

(٥) خفف باء الدواب للضرورة .

(٦) انظر الحاشية السابقة . وبدا لى : أى تغير رأيى على ما كان عليه . ومنه قوله :

لعلك والموعود حق لقاؤه بدا لك فى تلك القلوص بداء

هَذَيَانًا كَمَا تَرَى وفُضُــــولًا دَائِمَ النُّوكِ مِنْ عَظِيمِ المِحَالِ[١]

ومن هذا الباب قول الآخر[٢] :

أُخَىَّ قَدْ أَوَّبَ الحَجِيجِ ومَا أَمْلِكُ لاَ بَغْـلَةً وَلاَ فَرَسَا[٣]

اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كلِّ أَخٍ يَقُولُ: اِجْدَمْ وقَائِلٍ : عَدَسَا[٤]

وقال رجل من بنى شَيْبان ، واقترض ، فندِمَ بعد أن ركب البغال المقصَّصة[٥] بدَلًا من النجائب والخيل :

بُدِّلْتُ بَعْدَ نَجَائِبِي ورَكَائِبِي أَعْوَادَ سَرْجٍ مُقَصَّصٍ هِمْلَاجِ

ووَقَعْتُ فى عَدَسٍ كأَنِّىَ لَم أَزَلْ شَنِقًا لِقَوْلِى لِلنَّجَائِبِ : عَاجِ[٦]

واللهِ لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ غَزْوَتِى لَرَجَعْتُ مُنْقَلِبًا لَها أَدْرَاجِى[٧] ٢٠٤ ظ

---

(١) المحال ، بالكسر : المكر . وبالضم : المستحيل .

(٢) هو بشر بن سفيان الراسبى . كما فى اللسان (عدس) .

(٣) يقال أوب وتأوب وأيب ، كله بمعنى رجع .

(٤) اجدم : زجر للخيل . وعدس : زجر للبغل . وعدس ، بالبناء على السكون ، وأعربه الشاعر للضرورة كما فى اللسان (عدس) .

(٥) عنى بالمقصص المقصوص الذنب ، ويقال لها أيضا « المحذفة » . وانظر ما سيأتى فى ٢٠٩ ظ .

(٦) شنق شنقاً : هوى شيئاً فصار كأنه معلق به . ورجل شنق : معلق القلب . وعاج : زجر للناقة ، يقال بالتنوين وعدمه .

(٧) يقال رجع درجه ، بالتحريك ، وأدراجه ، أى رجع فى طريقه الذى جاء فيه

وقال الحسَن بن هانئ :

غَنيتُ بِمَرْكَبِ البِرْذَوْنِ حَتَّى أَطَاحَ الكِيسَ إغْلَاءُ الشَّعِيرِ (١)

فَحُلْتُ إلَى الْبِغَالِ فَأَعْوَزَتْنِي وحُلْتُ مِنَ الْبِغَالِ إلَى الْحَمِيرِ

فَأَعْيَتْنِي الْحَمِيرُ فَصِرْتُ أَمْشِي أُزَجِّي المَشْيَ كَالرَّجُلِ الْكَسِيرِ (٢)

ومَا بِي ، والْحَمِيدُ اللهُ ، كَسْرٌ ولَكِنْ فَقْدُ حُمْلَانِ الْأَمِيرِ (٣)

وقال رَبيعة الرَّقِّيُّ (٤) :

وَبَلَائِي أَنَّ أُمِّي أَثْقَلَتْنِي بِإِزَارِي

فَإِذَا مَا قُمْتُ أَمْشِي هَمَّ خَصْرِي بِانْبِتَارِ

كَلَّ ذَا أَحْمِلُ وَحْدي أَيْنَ مِنْ أُمِّي فِرَارِي

أُمَّتَا هٰذَا وَرَبِّي حِمْلُ بِرْذَوْنٍ بُخَارِي

أُمَّتَا لَسْتُ بِبِرْذَوْ نٍ وَلَا بَغْلٍ مُكَارِي

---

(١) ط : «عنيت» بالعين المهملة خلافاً للأصل . وفى الديوان : «أضر الكيس» .

(٢) فى الديوان : « أزجى الرجل » . والتزجية : الدفع بالرفق ، والسوق اللين .

(٣) الحملان ، بالضم : مصدر حمل يحمل حملانا ، ثم يطلق على ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

(٤) هو أبو شبابة أو أبو ثابت ، ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيزار بن لجأ الأسدى الرقى ، من شعراء الدولة العباسية ولد بالرقة وبها نشأ ، فأشخصه المهدى إليه فمدحه ، وكان ضريراً . وهو القائل :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

معجم الأدباء ١١ : ١٣٤ — ٢٣٦ ونكت الهميان ١٥١ — ١٥٢ وطبقات ابن المعتز ١٥٧ — ١٧٠ والأغانى ١٥ : ٣٧ — ٤٢ .

وقال الحكم بن عَبْدَلٍ(١) :

مَرَرْتَ عَلَى بَغْلٍ تَزُفُّكَ تِسْعَةٌ ... كأَنَّكَ دِيكٌ مائلُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ(٢)

تَخَايَلْتَ فى جِنِّيَّةٍ لِتَرُوعَنَا ... وأَنْتَ إلى وَجْهٍ يَزِينُكَ أَفْقَرُ(٣)

وقال حَنْظلة بن عَرادة(٤) :

تَخَيَّرْتُ المُلوكَ فَحُطَّ رَحْلِى ... إلَى سَلْمٍ ولَمْ يُخْطِ اخْتِيارِى(٥)

يَقُولُونَ اعْتَذِرْ مِنْ حُبِّ سَلْمَى ... إِذَنْ لا يَقْبَلُ اللهُ اعْتِذَارِى

إذَا مَرَّتْ بِجِسْرِكُمُ بِغَالِى ... فَقُومُوا فَانْظُرُوا فى شَأْنِ دَارِى

وقُومُوا ظالمينَ فَهَدِّمُوهَا ... وأَلْقُوا مِنْ صَحِيفَتِكُمْ صِغَارِى

وحمل أبو دُفافة بن سعيد بن سَلْمٍ(٦) دِعْبلاً الشاعر على بغل، فوجده ـ زَعَمَ ـ ذا عيوبٍ فكتب إليه : ٢٠٥ و

---

(١) الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدى من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج أحدب هجاء خبيث اللسان ، منزله ومنشؤه الكوفة . الأغانى ٢ : ١٤٤ — ١٥٣ .

(٢) وكذا فى الحيوان ٢ : ٣٠٥ . وفى اللسان (زين) : « مائل الزين » . والزين : العرف .

(٣) فى الحيوان : « تخيرت أثواباً لزينة منظر » .

(٤) حنظلة بن عرادة ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان صاحب سلم بن زياد والى خراسان فى أيام يزيد بن معاوية . انظر الحيوان ١ : ٢٢٦ والجهشيارى ٢٦٢ ونوادر المخطوطات ٢ : ٣٥٥ والاشتقاق ٢٤٧

(٥) يعنى سلم بن زياد .

(٦) فى الأغانى ١٨ : ٣٥ أن دعبلا قال : « مدحت عبد الرحمن بن خاقان وطلبت منه برذونا فحمله إلى غامزاً (أى به غمز ، وهو الظلع . وفى الأصل : غامرا) فكتبت إليه » . وأنشد البيتين . ثم قال : « فبعث إلى ببرذون غيره فاره ، بسرجه ولجامه وألفى درهم » .

حُمِلْتُ عَلَى أَعْرَجٍ حَارِنٍ فَلَا لِلرُّكُوبِ وَلَا لِلثَّمَنْ[١]
حَمَلتَ عَلَى زَمِنٍ شَاعِرًا فَسَوْفَ تُكَافَا بِشُكْرٍ زَمِنْ[٢]

وخرج أبو هَرْمَة الفَزَاريّ من منزله على بغلةٍ فارهة ، فشرب بكلّ ما معه واحتاج ، فبادل بالبغلة حمارةً ، وقال :

خَرَجْتُ بِبَغْلَةٍ مِن عِنْدِ أَهْلِي فَجِئْتُ بِهَا وقدْ صارَتْ حِمَارهْ
فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فإِنِّي أَنَا الغَاوِى خَلِيعُ بَنِي فَزارَهْ

وبادلَ محمد بن الحارث[٣] قَيْنةً ببرذون ؛ فألفاه صديقٌ له صلاةَ الغَداة وقد ركبه ، فقال :

عُجْتُ بالسَّابَاطِ يَوْمًا فإذَا القَيْنَةُ تُلْجَمْ
قَيْنَةٌ كَانَتْ تُغَنِّى مُسِخَتْ بِرْذَوْنًا أَدْهَمْ

وقال الآخر :

يَا فَتْحُ لَوْ كُنْتُ ذَاخَزٍّ أُجَرِّرُهُ
تَحْتِي سَلِيمُ الشَّظَا مِنْ نَسْلِ حَلَّابِ[٤]

---

(١) الحارن : ذو الحران ، وهو الذى لاينقاد ، إذا اشتد به الجرى وقف . وفى الأغانى : « غامر » . صوابه « غامز » وقد سبق تفسيره

(٢) الزمانة : العاهة . وفى الأغانى : « على زمن غامر » صوابه « غامز »

(٣) فى معجم المرزبانى ٤٣٤ : « محمد بن أبى الحارث الكوفى . ذكر دعبل أن له أشعاراً كثيرة حساناً ، وكان لبعض إخوانه جارية مغنية فباعها وأخذ بثمنها برذوناً فقال محمد . . » . وأنشد البيتين مع تقديم الثانى منهما على الأول

(٤) فى الأصل و ط : « جلاب » ، صوابه بالحاء المعجمة . وهو فرس لبنى تغلب من نتاج أعوج انظر القاموس واللسان (حلب) والخيل لابن الكلبى ١٤ ولأبى عبيدة ٦٧ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٠ والعمدة ٢ : ١٨٢ .

أَوْ كُنْتُ ذَا بَغْلَةٍ سَــــفْوَاءَ نَاجِيَةٍ
وشَــــاكِرِيَّيْنِ لَمْ أُحْبَسْ عَنِ البَابِ[١]

أَزْرَى بِنَــــا أَنَّنَا قَلَّتْ دَرَاهِمُنَا
والفَقْــرُ يُزْرِى بِآدَابٍ وأَحْسَــابِ

وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن مَعْن بن زائدة :

أُخْتُ بَنِى شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا ... مَمْشُوطَةً كَوْرًا عَلَى بَغْلِ[٢]

تُكْنَى أَبَا الفَضْلِ فَيَا مَنْ رَأَى ... جَارِيَةً تُكْنَى أَبَا الفَضْــــلِ

وأشعار ذكروا فيها البغال بالتهجين ، ولم يقصدوا إلى أعضائها بشىء ، ومنها ما أرادوا بها من تحياز ركوبها[٣] ، قال بعضهم فى هجاء الموالى :

٢٠٥ ظ

تَأَمَّلْتُ أَسْوَاقَ العِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ ... دَكَاكِينَهَا إِلّا عليهــا المَوَالِيَــا

جُلُوسًا عليهــا يَنْفُضُونَ لِحَاهُمُ ... كَمَا نَفَضَتْ عُجْفُ البِغَالِ المَخَالِيَا

وقال طارق بن أثال الطائى :

مَا إِنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنَــا ... عَلَى البَرَاذِينِ أَمْثَالُ البَرَاذِينِ[٤]

---

(١) الشاكرى : الأجير المستخدم ، معرب چاكر ، كما فى القاموس . وانظر حواشى الحيوان ١ : ١٣٠ .

(٢) ممشوطة ، أى ممشوطة الشعر . وفى الأصل : « منشوطة » ، وأثبت ما فى الأغانى . والكور ، أصله من إدارة العمامة على الرأس ، والمراد إدارة شعرها كما تدار العمامة .

(٣) كذا وردت هذه العبارة . وجعلت فى ط : « بها غبار ركوبها » ! .

(٤) أنشد الشعر فى البيان ١ : ٢٢٧ و ٣ : ٢٢٧ . وهو فى مجالس ثعلب ١٧٨ بدون نسبة .

أعطاهُمُ اللهُ أمـــوالًا ومَنْزِلَةً مِنَ المُلُوكِ بِلاَ عقْـــلٍ ولاَ دِينِ

ما شِئْتَ مِنْ بَغْلَةٍ سفْوَاء ناجيَةٍ وَمِنْ ثيابٍ وقَوْلٍ غَيْرِ مَوْزُونِ[١]

وقال بعضهم فى تشبيه الشىء بالشىء ، وهذا شعر ينبغى أن يُحفظ :

وهَيَّجَ صَوْتُ النَّـــــــاعجات عَشِيَّةً

نَوَاشِخَ أمثـالَ البِغـالِ النَّـــوَافِرِ[٢]

يُمَخِّطْنَ أطْـرَافَ الأُنُوفِ حَـوَاسِراً

يُظاهِرْنَ بالسَّـوْءاتِ هُدْلَ المَشَافِرِ

بَـكَيْ الشَّجْوَ مَا دُون اللَّهَى مِنْ حُلُوقِهـا

ولَمْ يَبْـكِ شَجْوًا ماوَرَاء الحَنَـاجِرِ

وما سمعنا فى صفة النوائح المستأجَرات ، وفى اللواتى ينتحلن الحُزْن وهُنَّ خليّاتُ بالٍ ، بأحسنَ من هذا الشعر .

وها هنا باب من الشعر حَسَن ، وليس من هذا بعينه ، ولكنه قد يُشاكله من باب . قال الشاعر :

ألاَ لاَ يُبَالِي البُرْدُ مَنْ جرَّ فَضْلَهُ كما لاَ تُبَالِي مُهْرَةٌ مَنْ يَقُودُها[٣]

وقال آخر :

لاَ يَحْفِلُ البُرْدُ مَنْ أَبْلَى حَوَاشِيَهُ ولاتُبَالِي عَلَى مَنْ راحَتِ الإِبِلُ[٤]

---

(١) فى البيان : « ومن أثاث » ، وفى مجالس ثعلب : « ومن فعال » .

(٢) الناعجات : الإبل السراع ، أو البيض الكريمة . وجعلت فى ط : « النائحات » خلافاً لما فى الأصل .

(٣) البيت فى البيان ٣ : ٨٢ .

(٤) فى البيان ٣ : ٨٢ : « من يبلى حواشيه » .

وقال آخر :

أَهِينُــوا مَطَايَاكُمْ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ
يَهُونُ عَلَى البِرْذَوْنِ مَوْتُ الفَتَى النَّدْبِ[(١)]

وقال آخر[(٢)] :

وإنِّي لَأَرْثِي لِلْكَرِيمِ إذَا غَدَا إِلَى طَمَعٍ عِنْدَ اللَّئِيمِ يُطَالِبُهْ[(٣)]

وأَرْثِي لَهُ مِنْ مَجْلِسٍ عِنْـدَ بَابِهِ
كَمَرْثِيَتِي لِلطِّرْفِ والعِلْجُ رَاكِبُهْ[(٤)]

٢٠٦ و

وقال مُسلم بن الوليد فى برذون ابن أبى أُمَيَّة[(٥)] :

قُلْ لِابْنِ أُمَيٍّ : لاَ تَكُنْ جَازِعًا لاَ يَرْجِعُ البِرذَوْنُ بِاللَّيْتِ[(٦)]

---

(١) فى البيان ٣ : ٨٢ : « فإنى وجدته » . الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف ، لأنه إذا ندب لحاجة خف لقضائها .

(٢) هو عبد الله بن عكراش ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٨٩ وأنشده بدون نسبة فى البيان ٣ : ٢٠٨

(٣) فى البيان : « على حاجة » ، وفى عيون الأخبار « على طمع » .

(٤) مجلس ، أى جلوس . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأبوين . والعلج : الرجل من كفار العجم .

(٥) هو محمد بن أمية بن أبى أمية ، ويقال محمد بن أبى أمية ، كاتب شاعر ظريف غزل ، كان ينادم إبراهيم بن المهدى . وهو من أهل بيت كثر فيهم الشعراء ، لذلك اختلطت أشعارهم واختلفت الروايات أيضاً فى أنسابهم . تاريخ بغداد ٢ : ٨٥ والأغانى ١١ : ٣٠ — ٣٥ وطبقات ابن المعتز ٣٢٢ فى ترجمة عبد الله بن أبى أمية .

(٦) أنشد هذه الأبيات فى الأغانى ١١ : ٣٢ . قال : « وكان لمحمد بن أمية =

طَأْمَنَ مِنْ جَأْشِكَ فِقْدَانُهُ وكُنْتَ فِيهِ عَالِيَ الصَّوْتِ[١]

وكُنْتَ لاَ تَنْزِلُ عَنْ ظَهْرِهِ ولَوْ مِنَ الْحُشِّ إلى البَيْتِ[٢]

ما مَاتَ مِنْ سُقْمٍ ولٰكِنَّهُ ماتَ مِنَ الشَّوْقِ إلى المَوْتِ[٣]

وأنشد :

بَكَتْ عَيْنِي لِبِرْذَوْنِي السَّمَنْدِي بُكَاءَ أَخِي مُحَافَظَةٍ ووُدِّ[٤]

وكَانَ لَنَا حَمُولَةَ كُلِّ زِقٍّ وكَانَ لِكُلِّ سكبان مؤدِّى[٥]

= برذون يركبه ، فنفق فلقيه مسلم وهو راجل ، فقال : ما فعل برذونك ؟ قال : نفق . قال : الحمد لله، فنجازيك إذاً على ما كان منك إلينا » . ثم أنشد هذا الشعر .

وفى الأصل : « قل لابن مى » ، وهو مع استقامة وزنه عسر التخريج ، وأثبت ما فى الأغانى وديوان مسلم ٢١٥ . وتخرج هـذه الرواية على الخزم ، بالزاى ، وهو زيادة حرف فى أول البيت . وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة . وليس الخزم عندهم بعيب . انظر العمدة ١ : ٩٢ . والليت ، أراد به قول « ليت » : ونحوه قول القائل (اللسان لهف) :

فلست بمدرك ما فات منى بلهف ولا بليت ولا لوانى

(١) فى الديوان : « طأطأ من تيهك » . وفى الأغانى : « طامن أحشاءك » .

(٢) الحش : المتوضأ ، ومكان قضاء الحاجة .

(٣) فى الديوان والأغانى : « ما مات من حتف » .

(٤) السمندى ، يعنى به الشبيه بالسمند ، وهو الفرس بالفارسية . أو المنسوب إلى سمندو . وهى قلعة بالروم .

(٥) كذا ورد فى الأصل

[طبائع البغال وما قيل فيها]

قال : ركب صَخْر بن عُثمان[١] بغلاً ، ليبكِّر عليه فى حاجة ، فقال له عثمان بن الحكَم[٢] ، وهو سيِّد ثَقيف فى عصره : إن كنتَ تركبه على أنه عدوٌّ فاركبه ، وإلا فدعْه .

وقال أبو الحُسَيْن النخَّاس – واسمُه الحارث[٣] ، وهو الذى يقال له مؤمنُ آل فِرْعَوْن – إنما يَجمَح البرذون[٤] ليصرعَ[٥] راكبه فقط ، ألَا تراه إذا سقط عنه ، أو رمى بنفسه عن ظهره ، وقف البرذون ؛ إلّا برذوناً واحداً ، فأنّى رأيتُه شدّ عليه بعد أن ألقاه ، يكدِمُه ويرمَحُه ، وكان الناس يُشدُّون عليه ، فيتنحّى عنه ويشُدّ عليهم ، فإذا أجفلوا من بين يديه رجع إليه يكدِمه ويرمَحُه .

وقال مَن يذمّ البغال : البغل كثير التلوُّن ، به يُضْرَب المثل ، وهو مع هذا قتَّالٌ لصاحبه . قال ابن حازم الباهلىّ[٦] :

---

(١) لعله ولد التالى .

(٢) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفى ، أورد له أبو الفرج خبرين فى الأغانى ٦ : ٢٣ و ١٧ : ١٧ كما روى له الجاحظ خبراً فى ١ : ١٠٤ والبيان ٢ : ٢٣٥ .

(٣) انظر البيان ٢ : ١٧٦ .

(٤) البرذون : ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء . ويقال برذن الرجل : سافر بالبراذين ، كما فى تثقيف اللسان .

(٥) ط : « ليتمرغ » خلافاً لما هو واضح فى الأصل .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن حازم بن عمرو الباهلى ، مولده ومنشؤه بالبصرة ، وسكن بغداد . وهو شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون . تاريخ بغداد ٧٨١ ومعجم المرزبانى ٤٢٩ والأغانى ١٢ : ١٥١ – ١٦٠ والورقة ١٠٩ – ١١٢ وطبقات ابن المعتز ٣٠٧ – ٣١٠ .

مَالِي رَأَيْتُـكَ لَا تَدُو مُ عَلَى المَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ[١]

مُتَـبَرِّمًا أَبَدًا بِمَنْ آخَيْتَ، وُدُّكَ فى سَفَالِ[٢]

٢٠٦ ظ

خُلق جَديدٌ كُلَّ يَوْ مٍ مِثْـلُ أخـلاقِ البِغالِ

وقال آخر فى تلوُّن أخلاقه :

وَمَتى سَبَرْتَ أَبَا العَلاءَ وَجَدْتَه مُتلوِّنًا كَتَلَوُّنِ البَغْـلِ

قال آخر :

يَزِيدُ تُزْرِى به عِنْـدِى سَجِيَّتُهُ كالبَغْلِ،لاشاعِرٌ فَحْلٌ ولا راوِى

وقال عثمان بن الحكم[٣] : كان عندنا فى الحىّ فتًى ولدتْهُ امرأة مذكَّرة ، لرجل مؤنَّث : فما رأيتُ ولا سمعت بخُلق ردىٍّ من أخلاق البغال ، إلّا وقد رأيته فيه[٤] .

وقال آخر[٥] :

الشُّؤمُ مِنْهَا فى ذَوَاتِ الحِجْلِ[٦] وغُرَّةٍ تَصْدَعُ جَمْعَ الشَّمْلِ

---

(١) هذا البيت أحد ستة أبيات من هذه المقطوعة فى الأغانى ١٢ : ١٥٧ قالها لصديق قديم له نال مرتبة من السلطان وعلا قدره ، فجفا محمداً وتغير له .

(٢) السفال ، كسحاب : نقيض العلاء . والبيت وتاليه لم يروهما أبو الفرج

(٣) سبقت ترجمته قريباً .

(٤) نحو هذا المعنى فى الحيوان ١ : ١٠٣ إذ يقول أن ابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال يكون أخبث نتاجاً من البغل

(٥) هو العكلى الراجز ، كما سيأتى فى (٢٢٥ و) . وهو أبو حزام غالب ابن الحارث . وكان أعرابياً فصيحاً يفد على أبى عبيد الله وزير المهدى . قال الخوارزمى : « وشعره عويص لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء . وكان يؤخذ عنه اللغة ، أدركه الكسائى واستشهد ببعض شعره » . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٥ — ١٤٦٧ وله ثلاث أراجيز فى الجزء الأول من مجموع أشعار العرب ١ : ٧٥ — ٧٨ .

(٦) سيرد هذا الشطر والأشطار الخمسة بعد فى (٢٢٥ ظ) .

وهْوَ خِلَافُ الفَرَسِ الهِبَلِّ[١] وكُلِّ طِرْفٍ ذائِلٍ رِفَلِّ[٢]

قَدْ حَذِرَ النّــاسُ أذَاهُ قَبْلِي وعَدّدُوا كُلّ قَتِيـــلِ بَغْلِ

مِنْ ناشئٍ غِرٍّ وكَهْلٍ جَزْلِ وســـائسٍ ورائِضٍ مُدِلّ

وكُلُّهُمْ قَالَ بِقَوْلٍ عَـــدْلِ ولَيْسَ يُحْصِى عَيْبَهُ ذُو عَقْلِ

إلّا الّذِى يَعْـــلَمُ عَدَّ الرَّمْلِ مِنهم أَبُو الفَضْلِ أَخِى وشَـكْلِى

مُجَرَّحُ الوَجْهِ كَسِـيرُ الرِّجْلِ ومَزْيَدٌ وجابِرُ المُسْـــتَمْلِى

كان مَعْبدُ بن أخضر المازِنىّ ـ وهو أخو عبّاد بن أخضر[٣] قاتلِ أبى بلال الخارجى[٤] ـ عند سعيد بن عبد الرحمن بن عَتّاب[٥] ، فخرج

---

(١) الهبل : الطويل العظيم .

(٢) الطرف ، بالكسر : الكريم الطرفين ، أى الأبوين . والذائل : الطويل الذيل وكذلك الرفل .

(٣) عباد بن أخضر نسبة إلى زوج أمه ، كما فى جمهرة ابن حزم ٢١١ إذ يقول : «وأخضر الذى نسب إليه هو زوج أمه» . وبهذه النسبة ورد فى الطبرى ٦ : ٢٧١ . وهو عباد بن علقمة بن عباد بن جعفر التميمى .

(٤) هو أبو بلال مرداس بن أدية ـ بهيئة التصغير ـ أحد الخوارج ، خرج فى أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامرى فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن الأخضر فهزمه وقتله سنة ٦١ وهى سنة مقتل الحسين . الطبرى ٦ : ٢٧١ ولسان الميزان ٦ : ١٤ وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٥) سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أَسِيد الأموى ، كان سيداً ممدحاً ، تزوج الحجاج ابنته ، وتزوج بنت عبيد الله بن زياد . فولدت له عتاب بن سعيد . جمهرة أنساب العرب ١١٣ والاشتقاق ٧٨ ونسب قريش ١٩٦ . ومدحه الراعى . انظر الأغانى ٢٠ : ١٦٨ .

من عنده يوماً على بغل فصرعه، وكسر سرجَه، فركبه عُرْياً ، وانصرف إلى أهله، فقال :

أَمَا واللهِ يَا بنَ أَبِى سَـــعِيدٍ جَزاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ عَمِيـــدِ
فَلَوْ فى دَارِ طَلْحَةَ دُقَّ سَرْجِى لَأَدَّانِى عَلَى سَرْجٍ جَـــدِيدِ[1]

فبعثَ إليه طلحة بسَرجٍ.

٢٠٧ و وأما ربيعة بن أبى الصَّلْت[2]، فقتله بغلٌ على باب عبد الله بن عبَّاس. ومن وَلده كَلَدَة بن ربيعة، وكان شريفاً شاعراً.

وممَّن قتلته بغلته، خالد بن عثمان بن عفّان، رضى الله عنه؛ وذاك أن

---

(١) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى، الذى يقول له الشاعر :

نضر الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

انظر العقد ١ : ٣٤٠ إذ جعله أحد خمسة أجواد بالبصرة، على حين عدهم صاحب الأمالى ٣ : ٢٠ ثلاثة أجواد . وانظر جمهرة أنساب العرب ٢٠٥ ، ٢٣٨ . وولاه زياد بن مسلمة على سجستان فتوفى وهو وال بها نحو سنة ٦٥ . وانظر الشعور بالعور للصفدى ١٦٣ - ١٦٤ مخطوطة دار الكتب .

(٢) هو ربيعة بن أمية بن أبى الصلت الثقفى، ولى بعض الولايات بالإسلام، كما فى جمهرة أنساب العرب ٢٦٩ . وكان لأمية بن أبى الصلت أربعة بنين : عمرو، وربيعة، ووهب، والقاسم . وكان القاسم وربيعة شاعرين أيضاً . وربيعة هو القائل :

وإن يك حياً من إياد فإننا وقيساً سواء ما بقينا وما بقوا
ونحن خيار الناس طراً بطانة لقيس، وهم خير لنا إن هم بقوا

الأغانى ٣ : ١٧٩ — ١٨٠ والإصابة ٢ : ١٩٧ والاشتقاق ٣٠٤ . وقال ابن دريد عند الكلام على ثقيف : « ومن رجالهم ربيعة بن أبى الصلت، صاحب ربيعتان : نهر بقرب الأبلة . ومن ولده كلدة بن ربيعة » .

خالداً كان بالسُّقْيَا[١]، فقال : هذا يوم الجمعة ، لئن لم أُجَمِّع[٢] مع أمير المؤمنين إنها لَلسَّوْءة السُّوءى ! فركب بغلةً له لا تُسايَر ، فسار سبعين مِيلاً ، فأتى المدينة فى وقت الصلاة : نحرَ َّمِيِّتًا ، ونجتِ البغلة .

ومن قتلته البغال ، المُنْذِر بن الزُّبَيْر[٣] ، وكان يُكنى أبا عثمان ؛ حَمَلَ على أهل الشام وهو على بغلةٍ وَرْدةٍ[٤] ، بعد أن ألحَّ عليه عبد الله بن الزُّبير يَذْمُره[٥] ؛ فلما سمعت البغلةُ قَعْقَعة السِّلاح نفرت ، فتوقَّلتْ به فى الجَبَل[٦] ، حتى أخرجتْه من حدود أصحابه ؛ فاتَّبعه أهل الشام ؛ فناداه عبد الله : انجُ أبا عثمان ، فِداك أبى وأمّى ! فعثَرت البغلة ، ولحقه أهلُ الشام ، فقتلوه .

---

(١) السقيا : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) جمع الناس تجميعاً : شهدوا الجمعة وقضوا الصلاة . وكذا ضبطت فى الأصل بتشديد الميم ، وضبطت فى ط بفتح الهمزة وسكون الجيم خطأ .

(٣) هو أبو عثمان المنذر بن الزبير بن العوام ، أخو عبدالله بن الزبير ، وقتل معه . جمهرة ابن حزم ١٢٢ ، ١٢٣ . وكان مقتل أخيه عبد الله سنة ٧٣ فى حربه مع الحجاج سنة ٧٣ كما فى الطبرى ٧ : ٢٠٢ .

(٤) الوردة بالفتح : ما لونها الوردة بالضم ، وهى حمرة تضرب إلى صفرة . يقال فرس وَرد ، والأنثى وَردة . ويقال عشية وردة : قد احمر أفقها . وفى الأصل : « ورد » ، تحريف .

(٥) ذمره ذمرا : حثه مع لوم واستبطاء . ويقال ذمره تذميرا : حضه وشجعه .

(٦) توقلت توقلا : أسرعت فى الصعود .

ولذلك قال يزيد بن مُفرِّغ فى هجائه لعبيد الله بن زياد[١] :

لَابْنُ الزُّبَيْرِ غَداةَ يَذْمُرُ مُنْذِرًا   أَولَى بغَايَةِ كُلِّ يَوْمِ دِفَاعِ

وأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الجميلِ مِنِ امْرِئٍ   كَزٍّ أَنامِلُهُ قَصِيرِ البَاعِ[٢]

قال : وأردف عبَّاسًا المَشُوقَ الشاعر[٣] ، بعضُ الفتيان خلفَه على بغلة له ، ووعده أن يَهبَ له ويكسُوَه ، وحَرَن البغل ، فسقط الرجلُ فاندقَّت فخِذاه ، فقال المَشُوق :

لَيْتَ مَا أَمْسَى بِرِجْلَيْكَ بِرِجْلِي وبِكَفِّي

لَيسَ لِلبغلةِ ذَنبٌ   إنَّما الذَّنْبُ لِحُرْفِي[٤]

وممن صرعتْه بغلته : البَرْدَخْت[٥] الشاعر ، واسمه علىّ بن خالد ـ

---

(١) لم يظهر من هذه الكلمة فى الأصل إلا اللام تليها ضمة وياء ساكنة ودال . وهو عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، المترجم فى حواشى البيان ١ : ٣٢٥ وهو غير عبيد الله بن زياد بن أبيه .

(٢) كز اليدين : بخيل . والكزازة : اليبس والانقباض .

(٣) كان معاصراً لإبراهيم بن السرى الزجاج ، كما فى مجالس العلماء ص ٣١٠ . وفى المصون للعسكرى ص ٨٠ : « وسمى المشوق بقوله :

* كأن سماءه عين المشوق * »

وصدر هذا البيت كما فى المصون :

* حمى فيها السكرى عينى بيتٍ *

(٤) الحرف ، بالضم : الحرمان . وفى اللسان : « والحرف : الاسم من قولك : رجل محارف ، أى منقوص الحظ لا ينمو له مال» . وفى الأصل : « ليت للبغلة ذنب » ، صوابه ما أثبت . وقد جعلت فى ط : « ليت للبغلة ذنبا » .

(٥) البردخت : لقب له ، واسمه على بن خالد الضبى . ومن الظاهر أنه كان معاصراً لجرير . ذكره المرزبانى فى معجمه ٢٨٠ — ٢٨١ . وانظر الشعراء ٦٩٢ — ٦٩٣ والأمالى ٣ : ٧٩ وذيل اللآلى ٣٩ .

وهو الذى كان هجا جَرير بن عطيّة ، فقال جرير : مَن هذا الهاجى ؟ قالوا : البَردخت . قال : وأىّ شىء البردخت[1] ؟ قالوا : الفارغ . قال : فلستُ أوّل مَن صيَّر لهذا شُغْلاً[2] . ٢٠٧ ظ

وكان زَيْدٌ الضبىّ[3] هو الذى حمله على ذلك البغل الذى صرعه ، فقال :

أقُولُ لِلبغْلِ لَمَّا كادَ يَقْتُلُنِى   لا بَارَكَ اللهُ فى زَيْدٍ وما وَهَبَا

أعْطَانِىَ الحَتْفَ لمّا جِئْتُ سَائِلَهُ   وأمْسَكَ الفِضَّةَ البَيضَاءَ والذَّهَبَا

وهو الذى كان هجا زيداً بأنه حديث الغِنَى ، وأتاه وهو أمير فى يوم حَفْلِه ، فقال[4] :

ولَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا   على زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأمِيرِ

فقال زيد : لا أُبالى والله ! فقال هو :

أتَذْكُرُ إذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ   وإذْ نَعْلاكَ مِنْ جِلْدِ البَعِيرِ

قال : إى والله ! قال :

فَسُبْحَانَ الَّذِى أعْطَاكَ مُلْكاً   وعَلَّمَكَ الجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ

قال زيد : نعم ، سبحانه ! فخرج وعليه فَضْل .

قالوا : ونَفَرَ بغلٌ كان تحت محمد بن هارون ، أخى سهل بن هارون

---

(١) لفظه فى الفارسية « بَرداخَتْ » . انظر معجم استينجاس ٢٤٠ .

(٢) فى الشعر والشعراء : « ما كنت لأشغل نفسى بفراغك » .

(٣) هو أبو حصين زيد بن حصين بن زهير الضبى ، أحد بنى السيد ، كان والياً على أصبهان . جمهرة أنساب العرب ٢٠٤ وأمالى القالى ٣ : ٧٩ .

(٤) الأبيات التالية بدون نسبة ومع خلاف فى الرواية ، فى البيان ٤ : ٥١ .

البليغ الكاتب الشاعر . قالوا : وإنما كان البغل ارتدَّ فزعاً ، فقُطِع من جوفه بعضُ العلائق ، فمات على ظهره ، فى وسط مُرَبَّعة باب عثمان نهارًا .

وقد تَصْدم الدابّةُ الدابةَ ، فيموت الراكبان والمركوبان .

[الوقوع على البغال]

وخبّرنى سعيد بن أبى مالك[1] أن غلاماً كان لبعض أهل القطيعة[2] ينيك بغلةً لمولاه ؛ وأنها فى بعض الأيام وقد أدعم[3] فيها ، فاستزادته ، فتأخّرت وتأخّر ، حتى أسندتْه إلى زاوية من الإصْطَبل ، فضغطته حتى مات . ودخل بعضُ الغلمان لبعض الحوائج ، فرأى الباب عليهما مُغلقاً ، فنادى باسم الغلام فلم يُجبْه ؛ فقلع الباب ، فإذا الغلام مُسْنَد إلى الزاوية وقد مات ، وهى تضغطه ، فصاح فتنحَّتْ وسقط الغلام ميِّتًا .

ويقولون : إنها تفضح السائس الذى يكُومُها ، لأنها تتلمَّظ إذا عاينتْه ، ولا تفعل ذلك بغيره ، فهى إمّا أن تَقْتُل ، وإمّا أن تفضَح .

٢٠٨ و وأنشدوا لقيس بن يزيد ، فى هجائه ابنَ أبى سَبْرة[4] حين رماه بِنَيْك بغلته ، قال :

---

(١) فى الأصل : « سعد بن أبى ملك » اتباعاً للرسم القديم . وانظر البيان ٢ : ٢٣٩ .

(٢) هى قطيعة الربيع ، منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ، بالقرب من كرخ البصرة . انظر الحيوان ١ : ١٧٢ و ٣ : ٢٠٣ .

(٣) المعروف فى هذا الفعل « دعم » الثلاثى .

(٤) هو أبو نوفل الجارود بن أبى سبرة سالم بن سلمة الهذلى البصرى . روى عن أبى ، وطلحة بن عبيد الله ، وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البنانى . وكان من رجال الشيعة شاعراً خطيباً ، توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

نُبِّئْتُ بَغْلَتَكَ الَّتِي أَتْلَدْتَهَا   لا تَسْتَقِرُّ لَدَيْكَ مَا لَمْ تُشْفَدِ[1]
تَدْنُو بِمُؤْخِرِهَا إِلَيْكَ إِذَا رَأَتْ   أَنْ قَدْ عَلَوْتَ لهـا جِدَارَ المِذْوَدِ

قالوا : ولما أخذ فِتْيانٌ من فتيان بنى كُلَيْبٍ الفرزدقَ ، وأتوه بأتانٍ ، وقالوا : والله لتنزُوَنَّ عليها ، كما رَميتَ بذلك عطيّـة بن الخَطَفَى[2] ، أو لنقتلنّك ! قال : إن كان ّهاتوا الصخرة التى كان يقوم عليها إذا ناكها ، حتى أنالَهَا ! فضحكوا جميعًا من ظَرْفه ، وخلَّوْا سبيله .

[من قتلته البغال]

وممن قتلته البغال : زيد بن حُلْق[3] الرّائض ، وولَد حُلْق معروفون عندنا بالبصرة .

وممن قتلتِ البغال[4] : محمد بن سعيد بن حازم المازنىّ ، وعمرو ابن هَدّاب[5] أحدُ عمومته ، قتله بغلٌ بتُسْتَر .

ومات المهلَّب بن أبى صُفْرة على ظهر دابّته بالطَّالَقان[6] .

---

(١) التلد والتلاد : المـال القديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء . يقال تلد المالُ وأتلده هو .

(٢) هو والد جرير بن عطية .

(٣) كذا بوضع علامة الإهمال تحت الحاء المضمومة فى الأصل .

(٤) جعلت فى ط : « قتلته البغال » ، خلافاً للأصل .

(٥) هو عمرو بن هداب بن سعيد بن مسعود المازنى ، ولى فارس لمنصور ابن زياد . جمهرة ابن حزم ٣١٢ . وذكر فى الحيوان ٣ : ٣٥ أنه كف بصره .

(٦) الطالقـان ، بفتح اللام : بلدتان إحداها بخراسان ، والأخرى بين قزوين وأبهر .

ومات إياس بن هُبَيْرة العَبْشَمِيّ صاحب الحَمالة ، على ظهر حمار .

ولم يمتْ على ظهر حمارٍ كريمٌ .

[صرع البغال]

وكانت بغلة أعْيَنَ المتطبِّب[١] تُصْرَع ، وكان أعين يُصْرَع ، فصُرِعا مرّةً معًا قُبالةَ دُور بنى السَّمْهَرِيّ ، فقام رجالٌ منهم فأدخلوه الدار ، فنوّموه على فِراش ، ووكَّلوا بالبغلة مَن أدخلها الإصطبل ، فلمَّا أفاق وفتح عينيه أنكر موضعَه ، فقالوا : إنما أنت فى دار بنى السَّمْهَرِيّ ، وهم إخوتُك وأهلك . فقال : كيف أشكركم وأنتم أعَدُّ وأيسر ؟ ولكن أُعَلِّمكم بعضَ ما لا غِنَى بكم عنه : إذا أتَى أحدُكم الغائطَ فليمتسحْ بِشِقَق القَصَب ، فإنّه إن كان هناك شىء من هذه الأورام[٢] حلَقَه واستأصله على الأيام ، وإن لم يكن هناك شىء لم تعرض له هذه العِلّة ما دام يستعمل القصب . وإن خرجتْ على أحدٍ منكم بَثْرة فلا يحكَّها ، وإن دَغْدَغَتْه ووجدَ فيها أُكالًا ، فإنَّ ذلك الحكَّ ربّما أنغر ذلك المكان ، وجذب إلى مكانه من الفساد ما يصير به بَثْرة ، فإنْ حكّ البثرة فربّما صارت خُرَاجًا . ٢٠٨ ظ

وقال لى كَمْ شئت[٣] من أصحاب القَصَب والبَوَارى : نحن لا تعترينا البواسير ؛ لطول قعودنا على القَصَب والبوارى .

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان ٢ : ٢٢٣ وذكر أنه كان له بغل يصرع ، فكان ربما اتفق أن يصرعا جميعا . ثم قال : « وقد رأى ذلك كثير من أصحابنا البصريين » . فهو معاصر للجاحظ أو قريب من عصره .

(٢) فى الأصل : « الأرواح » . وانظر ما سيأتى .

(٣) عبارة يكثر الجاحظ من ترددها ، وكأنها من لوازمه ، يريد بها الكثير من الناس . انظر الحيوان ٣ : ١٧٨ ، ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ .

ذكر الانتفاع بالبغال فى البرد

في الجاهليّة والإسلام ، وتعرُّف حقائق الأخبار ، وأنّها آلة من آلات السلطان عظيمة ، ولا بدَّ للسلطان والملوك من تعرُّف الأخبار

قيل لشيخ ذى تجربة : ما أذهب مُلْكَ بنى مروان ؟ قال : ما زال ملكهم قائما حتى عَمِيَتْ عليهم الأخبار . وذلك أن نَصْرَ بن سَيّار ، كان صاحبَ خُرَاسان ، قبل خروج أبى مُسْلِم وقوّةِ أمره ، إلى أن قَوِىَ عليه حتى هرب منه . وذلك أنه ، وإن كان واليًا لأربعة خلفاء[1] ، فإنه كان مأموراً بمكاتبة صاحب العراق ، وإن كان صاحب العراق لا يقدر على عَزْله ، وقد كان يزيد ابن عُمَر[2] يخاف أن يُوَلّى مكانَهُ نصرُ بن سيّار ، أو مِسْوَرُ بن عمرو ابن عباد[3] ، فاحتال لمِسْوَر ، ولم تمكنْه الحيلة فى نصر ، فكان إذا كتب

---

(١) ولى نصر بن سيار لهشام بن عبد الملك سنة ١٢٠ ، ثم الوليد بن يزيد ، ثم يزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد ، كما فى كتب التاريخ . فكأن الجاحظ لم يعتد بولايته لإبراهيم بن الوليد ، فإنه كما ذكر الطبرى ٩ : ٤٦ فى حوادث سنة ١٢٧ « لم يتم له أمر » قال : « وكان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة ، وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة ، فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فخلعه » .

(٢) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، من قواد الأمويين ، ولى قنسرين ، للوليد بن يزيد ، ثم العراقين فى أيام مروان بن محمد . ولما قامت الدولة العباسية أرسل السفاح إليه أخاه المنصور لحربه ، فأعياه أمره ، فبعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ . وكان جوادا نبيلا جميل المرآة . ابن خلكان والمعارف ١٧٩ وجمهرة ابن حزم ٢٥٥ والاشتقاق ٢٨٤ . قال ابن دريد : وكان من رجال أهل الشام عقلا ولسانا .

(٣) المسور بن عمرو بن عباد بن الحصين التميمى . كان من سادات أهل =

إليه بالرأى الذى يحسم به من أسباب قوّة المسوِّدة[1]، كتب بذلك إلى يزيدَ ، فكان يزيد لا يرفع خبره ولا يُمدّه بالرجال ، طَمَعًا فى أن يُهْزَم أو يُقْتَل ، ونَسِيَ يزيدَ أن غَلَبة أبى مُسْلم على خُراسان ، سببٌ لغلبته على الجبال ، وإذا استحكم له ذلك ، لم يكن له هِمّة إلا صاحب العراق . فلما طوى أخبار نصر ، سدَّ وجهَ الرأى والتدبير على مروان ، حتى كان الذى كان .

قالوا : ولما بلغ المأمونَ اختلاطٌ من حال البريد ، وجّه ثُمَامَة بن أشرَس[2]، ليتعرَّف له ذلك . فلما رجع إليه وسأله ، قال : ياأمير المؤمنين ، تركتُ بغلًا على مِعْلَف كذا وكذا وهو يقرأ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

٢٠٩ و

ومررتُ بسكّة أخرى ، فإذا بغلٌ قد عَدَا على رجل عليه طَيْلَسانٌ أخضر ، يظنّه حُزْمَةَ عَلَف ، فعدا الرجل وعدا خلفَه البغل ، فصحْتُ بالرجل : اطرح الطيلسان ! فلما طرحه وقف البغل يشمّه .

ومررتُ بسكَّة أخرى ، وإذا على المِعْلَف بغلٌ ، وإذا هو يغنِّى :

ولَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وأَظَلُّهُ ۞ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ[3]

= البصرة . جمهرة ابن حزم ٢٠٧ . وفى المعارف ١٨٢ أنه كان « سيد بنى تميم فى زمانه ورأسهم فى فتنة ابن سهل » . وفيه يقول الراجز :

أنت لها يامسور بن عباد ۞ إذا انتضين من جفون الأغماد

(١) المسودة : رجال الدعوة العباسية .

(٢) انظر حواشى البيان ١ : ١٠٥ .

(٣) البيت لعنترة فى ديوانه ١٨١ واللسان (ظلل) والمقصور والممدود ٦٨ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٤٤ . وفى الموضع الأخير أن النبى صلى الله عليه وسلم أنشد هذا البيت فقال : « ما وصف لى أعرابى قط فأحببت أن أراه إلا عنترة » .

[ما قيل في البريد وبغاله

ومما قالوا في شأن البريد وأصحابه ، قول ابن أبي أمية[١] :

إنَّ ابنَ شاهَكَ قَدْ وَلَّيْتَهُ عَمَلًا
أضحى وحقُّكَ عَنْهُ وهْوَ مَشْغُولُ[٢]

بِسِكَّةٍ أُحْدِثَتْ لَيْسَتْ بِشارِعَةٍ
مِنْ دُونِهَا غَيْضَةٌ فِي وَسْطِهَا غِيلُ[٣]

تَرَى فَرَانِقَهَا فِي الرَّكْضِ مُنْدَفِعا
تَجْرِى خَرِيطَتُهُ والبَغْلُ مَشْكُولُ[٤]

وقال دِعْبِلٌ في بعض رجال العَسْكر ، ممن كان ولى البريد :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى الإِمَامَ رِسالَةً رِسالَةَ ناءٍ عَنْ جَنَابِكَ شاحِطِ
بِأَنَّ ابْنَ زَيْدٍ حِينَ يَشْحَجُ شاحِجٌ يُمِرُّ عَلَى القِرْطاسِ أَقْلامَ غالِطِ
أَحَبَّ بِغَالَ البُرْدِ حُبًّا مُدَاخِلًا يُكَلِّفُهُ إِثْبَاتَهَا فِي الشَّرَائِطِ
ولَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَأَصْبَحَتْ أُيُورُ بِغَالِ البُرْدِ حَشْوَ الخرائِطِ

وقال دِعْبِلٌ أيضاً :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى إِمَامَ الهُدَى قافِيَةً لِلعِرْضِ هَتَّاكَهْ

---

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٥٣ .

(٢) ابن شاهك ، بفتح الهاء ، هو السندى بن شاهك . وكان ذا منزلة عند الرشيد والمأمون . المعارف ١٦٩ والتنبيه والإشراف ٣٠٢ والجهشيارى ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(٣) الغيضة : مغيض الماء . والغيل : الشجر الملتف . وفي الأصل : « ميل » ، تحريف .

(٤) الفرانق ، بضم الفاء : الدليل يكون أمام البريد ، معرب « پروانه » بالفارسية . و « تجرى » جعلت في ط : « يجرى » مع وضوحها في الأصل .

هـــذَا جَنَاحُ المُسْلِمِينَ الَّذِى قَدْ قَصَّــهُ بِوَلْيِكَ الحاكَهْ
أَضْحَتْ بِغَالُ الــبُرْدِ مَنْظُومَةً إِلَى ابْنِ زَيْدٍ تَحْمِــلُ النَّاكَهْ

وذكر الفرزدق فى مرثيةِ وَكيع بن أبى سُود[1] البُردَ ، فقال :

لِتَبْكِ وَكِيعًا خَيْلُ لَيْـــلٍ مُغِيرَةٌ
تَسَاقَى المَنَايَا بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّــمْرِ[2]
لَقُوا مِثْلَهُـــمْ فاسْتَهْزَمُوهُمْ بِدَعْوَةٍ
دَعَوْهَا وكِيعًا والجِيَادُ بِهِـمْ تَجْرِى
وبَيْنَ الَّذِى يَدْعُو وَكِيعًا وَبَيْنَــهُ ٢٠٩ ظ
مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْمُقَصَّصَةِ البُـــتْرِ[3]

وقال ابن المُعَذَّل[4] فى جاريةٍ لبعض وَلَد سعيد بن سَلْم ، وقد وَلِىَ البريد :

---

(١) هو أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود الغدانى التميمى ، غلب على خراسان فى أيام سليمان بن عبد الملك ، وظل بها تسعة أشهر بعد قتله قتيبة بن مسلم حتى وليها يزيد بن المهلب سنة ٩٧ . المعارف ٨٣ والجمهرة ٢٢٦ والطبرى ٨ : ١١٦ .

(٢) ديوان الفـــرزدق ٢٤٦ والحيوان ٣ . ٩٥ — ٩٦ والـكامل ٧٦٥ ليبسك .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٢٤٧ .

(٤) هو أبو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، شاعر من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ . توفى فى حدود سنة ٢٤٠ . وكان هجاء خبيث اللسان . وكان هووأبوه وجده وأخوه أحمد بن المعذل شعراء . الأغانى ١٢ : ٥٤ وفوات الوفيات ١ : ٣٥٣ وطبقات ابن المعتز ٣٦٨ .

دَهَتْكَ بِعِلَّةِ الْحَمَّامِ فَوزٌ ... ومالَ بِهاَ الرَّسُولُ إلى سَعِيدِ
أَرَى أَخْبَارَ دَارِكَ عَنْكَ تَخْفَى ... فَكَيْفَ وَلِيتَ أَخْبَارَ الْبَرِيدِ

ولمّا فخّم ابنُ غَسطَة[1] عظيمُ الروم شأنَ مُلْكه ، ثم قال للرسول : هل عندكم بعض ما تُعارضونِي[1] به ؟ قال : نعم ، لِملِكنا أربعون ألف بغل موقوفة على إبلاغ رسائله وأخباره ، من واسِطة مُلكه إلى أقطار سلطانه . فأفحمه .

يعنى بغال البريد . قال هذا وحال البُرُد على غير هذه الحال ، ولم يعرفوا توجيه الخرائط فى الماء[2] ، وعلى أيدى الرجال .

وابن غسطَة هو الذى ذكره سَلْم الخاسِر[3] فى قصيدته التى مدح فيها الرّشيد ، قال :

---

(١) فى الأصل : « غطسة » فى هذا الموضع وتاليه . وانظر ص ٢٧٠ .

(٢) كذا فى الأصل . وهو وجه جائز فى العربية ، إذا اجتمعت نون الرفع مع نون الوقاية جاز حذف إحداهما ، وإثباتهما مع الإدغام . وفى المغنى ٢ : ٢٥ : « ونحو تأمرونى يجوز فيه الفك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن فى السبعة . وعلى الأخيرة فقيل النون الباقية نون الرفع . وقيل نون الوقاية » .

(٣) الخريطة : هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم تشرج على ما فيها . ومنه خرائط كتب السلطان وعماله . وهذا النص من الجاحظ يدل على تعدد طرق إرسال البريد . والمراد بتوجيهها فى الماء أن تجعل فى السفن أو أن يحملها السباحون.

(٤) هو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء . وسمى الخاسر لكونه باع مصحفاً واشترى به طنبوراً . ومدح المهدى ، وهارون ، وابنه محمد بن زبيدة . وهو راوية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ . ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، كما ذكر أبو الفرج . ومات أيام الرشيد سنة ١٨٦ . ابن خلكان ١ : ١٩٨ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٩ : ١٣٦ وطبقات ابن المعتز ٩٩ =

مَنَعَ ابنُ غسطة رأْسَهُ بخَرَاجِه ولقد يكُونُ وما عليهِ خَرَاجُ[1]

قالوا : ولمّا رأى نصرٌ أنّ يزيد بن عُمَر[2] يُميتُ أخباره ، ليموت ذِكره عند الخليفةِ كتب إليه[3] :

أَبْلِغْ يَزِيدَ وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ وقَدْ عَلِمتَ بأَنْ لاَ خَيْرَ فى الْكَذِبِ

= والأغانى ٢١ : ٧٣ . ومن عجب أن يسميه ابن خلكان « سالم بن عمرو » مع أنه روى فى ترجمته قول أبى العتاهية فى هجائه :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(١) فى الأصل : « ابن غطسة » تحريف . وجعلها « غسطة » للشعر ، وإنما هى « أغسطة » كما فى الطبرى ٩ : ٧٠ ، ١٠ : ٧٠ والتنبيه والإشراف ١٤٢ . وفى هذا الأخير : « رينى امرأة أليون بن قسطنطين ، وتفسير رينى : صلاح . ثم لقبت بعد ذلك أغسطة ، وملك معها ابنها قسطنطين بن أليون ، فلم يزالا ملكين بقية أيام المهدى وأيام الهادى وصدرا من خلافة الرشيد » . فقسطنطين هذا هو الذى يعنيه بابن غسطة ، وذكر الطبرى فى سنة ١٨٢ : « وفيها سملت الروم عينى ملكهم قسطنطين بن أليون ، واقروا أمه رينى ، وتلقب أغسطة » . وذلك فى أيام الرشيد .

(٢) سبقت ترجمته وترجمة نصر فى ص ٢٦٥ .

(٣) فى الطبرى ٩ : ٦٢ أن نصر بن سيار كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بحال أبى مسلم وخروجه ، وكثرة من معه ومن تبعه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب إليه بأبيات شعر أولها :

أرى بين الرماد وميض جمر فأحج بأن يكون له ضرام

فكتب إليه : « الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول قبلك » . فقال نصر : « أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده » . فكتب إلى يزيد بن عمر يستمده :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت ألا خير فى الكذب
أن خراسان أرض قد رأيت بها بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب =

وكتب إليه[١] :

أَرَى تَحتَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ ... فيُوشِكُ أَنْ يَكونَ لها ضِرَامُ[٢]

فإنّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى ... وإنَّ الحَرْبَ أَوَّلُها الكَلاَمُ

فَقُلتُ تَعَجُّبًا : يَالَيتَ شِعْرِى ... أأيقاظٌ أُمَيَّــــــةُ أَمْ نِيَامُ

حدثنى علىّ بن المدينى[٣] ، قال : كان يزيد بن زُرَيْع[٤] إذا سمع

= فراخ عامين إلا أنها كبرت ... لما يطرن وقد سربلن بالزغب

فإن يطرن ولم يحتل لهن بها ... يلهبن نيران حرب أيما لهب

فقال يزيد : « لا غلبة إلا بكثرة ، وليس عندى رجل » .

وانظر العقد ٤ : ٢١٠ حيث ذكر رد نصر بن سيار يقول له : « الثؤلول قد امتدت أغصانه، وعظمت نكايته» . فوقع عليه مروان : «يداك أوكتاوفوك نفخ » .

(١) أى إلى يزيد بن عمر بن هبيرة . وكذا فى البيان ١ : ١٥٨ . لكن ذكر الطبرى وصاحب العقد ٤ : ٢١٠أنه كتب بهذا الشعر إلى مروان بن محمد . كما سبق القول . وذكر صاحب العقد فى ٤ : ٤٧٧ أنه كتب به إلى هشام بن عبد الملك . وصاحب العقد ٤ : ٢١٠ .

(٢) انظر رواية الأبيات فى الطبرى ٩ : ٩٢ والبيان ١٥٨:١ وعيون الأخبار ١ : ١٢٨ والعقد ١ : ٩٤ و ٤ : ٢١٠ ، ٤٧٨ .

(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٢١ .

(٤) هو أبو معاوية يزيد بن زريع التيمى البصرى الحافظ . روى عن شعبة والثورى وسعيد بن أبى عروبة وغيرهم ، وروى عنه ابن المدينى ، وابن المبارك ، وابن مهدى وغيرهم . وفيه يقول ابن حنبل : « كان ريحانة البصرة ، ما أتقنه وما أحفظه ! » . ولد سنة ١٠١ وتوفى سنة ١٨٢ . تهذيب التهذيب ١١ : ٣٢٥ وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٣٦ وصفة الصفوة ٣ : ٢٧٦

أصحابَ الحديث يخوضون فى أبى حَنيفة ، وفى كيف عظُم شأنه بعد خموله ، قال : هيهات ! طارت بفُتْياهُ البغالُ الشُّهْب !

٢١٠ و قالوا : ووَجَّه معاوية لما كلّموه فى يزيدَ بن ربيعة بن مفرِّغ[1] رجلا مجرِّدًا[2] ، لإخراجه من السجن ، فخرج حتى أتى سِجِسْتانَ فأخرجَه ، فبلغ ذلك عَبَّاد بن زياد[3] ، فأرسل إلى خَمْخَام[4] ، فلما رأى عهد معاوية كفَّ ، وأقبل خَمْخام بابن مفرِّغ على بغلةٍ من بغال البريد ، وأنشأ ابن مفرِّغ يقول :

---

(١) انظر حواشى البيان ١ : ١٤٣ و ٣ : ٣٦ .

(٢) كذا . ولعلها « مُبْردا » أى بريداً . وفى الأغانى ١١ : ٦٠ : « وجه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام ، ويقال جهنام ، بريداً إلى عباد » . وفى اللسان (عدس) أن خمخاما كان مولاه على البريد .

(٣) هو أبو حرب عباد بن زياد بن أبى سفيان ، ولى لمعاوية سجستان سبع سنين . وفيه يقول ابن مفرغ :

* سبق عباد وصلت لحيته *

وكان هجاء ابن مفرغ له سبباً فى أن يسجنه أخوه عبيد الله بن زياد وكان والى خراسان ، ثم إن عبيد الله بن زياد أمر بابن مفرغ فحمل إلى سجستان إلى عباد وابن زياد فحبس بها ، فلما طال حبسه بعث رجلا بالشعر إلى معاوية وشفع له اليمن عند معاوية ، فأمر باطلاقه على النحو الذى رواه الجاحظ ، انظر الشعر والشعراء ٣١٩ — ٣٢٤ واللسان (عدس) ، ولترجمة عباد المعارف ١٥١ — ١٥٢ والخزانة ٢ : ٥١٧ . وفى النجوم الزاهرة ١ : ١٤٤ أن بدء ولاية عباد لخراسان كان سنة ٥٣ .

(٤) وكذا فى الشعر والشعراء ٣٢٤ . وفى الخزانة ٢ : ٢١٦ والأغانى ١٧ : ٦٤ ، ٦٨ ولسان العرب (عدس) : « خمخام » بخاءين . وفى الأغانى ١٧ : ٦٠ أنه يقال له أيضاً « جهنام » .

عَـــدَسْ ما لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ
نَجَوْتِ وهــذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ[1]

طَلِيقُ الَّذِى نَجَّى مِنَ الـكَرْبِ بَعْدَ ما
تَلاحَمَ فى دَرْبٍ عليــكِ مَضِيقُ[2]

[قولهم للبغلة : عدس]

قوله : « عَدَسْ ما لعبّاد عليكِ إمارة » ، فزعم ناس أن « عدس » اسم لـكلّ بغلة كمن[3] ، وذهبوا إلى قول الشاعر :

إذَا حَمَلْتُ بِزَّتِى عَلَى عَدَسْ عَلَى الَّتِى بَيْنَ الْحِمارِ والْفَرَسْ[4]
فَمَا أُبَالِى مَنْ غَزَا ومَنْ جَلَسْ

قالوا : وإنما قوله « عَدَسْ » على مثل قول خالد بن صَفْوان حين فاخر اليمانيةَ ، وقال : «والله ما منهم إلاّ ناسِجُ بُرد ، أو سائس قِرْد ، أو دابغ جِلد ، أو راكبُ عَرْد[5] ، غرّقتْهم فأرة ، وملـكتهم امرأة ، ودلّ عليهم هُدْهُد » .

(١) البيت من شواهد النحو . انظر الخزانة ٢ : ٥١٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩١ . يجعلونه شاهداً لورود « هذا » بمعنى « الذى » .

(٢) أى طليق للذى خلصه من الحبس . وفى الأصل : « فى رزب » صوابه من المراجع المتقدمة .

(٣) كذا وردت هذه الـكلمة فى الأصل ، وهى مقحمة . وانظر الخزانة ٢ : ٥١٧ س ٨ .

(٤) الرجز فى اللسان والصحاح (عدس) والمخصص ٦ : ١٨٣ والمقاييس (عدس ، طفو) .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار . ذكر هذا المعنى صاحب القاموس ولم يذكره ابن منظور . وانظر هذا الخبر والقول فيه بتفصيل وتحقيق فى الحيوان ٦ : ٢٥٢ والبيان ١ : ٣٣٩ .

وقال آخرون : قولهم : « عَدَس » للبغلة مثل قولهم : « سَأْسَأْ » للحمار ، و « حا[١] » للجَمَل ، و « حَلْ[٢] » للناقة . ألا تراه حين سَخِرَ الأعرابيّ من صاحبه ، وحين جهَّله قال :

يَقُولُ لِلنَّاقَةِ قَوْلاً لِلجَمَلْ ... يَقُولُ حَا ثُمَّ يُثَنِّيهِ بِحَلْ[٣]

قالوا : ألا ترون أنّ الفرزدق لما خلع لجام بغلته ، وأشرعها فى ثِغاب مسجد بنى أُسَيِّد[٤] ، قال له جَرنفَشٌ المجنون[٥] : نَحِّ بغلتَك ، جَدَّ الله ساقَيْكَ[٦] ! قال الفرزدَق : ولِمَ عافاكَ الله ؟ قال : لأنك زانى الكَمَرة[٧] ،

---

(١) كذا ورد فى الأصل بالحاء مع القصر ، وهى صحيحة ، كما فى اللسان (حا ٣٣٣) ، وشرح الرضى للكافية ٢ : ٧٧ حيث نصا على جواز القصر فى حاء التى يجوز فيها مع الهمز التنوين وعدمه . وسبق فى رسائل الجاحظ ١ : ٤٨ « جاه » مطابقاً للحيوان ٧ : ٤٤ واللسان (جوه) والمخصص ٧ : ٨٠ . وهذه مبنية على كسر الهاء وربما سكنت كما فى المخصص ، وربما قالوا جاه بالتنوين . وأنشد فى اللسان :

إذا قلت حاهِ لج حتى ترده ... قوى أدم أطرافها فى السلاسل

(٢) يقال بسكون اللام وبكسرها منونة ، كما يقال حلى . وانظر ما سبق فى ١ : ٤٨ .

(٣) انظر الحيوان ٧ : ٤٤ .

(٤) الثغاب : جمع ثغب ، وهو مجرى الماء . وفى الأصل : « ثغار » . وفى البيان ٢ : ٢٣٠ : «وأدنى رأسها من الماء » . وفى العقد ٦ : ١٥٥ : « ولما قرب الفرزدق رأس بغلته من الماء» . وبنو أسيد ، هم بنو أسيد بن عمرو بن تميم وأسيد بهيئه التصغير.

(٥) فى الأصل : « جز نبذ » ، صوابه من البيان والعقد حيث ورد بلفظ « الجرنفش » . وأصل معنى الجرنفش العظيم الجسم من الرجال . والجرنفش هذا من بنى سدوس . انظر ما سيأتى من تعليق .

(٦) الجد : القطع . وفى البيان : « حلق الله ساقيك » . والحلق كناية عن الشؤم والإهلاك والقتل . وفى العقد وبعض أصول نسخ البيان : «حلق الله شأفتك» .

(٧) الكمرة : رأس الذكر .

كذوب اللسان(١) . فلما سمع ذلك منه ركب بغلته ، وقال : عَدَس(٢) ، كما يقال للفرس « إِجْدَم(٣) » ، وللثور : « وَحْ(٤) » .

[أشعار في البريد]

وقد ذكر امرؤ القيس البريد ، فقال :

ونَادَمْتُ قَيْصَرَ في مُلْكِهِ فأَوْجَهَنِي ورَكِبْتُ البَرِيدَا(٥)

إذَا مَا ازْدَحَمْنَا عَلَى سِكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقًا بَعِيدَا

ومما قالوا في البريد ، قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

٢١٠ ظ

طالَ لَيْلِي وبِتُّ أَسْقِي المُدَاما إذْ أَتَانِي البَرِيدُ يَنْعَى هِشاما(٦)

---

(١) في البيان : « كذوب الحنجرة » ، وفي العقد : « الحجرة » ، تحريف .

(٢) في البيان والعقد أن الجرنفش لما قال له الفرزدق ما قال نادى : يا بني سدوس! فلما اجتمعوا عليه قال : سودوا الجرنفش عليكم فإني لم أر فيكم أعقل منه .

(٣) إجدم وهجدم على البدل من الهمزة ، كلاهما من زجر الخيل . وفي القاموس بوصل الهمزة . وفي اللسان مرة بوصلها ومرة بقطعها . وانظر ما سبق في الرسائل ١ : ٤٨ .

(٤) في الأصل : « روح » ، تحريف ، صوابه من اللسان (وحح) وشرح الأشموني للألفية ٤ : ٢٠٩ . قال في اللسان : « وإذا طردت الثور قلت له قع قع ، وإذا زجرته قلت له وح وح » .

(٥) ديوان امرئ القيس ٢٦٢ ملحق الطوسي واللسان (وجه) والشعر والشعراء ٦٧ . أوجهه : جعل له وجهاً عند الناس وقدراً .

(٦) قال هذا الشعر حينما أتاه نعي عمه هشام بن عبد الملك وأوشك أن يبايع بالخلافة . الأغاني ١٦ : ١٠٧ . وفي الأغاني ٦ : ١٠٥ أيضاً أنه لما نعي هشام قال : والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر . ثم أنشأ يقول :

=

وأَتَانِي بِحُلَّةٍ وقَضِيبٍ ... وأَتَانِي بِخَاتَمٍ ثُمَّ قَامَا[1]

وذكر البريدَ الكُمَيْتُ في مديح أسماء بن خارجة[2]، فقال:

إِذَا مَامَاتَ أَسْماءُ بْنُ حِصْنٍ ... فلاَ مطَرَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّماءُ[3]

ولاَ قَامَ البَرِيدُ بِغُنْمِ جَيْشٍ ... ولاَ حَمَلَتْ عَلَى الطُّهْرِ النِّساءُ[4]

فَيَوْمٌ مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ رِجَالٍ ... يَرُوحُ عَلَيْهِمُ نَعَمٌ وشَاءُ

= طاب يومى ولذ شراب السلافه ... إذ أتانى نعى من بالرصافه

وأتانا البريد ينعى هشاما ... وأتانا بخاتم للخلافه

فاصطبحنا من خمر عانة صرفا ... ولهونا بقينة عزافه

ثم حلف لا يبرح موضعه حتى يغنى فى هذا الشعر ويشرب عليه.

(١) بعدها فى الأغانى:

فجعلت الولى من بعد فقدى ... يفضل الناس ناشئاً وغلاما

ذلك ابنى وذاك قرم قريش ... يفضل الناس ناشئاً وغلاما

ولكنه لم يهنأ بولديه وليي عهده: الحكم وعثمان، إذ قتلا بعد أن وثب عليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة، فخلعه وقتله سنة ١٢٦. وأقام هذا فى خلافته ستة أشهر وتوفى سنة ١٢٧. انظر التنبيه والإشراف ٢٨٠ – ٢٨١ وتاريخ الطبرى وجمهرة أنساب العرب ٨٩ – ٩١.

(٢) ترجم فى البيان ٢ : ٧٢.

(٣) لم ينسبها أبو الفرج فى الأغانى إلى الكميت. ونسبها فى ١٣ : ٤٠ إلى عبد الله بن الزبير الأسدى. وفى ١٧ : ١٠٨ إلى عويف القوافى. وسماه الشاعر أسماء بن حصن لأنه أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة. وفى الموضع الأول من الأغانى: «إذا مات ابن خارجة بن حصن». وفى الثانى: «إذا ما جاء يومك يا ابن عوف» !!

(٤) فى الموضع الأول من الأغانى: «ولا رجع الوفود»، وفى الثانى: «ولا سار الخميس».

وقال أَيْمَنُ بن خُرَيْمٍ الأَسَدِىّ[1] :

رَكِبْتُ مِنَ المُقَطَّمِ فى جُمَادَى ... إلَى بِشْرِ بنِ مَرْوَانَ البَرِيدَا[2]

فَلَوْ أَعْطَاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رأى حَقًّا عَلَيْـهِ أَنْ يَزِيدَا

وقال آخر :

إِذَا مَا بَرِيدُ الشَّـــامِ أَقْبَلَ نَحْوَنَا

بِبَعْضِ دَوَاهِى الدَّهْرِ سَـارَ فَأَسْرَعَا[3]

فإِنْ كَانَ شَرًّا سَـــارَ يَوْمًا وَلَيْلَةً

وإِنْ كَانَ خَـــيْرًا قَصَّدَ السَّيْرَ أَرْبَعَا[4]

---

(١) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك الأسدى . كان يسمى خليل الخلفاء لإعجابهم به فى تحديثه ، لفصاحته وعلمه . وهو من شعراء الدولة الأموية . ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه ، واختلف فى صحبته هو . وقد جعله أبو الفرج فى الأغانى ٢١ : ٥ شيعياً ، على حين عده المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٥٣ عثمانيا . فهو قد اضطرب بين تيارين . وانظر الإصابة ١ : ٩٤ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٨٧ والشعراء ٥٢٦ .

(٢) البيتان فى معجم البلدان ٧ : ١٢٧ ورواهما صاحب الأغانى ١ : ١٢٧ و ٢١ : ٨ من أبيات فى قصة مع عبد العزيز بن مروان الذى غضب عليه لنفاسته على نصيب الشاعر ، فاستأذنه بعد ذلك فى الانصراف ، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر ابن مروان فى العراق .

(٣) البيتان بدون نسبة أيضاً فى البيان ٣ : ٢٣٠ . وفيه : « ببعض الدواهى المفظعات » .

(٤) قصّد السير : فصله ، كما يقال قصد العظم : كسره وفصله . وفى الأصل : « قصر » ، صوابه مما اتفقت عليه نسخ البيان . و « قصر » بالراء لايستقيم بها المعنى ، إذ المعنى هنا على البطء لا على تقصير السير والإسراع فيه .

[رؤيا البغال وتأويلها]

سمعت أبا شُعْبة الأعمى المُعبِّر، ونحن بالنَّهْرَوَان، سنةَ قدم الحسنُ ابن سَهْل، وهو يقول لمُوَيْس بن عِمْران[1] : اذكرْ لإخوانك هؤلاء رُؤياك، وتعبيري لها. قال: نعم، قلتُ لك: رأيتُ فيما يرى النائم كأنّي على بغلٍ بريدٍ، فقلتَ لي: تُحَمُّ يومين وثُلُثَيْ يوم، فكان كما قلتَ؛ فسألتُك عن العلّة، فقلتَ: لأن تشريف ذَنَب البغلة تشريفتان وثُلثا تشريفة[2].

وقال الأصمعيّ: أرسل الحجّاج إلى الجرْميّ المعبِّر، يسأله عن رجل رأى كأنّه على بغلة، وكأنه على شَرَف[3]، وكأنه يستفُّ تُرابًا، فقال له: أما البغلُ فطول عُمُر، وأما الشرف فشَرَفٌ من شرف الدنيا، وأما التُّرابُ ففَيْءٌ تأكله.

وقالوا: وسأل بعض المِصريِّين الفرّاء المعبّر، فقال: رأيتُ كأنّ معي درهماً بَغْلِيًّا[4]. قال: لستَ تُمسي حتى تأكلَ شيئاً طيّباً. فكان كذلك.

---

(١) مويس بن عمران: معاصر للجاحظ، ومن أصحاب النظام. واتهمه أبو شعيب القلال بالبخل واحتج لذلك، مع أن الجاحظ ينوه في كتابه البخلاء ٦٣ بسخائه. وينوه أيضا بصدقه في كتاب الحيوان ٥: ٤٦٨، قال فيه: «كان هو والكذب لا يأخذان في طريق».

(٢) المراد بالتشريف رفع بعض أجزاء الذنب للزينة ونحوها.

(٣) الشرف: الموضع المرتفع.

(٤) كتب الأب أنَستاس ماري تحقيقاً في حواشي النقود العربية ص ٢٢: أنقله هنا لنفاسته: «البغلية: نسبة إلى بغل، وهو اسم يهودي ضرب تلك =

ثم أتاه بعد أيّام ، فقال : رأيتُ فيما يَرى النائم كأنَّ معى درهماً بَخِيًّا[١] .
قال : لستَ تَمْسِي حتى تُضرَب ضرباً وجيعاً ! فكان كذلك . فسأله عن العلّة ، فقال : الدرهم البغلىّ مكتوب عليه بالفارسيّة : « خُشْ بخُرْ[٢] » ترجمة

٢١١ و

= الدراهم ، وكان يعرف برأس البغل . قاله صاحب البرهان القاطع . وقال صاحب البرهان فى مادة (درخش) : درخش اسم بيت نار ، بناه رأس اليهود المعروف برأس البغل ، وهو الذى ضرب بعد ذلك الدراهم البغلية فسميت باسمه ، وذلك فى مدينة أرمية التى بنى فيها ذلك البيت بيت النار ، وهو الذى بنى شيراز أيضا .

وجاء فى مجمع البحرين : الدرهمُ البغلى ، بسكون الغين وتخفيف اللام : منسوب إلى ضراب مشهور باسم رأس البغل . وقيل هو بفتح الغين وتشديد الياء ، [أى بَغَلِىّ] بلدة قريبة من الحلة ، وهى بلدة مشهورة بالعراق . والأول أشهر على ما ذكره بعض العارفين ، وقدرت سعته بسعة الراحة ، وبعقد الإبهام وهو الدرهم الشرعى دون البغلى . عرف ذلك بالاختبار » . اهـ .

قلت : ومن النصوص التى ورد فيها ماجاء فى كتاب الديارات للشابستى ص ١٢٤ لمصعب الكاتب فيه :

واخشع فى مشيى وأصرف ناظرى وسجادتى فى الوجه كالدرهم البغلى

وإكمالا لبحثه كذلك أذكر ماجاء فى حياة الحيوان للدميرى ١ : ٩٣ فى ترجمة عبد الملك بن مروان : « وكانت الدراهم فى ذلك الوقت إنما هى الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية . لأن رأس البغل ضربها لعمر رضى الله عنه بسكة كسروية فى الإسلام ، مكتوب عليها صورة الملك ، وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية : نوش خور ، أى كل هنيئاً » .

(١) لم يذكره أنستاس ، لكن جاء فى القاموس : « ودرهم بخى ، وقد تشدد الخاء : كتب عليه : بخ . ومعمعى : كتب عليه : مع » .

(٢) خُش ، هى خوش ، وهى بمعنى اللذيذ الحسن الطيب . وخر ، هى فى الكتابة الفارسية « خور » بمعنى كل والباء تزاد أحيانا قبل الأمر فى الفارسية . وعند الدميرى ١ : ٩٣ : « نوش خور » ، تحريف .

هذه الكلمة : « كُلْ طَيِّبًا » . والدِّرهم البخىّ مكتوب عليه : « ضُرب هذا الدرهم » . وهما مختلفان .

وأنشد الحَكَمُ بن عَبْدَلٍ[١] أسماءَ بن خارجة[٢] شعراً ذكر [فيه] أنه رآه فى المَنام[٣] ، فقال :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ   فى سَاعَةٍ مَاكُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِى بِوَلِيدَةٍ   مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَىَّ قِيَامُهَا[٤]
وبِبَدْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَىَّ وبَغْلَةٍ   شَهْبَاءَ نَاجِيَةٍ يَصِلُّ لِجَامُهَا[٥]
فَدَعَوْتُ رَبِّى أَنْ يُثِيبَكَ جَنَّةً   عِوَضًا يُصِيبُكَ بَرْدُهَا وسَلاَمُهَا

قال أسماء : كلّ ما رأيتَه فى النوم فهو عندنا كما رأيتَ ، إلّا البغلة فإنَّها دَهماء ! قال : أعتق ما أملك إن كان رآها إلاّ دهماء[٦] ، ولكنّه غَلِطَ .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٤٩ .   (٢) سبقت الإشارة إليه فى ص ٢٧٦ .

(٣) قصة الأبيات فى الأغانى ٢ : ١٤٦ مخالفة لما هنا . فقد ذكر أبو الفرج أنه كانت لابن عبدل الأسدى حاجة إلى عبد الملك بن مروان ، فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام ، حتى جاءه رجل فقال : إنى رأيت لك رؤيا . فقال : هاتها . فقصها عليه ، فقال ابن عبدل : وأنا قد رأيت أيضا . قال : هات ما رأيت ، فقال . . » . وأنشد الأبيات .

(٤) فى الأغانى : « فحبوتنى فيما أرى بوليدة » . والمغنوجة ، لم أجدها فى المعاجم . وإنما ذكروا المغناج والغنجة . والغُنْج : حسن الدل ، والتكسر والتدلل .

(٥) بدله فى الأغانى ٢ : ١٤٦ :

ليت المنابر يا ابن بشر أصبحت   ترقى وأنت خطيبها وإمامها

(٦) هذا شاهد على أن الاحتراز فى حكاية أيمان الطلاق والعتاق كان من =

[استطراد لغوى يتعلق بالبغال]

ومما اشتُقّ من اسم البغل : « الدرهم البغلىّ[١] » . وفى بنى تَغْلِب[٢] « رأس البغل » وهو رئيس من رؤسائهم[٣] ، وهو الذى كان إبراهيم ابن هانئ الخليع[٤] نُسِب إليه .

وإذا كان الإنسان عظيم الرأس لقّبوه : « رأس البغل » .

والبَغلات : جَوارٍ من رقيق مصر ، نِتاج ما بين الصَّقالبة وجنس آخر[٥] ، والواحدة منهنّ يقال لها : « بَغلة » ، ولهنّ أبدان ووَثارة وحَدارة[٦] .

= منهج القدماء . فعدل عن حكاية قوله «إن كنت رأيتها إلا دهماء» إلى هذا الأسلوب . ونحوه فى الأغانى : « قال : هى هى وإلا فعليه وعليه » بدل أن يقول : « فعلىّ وعلىّ » .

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٢) فى شفاء الغليل ٤٤ عند الكلام على (بغل) : « وفى بنى ثعلب » .

(٣) فى شفاء الغليل : « رئيس معروف » .

(٤) إبراهيم بن هانئ : « أحد معاصرى الجاحظ ، قال فيه : وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً » . البيان ١ : ٩٣ . وروى عنه خبراً فى البخلاء ١١٤ . وانظر الحيوان ٣ : ١١٠ ، ٤ : ١٥٣ و ٥ : ٣٨١ ولسان الميزان ١ : ١١٨ .

(٥) فى شفاء الغليل ٤٤ نقلا عن كتاب البغال : « نتج بين الصقالبة وجنس آخر » .

(٦) الوثارة : السمن وكثرة الشحم . والحدارة ، بالحاء المهملة : الامتلاء باللحم والشحم ، يقال حدُر يحدر حدارة . وجعلت فى ط : « جدارة » خطأ وخلافاً لما هو واضح فى الأصل .

[معنى البغلة عند المصريين]

ويُرْوَى عن بعض العِراقيِّين ، قال : كنتُ عندَ قاضى مصر ، وهو يقول لبعض جُلسائه : عندى جارية أَطَؤُها منذ حين ، وقد اعترانى شَبَق ، وأنا على أن أشتريَ بغلة . قلت : وما تصنع ببغلة ؟ قال : أطؤها ، وأُصيبُ منها . فقلتُ فى نفسى : هذا أَمْجَن الناس وأحمقهم ، يتكلّم بهذا وهو قاضٍ ؟ ! ثم حكيتُ ذلك عند رجل من أهل مصر ، فقال : عافاك الله ، ما منّا من أحدٍ إلّا وعنده بَغَلات ينيكهنّ ! فتعجَّبتُ ، فلما رأى إنكارى ذلك ، فسَّرَ لى معنى البغلة عندهم .

٢١١ ظ

[ما قيل من الأمثال فى البغال]

قالوا : وإذا عظمت المرأة ، وعظُم بطنها ، قالوا : « ما هى إلّا بغلة » ، وما رأسُ فلان إلّا رأس بغل ، وما أيره إلّا أير بغل ، وما خُلُقه إلّا من أخلاق البغال .

[بعض ما أضيف إلى الرأس]

والمثل السائر : « كأنه جاء برأس خاقان[1] » ، « ورأسُ الجالوت[2] » ،

---

(١) مجمع الأمثال فى قولهم : « جاء برأس خاقان » وفى « أباى ممن جاء برأس خاقان » قال الميدانى فى الموضع الثانى : « قال حمزة : هذا مثل مولد حكاه المفضل بن سلمة فى كتابه المترجم بالكتاب الفاخر فى الأمثال . قال : والعامة تقول : كأنه جاء برأس خاقان . وخاقان هذا كان ملكا من ملوك الروم خرج من ناحية باب الأبواب وظهر على إرمينية ، وقتل الجراح بن عبدالله عامل هشام بن عبد الملك عليها ، وغلظت نكايته فى تلك البلاد ، فبعث هشام إليه سعيد بن عمرو الحرشى وكان مسلمة صاحب الجيش ، فأوقع سعيد بخاقان ففض جمعه واحتز رأسه وبعث به إلى هشام ، فعظم أثره فى المسلمين وفخم أمره ، ففخر بذلك حتى ضرب به المثل » . وانظر الفاخر ص ٩٨ والاقتضاب ٤٩ .

(٢) فى ثمار القلوب ٢٥٧ : «رأس الجالوت : رئيس اليهود ، كما أن الأسقف =

و« رأسُ الفاعوس[١] »، و « رأسُ الـكتيبة والقبيلة » . فلذلك قال عمرو بن كُلثوم :

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِى جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالحُزُونَا[٢]

وقال أبو المهوِّش الأَسَدِىّ[٣] :

تَرَاهُ يُطَوِّفُ الآفَاقَ حِرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عادِ[٤]

ورأس بن أبى الرأس القائد ، مشهورٌ معروف .

ويقولون : « هذا على رأس الثُّمام[٥] » .

= رئيس النصارى ، والموبذ رئيس المجوس » . وجاء فى مفاتيح العلوم للخوارزمى ٢٤ : « والجالوت الجالية أعنى الذى جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس . ويكون رأس الجالوت من ولد داود عليه السلام . وتزعم عامتهم أنه لا يرأس حتى يكون طويل الباع ، تبلغ أنامل يديه ركبتيه إذا مدهما » .

قلت : وهو بالعبرية « رُوش جالويُوت » .

(١) الفاعوس : الأفعى .

(٢) البيت من معلقته المشهورة .

(٣) هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا الرسول ولم يروه . الإصابة ٢٠١٩ والخزانة ٣ : ٨٦ ، ١٤٢ والشعراء ٢٢ وسمط اللآلى ٨٦٣ والبخلاء ٢١٦ والبيان ١ : ٢٠٧ و ٣ : ٣٢١ .

(٤) البيان ١ : ١٩٩ ، ٣ : ٣٢١ وثمار القلوب ٢٥٧ والاقتضاب ٤٩ والعقد ٢ : ٤٦٢ وأخبار الظراف ٢٤ . ويروى : « يطوف فى الآفاق » . والبيت يروى أيضاً ليزيد بن الصعق ، كما فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٣٨٨ .

(٥) ويقال أيضا « على طرف الثمام » ، كما فى اللسان . قال : « وذلك أن الثمام لا يطول فيشق تناوله » . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشى به وسد به خصاص البيوت .

وبالشّام موضع يقال له : « بيتُ رأسٍ » تُباع فيه الخمر ؛ ولذلك قال الشاعر[١] :

* مُجَاجَةَ كَرْمَةٍ مِنْ بَيْتِ رَأْسِ[٢] *

وبيت رأس بالشام مثل . . . . أبيات[٣] ، وبيت لَهْيا[٤] .

ويقال : فلان رأس من الرءوس .

والرأس : رئيسُ السُّوّاس .

[التبغيل]

ومن سَيْر الإبل سيرٌ يُسَمَّى : « التبغيل[٥] » ، قال الراعي :

وإذَا تَرَقَّصَتِ المَفَاوِزُ غَادَرَتْ رَبِذًا يُبَغِّلُ خَلْفَهَا تَبْغِيلَا[٦]

---

(١) هو أبو نواس كما فى معجم البلدان (بيت رأس) .

(٢) ويروى : « مجاج سلافة » . وصدره :

* وتبسم عن أغر كأن فيه *

(٣) كذا وردت الكلمة مع انطماس الكلمة التى قبلها . ولعلها « بيت النار » وهى قرية كبيرة من قرى إربل . ذكره ياقوت .

(٤) لهيا ، بكسر اللام كما فى معجمى ياقوت والبكرى ، وبفتحها فى القاموس وتاج العروس . قال ياقوت : « كذا يتلفظ به ، والصحيح بيت الإلَهة ، وهى قرية مشهورة بغوطة دمشق .

(٥) التبغيل : مشى فيه سعة ، وقيل هو مشى فيه اختلاف واختلاط بين الهملجة والعنق .

(٦) جمهرة أشعار العرب ١٧٣ وشرح السبع الطوال ٥٧٢ واللسان (بغل ، رقص) ، وانظر لقصيدة الراعى الجمهرة والخزانة ١ : ٥٠٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٥١ .

[البغيلة]

والبُغَيْلة : اسم ناقةٍ كانت لجميل بن مَعْمَر ، ولذلك قال :

أضَرَّ بأخْفَافِ البُغَيْلةِ أنَّهَا حِذَارَ ابْنِ رِبْعىّ بهنَّ تَحُومُ[1]

ولذلك قال الرَّقَاشىّ[2] فى صفة ناقةٍ له تسمّى « سَرْوة » :

لَعَمْرُكَ مَا البُغَيْـلَةُ حِينَ تَغْدُو
وصَيْدَحُ حِينَ تَسْرَحُ فى الرِّحابِ[3]
كَسَرْوَةَ حِينَ تَذْرَعُ عَرْضَ خَرْقٍ
بَعِيـدِ الآلِ مُشْتَبِهِ الظِّرابِ[4]

---

(١) ابن ربعى هذا هو عامر بن ربعى بن دجاجة ، وكان والياً على بلاد عذرة كما فى الأغانى ٧ : ٨٨ . وذكر أن رهط بثينة استعدوا عليه عامر بن ربعى، وذكروا أنه يهجوهم ويغشى بيوتهم ، ويشبب بنسائهم ، فأباح دمه وطلبه وفى الأغانى : « بهن رجوم » .

(٢) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، أحد شعراء الدولة العباسية وممن مدح هارون والأمين والبرامكة ، وكان هو وأبو نواس يتهاجيان . انظر ترجمته فى الأغانى ١٥ : ٣٤ — ٣٥ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٤٥ — ٢٤٦ وما كتبت فى حواشى الحيوان ٢ : ٦١ .

(٣) صيدح : ناقة ذى الرمة ، التى يقول فيها :

سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح : انتجعى بلالا

ديوانه ٤٤٢ . وانظر الديوان أيضاً ص ٨٧ ، ١٥٤ ، ٣٢٤ .

(٤) ط : « بسروة » خلافا لما هو واضح فى الأصل . والظراب : الروابى الصغار ، واحدها ظرب ككتف

[مما قيل فى البريد]

ومما قالوا فى البريد ، قال رجل من الأنصار[١] عند وِلاية عُمَر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه :

٢١٢ و

ثُمَّ جاءَ البَرِيدُ يُخْبِرُ أنَّ الـ ... ـقَوْمَ طُرًّا لَمْ يُحْرَمُوا التوْفيقَا[٢]

مِنْ سُكُونٍ وأُلْفَةٍ وَاجتماعٍ ... لَمْ يفَارِقْ مِنْهُمْ فَرِيقٌ فَرِيقَا

قَلَّدُوا الأَمْرَ سَيِّدَ النَّاسِ كلَّ الـ ... ـنَّاسِ نَفْسًا وأُسرةً وعُرُوقَا

مَنْ أَبُوهُ عَبْدُ العزِيزِ بْنُ مَرْوَا ... نَ ومَنْ كان جَدُّهُ الفارُوقَا[٣]

وقال ابن أُذَيْنة اللَّيْثِىّ[٤] :

---

(١) هو عتبة بن شماس ، كما فى الحيوان ٣ : ٥٢١ والعقد ٣ : ٢٩١ والكامل ٣٩٩ .

(٢) القوم ، كتب فوقها فى الأصل « الناس » .

(٣) هذا البيت مع بيت آخر قبله وبيت آخر بعده فى الحيوان والعقد والكامل فأول الأبيات الثلاثة التى رويت وحدها فى هذه المراجع :

إن أولى بالحق فى كل حق ... ثم أحرى بأن يكون حقيقا

وآخرها :

رد أموالنا علينا وكانت ... فى ذرى شاهق يفوت الأنوقا

وفى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ٨ بدون نسبة أبيات ثلاثة ، هى :

إن أولى بالحق فى كل حق ... ثم أولى بأن يكون حقيقا

بالتقى والنهى وأخلاقه اللا ... تى تأبى بغيره أن تليقا

من أبوه عبد العزيز بن مروا ... ن ومن كان جده الفاروقا

(٤) هو عروة بن أذينة . وأذينة لقب أبيه واسمه يحيى . كان عروة شاعرا مقدما من أهل المدينة كما يعد فى فقهائها ومحدثيها كذلك ، لكن غلب عليه الشعر =

أتَانَا البَرِيدُ التَّغْلَبِيُّ فرَاعَنَا لَهُ خَبَرٌ شَفَّ الفُؤَادَ فَأَنْعَمَا[1]

بِمَوْتِ أبِي حَفْصٍ فلا آبَ رَاكِبٌ

بِمَوْتِ أبِى حَفْصٍ أَخَبَّ وأَرْسَمَا[2]

وذكر يزيد بن معاوية البريد، فقال:

جَاءَ البَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ

فَأَوْجَسَ القَلْبُ من قِرْطَاسِهِ فَزَعَا[3]

قُلْنَا: لَكَ الوَيْلُ مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ

قَالُوا: الخَلِيفَةُ أَمْسَى مُدْنَفًا وَجِعَا[4]

فَمَادَتِ الأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بنا

كَأَنَّ أَغْبَرَ مِن أركانِهَا انقلعا[5]

= الاغانى ٢١ : ١٠٥ — ١٢١ والشعراء ٥٦٠ والمؤتلف ٥٤ واللآلئ ٢٣٦ . وترجم له ابن خلكان عرضاً فى أثناء ترجمة سكينة بنت الحسين .

(١) ط : «شق»، خلافا لما هو واضح فى الأصل . وشف الفؤاد: لذعه وأحرقه. وأنعم، أى زاد.

(٢) يقال جاءوا مخبّين: تخب بهم دوابهم . والخبب : ضرب من العدو ويقال أرسم الرجل بعيره : حمله على الرسيم ، وهومن سير الإبل فوق الذميل .

(٣) قبله فى الأغانى ١٦ : ٣٣ : « عن الشعبي أن معاوية مات ويزيد بالصائفة، فأتاه البريد بنَعْيِه ، فأنشأ يقول ». ونحوه فى العقد ٤ : ٣٧٣ . والصائفة : الغزوة بالصيف . وفى ط : « عن قرطاسه » خلافا لما هو واضح فى الأصل . وفى الكتاب العزيز : « فأوجس منهم خيفة » .

(٤) فى الأغانى : « قال : الخليفة أمسى مثبتا » وفى العقد : « قالوا : الخليفة أمسى مثبنا » .

(٥) فى الأغانى : « مادت بنا الأرض » . و « وكأن أغبر » كذا وردت =

[ضروب من البغال]

وقد كان أيضاً بالكوفة [نِتاجٌ[1]] بين الُخراسانيّة والهنديّات ، وكان أملحَ وأحسنَ قدوداً من البَغَلات اللواتى بمصر ؛ وكانت ألوانهن تجىء ذهبيّةً ، لها حَلاوة الهِندية[2] ، ورَوْعة الخَراسانية .

[جوارى الكوفة والبصرة]

وكذلك مُطَمَّمات جوارى الكوفة ، زُرقًا تجدهنَّ ، إلاّ الواحدةَ بعد الواحدة ، وإنّما الثمينات المرتفعات ، والغوالى الخطيراتُ بَصْريّاتٌ ، مثل عجوز عُمَير[3] ، ومُتَيَّم[4] ، وبَذْل[5] ، وعَرِيب[6] ،

= فى الأصل والعقد . والأوفق رواية الأغانى : « كأن ما عـَـز » . وبعد هذا البيت فى الأغانى بيتان ، وفى العقد بعده ستة أبيات ليس منها بيتا الأغانى .

(١) بمثلها يلتئم الكلام ، وهى من اقتراح شارل . (٢) فى الأصل : « الهند » .

(٣) لم أجد لها خبراً . وفى الأغانى ٢٠ : ٤٣ : « كان بالكرخ نخاس يكنى أبا عمير ، وكان له جوار قيان ، لهن ظرف وأدب » .

(٤) هى متيم اللبانة ، بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبى . وكانت صفراء مولدة من مولدات البصرة ، وبها نشأت وتأدبت وغنت ، وأخذت عن أسحاق وأبيه من قبله . وكانت من تخريج بذل وتعليمها . وكانت مولاة عريب ثم اشتراها على بن هشام لحظيت عنده حظوة شديدة وتقدمت على جواريه أجمع عنده ، وهى أم ولده كلهم . الأغانى ٧ : ٢٩٠ - ٣٥ وانظر طبقات ابن المعتز ٣٢٠ .

(٥) كانت بذل صفراء من مولدات المدينة ، وربيت بالبصرة ، يقال إنها كانت تغنى ثلاثين ألف صوت ، ابتاعها جعفر بن موسى الهادى فأخذها منه الأمين وأعطاه مالا جزيلا ، ثم وقعت إلى المأمون ثم المعتصم ، وعملت لعلى بن هشام كتاباً فى الأغانى يشتمل على اثنى عشر ألف صوت . الأغانى ٧ : ٣١ و ١٥ : ١٣٨ — ١٤٠ . وبذل هذه هى بذل الصغيرة المغنية .

(٦) كانت عريب جارية لعبد الله بن إسماعيل المراكبى صاحب مراكب الرشيد =

وبَذْل[١] : جارية المَرَاكِبيّ[١] ، وشاريَة[٢] : جارية إبراهيم بن المهْدى ، وزِرْياب الـكُبْرَى[٣] ، وعَسَاليج[٤] : جارية الأحْدَب[٥] ، وفضْـل[٦] :

= وهو الذى رباها وأدبها وعلمها الغناء . ويقال إنها بنت جعفر بن يحيي ، وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت صغيرة ، ووقعت حينا فى ملك الأمين ، ثم رجعت إلى صاحبها ثم إلى المأمون ثم المعتصم . ولدت سنة ١٨١ وعاشت ستا وتسعين سنة . وقد أسهب أبو الفرج فى نعتها وتقريظها . الأغانى ١٨ : ١٧٥ — ١٩١ .

(١) بذل هذه ، هى بذل الـكبيرة ، أو الـكبرى . ذكرها أبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٣١ و ٩ : ٣٤ و١٧ : ١٣٢ . والمراكبي ، هو عبد الله بن إسماعيل ، وكان صاحب مراكب الرشيد . الأغانى ١٨ : ١٧٧ .

(٢) فى الأصل : « شارى » تحريف . وهى شارية البصرية المولدة ، اشتراها إبراهيم بن المهدى بثمانية آلاف درهم . وذكروا أن المعتصم أعطى بها سبعين ألف دينار فامتنع عن بيعها . الأغانى ١٤ : ١٠٥ — ١١٠ .

(٣) هى زرياب الواثقية ، ذكر أبو الفرج فى الأغانى ٩ : ٣٤ أنها كانت ممن يغير الغناء القديم . وذكر فى ٩ : ١٣٦ أنها غنت فى حضرة عبد الله بن المعتز . وفى المغنين أيضاً « زرياب » وهو عبد أسود كان لإبراهيم الموصلى ، وكان مطبوعا على الغناء ، علمه إبراهيم ، وكان ربما حضر مجلس الرشيد يغنى فيه ، ثم انتقل إلى بنى الأغلب فأخفق وأخرجوه ، فجاز البحر إلى الأندلس ، فكان عند عبد الرحمن ابن الحكم . العقد ٦ : ٣٤ .

(٤) ذكر أبو الفرج فى الأغانى ١٧ : ١٣٢ أنها كانت لرقية بنت الفضل ابن الربيع ، اشترتها من آل يحيي بن معاذ .

(٥) الأحدب القين ، كان من أصحاب القيان ، كما يفهم من الأغانى ١٧ : ١٣٣ وذكر أن عبد الله بن العباس الربيعى كان يعشق مصابيح ، جارية الأحدب القين ، ثم قال : « هكذا ذكر شبية بن هشام من أمر مصابيح ، وهى مشهورة من جوارى آل يحيي بن معاذ . ولعلها كانت لهذا القين قبل أن يملكها آل يحيي وقبل أن تصل إلى رقية بنت الفضل بن الربيع . فلعل هذا النص يفسر ما ذكر الجاحظ أن « عساليج جارية الأحدب » أيضاً .

(٦) كانت فضل شاعرة من أحسن خلق الله خطا ، وأفصحه كلاما . وأبلغه فى =

جارية العَبدىّ[1] . وقَبل هذا سَلْسَلُ[2] وأشباه سلسل .

[أخبار فى البريد]

وبُرُد كُتُب الملوك كانت تختلف ما بين فَرْغانة القُصْيا[3] إلى السُّوس الأقصى ، وكانت البُرُد منظومة إلى كِسرى ، من أقصى بلاد اليمن إلى بابه ، أيام وَهْرِز[4] ، وأيام قُتل مسروقٌ[5] عظيم الحَبَشة . وكذلك كان عظيم الروم . قال امرؤ القيس :

= مخاطبة . وكانت من مولدات البصرة ، ونشأت فى دار رجل من عبد القيس ، وباعها بعد أن أدبها وخرجها ، فاشتريت وأهديت إلى المتوكل ، ولم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية . الأغانى ١٧ : ٤ – ٨ و ٢١ : ١١٤ – ١٢٠ .

(١) فى الأصل : العباد » . وانظر الحاشية السابقة .

(٢) ط : «وقيل لهذا السلسل» ، خلافا لما أثبته واضحاف الأصل . وسلسل هذه كانت جارية لبعض المغنين بالبصرة ، قال أبو الفرج : كانت من أحسن الناس وجها وغناء . وفيها يقول أبان بن عبد الحميد :

فتنت سلسل قلب ابن قطن ثم ثنت بابن صخر فافتتن
فأتيت اليوم كى أنقذهم فإذا نحن جميعا فى قرن

وفى المغنين أيضا « سلسل » وكان مولى لبنى هاشم . الأغانى ٩ : ٢٢ — ٢٣ .

(٣) كذا فى الأصل ، وهى صحيحة ، يقال قصوى وقصيا . وفى اللسان : « أهل الحجاز قالوا : القصوى ، فأظهروا الواو وهو نادر ، وأخرجوه على القياس إذ سكن ماقبل الواو . وتميم وغيرهم يقولون : القصيا » . وجاء فى تفسير الأشمونى لقول ابن مالك :

بالعكس جاء لام فعلى وصفا وكون قصوى نادرا لايخفى

« وأما قول الحجازيين القصوى فشاذ قياسا فصيح استعمالا ، نبه به على الأصل . وتميم يقولون القصيا على القياس » .

(٤) وهرز : أحد قواد كسرى الذين أرسلهم إلى اليمن كما سبق فى ١ : ٢٠١ . وانظر السيرة ٤٣ .

(٥) هو مسروق بن أبرهة الحبشى حاكم اليمن . وفى دهره خرج سيف =

٢١٢ ظ

ونَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي ورَكِبْتُ البَرِيدَا[١]
إِذَا مَا ازْدَحَمْنَا عَلَى سِكَّةٍ سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقًا بَعِيدَا

وكذلك كانت بُرُد كسرى إلى الحِيرة : إلى النعمان وإلى آبائه . وكذلك كانت بُرُدُه إلى البحريْن : إلى المُكَعْبَر مَرْزُبان الزَّارَة[٢]، وإلى مشكاب[٣]، وإلى المُنْذِرِ بن ساوَى[٤] ، وكذلك كانت بُرده إلى عُمان ، إلى الجُلَنْدَى

= ابن ذى يزن مستغيثاً بقيصر ، ثم بكسرى ،لينقذا اليمن من ظلم الحبشة ، فبعث معه كسرى جيشا يقوده وهرز السالف الذكر . ووهرز هذا الذى قتل مسروقا وأزال ملك الحبشة على اليمن بعد أن تداوله أربعة منهم فى اثنين وسبعين سنة ، وهم أرياط ، وأبرهة ، ويكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة ، السيرة٤٢ — ٤٥ .

(١) سبق البيتان فى ص ٢٧٥ .

(٢) الزارة : قرية كبيرة بالبحرين . وفتحت الزارة فى سنة ١٢ فى أيام أبى بكر الصديق . معجم البلدان ، قال : « ومنها مرزبان الزارة ، وله ذكر فى الفتوح » . وفى معجم ما استعجم أنها مدينة من مدن فارس ، وهى التى بارز البراء بن مالك مرزبانها فصرعه فقطع يديه ، فأخذ سواريه ومنطقته » . ثم قال : « وأصل الزارة الأجمة أجمة القصب » . وفى الإصابة ٦١٧ فى ترجمة البراء ابن مالك أنه فى يوم تستر حمل وحمل الناس معه . فقتل مرزبان الزارة من عظماء الفرس وأخذ سلبه ، فانهزم الفرس وقتل البراء .

(٣) وردت فى ط : « مسكاب » ، وهى فى أصلها بالشين المعجمة .

(٤) فى الأصل : « شارى » ، تحريف . وفى جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ : « ومن بنى عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم — وهو الأسبذى ، نسب إلى الأسبذ ، وهى قرية بهجر — المنذر بن ساوى صاحب هجر » . وانظر المحبر ٢٦٥ . وفى السيرة ٩٤٥ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين » . وترجم له فى الإصابة ٨٢١٢ وذكر أنه المنذر ابن ساوى بن الأخنس بن بنان بن عمرو بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله ابن دارم . و « ساوى » ضبطه فى الإصابة ٨٤٦١ بفتح الواو مقصوراً .

ابن المستكبر[١]. فكانت بادية العرب وحاضرتها مغمورتين ببُرُده، إلا ما كان من ناحية الشام؛ فإنّ تلك الناحيةَ من مملكة خَثْعَم وغَسّان إلى الروم، إلّا أيّامَ غلبتْ فارسُ على الروم. ولذلك صرنا نرى النواويس بالشّامات إلى قُسطنطينية[٢].

وهل كانت بُرُد كسرى إلى وَهْـرِزَ[٣]، وباذام[٤]، وفَيْرُوز ابن الدَّيْلَمِيّ[٥]، وإلى اليَمَن، وإلى المُكَعْبَر مَرْزُبان الزارة، وإلى النُّعمان بالحيرة، إلّا البغال؟ وهل وجدُوا شيئاً لذلك أصلحَ منها؟

---

(١) هو الجلندى بن كركر بن المستكبر بن مسعود. جمهرة أنساب العرب ٣٧٤. وفي المحبر ٧٧: «الجلندى بن المستكبر». وفيه ص ٢٦٥ أن ملوك فارس كانت تستعمل بني المستكبر على عمان. وفي الإصابة ١٢٩٢ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليه عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وقال:

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ينادي بها في الواديين فصيح

(٢) جعلت في ط: «القسطنطينية». والنواويس: مقابر النصارى، جمع ناوس. والشامات: بلاد الشام، وتشمل الثغور، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس إلى غير ذلك. وللجاحظ ولوع بهذه التسمية. انظر الحيوان ١: ٨٣ و ٣: ٣١٢، ٤٠٤، ٤٥٣.

(٣) انظر ماسبق في ص ٢٩٠.

(٤) ويقال أيضاً: «باذان» بالنون. التنبيه والإشراف ٢٤١ والسيرة ٤٦ والإصابة ٧٥٥ والصحاح (نطف) وحواشي الاشتقاق ٢٢٦ وجمهرة أنساب العرب ٥١٢ ومعجم استينجاس ١٤١ وفي القاموس: «وباذان الفارسي من الأبناء، أسلم في حياة النبي». وكان باذان من الأبناء الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، وكان ملك اليمن في زمانه، وأسلم باذان لما هلك كسرى وبعث بإسلامه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فاستعمل على بلاده وهو أول من أمر في الإسلام على اليمن. وكان مصرعه على يد العنسي الكذاب.

(٥) في الجمهرة ٥١٢: «ودادويه وفيروز المعروف بابن الديلمي لهما صحبة». =

[ما قيل من الشعر فى البغال]

وممـا ذكروا به شأن البغال فى الشعر وغيره ، قول الشاعر[١] :

جَعَـــلَ ابْنُ حَزْمٍ حَاجِبَيْنِ لِبَابِهِ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ابْنَ حَزْمٍ يُحْجَبُ[٢]

وعَجِبْتُ أَنْ رَكِبَ ابْنُ حَزْمٍ بَغْـلَةً
ورُكُوبهُ فَوْقَ المَنَـــابِرِ أَعْجَبُ

وقال أَعْشَى هَمْدان ، فى خالد بن عتَّاب بن وَرْقَاء[٣] ـ وكُنيةُ خالد أبو سليمان ، اكتنى بكنية خالد بن الوليد[٤] ، فقال :

= وكان فيروز من أبناء الأساورة من الذين كان كسرى قد بعثهم إلى قتال الحبشة . وقد وفد على رسول الله ثم رجع إلى اليمن فأعان على قتل الأسود العنسى . وهو صحابى روى عنه أبناؤه الضحاك ، وسعيد ، وعبد الله . ويقال له فيروز الديلمى ، وابن الديلمى . الإصابة ٧٠٠٤ . وفيروز ، بفتح الفاء ، كما فى القاموس . توفى سنة ٥٣ باليمن فى خلافة معاوية .

(١) هو الأحوص بن محمد الأنصارى كما سبق فى كتاب الحجاب ص ٦١ .

(٢) ابن حزم هذا هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى القاضى ، كان عاملا على المدينة والحج من قبل سليمان بن عبد الملك . الأغانى ٤ : ٤٣ . وترجم له فى تهذيب التهذيب ١٢ : ٣٨ — ٤٠ وذكر أن عمر بن عبد العزيز استعمله على المدينة والقضاء وموسم الحج . واختلف فى سنة وفاته من سنة ١٠٠ إلى سنة ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ . وفى كتاب الحجاب تأخير هذا البيت عن لاحقه مع خلاف فى الرواية أيضاً .

(٣) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان من عمال الحجاج على الرى ثم غضب عليه وطلبه ، فهرب إلى الشام ، واستجار بزفر بن الحارث الكلابى ، فراجع عبد الملك فى أمره فأجاره وكان له أثر عظيم فى قتال الخوارج . الأغانى ١٦ : ٤١ — ٤٢ والطبرى ٧ : ٢٥٢ — ٢٥٤ والحيوان ٥ : ٥٩٠ .

(٤) إذ كان خالد بن الوليد بن المغيرة ، القائد المشهور ، يكنى أبا سليمان ، وسليمان ولده . انظر جمهرة ابن حزم ص ١٤٧ . كما كان يلقب سيف الله . الإصابة ٢١٩٧ حيث أورد حديث : « نعم عبد الله هذا سيف من سيوف الله » .

تُمَنِّينِي إِمَارَتَهَـــا تَمِيمٌ   وما أُمِّي بِأُمِّ بَـنِي تَمِيمِ (١)
وكانَ أَبُو سُلَيْمَانٍ خَلِيـــلِي   ولٰكِنَّ الشِّرَاكَ مِنَ الأَدِيمِ (٢)
أَتَيْنَا أَصْبَهَانَ فَهَزَّلَتْنَـــا   وكُنَّا قَبْلَ ذٰلِكَ فِي نَعِيمِ (٣)
أَتَذْكُرُنَا ومُرَّةَ إِذْ غَـزَوْنَا   وأَنْتَ عَلَى بُغَيْلِكَ ذِي الوُشُومِ (٤)
ويَرْكَبُ رَأْسَهُ فِي كُلِّ وَهْـدٍ   ويَعْثُرُ فِي الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ (٥)
٢١٣ و   ولَيْسَ عَلَيْـكَ إِلَّا طَيْلَسَانٌ   نَصِيبِيٌّ وإِلَّا سَحْقُ نِيمِ (٦)

---

(١) وكذا فى الأغانى ٥ : ١٤٣. والأم ، بالفتح: القصد والطريقة . وفى البيان ٤ : ٥٠ : « وما أمرى وأمر بنى تميم » .

(٢) فى الأغانى : « وكان أبو سليمان أخا لى » .

(٣) كان أعشى همدان قد رحل مع خالد بن عتاب إلى أصبهان حين وليها ، وكان من قبل قد منّاه وقال له : متى استعملت نخذ خاتمى واقض فى أمور الناس كيف شئت . فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه .

(٤) كذا فى الأصل والأغانى ونسخة هـ من البيان . والأوفق « الوسوم » بالسين ، جمع وسم ، وهو أثر الكى . إذ كثر استعمال الوشم فيما تصنعه المرأة من غرز يدها أو ذراعها بالإبرة ، ثم حشوها بالكحل أو بالنؤور .

(٥) فى الأغانى والبيان : « فى كل وحل » .

(٦) ط : « فليس » ، خلافاً لما فى الأصل والبيان والأغانى . والطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ، ليس به تفصيل أو خياطة . فارسى معرب انظر المعجم الوسيط . نصيبى : نسبة إلى نصيبين من مدن الجزيرة . والسحق : البالى . والنيم : فرو قصير إلى الصدر . ولفظ « نيم » فارسى معناه النصف أو الوسط . وبعد هذا البيت فى الأغانى :

فقد أصبحت فى خز وقز   تبختر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقاها زمانا   كذبت ورب مكة والحطيم

والقصة بقية فى الأغانى .

[بغـلة عكرمة]

وكان عِكْرِمة بن رِبْعىّ التَّيْمِى[1] ، الذى يقال له « الفيّاض » ، يُعْجَب ببغلة عنده[2] ، وكان على شُرَط الحجّاج ، وكان لا يأتى الحجّاجَ فى مَوْكبا مع الأشراط والوُجوه إلّا عليها ، وفيها يقول عِكرمة :

لَمْ أَرَ شَيْئًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مِثْـلَهُ
أَشَدَّ انْتِزَاعًا لِلتَّشَابُهِ فِي الأَصْـلِ[3]

تقسَّـمه أطرافُهُ فاسـتزالها
بقِسمةِ عَدلٍ مِن يَدَىْ حَكَمٍ عَـدلِ

وأنشد أبو زَيْدٍ النحوىّ :

فكَيْفَ بِأَطْرَافِى إذَا ماشَتَمْتَنِى ... وما بَعْدَ شَتْمِ الوَالِدَيْنِ صُلُوحُ[4]

---

(١) هو عكرمة بن ربعى بن عمير بن صبيح بن لأى بن مـوألة . كان من أجواد الإسلام ، بل كان واحداً من ثلاثة أجواد بالكوفة ، ثانيهم عتاب بن ورقاء وثالثهم أسماء بن خارجة . انظر المحبر ١٥٤ والعقد ١ : ٣٤٠ و ٦ : ٩٨. وكان كاتبا لبشر بن مروان فى الكوفة ، وقد مدحه الأخطل . الأغانى ٧ : ١٧٨ . ويعد من أبطال ألف ليله وليلة . انظر الليلة ٦٨٣ ، ٦٨٤ .

(٢) ط : « ببغلة عذرة » ، خلافاً لما هو واضح فى الأصل .

(٣) ط: « للنسابة » ، تحريف . وزيدت فيها واو فى البيت ، وليس ما يدعو إليها ؛ فإن الخرم كثير فى شعر العرب .

(٤) أنشده فى اللسان والمقاييس (صلح ، طرف) وإصلاح المنطق ١٢٤ . ونسب فى اللسان (طرف) إلى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . أراد بالأطراف أبويه وإخوته وأعمامه وكل قريب محرم له . والصلوح : الصلاح .

[شبه البغل بوالديه]

وقال أصحاب البغال : لا نعلم شيئاً من الحيوان رُكِّبَ بين شيئين نزع إليهما نزعًا سوَاءً لايغادر[١] شيئاً غير البغل ، فإنّ شَبَه أبويْه عليه بقسمة عدْل ، وقد ذكر ذلك محمد بن يَسِير[٢] فى شعره الذى طلب فيه من مُوَيْس ابن عِمران[٣] بغلةً لرحلةٍ[٤] ، فقال :

أُضْمُمْ عَلَيَّ مَآرِبًا قَدْ أَصْبَحَتْ ... شَتَّى بَدَادِ شَتِيتَةَ الْأَوْطَانِ[٥]

بِزَفُوفِ سَاعَاتِ الـكَلَالِ دَلِيقَةٍ ... سَفْوَاءَ أَبْدَعَ خَلْقَهَا أَبَوَانِ[٦]

لَمْ يَعْتَدِلْ فِي الْمَنْصِبَيْنِ كِلَاهُمَا ... عِنْدَ التَّنَاسُبِ مِنْهُمَا الْجِنْسَانِ

إِلَّا تَـكُنْ لِأَبٍ أَغَرَّ فَإِنَّهَا ... تَنْمِي إِلَى خَالٍ أَغَـرَّ هِجَانِ

---

(١) ط : « لايقاذر » ، تحريف .

(٢) سبقت ترجمته بتفصيل فى حواشى البيان ١ : ٦٥ .

(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٧٨ .

(٤) فى الأصل : « لرجله » ، وجعلت فى ط : « لرحله » ، والوجه ماأثبت .

(٥) المآرب : جمع مأرب ، وهو الحاجة . وفى الأصل : « مالرما » . بَدادِ ، بالبناء على الـكسر : أى متبددة متفرقة .

(٦) أى زفوف فى ساعات الـكلال والتعب . والزفوف : السريعة السير . والدليقة ، أراد بها الشديدة الدفعة . وفى اللسان : « وخيل دلق ، أى مندلقة شديدة الدفعة » . والمعروف فى وصف المفرد « دلوق » لا « دليق » . والسفواء ، قال أبو عبيدة : هى الخفيفة الناصية ، وذلكَ مما تمدح به البغال ، ويستحب السفا فى البغال ويكره فى الخيل. وأنـكر هذا الأصمعى وقال : السفواء بمعنى السريعة لاغيرَ .

نَزَعَتْ عَنِ الْخَيْلِ العِتَاقِ نَجَاءَهَا مِنْهَا ، وعِتْقَ سَوَالِفٍ ولَبَانِ[١]
ولَهَا مِنَ الْأَعْيَارِ عِنْدَ مَسِيرِهَا جِدٌّ وطُولُ صَبَارَةٍ ومِرَانِ[٢]

قال ذلك لأن حافرَ العَير أوْقَح الحوافر[٣] ، فأعطاه أبوه من الخصْلة التى بَانَ بها من سائر الحوافر .

[الخلق المركب]

قالوا : وليس فى جميع الخلق المركّب مثل الراعِبِىّ[٤] ، الذى هو من نِتاج ما بين الوَرَشان والحَمام : لم يأخذ من هِداية أمّه شيئاً ، ولم يُعْطِه أبوه من طول عمره شيئاً .

٢١٣ ظ

ومن المركّب : السِّمْع ، والعِسْبار[٥] . وكما تحكى الفلاسفة والمجرِّبون عن الكَوْسَج ، واللُّخْم[٦] .

---

(١) النجاء : السرعة . والسوالف : جمع سالفة ، وهى ماتقدم من العنق . واللبان ، كسحاب : ماجرى عليه اللبب من الصدر .

(٢) الذى فى المعاجم « المرانة والمرونة » ، وهى الدربة والقدرة فى العمل .

(٣) الوقاحة : الصلابة .

(٤) انظر الحيوان ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ . و ٣ : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٢ .

(٥) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع فيما زعم العرب . والعسبار : ولد الضبع من الذئب فى زعمهم . الحيوان ١ : ١٨١ و ٦ : ١٥٠ .

(٦) الكوسج : حيوان بحرى يتولد بين اللخم وسمكة أخرى ، كما فى الحيوان ٧ : ١٢٦ . وفى ١ : ٣١ أنه ليس له أب يعرف . فاللخم على هذا أمه . واللخم من حيوان البحر الذى يلد ، كما فى الحيوان ٧ : ١٢٦ . ويفهم من الدميرى أن الكوسج واللخم والقرش سواء .

والدَّجاج الخِلاسيّ ، من بين النَّبَطِيّ والهِنْدِيّ . وإذا كان مثل ذلك بين البيضاء والحبشيّ فهو خِلاسيّ ، فإذا كان بين البيضاء والسِّنْدِيّ فهو بَيْسَرِيٌّ . وكذلك الخِلاسِيُّ من الكلاب الذى بين الكُرْدِيّ وبين السَّلُوقِيّ[١] .

ومثل الجَمَّازات التى تجىء بين فَوَالِج البُخْت وقِلاص العِراب[٢] ، ومثل البِرْذَوْن الشِّهْرِيّ من الرَّمَكة والفرس العتيق[٣] .

قالوا : فليس يعتدل فى شىء من ذلك الشَّبَهُ ، كما يعتدل فى البغل .

ولذلك قال الشاعر السَّوّاق[٤] ، وهو إبراهيم مولى المَهَالِبة :

تَسَاهَمَ فِيهِ الخالُ والعَمُّ مِثْلَمَا تَسَاهَمَ فِى البَغْلِ الحِمَارَةُ والطِّرْفُ

فزعم فى هذا الشعر أنّ هذا البغل أبوه فرس ، وأمه أتانٌ . وهذا خِلاف ما رواه أبو عُبَيْدة . وأنشد أبو عبيدة :

---

(١) انظر الحيوان ١ : ٣١١ – ٣١٢

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٤٥٩ . وجاء فى ٧ : ٢٤٢ : « وقد تتسع أرحام القلاص العربية لفوالج كرمان ، فتجىء بهذه الجمازات » .

(٣) فى اللسان : « والشهرية : ضرب من البراذين ، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل » . والرمكة : أنثى البراذين

(٤) السواق ، المراد به بائع السويق . انظر المعجم الوسيط . وفى أنساب السمعانى ٣١٦ أن السواق نسبة إلى بيع السويق . ومثله ما ورد فى الأنساب ٣١٨ أنه يقال سويق وسواق أيضاً لبائع السوق . أقول : فهو كما يقولون بزاز وعطار ، لبائع البز والعطر . ولم أجد خبرا لإبراهيم هذا إلا ماورد فى العقد ٥ : ٣٧٩ – ٣٨١ حيث روى قصة طريفة له ، وسماه « إبراهيم السويق » .

وشاركها في خِيمها وهوَ راغمٌ
كما شاركتْ في البَغْل عَيْرًا حُجُورُها[1]

لأنهم[2] يقولون : إذا كانت الأم رَمَكةً ، خرج البغل وَثيجًا[3] قويًّا عريضًا ، وإذا كانت الأم حِجْرًا خرج البغل مُسَلَّكًا[4] ، طويل العنق ، وفيه دِقّة .

وذُكر عن بعض الناس أنّه شتم بعض الأشراف ، فقال : « عجبتُ لقوم إذا قيل لهم : من أبوكم ؟ قالوا : أمُّنا فرس » .

[رجع إلى ذكر بغلة عكرمة]

ثم رجع القول بنا إلى ذكر بغلة عِكْرِمة بن رِبْعيّ .

قالوا : فلما ألحّ عِكْرِمة في ركوب ذلك البغل إلى باب الحجّاج ، كتب إليه بعضُ بنى عمّه ، يردُّ عليه امتداحه البغل باستواء الشَّبَه فيه ، ويُخوّفه بالحجّاج إن ارتفع إليه في الخبرِ أنّ صاحب أشراطه يأتي بابَه في فُرسان أهل العِراق والشام ووجوهِهم ، على بغل .

وقال في كلمة له :

فكيفَ بِغُرْمُولٍ وغُمْرٍ سِوَى الذي
يَكونُ لِغَيْرِ الأَهْلِ والفَرَسِ الفَحلِ

٢١٤ و

---

(١) الخيم ، بالكسر : الطبيعة والسجية . والحجور : جمع حجر بالكسر ، وهي الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركه فيه الذكر .

(٢) في الأصل : « كأنهم » .

(٣) الوثيج : القوى المكتنز الكثير اللحم .

(٤) في اللسان : « ورجل مسلك : نحيف . وكذلك الفرس » .

ورَأْسٍ يَجُوزُ الخالَ والعَمَّ بَعْدَ مَا
تَحَوَّلَ شَحَّاجًا خِلافًا عَلَى الأَصلِ

ولَيْسَ شَحِيجُ البَغْلِ مِنْ عَزْفِ نَاهِقٍ
وقَدْ بَاعَدَ اللهُ الشَّحِيجَ مِنَ الصَّهْلِ

مَتَى كَانَ ذُو الأَشْرَاطِ يَرْكَبُ بَغْلَةً
ويَتْرُكُ طِرْفًا ذَا تَمامٍ وذَا نُبْلِ

عَذِيرِى مِنَ الحجَّاجِ إنْ ذَاكِرٌ نَعَى
علَيْكَ رُكُوبَ البَغْلِ فِى ساعَةِ الحَفْلِ

فَمَا لَكَ تَجْتَابُ الهُوَيْنَى مُهَمْلِجًا
إلَى بَابِ حَجَّاجٍ عَلَى المَرْكَبِ الرَّذْلِ

أُعِيذُكَ بِالرَّحْمٰنِ مِنْ زِىِّ تَاجِرٍ
شَقِىٍّ لَئِيمِ الكَسْبِ ذِى خُلُقٍ نَذْلِ

بَغِيضٍ إلَى جَارَاتِهِ وبَنَاتِهِ
وعِرْسٍ لَهُ عَرْجَاءَ بَارِزَةِ الرَّحْلِ[1]

إذَا زَارَهُ مِنْهُمْ شَقِىٌّ لِحَاجَةٍ
تَوَثَّقَ مِنْ بَابِ الخِزَانَةِ والقُفْلِ[2]

---

(١) رحل الرجل : منزله ومسكنه وبيته . أراد أنها بارزة البيت غير مكنونة . وفى ط : « الرجل » بالجيم ، خلافا لما هو واضح مقيدبعلامة الإهمال فى الأصل .

(٢) ط : « يوفق » ، تحريف .

وأَنتَ امْرُؤٌ تَنـــدَى بَنَانُكَ بِاللُّهَى
إِذَا سَاءَ ظَنُّ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ المَحْلِ[1]

بَقِيَّـــــةُ أَشْيَاخٍ كَسَوْكَ ثِيَابَهُمْ
وَأَنتَ وَلِيُّ القَوْمِ فِي البَأْسِ وَالبَـــذْلِ

[صفة البغال فى الشعر]

ولمّا قال الحكَم بن قَنْبَر[2] فى قصيدته فى البغل[3] ، وفيما يصلُح له ، ويُرْتفَق به منه ، وفيها يقول :

وفِي الرِّدَاغِ ، فَإِنَّ الوَحْـــلَ مَزْلَقَةٌ
وفِي الطَّحِينِ ، وفِي الحَاجَاتِ ، والرَّحَلِ[4]

وقال مُسلم بن الوليد الأنصاريّ ـ والحكَم بن قَنبر مازِنيّ ، وكان الحكَم قد عظُم شأنه فى بنى تميم ، حتى كان يصلّى على جنائزهم ، فلما لجَّ فى رأى الشُّعوبيَّة ، وقال فى ذلك الأشعار ، ضربته بنو مازِن ، وهم مواليه ، فلما ألحُّوا عليه فى الضرب ، نادى : يا آل تميم ! فقال أعرابيّ :

يَدعُو تَمِيمًا ، وتَمِيمٌ تَضرِبُهْ تَلطِمُهُ طَوْرًا ، وطَوْرًا تَرْكَبُهْ

---

(١) اللهى ، بالضم : جمع لهوة ولهية ، بضم اللام فيهما ، وهى العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .

(٢) الحكم بن محمد بن قنبر المازنى البصرى ، من شعراء الدولة الهاشمية . كان يهاجى مسلم بن الوليد مدة ، ثم غلبه مسلم . الأغانى ١٣ : ٨ ـ ١٠ . وانظر أوراق الصولى ١ : ٣٠ ، ٢١٥ حيث أورد له خبراً وشعراً .

(٣) فى الأصل : « البغلة » ، تحريف .

(٤) أى السير فى الرداغ . والرداغ : جمع ردغ ، وهو الماء والطين والوحل .

وقال مُسْلِم بن الوليد :

٢١٤ظ

تَرَكْتَ صِفَاتِ الخيلِ والخيلُ مَعقِلٌ
وأصبحتَ في وَصفِ البغالِ الكَوَادِنِ[1]

حَنَنْتَ إليها رَغْبَــــةً في أيُورِها
فَدُونَكَ أيْرَ البَغْلِ يا عَبْدَ مَازِنِ[2]

... ...

... ...

وبغلته ودابّته ، قال بعضُ الشُّعراء[3] يُخاطب دابّته :

فَهَبِيهَا لَيْـلَةً أدْلَجْتُها
فكُلِي إنْ شِئْتِ تِبْنًا أوْ ذَرِى

قَدْ أَتَى مَوْلَاكِ خُبْزٌ يَابِسٌ
فَتَغَذَّىْ وتَعَزَّىْ واصْبِرِى[4]

---

(١) الكوادن : جمع كودن ، وهو البغل ، والبرذون الهجين .

(٢) بعده بياض فى الأصل بمقدار سطرين ، لعلهما بيت ثالث لمسلم ــ والشعر مع ذلك لم يرد فى ديوانه ــ ثم تعقيب يذكر فيه الجاحظ أنه سيقول فيمن ذكر برذونه وبغلته ودابته .

(٣) هو حمزة بن بيض . كما فى الأغانى ١٥ : ١٦ وكان قد خرج فى سفر فنزل بقوم لم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس وألقوا لبغلته تبنا ، فأعرض عنهم وأقبل على بغلته يقول هذا الشعر . وفى الأغانى : « أحننا ليلة » .

(٤) فى الأغانى : « قد أتى ربّك » . وفى الأصل : « فتغرى فتعرى » ، صوابه من الأغانى .

وقال آخر :

بِتُّ ظمآنَ وباتت بَغلتي ... تَشتكي الخلوةَ في بيتِ عُمَرْ

صُمْتِ يا بَغْلةُ من غيرِ تُقًى ... أبشِرِي بالصَّوْمِ في شَهرِ صَفَرْ

وقال آخر :

وإنِّي إذا ما المرءُ آثرَ بَغلَهُ ... على نفسِهِ آثرتُ نفسي على بَغلي

وأبذُلُهُ للمُستعيرينَ لا أرى ... له عِلَّةً ما دامَ يَنقادُ في الحَبْلِ

وقال آخر :

أبا مُنزلِي مالِي عليكَ كرامةٌ ... إذا أنتَ لمْ يَكرُمْ عليكَ جَوادِي

وقال دِعْبِل :

أتيتُ ابنَ عِمرانَ في حاجةٍ ... هُوَيْنَةِ الخطبِ فألفيتُها

تَظَلُّ جيادي على بابِهِ ... تَرُوثُ وتأكُلُ أرْوَاثَها

غَوارِثَ تَشْكُو إليَّ الخَلا ... أطالَ ابنُ عِمرانَ إغْراثَها

وقال ابن حازم[1] :

وخَلَّيتُ بِرْذَوْنِي بَلُوكُ شَكِيمَهُ ... خَليطاهُ نَغْفٌ دارِسٌ وطُلُولُ

٢١٥ و

وقال سَهل بن هارون : بُعِثْتُ وأنا صبيٌّ إلى جارٍ لنا أستعير منه بغلًا ، فزعم أنه مبطون ، فغَبَرْتُ أيَّامًا ، ثم كتبتُ إليه[2] :

---

(١) هو محمد بن حازم ، سبقت ترجمته في ص ٦١ .

(٢) بدله في الحيوان ٣ : ٦٦ : « قال سهل بن هارون ، وهو يختلف إلى الكتاب ، لجار لهم » .

نُبِّئْتُ بَغْلَكَ مَبْطُونًا فَزِعْتُ لَهُ
فَهَلْ تَمَاثَلَ أَوْ نَأْتِيهِ عُوَّادَا [١]

[ما قيل فى طول عمر البغل]

قال أهل التجربة : ليس فى جميع الحيوان الذى يُعايش الناس ، أطولُ عمرًا من البغل ، ولا أقصرُ عمرًا من العُصفور ، وظنُّوا أنّ ذلك لكثرة سِفاد العصفور ، وقلّة ذلك من البغل[٢] .

قالوا : ولذلك وجدنا طول الأعمار فى الرُّهبان وأصحاب الصَّوامع خاصَّة ، وفى الخِصيان عامّة . ولذلك قال الراجز :

أُحِبُّ أَنْ أَصْطَادَ ضَبًّا سَحْبَلَا[٣]
وخَرَبًا يَرْعَى رَبِيعًا أَرْمَلَا[٤]

فجعله أرمل ، ليكون أقوى له وأسمن[٥] .

قالوا : وقال معاوية : ما رأيتُ رجلا قَطُّ يستكثر من الجِماع ، إلّا رأيت ذلك فى مُنَّته[٦] .

---

(١) فى الحيوان : « فقلت له » . وفى بعض نسخ الحيوان : « فرغت » ، وأثبت ما فى الأصل . تماثل : دنا من الشفاء .

(٢) انظر الحيوان ١ : ١٣٧ و ٥ : ٢٠١ ، ٢٢٣ و ٧ : ٢٢١ .

(٣) السحبل : العظيم المسن من الضباب .

(٤) الخرب ، بالتحريك : الذكر من الحبارى . وفى الحيوان : « أوجرذا » وفى اللسان (رمل ، سحبل) : « رعى الربيع والشتاء أرملا » .

(٥) فى الحيوان : « فجعله أرمل لا زوجة له ليكون أسمن له ؛ لأن كثرة السفاد مما يورث الهزال » .

(٦) المنة ، بالضم : القوة . وانظر الحيوان ١ : ١٣١ والبيان ٢ : ٨١ .

وقال معاوية : كلّ خصال الشباب قد كان فيّ ، إلّا أنّي لم أكن نُكَحةً[١] ، ولا صُرَعَةً[٢] ، ولا طُلَعَةً[٣] ، ولا ضُحَكَةً ، ولم أكُ سِبًّا[٤]

قالوا : والبغل أطول عمرًا من كلّ شيء من الحيوان ، ممّا يُعايش الناس في دُورِهم .

قالوا : وكلّ شيء يُنتَجُ ويولد ويتربَّى[٥] في منازل الناس ، من طائر وسبُع وبهيمة ، إذا تحوّل صاحب الدار ، لم يتحوّل معه منها شيء ، وآثرتِ الأوطانَ على صاحب الدار ، إلّا الكلبَ ، فإنه يُؤْثِرُه على وطنه ، ويموت دونه ، ويصبِر على جَفائه وإقصائه[٦]

[قصيدة لابن داحة يذكر فيها أعمار الحيوان الذى يعايش الناس]

وأنشد إبراهيم بن داحَة ، لرجل ذهب عنّي اسمه ، قصيدةً وصف فيها أعمار الحيوان التي تعايش الناس ، فقال لأخيه :

عَزَمْتُ عَلَى ذَمِّ البَعِيرِ مُوَفَّقًا
وأَنْ لَيْسَ فِي المَرْكوبِ أَجْمَعُ مِنْ بَغْلِ[٧]

٢١٥ ظ

(١) النكحة ، بضم ففتح : الكثير النكاح . وفي ط : «ملحة» ، تحريف .
(٢) الصرعة : الشديد الصراع ، يصرع الرجال ولا يصرعونه ، وهو أيضاً : الحليم عند الغضب لأن حلمه يصرع غضبه ، وليس هذا المعنى الأخير مرادا .
(٣) الطلعة : الكثير التطلع إلى ما يهوى .
(٤) السب ، بالكسر : الكثير السباب .
(٥) ط : « ويربى » ، خلافا لما في الأصل .
(٦) انظر الحيوان ٥ : ٣١٤ .
(٧) في الأصل : « وأن ليس في البغل كوب » ، والتصحيح هنا لشارل .

وأنَّ اقْتِنَاءَ الإبْلِ مُوقٌ وحُرْفَةٌ
يَبِيتُ عَلَى يُسْرٍ ويَغْدُو عَلَى ثُكْلِ[١]

وبَيْنَ المَنَايَا والبَرَاذِينِ نُسْبَةٌ
وكُلُّ نِتَاجِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنَ الإبْلِ[٢]

وقُلْتُ وشَاهَدْتُ البِغَالَ وغَيْرَهَا
فَأَحْمَدْتُهَا فِي العُمْرِ والهَرَمِ المُبْلِي

ولَيْسَ لَهَا بَذْخُ الخُيُولِ وكِبْرُهَا
ولَا ذِلَّةُ العَيْرِ الضَّعِيفِ عَنِ الرَّحْلِ[٣]

ومُؤْنَتُهُ فِي الصَّيْفِ والشِّتْوِ واحِدٌ
ولَا خَيْرَ فِي المُؤْنَاتِ مِنْ حَامِلِ الكَلِّ[٤]

ولَا تَرْكَبُ الأَرْمَاكُ والحِجْرُ دُونَهَا
لَدَى المِصْرِ والبَغْلَاتُ تَرْكَبُ كَالبَغْلِ[٥]

وقَدْ فَرَّقَ الرَّحْمٰنُ بَيْنَ شُكُولِهَا
كَمَا بَيْنَ عَيْرِ الوَحْشِ والآخَرِ الأَهْلِي[٦]

---

(١) الموق : الحمق . والحرفة والحرف ، بضم الحاء فيهما : الحرمان والفقر .

(٢) النسبة ، بكسر النون وضمها : القرابة .

(٣) البذخ ، بالتحريك : التكبر . وسكن الذال للشعر .

(٤) الكل ، بالفتح : الثقل .

(٥) جعلت فى ط : « لدى المصد » .

(٦) فى الأصل : « بين شكولهم » .

وفى البَغْــلِ فِى كُلِّ الأُمُورِ مَرَافِق
ومَرْكَبُ قَاضٍ أَوْ شُيُوخ ذَوِى فَضْلِ

فَيَرْكَبُها والخَيْـــلُ مُحْدِقَةٌ بِهِ
ويُؤْثِرُها يَوْمَ المُبَاهاةِ والحَفْـــلِ

وقَدْ جَاوَزَتْ فِى السَّـــوْمِ كُلَّ مُثَمَّنٍ
مِنَ الرَّائِــعِ المَنسوبِ والجامِلِ البُزْلِ(١)

يَفُوتُ هَمَالِيجَ البَرَاذِينِ سَـــيْرُها
عَلَى قِحَةِ الأَعْيَارِ مِنْ شَبَهِ النَّجْــلِ(٢)

[ركوب البغلة والطمع فى القضاء]

ونحن بالبصرة إذا رأينا الرجل يطلب الرأى ، ويركب بغلا ، ويُردف خلفه غُلَامًا ، قضينا بأنه يطمع فى القضاء . قال ابنُ المَزِّق(٣) :

إِذَا رَكِبَ الشَّيْخُ الشَّرِيفُ بُغَيْــلَةً
ونَاظَرَ أَهْلَ الرَّأْىِ عِنْــدَ هِلَالِ(٤)

---

(١) الجامل : القطيع من الإبل . والبزل : جمع بازل ، وهو البعير فى السنة الثامنة أو التاسعة . وفى الأصل : « والحامل البزل » .

(٢) القحة : صلابة الحافر . والنجل : النسل .

(٣) هو عباد بن المزق الحضرمى ، ويعرف بالمخرق ، وهو القائل :

أنا المخرق أعراض اللئام كما كان المزق أعراض اللئام أبى

المؤتلف ١٨٦ والحيوان ٥ : ١٦٩ .

(٤) هو هلال بن يحيى بن مسلم البصرى ، وهو هلال الرأى . وفيه يقول بشار (الأغانى ٣ : ٣٤) :
=

فَذَاكَ الَّذِى يَبْغِى القَضَاء بِسَمْتِهِ .... [(١)] الذِّئْبِ أُمَّ غَزَالِ

فَإِنْ أَرْدَفَ العَبْدَ الصَّغِيرَ وَرَاءهُ فَوَيْلٌ لِأَيْتَامٍ وإِرْثِ رِجَالِ

وَإِنْ رَكِبَ البِرْذَوْنَ واشْـتَدَّ خَلْفَهُ

فَصَاحِبُ أَشْرَاطٍ وحَمْـلِ إِلَالِ [(٢)]

وقال ابن مُناذِر [(٣)] فى واحدٍ من هذا الشكل :

رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى يَغُرُّ بِسَمْتِهِ ويَقْسِمُ فِى الجِيرَانِ كُرَّ طَعَامِ [(٤)]

ويَخْدَعُهُمْ واللهُ غَالِبُ أَمْرِهِ بِقَدٍّ كَقَـدِّ المَشْرَفِىِّ حُسَامِ

يُرِيدُ قَضَاءَ المِصْرِ والمِصْرُ مُنْكِرٌ لِكُلِّ مُرَاءٍ مُهْتَرٍ بِغُـلامِ

بِبِشْرٍ وسمتٍ واكْتِئَابٍ وخَشْعَةٍ وكَثْرَةِ تَسْبِيحٍ ولِينِ كَلامِ

ويَرْكَبُ بَغْلًا ثُمَّ يُرْدِفُ خَلْفَهُ غُلامًا كما أَبْصَرْتَ شِقَّ جِلَامِ [(٥)]

٢١٦ و

= إذا ما شئت صبحنى هـلال وأى الناس أثقل من هلال

وانظر لسان الميزان ٦ : ٢٠٢ – ٢٠٣ . وفى أنساب السمعانى ٢٤٦ فى ترجمة (الرائى) : « عرف بهذا الاسم هلال بن يحيى بن مسلم ، إنما قيل له الرائى لأنه كان ينتحل مذهب الكوفيين ورأيهم ، فعرف بالرائى » . وفى القاموس : « وهلال الرأى من أعيان الحنفية » .

(١) بياض فى الأصل .

(٢) الإلال : جمع ألة ، وهى الحربة ذات النصل العريض .

(٣) هو محمد بن مناذر .

(٤) الكر : ستون قفيزا ، قال ابن سيده : « يكون بالمصرى أربعين إردبا » اللسان (كرر) . والطعام ، قال الخليل : العالى فى كلام العرب أن الطعام هو البر خاصة . وقال ابن الأثير : الطعام عام فى كل مايقتات من الحنطة والشعير والتمر .

(٥) جلام ، مع ضبط الجيم بالكسر كما فى الأصل ، هو جمع الجلَم ، وهو القمر ، والهلال ليلة يهل .

يُرِيدُ هِلَالًا لَا يُحَاوِلُ غَـيْرَهُ   وقِدْمًا سَمَا لِلرَّأْيِ غَـيْرَ مُسَامِ[1]
سَواءٌ لِذِى الرَّأْيِ الشَّرِيفُ وغَيْرُهُ   إِذَا كُنْتَ ذَا حِفْظٍ فَلِجْ بِسَلامِ[2]
يَصِيرُ فَقِيهًا فِى شُهُورٍ يَسِـيرَةٍ   فَيالَكَ حِفْظًا لم يُشَبْ بِغَـرامِ
ولَوْ كَانَ خَيْرًا كَـدَّ[3] ...   كما كَدَّ ذَا الآثارِ بُعْدُ مَرَامِ
وما ضَرَّ سَلْمَانًا[4] وكَعْبًا[5] وبَعْدَهُ   شُرَيْحًا[6] وسَوَّارًا[7] ورَهطَ هِشَامِ[8]

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٠٧ .

(٢) ذو الرأى : لقب هلال بن يحيى . لج : أمر من الولوج ، ولج يلج : دخل .

(٣) بعده بياض فى الأصل .

(٤) أبو عبد الله سلمان بن ربيعة الباهلى ، وهو سلمان الخيل ، لأنه كان يلى الخيول فى زمن عمر ، الذى ولاه قضاء الكوفة ، ثم ولى غزو إرمينية فى زمن عثمان ، فقتل يبلنجر سنة ٢٥ . وهو أول قاض استقضى بالكوفة . تهذيب التهذيب ٤ : ١٣٦ وجمهرة ابن حزم ٢٤٧ والمعارف ١٩١ .

(٥) هو كعب بن سور ، بضم السين كما فى الإصابة ٧٤٨٧ والقاموس . وكان قاضى البصرة لعمر - وهو أول قاض عليها - ولاه حين استحسن حكمه بين المرأة وزوجها ، وحكم لها فى كل أربع ليـال بليلة . وخرج مع عائشة يوم الجمل ناشر المصحف يمشى بين الصفين ، فجاءه سهم غرب فقتله . الإصابة والمعارف ١٩٠ ، ٢٤٣ وجمهرة أنساب العرب ٣٨٠ .

(٦) شريح ، سبقت ترجمته فى ص ١٩٣ .

(٧) هو سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة العنبرى . كان فقيها ولاه أبو جعفر القضاء بالبصرة سنة ١٣٨ ومات وهو أمير البصرة وقاضيها سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب ٤ : ٢٦٩ و جمهرة ابن حزم ٢٠٩ وهو غير حفيده المشهور سوار ابن عبد الله بن سوار بن عبد الله، المترجم فى تهذيب التهذيب ٤ : ٢٦٨ وتاريخ بغداد ٩ : ٢١٠ .

(٨) لعله هشام بن المغيرة ، ولى قضاء البصرة والكوفة ما بين سنتى ٦٤ ، ٧٤ كما فى النجوم الزاهرة ١ : ١٦٢ ، ١٨٠ ، ١٨٤ والطبرى ٧ : ٢١٠ .

وَيَاسًا وياسًا والغَلَابِيَّ بَعْــدَهُ أُلَاكَ الأُولَى كَانُوا نُجُومَ ظَلَامِ(١)
ومَا عَرَفُوا النُّعْمَانَ . . . .(٢) ولَا زُفَرَ المَسْتَقِيِّ صَــوْبَ غَمَامِ
لَقَدْ تَابَ مِمَّا أَحْدَثَ القَوْمُ تَوْبَةً لِساعَةِ إِخْلَاصٍ ووقْتِ حِمَامِ

[تشبيه الأسد بالبغل]

قالوا : ويشبِّهون الأسَد بالبغل ، إذا كان الأسدُ تامَّ الخَلْق . قال نَهْشَل ابن حَرِّيّ :

وما سَبَقَ الحَوَادِثَ لَيْثُ غابٍ يَجُرُّ لِعِرْسِــهِ جَزَرَ الرِّفَاقِ
كُمَيْتٌ تَعْجِزُ الخُلَعَــــــاءُ عَنْـهُ
كَبَغْلِ السَّرْجِ حَطَّ مِنَ الْوَثَاقِ(٣)

وقال أبو زُبَيْد الطائيّ(٤)

مِنَ الأُسْدِ عادىٌّ [يكاد] لِصَوتِهِ
رُءُوس الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ [تقعَّرُ(٥)]

(١) ياساو وياسا ، كذا ورد فى الأصل .

(٢) بياض فى الأصل . والنعمان ، هو أبو حنيفة إمام المذهب .

(٣) الخلعاء : جمع خليع ، وهو الصياد . وفى الأصل : « الحلفاء » ، ولا وجه له . حط : أسرع واعتمد فى سيره .

(٤) أبو زبيد حرملة بن المنذر بن معديكرب الطائى ، يذكر فى مخضرمى الجاهلية والإسلام ، كما يذكر فى الإسلاميين . وكان نصرانيا مات على دينه . وعرف بنعته للأسد . الأغانى ١١ : ٢٣ والشعر والشعراء ٢٦٠ وابن سلام ٥٠٥ والمعمرين ٨٦ والإصابة ١٩٦٧ والخزانة ٢ : ١٥٥ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٠٠ .

(٥) هذه التكملة وسابقتها من الديوان ٦٠ . وفى الأصل : « بصوته »

كَأَنَّ اهتِزَامَ الرَّعْدِ خِيطَ بجَوْفِه إِذَا جُرَّ فِيهِ الخيزُرَانُ الُمعَتِّرُ[1] ٢١٦ ظ

فَأَبْصَرَ رَكْباً رَائِحِينَ عَشِيَّةً فَقَالُوا : أَبَغْلٌ مَائِلُ الرِّجْلِ أَشْقَرُ

أَمِ اللَّيْثُ ؟ فَاُسْتَنْجُوا [وأين نجاؤكم]

فَهٰذَا ورَبِّ الرَّاقِصَاتِ الُمزَعْفَرُ[2]

ولأبى زُبَيْدٍ مثلُها ، فى قصيدته التى ذكر فيها شأن كلبه ، وشأن الأسد ، فقال[3] :

فَجَالَ أَكْدَرُ مُشتالاً كعَادتِهِ

حتَّى إِذَا كَانَ بَينَ البِئْرِ والعَطَنِ[4]

لَاقَى لَدَى ثُلَلِ الأَطْوَاءِ دَاهِيَةً

أَسْرَتْ وأَكْدَرَ تَحْتَ اللَّيْلِ فى قَرَنِ

---

(١) خيط بجوفه ، أى احتواه واشتمل عليه ، مثله فى قول النابغة الجعدى فى اللسان (هضم) :

خيط على زفرة فتم ولم يرجع إلى دقة ولا هضم

وفى الأصل : « خبط جوفة » ، تحريف . والخيزران ، عنى به الرماح . المعتر ، هو من عتر الرمح يعتر عتراً وعتراناً : اشتد واضطرب واهتز .

(٢) استنجوا : أسرعوا السير . وفى الحديث: «إذا سافرتم فى الجدب فاستنجوا» . وموضع النقط بعدها بياض فى الأصل . والتكملة بعدها من الديوان ٦١ » . من الخبب . والمزعفر : الأسد الورد، لأنه ورد اللون ، وقيل : لما عليه من أثر الدم.

(٣) الأبيات فى الحيوان ٢ : ٢٧٤ — ٢٧٦ والأغانى ١١ : ٢٥ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٠٠ — ٢٠١ «وديوان أبى زبيد ١٣٨—١٣٩»

(٤) انظر الديوان والحيوان لمقارنة الروايات فى هذه الأبيات وتفسيرها .

إِلَى مُقَابَلِ خَطْوِ السَّاعِدَيْنِ لَهُ
فَوْقَ السَّرَاةِ كَذِفْرَى الفَالِجِ الغَضِنِ

رِئْبَالُ غَابٍ فَلاَ قَحْمٌ ولَا ضَرَعٌ كَالبَغْلِ حَطَّ مِنَ المحلين فى شَطَنِ

[الحمير الأخدرية]

وزعم ناسٌ من العلماء أنّ الحمير الأخْدَرِيّة[1] ، وهى أعظم حَمير الوحْش وأتمُّها ، زعموا أنّ أصل ذلك النِّتاج أن خيلاً لكسرى[2] توحّشت ، وضَرَبتْ فى العانات ، فكان نتاجها هذه الحميرَ التى لها هذا التمام .

وقال آخرون : الأخدَريّة هى الحُمرُ التى تكون بكاظِمةَ ونواحيها ، فهى كأنها بريّة بحريّة .

قالوا : ولا يجىء فيما بين الخيل والحمير إلّا البغال ، وليس للبغل نسْل يعيش ، ولا نجل يبقى ، فكيف لقِحت هذه الأُتُن من تلك الخيل حميرًا ، ثمّ طبّقت تلك الصحارى بالحُمرُ الخالصة ؟

وقالوا : كان الملك من الأكاسرة إذا اصطاد عَيْرًا وسَمَه باسمه ، وبيومِهِ الذى اصطاده فيه ، وأطلقه ، فإنْ تهيّأ أن يَصطاد ذلك العَيرَ بعينه ملكٌ مِن بعده ، وسَمَه مع وسم الملك الذى قبلَه بمثل تلك السِّمَة وخلّاه يذهب ، فكان هذا الصنيعُ بعضَ ما كانوا يعرفون به حَمِير الوحش . فعسى أن تكون هذه الحمير أو بعضُها صار فى ذلك الصُّقع الذى هذا صِفَتُه ، فإنّ للماء والتربة

(١) نسبة إلى أخدر ، وهو فرس كان لأردشير بن بابك ، كما فى الحيوان ١ : ١٣٩ . وقيل كان لسليمان بن داود . اللسان (خدر) .

(٢) عيّنه فى الحيوان ١ : ١٣٩ بأنه أردشير بن بابك ، كما فى الحاشية السابقة .

والهواء فى هذا عَملاً ليس يَخفَى على أهل التجربة . ٢١٧ و

[و] كلُّ عربِىّ تراه بخُراسان أصهبَ السِّبال ، أحمرَ اللون ، مفطوح القفا ، فإنّ الأعرابىّ الذى انتقل إلى ما هناك كان على ضدّ ذلك[1].

[أثر البيئة فى الحيوان]

وقد رأينا بلاد التُّرْك ، فرأينا كلّ شىء فيها[2] تركيًّا . ومَن رأى دوابّهم وإبلهم عَلِمَ أنّها تركيّة . وحَرَّةَ بنى سُلَيْم التى جميع طيرها ، وسباعها وهوامّها وأهلها كلّهم سُود[3] . وهذا كثير جدًّا .

وقد نرى جَراد البقْل ودِيدانَه خُضْرًا[4] ، ونرى قمل رأس الشابّ [الأسود الشعر : أسود[5]]، و [نراه فى رأس] الشيخ [الأبيض الشعَر : أبيض]، و [نراه فى] رأس الخاضب بالحُمرة :[أحمر] . نعم حتى إنّك لترى فى القملة شُكْلةً[6] إذا كان خِضاب الشيخ ناصِلا .

وهكذا طبع الله الأشياء .

(١) انظر أثر البيئة فى الحيوان ٤ : ٧٠ — ٧٢ .

(٢) فى الأصل : « فيه » .

(٣) انظر الحيوان ٤ : ٧١ و ٥ : ٣٨٠ وماسبق فى رسائل الجاحظ ١ : ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٤) فى الأصل : « خضر » .

(٥) هذه التكملة وما يليها من الحيوان .

(٦) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة .

ضربهم المثل فى أير البغل

قال أبو شُراعة[1] :

[أيْرُ] حِمَارٍ فى حِرِ أمِّ شِعْرِى   وأيْرُ بَغْلٍ فى حِرِ أمِّ قَدْرِى

لَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ دَعَانِى السِّدْرِى[2]

وقال أبو فِرعَوْن[3] :

أيْرُ حِمَارٍ فى حِرِ أمِّ عَدْنَانْ   وأيْرُ بَغْلٍ فى حِرِ أمِّ قَحْطَانْ

---

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، من شعراء البصرة فى عهد الدولة العباسية . قال أبو الفرج : « جيد الشعر جزله ، ليس برقيق الطبع ولا سهل اللفظ ، وهو كالبدوى فى مذهبه » . ثم ذكر أنه كانت به لوثة وهوج . الأغانى ٢٠ : ٣٥ – ٤٢ وطبقات ابن المعتز ٣٧٥ – ٣٧٦ .

(٢) فى الأغانى : « لو كنت ذا وفر » . والسدرى هذا ، هو أبو نبقة محمد ابن هاشم (فى الأصل : هشام) بن أبى خميصة ، كان يصحب الجماز والجاحظ وأدباء البصرة . وكان مولى لبنى عوال فاشترى المتوكل ولاءه بثلاثين ألف درهم . معجم المرزبانى ٤٣١ . وكان راوية للسيد الحميرى. طبقات ابن المعتز ٣٣ ، ٣٦ ، وذكره الجاحظ فى الحيوان ١ : ٢٤٣ و ٣ : ١١١ و ٥ : ٣٩٨ و ٦ : ١٠٩ وروى عنه ، كما ذكره فى البخلاء ٨٨ ، ٨٩ . وانظر ذيل نوادر القالى ص ١٣٠ ومجالس ثعلب ٨٦ ، ١٣٨ ، ٢١٧ ، ٥٠٩ .

(٣) هو شويس الساسى التميمى العدوى ، من عدى الرباب . أعرابى بدوى قدم البصرة يسأل الناس بها . الورقة لابن الجراح ٥٣ . وذكره البيهقى فى المحاسن والمساوى باسم أبى فرعون الأعرابى الساسى . وفى الفهرست لابن النديم ٢٣٣ : « أبو فرعون الشاسى ثلاثون ورقة » . وفى الإمتاع والمؤانسة ٢ : ٥٣ و ٣ : ٣٤ : « أبو فرعون الشاشى » . وانظر طبقات ابن المعتز ٣٧٦ والحيوان ٦ . ٧٨ و ٧ : ٢٦٢ . وفى تاج العروس (سوس) : « وأبو فرعون الساسى : شاعر قديم قيده ابن الخشاب بخطه » .

ما النَّـــــــاسُ إلَّا نَبَطٌ وخُوزَان[١]

كَكَهْمَسٍ أوْ عُمَرَ بْنِ مِهْـرَانْ[٢]

ضاقَ جِرابِي عَنْ رَغِيفِ سَـلْمانْ

وأنشد :

وعُظْمُ أيرِ البَغلِ فى رَهـــزِ فَرَسْ[٣]

وطُولُ دَحسِ جَمَـــــــلٍ إذا دَحَسْ[٤]

والمذكور بطول الـكَوْم : الخنزير ، والوَرَل ، والذُّباب ، والجمل .

---

(١) خوزان : جمع الخوز ، على طريقه الجمع فى اللغة الفارسيه ، والخوز : أهل خوزستان .

(٢) كهمس ، ذكر فى طبقات ابن المعتز ٣٧٦ بلفظ أبى كهمس ، وذكر أن أبا فرعون سأله فأعطاه رغيفاً من الخبز الحوارى كبيراً ، فصار إلى حلقة بنى عدى فوقف عليهم وهم مجتمعون، فأخرج الرغيف من جرابه وألقاه فى وسط المجلس وقال: يابنى عدى ، استفحلوا هذا الرغيف ــ أى اتخذوه فحلا ــ فإنه أنبل نتاج على وجه الأرض ! وعمر بن مهران ذكره الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٨٠ وابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٢٠٨. وذكر الجهشيارى ٢٢١ أنه كان كاتباً للخيزران . وجعل فى ط : « عمرو بن مهران » خلافاً لما فى الأصل .

(٣) فى الحيوان ٧ : ٢٥٠ :

* فى عظم أير الفيل فى رهز الفرس *

وانظر لذلك الحيوان ٧ : ١١٨ .

(٤) فى الحيوان : « وطول عيس » . والعيس ، بالفتح : ضراب الإبل . والدحس : كناية عنه ، من قولهم دحس الثوب فى الوعاء دحساً : أدخله . والـكوم ، بالفتح : السفاد .

وأنشد :

ومَا الخَنْزِيرُ والوَرَلُ المُذَكَّى ولاَ كَوْمُ الذُّبَابِ كَكَوْمِ بِشْرِ[(١)]

والعصفور وإن كان كثير عَدَدِ السّفاد ، فإن الإنسان أكثر منه إذا حُصِّلتِ الأمور ؛ لأنَّ الإنسان إذا كان يَهِيج الليلَ والنهار ، والصَّيفَ والشتاء ، فليس ذلك لشيء غيره[(٢)] ؛ ويطأ الحبالَى ، ويريدها وتريده[(٣)] .

٢١٧ ظ

وقيل لشيخٍ أعرابيّ[(٤)] : امرأتك حُبلى ؟ فقال : « لا والذى فى السماء بيته[(٥)] ، ما لها ذَنَب تشتال به[(٦)] ، لا أتيتها إلّا وهى ضَبِعة[(٧)] .

ومن النوادِر فى غير هذا ، قال مَسعَدة : قيل لأبى القماقم بن بحرٍ السَّقَّاء[(٨)] : ويْحَكَ ! متى دخلتَ بامرأتك ، ومتى حبِلت ؟ وإنما كان هذا أمس ! قال : « كان الإناء ضارياً[(٩)] » .

---

(١) المذكى : المسن . ومنه قولهم : « جرى المذكيات غلاب » .

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٢١٨ و ٧ : ١٦ .

(٣) أى بخلاف سائر الحيوان ، فإن الأنثى إذا حملت لم تقبل الذكر .

(٤) فى البيان ٢ : ٨١ : « وقال أبو سليمان الفقعسى لرجل من طيء : أبامرأتك حمل » .

(٥) فى البيان : « لا وذو بيته فى السماء » ، أى الذى .

(٦) تشتال به ، أراد ترفعه . يقال شالت الناقة بذنبها واشتالته واستشالته : رفعته ليعلم أنها لاقح .

(٧) الضبعة : الشديدة الشهوة . وفى البيان : « وما آتيها إلا وهى ضبعة » .

(٨) ذكره فى البخلاء ١١٢ ، ١١٣ والبيان ٤ : ١٩ ، كما أورد له المبرد فى الكامل ٤١٩ والحصرى فى جمع الجواهر ١٦٠ القصة التى وردت فى البخلاء ، مع اختلاف فى الألفاظ .

(٩) الضارى : الذى ضرّى بالخمر وعودبها ، فإذا جعل فيه العصير صار مسكراً . وهو كناية .

وقيل لحفص مولى البكرات[١] : بامرأتك حمل ؟ قال : شيء ليس بشيء !

وقال [ابنُ] النُّوشَجَانى[٢] : جئتُ من خُرَاسان ، فسِرْتُ فى بعض الصحارى فى غِبّ مَطَر ، فكنت قد أرى فى الطين الذى قد قَبَّ[٣] آثارَ أرجُل البهائم والسّباع المِيلَ والميلْين ، وكنت لا أزال أرى أثر دابةٍ لها ستّ أرجُل ، فلما طال ذلك علىّ سألتُ الجمّال ـ أو المُكارِىَ ـ فقلت : ويلكَ ، تعرف دابة لها ستُّ أرجُل ؟ وأشرتُ بيدى إلى تلك الآثار . فقال : إنَّ الخنزير طويل المكث فى سِفاده ، وربمّا مكث على الخنزيرة طويلاً وهى ترتع ، ويداه على كتفيها ، ورجلاه خَلْفَ رجليها ، فلا يكاد أن يقضىَ وطره إلّا بعد أن يقطع من الأرض شيئاً كثيراً ، فمن هناك ترى ستَّ قوائم .

وقال الفرزدق فى هجائه عُمر بن يزيد الأُسَيِّدى[٤] ، وكان طلب منه وِقْرَ بغلٍ رَطْبَةً[٥] ، فلم يفعل ، فقال[٦] :

---

(١) كذا . ولعلها « مولى البكراوى » . والخبر فى البيان ٤ : ١٨. وسنده: « مسعدة بن المبارك قال : قلت للبكراوى » .

(٢) التكملة قبله من الحيوان ٧ : ٢٤٩ حيث ورد الخبر مع خلاف فى اللفظ . والنوشجانى : نسبة إلى نوشجان ، بضم النون وفتح الشين . مدينة بفارس .

(٣) قب : يبس وجف ، يقال قبت الرطبة وقب النبت ، أى يبس .

(٤) فى الأصل : « الأسدى » تحريف . وهو عمر بن يزيد بن عمير الأسيدى ، نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم. وانظر جمهرة الأنساب ٢١٠ والكامل فى حوادث سنة ١٠٩ . وعمر قائد من قواد الأمويين . وذكر أبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ٤٢ أنه أدخل الحبس فأصبح ميتاً ، فسمعوا أنه مص خاتمه وكان فيه سم فمات . وذكر ابن الأثير فى الكامل أن الذى قتله مالك بن المنذر بن الجارود . والخبران لا تناقض بينهما؛ فإن مالكا كان قد أمر به فلويت عنقه قبل أن يدخله السجن .

(٥) الرطبة ، بالفتح : الفصفصة ، وهى نبات كالبرسيم .

(٦) ديوان الفرزدق ٨٧٣ . وفيه : « فسأله أن يبعث إليه بشىء لم يرضه ، فقال » .

يا عُمَرَ بْنَ يَزيدٍ إنَّنى رَجُلٌ أَكْوِى مِنَ المَسِّ أَقْفَاءَ المَجَانِينِ
يا لَيْتَ رَطْبَتَكَ المُهْتَزَّ نَاضِرُهَا كَانَتْ أَيُورَ بِغَالٍ فِى البَسَاتِينِ[١]
حَتَّى تَحَبَّلَ مِنْهَا كُلُّ كَوْسَلَةٍ قَنْفَاءَ خَارِجَةٍ مِنْ أَوْسَطِ الطِّينِ[٢]

وقال آخر :

عَرَادَ ، إِنْ كُنْتِ تُحِبِّينَ الغَزَلْ والنَّيْكَ حتَّى تَأْجَمِيهِ والقُبَلْ[٣]
فَإِنَّ عَمْرًا قد أَتَاكِ أَو أَظَلْ يَحْمِلُ أَيْرًا مِثْلَ جُرْدَانِ الجَمَلْ
لَوْ دُسَّ فِى مَتْنِ صَفَاةٍ لَدَخَلْ

٢١٨ و

قال : نرى أنّه إنّما أراد الصلابة .

وقالوا : أير الثّور أطول وأصلب .

قال صاحب البغل : ليس بأطول ، ولو كان أطوَل كانت البقرةُ لا تَقِف للثور ، وإنما بكومها وهى تعدو ، وهو لا يُدخل قَضيبه فى حَياء البقرة . والبغلة تقف للبغل ، وتطلب ذلك منه ، لسَوَس شديد[٤] ، وإرادة تامّة .

---

(١) فى الديوان : « أمست » موضع : « كانت » .

(٢) فى الأصل : « حتى تحبلك » ، وأثبت ما فى الديوان . وتحبل ، أى تتحبل ، بحذف إحدى التاءين . تحبل الصيد : صاده بالحبالة . والكوسلة : الفيشلة ، وفى الديوان : « كل فيشلة » . والقنفاء : الغليظة .

(٣) أجم الشىء يأجمه ، وأجمه يأجمه : مله من الدوامة عليه .

(٤) السوس ، بالتحريك : مصدر سوست الدابة : أصابها السوس ، وهو داء يحدث فى عجزها . وانظر ما سيأتى عند قوله : « وتقول العرب » . . . الخ .

وقال صاحب الثور : إنَّ أصل غُرمول البغل لا ينطبق على ظَبْيَة البغلة[١] كانطباق أير الرجُل على فرج المرأة حتَّى لا يبقى منه قليل ولا كثير ، ويفضُل من أير البغل نحوٌ من نصفه[٢] ، وذلك أنَّ مقاديم أيور الحافر فيها الاسترخاء ، وأصولها لا تصير إلى أجواف الإناث ، وإنما يصل من الصُّلب المتوتِّر مقدارُ نصفِه فقطْ . والثور أوَّلُ قضيبه وآخره عصب مُدْمَج ، وعَقَب مُصْمَت ، وأنت تُقرّ أنها لو وقفت لَخرقها . والبقرة فى وقت نَزْو الثَّور عليها كأنها تكرهه .

قال صاحب البغل : أليس قد أقررتَ أنّه وإنْ كان فى غاية الصَّلابة ، أنه إنما يُدخل فيها بعضَ قضيبه ، وهذا الفخر إنما هو للإنسان . قال : رأيتُ ثورًا نزَا على بقرة ، فأخطأ قضيبُه المسلكَ ، فمرت البقرة من بين يديه ، ومرّ قضيبُه على ظهرها ؛ فما كان بين طَرَفه وبين سَناسِنِها إلَّا القليل[٣] . وفى رأسه عُجْرَة ، ودون ذلك تخَصُّرٌ قد دَقَّ جدًّا .

قال بعض الشعراء ، وهجا معلِّمَ كُتَّاب :

كَأَنَّهُ أَيْرُ بَغْـلٍ فِى تَهَـكُّمِهِ ... وفى الصَّرَامَةِ سَيْفٌ صَارِمٌ ذَكَرُ[٤]

---

(١) فى الأصل : « طحية البغلة » تحريف . والظبية من الفرس : مشقها ، وهو مسلك الجردان فيها . الأصمعى : يقال لكل ذات خف أو ظلف : الحياء ؛ ولكل ذات حافر : الظبية .

(٢) الكلمة غير واضحة فى الأصل .

(٣) السناسن : حروف فقار الظهر . وفى الأصل : « سنامها » . والسنام إنما يكون للبعير والناقة .

(٤) التهكم : التكبر .

قالوا : وشكت امرأة مُؤَرِّج الأَزْدِيّ[1] عِظَم أير زوجها إلى الوالى ، واسمها خَوْصاء ، [فقالت] :

إنِّي أَعُوذُ بالأَمِيرِ العَدْلِ مِنْ مُنْتِنِ الرِّيحِ خَبيثٍ وَغْلِ
يَحْمِلُ أَيْرًا مِثْلَ أَيْرِ البَغْلِ

٢١٨ ظ

ويقال لأير الإنسان : ذَكَر ، وأَيْر .

وجُرْدان الحمار والبغل و [غُرْمولها[2]] ، والجميع : جَرادين وغَراميل .

ويقال : نَضِيّ الفرس ، ومِقْلَم البعير . ووعاء مِقْلمه يقال له : الثِّيل[3] .

ووعاء الجُردان وجميع الحافر يقال له : القُنْب .

ويقال : قَضِيب التيس ، وقضيب الثور ، وعُقْدة الكلب .

وتقول العرب : صَرَفَت البقرة ، فهى صارِف ؛ وسَوِسَت البغلة .

ويقال :هى امرأة هَدْمَى[4] ، وغَلِمة . وقال أكثر العلماء : مايقال مُغْتَلِمة.

وشاة حَرْمَى ، وناقة ضَبِعَة ، وفرس ودِيق ، وكلبة مُجْعِل .

ويقال : حِرُ المرأة ، والفَرْج ، وظَبْية الفَرَس[5] ، وكذلك من الحافر .

---

(١) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى ، كان من أعيان أصحاب الخليل وأبى زيد ، يقال إن الأصمعى كان يحفظ ثلث اللغة ، والخليل ثلثها ، ومؤرج الثلثين ، وكان أبو مالك يحفظ اللغة كلها . توفى سنة ١٩٥ . نزهة الألباء وإرشاد الأريب ، وبغية الوعاة .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) بكسر الثاء وفتحها .

(٤) كذا فى الأصل ، والمعروف «هدمة» ، وأصله فى الناقة إذا اشتدت ضبعتها .

(٥) انظر ماسبق فى ص ٣١٩ س ١ .

وحَيَاء الشّاة ، وكذلك من الخُفّ كلّه . وثَفْرُ الكلبة ، وكذلك من السّباع كلّها . وتستعير الشعراء بعض هذه من بعض ، إذا احتاجت إلى إقامة الوزن .

فإذا حملت الشاة فهى : حامل ، والبقرة كذلك . والفرسُ عَقوق ، وكذلك الرَّمَكة . والأتان جامعٌ ، وبغلةٌ جامع . وكلبة مُجِحّ[1] ، وكذلك السّباع .

ويقال : إن أكبر الأيور أير الفيل ، وأصغرها أير الظبى[2] ، وليس فى الأرض حجم أيرٍ ظاهرٌ فى كُلّ حال ، إلّا أير الإنسان والقِرْد والكلب . وأمّا البَطّ[3] فقضيبه يظهر عند القَمْط . وأطول أيور الناس ما كان ثلاثةَ عشر إصبعا .

ورَوَوْا عن ابنٍ لجعفر بن يحيى كان صَيْرَفِيًّا ، وقد كان ولّاه المأمون طساسيج عِدّة[4] ، أنه خرج من الدنيا وما كام امرأةً قطّ .

وخبّروا عن أبى زيد الكتّاف — وتأويل الكتّاف أنه كان ينظر فى الأكتاف[5] ، وهو إفريقىّ — وكان هَرْثَمة[6] قدم به على الرشيد ، يُعَجِّبه

---

(١) بتقديم الجيم على الحاء .

(٢) انظر الحيوان ٧ : ١١٨ .

(٣) فى الأصل : « والبطة » بالتأنيث وإسقاط « أما » قبله . وانظر الحيوان ٧ : ١١٨ .

(٤) الطسوج : الناحية .

(٥) جمع كتف ، وذلك للفراسة . وفى الحيوان ٥ : ٣٠٣ عند الكلام على الفراسة : « كما ينظر بعضهم فى الخيلان وفى الأكتاف وفى أسرار الكف » .

(٦) هرثمة بن أعين : قائد عباسى ، ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٨ ثم إفريقية ، ثم عقد له على خراسان ، ثم قاد الجيوش للمأمون فى أيام الفتنة بينه وبين الأمين ، ثم غدر به المأمون فحبسه حتى مات سنة ٢٠٠ . النجوم الزاهرة والطبرى فى حوادث ١٧٨، ٢٠٠ .

من كِبَر خَلقه وعِظَم بدنه ؛ فرأيتُ ناسًا[1] زعموا أنه قال : غَبَرت طولَ عمرى لا أقدر على امرأةٍ تحتمِل ما عندى ، حتّى دُلِلْتُ على امرأة ؛ فلما دخلت بها أدخلتُ من أيرى قدرَ نِصْفه ، وقلتُ فى نفسى : هى وإن احتملت نصف الطُّول فإنها لا تحتمل الغِلَظ ! فلمّا لم أرَها توجَّعَت منه زِدتُها ، ثم زدتها حتى أدخلتُه ، ثم قلتُ لها : قد دخل كلّه ، فتأذنين فى إدخاله وإخراجه ؟ قالت : وقد دخل منه شىء بعد ؟ !

وقال أبو السَّرِىّ بكر بن الأشقر[2] : بلغنى أنّها قالت له : سقطتْ بَعوضةٌ على نخلة ، وقالت للنخلة : استَمسكى فإنى أريد أن أطير ! فقالت النخلة : والله ماشَعَرتُ بوقوعكِ ، فكيف أشعر بطيرانك ؟ ! ٢١٩ و

[مما جاء فى ذم البغال]

قال : وذمّ رجل البغلَ ، فقال : لا لَحْم ولا لبَن ، ولا أدَب ولا لَقَن ، ولا فَوْتَ ولا طلَب ؛ إن كان فحلًا قتل صاحبه ، وإن كانت أنثى لم تَنسِل .

وكُلُّ مُرَكَّب من جميع الأجناس له نجْلٌ غيرَه ، كالبُخْت بين العِراب والفوالج ، وكالراعِبِىّ من بين الحَمام والوَرَشان ، وكالإبل منها الصَّرْصَرَانِىّ[3] والبَهْوَنِىّ[4] ، وهما اللذان أبوهما عربىّ وأمُّهما بُخْتيَّة ، وهو من أقوى الإبل

---

(١) فى الأصل : « زمانا » .

(٢) فى البيان ٢ : ١٧٧ من يدعى « بكر بن الأشعر » ، وذكر أنه كان سجاناً .

(٣) جاء فى الحيوان ١ : ١٣٨ : « متى ضربت فحول العراب فى إناث البخت جاءت هذه الإبل البهونية والصرصرانية » .

(٤) فى الأصل : « البهودى » ، صوابه من الحيوان . وانظر اللسان والقاموس (بهن) والمخصص ٧ : ١٣٥ .

على الحمل ، وأشدُّها سيرًا ، على قُبح خلقته ، وسَماجة فى مَقاديمه[١] ، وكالشِّهرىّ والهَجين[٢] .

وإذا صرتَ إلى البغال ، صِرتَ إلى سَوَسٍ فى الأُنثى لا يُنادَى وليدُه[٣] ، وإلى غُلمة فى الذَّكَر لا تُوصف ، ثم هى مع هذا لا تتلاقح .

وزعم أهل التجربة أنّ السَّكَوْم الذى يخلق اللهُ تعالى منه الولدَ من بين الرجل والمرأة ، أنّ سببَ[٤] التلاقُح [ما] يَحْضُرُها [من] إفراط الشَّهْوَة ، فى ذلك السَّكَوْم ، فإذا أفرطَت الشَّهوةُ دنَتِ الرحم[٥] وانفتح المَهْبِل ، وهو فَمُ الرَّحم ، فتصير تلك النُّطفة أكثر وأحدَّ ، فيصير زَرْقُ الإحليل ومَجُّه لها أبعدَ غايةً .

وقال أهل التجربة : قلّ ما تلقح منهن امرأة إلّا لرجَّةٍ[٦] .

والبغلة والبغل يعتريهما من الشَّبَق ما لا يعترى إناث السنانير ، ثم هى مع ذلك لا تتلاقح ، فإن لَقِحت فى النُّدرة أَخْدَجَت[٧] .

---

(١) فى اللسان : « وقادم الإنسان : رأسه ، والجمع القوادم ، وهى القادم ، وأكثر ما يتكلم به جمعاً ، وقيل لا يكاد يتكلم بالواحد منه » . وجعلت فى ط : « مقاديره » خطأ .

(٢) فى اللسان : « والشهرية : ضرب من البراذين ، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل » . والهجين : الذى أبوه عربى وأمه غير عربية .

(٣) هذا مثل للكثرة . وانظر حواشى الحيوان ٢ : ٧١ .

(٤) لم يظهر من الكلمة فى الأصل إلا فتحتان وبقية الباء .

(٥) لم يبد من هذه الكلمة فى الأصل إلا طرف الميم .

(٦) فى الأصل : « لرحه » .

(٧) أخدجت : جاءت بولدها ناقص الخلق وقد تم وقت حملها .

وقال الشاعر فى سَوَس البغلة[١] :

وقَدْ سَوِسَتْ حَتَّى تَقَاصَرَ دُونَهَا هِيَاجُ سَنَانِيرِ القُرَى فِى الصَّنَابِرِ[٢]

وذلك من عيوبها .

قالوا : ولم تأخذ صَهيلَ الأخوال ، ولا نَهيق الأعمام ، وخرجت مقاديرُ غراميلها عن غراميل أعمامها وأخوالها . فإن زعمتم أنّ أعمارها أطول ، فعيوبها أكثر ، وأيام الانتفاع بها أقلّ ، وباعَتُها أفجر ، والخصومة معهم أفحش ، وخسرانُها يُوفى على أضعاف ربحها ، وشرُّها غامرٌ لخيرها .

ومما تخالف أخلاقَ سائر المركوبات : أنك إذا سِرتَ على الإبل والخيل والحمير والبقر ، فى الأسفار الطِّوال ، فى سواد ليلِك ، إلى انتصاف نهارك ، ثم صارت إلى المنزل عند الإعياء والكلال ، طلب جميعُ المركوبات المراعىَ والأَوَارِىَّ[٣] ، وأخرجت البغالُ بعقب ذلك التعبِ الطويل ، أيورًا كجِعاب القِسِىّ ، تضرب بها بطونَها وصدورَها ، حتَّى كأنها تتعالج به من أَلَم السَّفَر . وكُلُّ دابة سِواها إذا بلغت لم يكن لها هِمّة إلّا المَراغة[٤] والرُّبوض ، والأكل والشُّرب .

٢١٩ ظ

(١) سبق تفسير السوس فى ص ٣١٨ .

(٢) الصنابر : جمع صنبر ، كهزبر ، ويقال أيضاً بتشديد النون مفتوحة أو مكسورة مع كسر الصاد ، وهى الريح الباردة .

(٣) الأوارى : جمع آرى بتشديد الياء ، وهو معلف الدابة ومحبسها .

(٤) المراغة : اسم من مرغه فى التراب : جعله يتقلب فيه . ونظير هذا النص فى الحيوان ٣ : ١٦٠ .

وهى مع ذلك من أغلم الدوابّ ، وأبعدها من العِتق(١) ، ولم نجد عِظَم الأيور فى جميع الحيوان فى أشراف الحيوان إلّا فى القَرْط ، وذلك عامّ فى الزنوج والحُبْشان ، وتجده فى الحمير والبغال .

قالوا : وأيْر الفيل كبير ، ولم يخرج من مقدار بَدَنه .

ولَعمرى إنّ الرجال ليتمنَّوْن عِظَم الأيور كما تتمنّى النساء ضِيقَ الأحراح .

قال محمد بن مُنَاذِر ، وأبو سعيد راوية بشّار ، قالا :

ضحك بشّارٌ الأعمى يوماً ونحن عنده ، بعد أنْ أطال السكوت ، فقلنا : ما الذى أضحكك يا أبا مُعاذ ؟ قال : أضحكنى أنّه ليس على ظَهْرها رجلٌ إلّا وبودِّه أن أيره أكبر ممّا هو عليه ، ولا على ظهرها امرأة إلّا وبودِّها أن حِرَها أضيَق ممّا هو عليه . فلو أعطى الله الرجال سُولَهم(٢) فى العِظَم ، وأعطى النساء سُولهنّ(٣) فى الضِّيق ، لَوَقع العجْز ، وبطل التناكُح ، وبطل ببطلان التناكُح التلاقُح . وهذا لُطفٌ من ربِّك .

قالا : وقال لنا يوماً ونحن جماعة : أتدرون أيُّ الرجال يتمنَّوْن ضِيق الأحراح ، وأيّهم يتمنَّى سَعَتها ؟ قلنا : لا . قال : إنّما يتمنَّى السَّعة كلّ ردىّ النَّعْظ ، مُسترخى عَصَب الأير ، وإنّما يتمنَّى الضِّيق كلّ متوتّر العَصَب ، شديد النَّعْظ .

---

(١) ط : « العيف » ، خلافاً لما هو واضح فى الأصل .

(٢) السول والسؤل : الأمنية التى سألتها ، وهو بضم السين ، وبالهمز وغير الهمز ، وبهما قرئ قوله تعالى : «قال قد أوتيت سؤلك ياموسى » .

(٣) فى الأصل : « سولهم » .

قال : وذمّ آخرُ البغل ، فقال : عظيم الغُرمول ، كبير الرأس ، عقيم الصُّلب ، قبيح الصوت ، بطيء الحُضْر ، مِهْياف إلى الماء[1]، متلوِّن الأخلاق ، كثير العِلَل ، فاجر البائع ، قتّال لراكبه ، شديدُ العداوة لرائضه ، حَرونٌ عند الحاجة . والحِران إليه أسرَع ، ودواؤه أعسر . إن كان أغَرَّ[2] كان سَمِجاً ، وإن كان مُحَجَّلا كان مَشُوماً[3] . ولم يتواضع الملوك والأشراف بركوبه إلّا لإفراط نذالته ، ولا ركبه الرُّؤساء فى الحرب إلّا لظهور عجزه .

٢٢٠ و

وفى الأنبياء راكبُ البعيرِ ، وراكب الحمارِ . وكلُّ ذى عزمٍ منهم فركّاب خيل ومُرتبِط عتاق[4] ، وليس فيهم راكب بغل ، وإنما كانت بغلة النبى صلى الله عليه وسلم ، هديةً من المُقَوْقِس[5] ، قَبِلَها على التألُّف ، وعلى مثال ما كان يُعطِي المؤلَّفة قلوبُهم . ولم يَجعلْها اللهُ شِرّى[6] ، ولا تِلادًا ولا هدِيّةَ سِلْمٍ .

باب

[فى مدح البغال وذمها]

يُروى عن ابن عبَّاس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أنه نهى أن يُنزَى

---

(١) المهياف والهيوف : الذى لا يصبر على العطش .

(٢) فى الأصل : « أغم » ، ولا وجه له هنا . والأغر : ذو الغرة ، وهى بياض فى الجبهة .

(٣) التحجيل : بياض يكون فى القوائم .

(٤) ط : « بعتاق » ، خلافاً لما فى الأصل . وارتبط الخيل : ربطها وأعدها .

(٥) كانت تلك البغلة شهباء يقال لها « دلدل » . وفى عيون الأثر ٢ : ٣٢٢ أسماء خمس بغلات أخر غيرها ، فارجع إليه . وانظر ماسبق فى ٢٢٠ ، ٢٢٢ .

(٦) ط : « ولم يحظىء الله شراء » ، خلافاً لما فى الأصل . والشرى ، بالقصر كالشراء بالمد .

حمارٌ على فَرَس ، ونهانا أن نأكل الصَّدَقة ، وأمرنا أن نُسْبِــغ الوضوء .

وعن عليّ كرّم الله وجهه قال : نهى النبيّ صلى الله عليه وسـلم ، أن يُنْزَى الحمارُ على فرس .

وقال الآخر فى عيب البغلة : شديدةُ السَّوَس[1] ، وذلك ممّا يَنْقُض قُواها ، ويُوهِن أمرها ، وهى فى ذلك أهيَجُ من هِرّة وإن كانت لا تصيح صِياحَها[2] ، ولا تَضْغُو ضُغَاءها ، وإنما ذلك لأنّ الحافر فى هذا الخُلق خِلاف البِرْذَوْن . ألا ترى أنّ الـكلب والسِّنّوْر إذا ضُربا صاحا ، وكذلك الأسد والنَّمر والبَبْر والثعلب والفَهْد وابن آوى وعَناق الأرض . ولو أخَذْتَ الحافر فقمطته ، فرساً كان أو برذوناً أو بغلاً أو حماراً ، ثم ضربته أنت بعصاً لم يصِحْ ، وإن كان يجدُ فوق ما يجد غيرُه من الألَم .

والبغلة مع ذلك تَلْقَح ولا تَنْسِل ، فصار حَمْلها بلاءً على صاحبها ، لأنَّها إن وضعتْه لم يعِشْ . وكلّ حامل من جميع الإناث ، من شاة أو بقرة أو ناقة أو أتان أو رَمَكة أو حِجْر ، فإنّ حَمْلَهـا يكون زائداً فى ثمنها ، ولا تُرَدُّ تلك الحوامل بعيب الحمل ؛ إلَّا المرأة والبغلة . فأمّا المرأة فلِشدّة الوِلادة عليها ، ولأنّ حَدَثَ الموتِ من أجْل مَشَقّة الولادة عليها من بين جميع الحيوان أسرَع . وأمّا البغلة فلأنها إذا أقربَت[3] عجزت عن حَمْلها ، وإذا وضعت لم يُنتفع بولدها . ٢٢٠ ظ

(١) انظر ما سبق فى ص ٣١٨ ، ٣٢٤ .

(٢) فى الأصل : « لا تضبح ضباحها » .

(٣) أقربت الحامل فهى مقرب : دنا ولادها . يقال أقربت الشاة والأتان ، ولا يقال للناقة فى ذلك إلا أدنت فهى مدن .

والبغلة إذا كامها البِرْذَوْن لم يصبر عنها ، واشتدّ حِرْصُه عليها . فسألت أبا يزيد الإقْلِيدِسِيّ[١] عن ذلك ، فقال : لأنها أطيب خَلْوة ! فلقَّبناه : « خَلْوة البغلة » !

[أكل لحوم الخيل]

وأكل القديد فى الضرورة ردئٌ للحافر كله ، وهو للبغلة أردأ .

وأهل البحريْن يَعلفون دوابَّهم الحشيش ، وقد استمرّت على ذلك .

وقال القعقاع بن خُلَيْدٍ العَبْسِيّ[٢] :

أَكَلْنَا لُحُومَ الخَيْــلِ رَطْبًا ويَابِسًا
وأَكْبَادُنَا مِنْ أَكْلِنَا الخَيْلَ تَقْرَحُ[٣]

وَنَجلســـنا حَوْلَ الطُّوَانَةِ جُوَّعًا
ولَيْسَ لَنَا حَوْلَ الطُّوَانَةِ مَسرحُ[٤]

---

(١) ذكر السمعانى فى الأنساب ٤٧ هذه النسبة وقال : لعلها نسبة إلى معرفة كتاب إقليدس أو نَسخه . وضَبَطها بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام بعدها الساكنة آخر الحروف وكسر الدال المهملة .

(٢) القعقاع بن خليد بن جزء بن حارث بن زهيرٌ العبسى . وكان مع مسلمة ابن عبد الملك بالقسطنطينية ، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك هذا الشعر يشكو فيه ما نالهم من الجهد . معجم المرزبانى ٣٢٩ . وقد ورد نسبه كما سبق فى جمهرة ابن حزم ٢٥١ . وجاء اسمه فى الأغانى ١٣ : ١٥٠ ومعجم البلدان (طوانة) حيث روى ياقوت الشعر التالى : « القعقاع بن خالد » .

(٣) أنشد هذا البيت وحده فى معجم المرزبانى . وقبله فى معجم البلدان :

فأبلغ أمــير المؤمنين رسالة سوى ما يقول اللوذعى الصمحمح

(٤) الطوانة : بلد بثغور المصيصة . وفى معجم البلدان : =

وليس تُوافق لحومُ الخيل أُمّةً من الأمم كما توافق الأتراكَ ، وكذلك اللّحم صِرْفاً .

وذكر النَّمِر بن تَوْلَب سوء موافقة أكل اللّحم للخيل ، فقال[1] :

لِلّهِ مِنْ آيَاتِهِ هٰـذَا القَمَرْ والشّمْسُ واللّيْلُ وآيَاتٌ أُخَرْ[2]

إنّا أَتَيْنَاكَ عَلَى بُعْدِ السَّفَرْ نَقُودُ خَيْلاً ضُمَّرًا فِيهَا ضرر[3]

نُطْعِمُهَا اللّحْمَ إذَا عَزَّ الشَّجَرْ[4] والخَيْلُ فى إطْعَامِهَا اللّحْمَ عَسَر[5]

= ونحسبها حــول الطوانة طلعاً وليس لها حول الطوانة مسرح

وبعــده :

فليت الفزارى الذى غش نفسه وغش أمــير المؤمنين يبرح

يعنى عمر بن هبيرة الفزارى ، وكان القعقاع يصاوله تصاول الفحلين ، كما ذكر المرزبانى .

(١) قال هذا حين وفد على النبى صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٨٨٠٣ والأغانى ١٩ : ١٥٩ والشعراء ٢٦٨ . وبعض الأشطار التالية فى الحيوان ٧ : ١٤٥ واللسان (لحم) . وقبلها فى الأغانى والإصابة :

* ياقوم إنى رجل عندى خبر *

(٢) الأغانى والإصابة : « والشمس والشعرى » .

(٣) فى الأغانى : « خيلا رجعا فيها ضرر » . وفى الإصابة : « خيلا وجما فيها ضرر » . وفى الشعراء : « ضمرا فيها عسر » .

(٤) فى الأغانى عن ابن حبيب : « قال الأصمعى : أطعمها اللحم : أسقيها اللبن . والعرب تقول : اللبن أحد اللحمين » . وهو تفسير عجيب ، نقله المرزوقى فى شرح الحماسة ٧٢٦ . ونقله كذلك صاحب اللسان أيضاً فى (لحم) ثم قال : « وقال ابن الأعرابى : كانوا إذا أجدبوا وقلّ اللبن يبسوا اللحم وحملوه فى أسفارهم وأطعموه الخيل . وأنكر ما قال الأصمعى وقال : إذا لم يكن الشجر لم يكن اللبن » . وفى الأغانى أيضاً عن ابن الأعرابى : « كانت العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فأطعمته الخيل » .

(٥) فى الشعراء والحيوان واللسان : « ضرر » .

وقال الآخر :

وخَيْلُكَ بِالْبَحْرَيْنِ تَعْتَلِفُ النَّوى   ولَلتَّمْرُ خَيْرٌ مِنْ حَشِيشٍ وَأَنْفَعُ

[معارف شتى فى ألوان الدواب]

وقال بعض من يمدح البغل : البرذون إذا كان أسود قالوا : أدهم ، وكذلك الفرس . والحمار إذا كان أسود قالوا : أسود . وألحقوا البغل بالخيل ، فقالوا : بَغْلٌ أدهم .

وقال بعضهم : البغل يؤخَّر سَرجُه كما يؤخَّر سَرْج الحمار ، وموضع اللَّبَب من الخيل يكون قُدَّامَ ، وإن رَكِب الغلام البغل عُرْياً ، ركب فيه على مركب الحمار ، وهو مؤخّره ، فإن ركب الخيل ركب المقاديم .

حدَّثنى بعض أهل العلم ، قال : قال شيخ من الملوك لعبد الله بن المُقَفَّع : إن ابنى فلاناً يتكلّم بكلام لا نعرفه ، فأُحِبّ أن تجالسه ، فإن كانَ كلامُه هذا من غريب كلام العرب ، فهو على حالٍ لم تخرج من هذه اللغة ، وإن كان شيئاً يبتدعه عالجناه بالتقويم . فأتاه ابن المقفَّع ، فسمعه يقول : يا غلامى أسرِجْ لى بِرْذَوْنى الأسود . فقال : قل ، أصلحك الله : البرذون الأدْهَم ، وإيَّاكَ أن تقول : الأسود . قال : لا أقول إلاّ الأسود ؛ لِمَ ؟ لأنه ليس بأسود ؟ قال : بَلَى هو أسود ، ولكن لا يقال له أسود قال : فمكث ساعةً ، ثم قال : ياغلام أسرِجْ لى حمارى الأدهم . قال : قلت : لا تقُل للحمار : أدهم ، إنما يقال له : أسود . قال : فقال لى : لِمَ يقال له أسود ؟ قلت : لأنه أسود . قال : قد نهيتَنى أن أقول : برذونٌ أسود ، وهو أسود . قال : قلت له : هكذا تقول العرب . قال :

٢٢١ و

إمّا أن تكون العرب أمْوَقَ الخَلْق ، وإما أن تكونوا أنتم أكذبَ الخلق ! قال : فرجعتُ إلى أبيه فقلت له : إن كان عندك علاج فدارِكْه ، وما أظنّ ، والله ، أنّ ذلك عند الجالينوس[1] !

[بغلة أبى دلامة وما قال فيها من شعر]

قال أبو دُلامة[2] فى بغلته . والمَثَل فى البغال بغلة أبى دُلامة[3] . وفى الحمير حمار العِبادىّ[4] ، وفى الغنم شاة مَنيع[5] ، وفى الكلاب كلبةُ

(١) ترجمته فى حواشى البيان ٣ : ٢٧ . وقد ورد هنا بلام التعريف .

(٢) أبو دلامة : زند بن الجون . ويقال « زبد » بالباء ، ويصحف إلى « زيد » بالياء ، من سودان الشعراء ومواليهم ، أدرك آخر أيام بنى أمية ولم يكن له فى أيامهم نباهة ، ثم نبغ فى أيام بنى العباس وانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، فكانوا يقدمونه ويستطيبون مجالسته ونوادره . ودلامة بضم الدال ، وكنى أبا دلامة باسم جبل بمكة يقال له أبو دلامة ، كانت قريش تئد فيه البنات فى الجاهلية . توفى سنة ١٦١ . الشعراء ٧٥١ — ٧٥٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ — ٤٩٣ والمؤتلف ١٣ والاغانى ٩ : ١١٥ — ١٣٥ ومعجم الأدباء ١١ : ١٦٥ — ١٦٨ ووفيات الأعيان .

(٣) يضرب بها المثل فى كثرة العيوب . ثمار القلوب ٢٨٨ — ٢٩١ .

(٤) الوجه « حمارا العبادى » بالتثنية ، كما فى ثمار القلوب ٢٩٢ والتمثيل والمحاضرة ٣٤٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٩٧ إذ يقال فى المثل « كحمارى العبادى » إذا كانا ساقطين . والعبادى : منسوب إلى العباد ، وهم أفناء من العرب نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ، منهم عدى بن زيد العبادى ، قالوا : قيل له : أى حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا ! قال .

رجسان مالهما فى الناس من مثل   إلا حمارا العبادى الذى وصفا

وقيل للرقاشى : أيما أنذل وأسفل ، الكناس أو الحجام ؟ فأنشد قول الشاعر :

حمارا العبادى الذى سيل فيهما   وكانا على حال من الشر واحد

سيل ، أى سئل .

(٥) هو منيع البقال ، كما فى الأغانى ١٢ : ١٢٨ . قال : هجمت شاة منيع البقال=

حَوْمل[1] : فقال أبو دُلامة يصف بغلته[2] :

أَبَعْدَ الخَيْلِ أَرْكَبُهَا وِرَادًا وشُقْرًا فى الرَّعِيلِ إِلَى القِتَالِ[3]
رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فِيهَا وَكَالٌ وخَيْرُ خِصَالِهَا فَرْطُ الوَكَالِ[4]
رأيتُ عُيُوبَها كَثُرَتْ وعالَتْ ولو أَفْنَيْتُ مُجْتَهِدًا مقالى[5]
تَقُومُ فَما تَرِيمُ إِذَا اسْتُحِثَّتْ وتَرْمَحُ باليمين وبالشِّمال[6]

= على دار محمد بن يسير الشاعر وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، وقال فى ذلك شعرا .

(١) قالوا فى أمثالهم : « أجوع من كلبة حومل » . الحيوان ١ : ٢٩١ وثمار القلوب ٣١٥ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميدانى ١ : ١٦٩ — ١٧٠ . وحومل هذه امرأة من العرب ، كانت تجيع كلبة لها وهى تحرسها ، فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار ، وتقول : التمسى لا ملتمس لك . فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من شدة الجوع . قال الكميت يذكر بنى أمية ، ويذكر أن رعايتهم للأئمة كرعاية حومل لكلبتها :

كما رضيت جوعاً وسوء رعاية لكلبتها فى سالف الدهر حومل

(٢) أنشدها الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٨٨ — ٢٩١ والشريشى فى شرح المقامات ٢ : ٢٧٣ .

(٣) الوراد : جمع ورد ، بالفتح . والوردة بالضم : حمرة تضرب إلى صفرة حسنة . وفى الثمار : « أركبها كراماً وبعد الغر من خضر البغال » .

(٤) الوكال بكسر الواو وفتحها : الفتور ، كأنها تتكل على صاحبها فى العدو ، تحتاج إلى الضرب . الثمار : « رزئت ببغلة » و « ليت ولم يكن غير الوكال » .

(٥) عالت ، بالعين المهملة : زادت كما تعول الفريضة أى تزيد . ط : « غالت » خلافاً لما فى الأصل . وفى الثمار : « رأيت عيوبها وعييت فيها » . وبعده فى الثمار :

لما وفيتها بالقول حقاً وخير خصالها شر الخصال
فأهون عيبها أنى إذا ما نزلت فقلت أمشى لا تبالى

(٦) ما تريم : ما تبرح . وفى الثمار :

تقوم فما تسير هناك سيراً وترمحنى وتأخذ فى قتالى
وحين ركبتها آذيت نفسى بضرب باليمين وبالشمال

رِيَاضَةُ جاهِلٍ وعُلَيجِ سَوْءٍ — مِن الأَكرادِ أَحْبَنَ ذِى سُعَالِ[1]

شَتِيمِ الْوَجْهِ هِلْبَاجٍ هِدَانٍ — نَعُوسٍ يَوْمَ حَلٍّ وارْتِحَالِ[2]

فَأَدَّبَهَا بِأَخْلَاقٍ سِمَاجٍ — جَزَاهُ اللهُ شَرًّا عَنْ عِيَالِى

فلمَّا هَدَّنِى ونَفَى رُقَادِى — وطَالَ لِذَاكَ هَمِّى وَاشْتِغَالِى ٢٢١ ظ

أَتَيْتُ بِهَا الْكُنَاسَةَ مُسْتَبِيعًا — أُفَكِّرُ دَائِباً كَيْفَ احْتِيَالِى[3]

لِعُهْدَةِ سِلْعَةٍ رُدَّتْ قَدِيماً — أُطَمُّ بها على الدَّاءِ العُضَالِ[4]

فَبَيْنَا فِكْرَتِى فى القَوْمِ تَسْرِى — إذا ما سِمْتُ أُرْخِصُ أَمْ أُغَالِى[5]

أَتَانِى خَائِبٌ حَمِقٌ شَقِىٌّ — قَدِيمٌ فى الخَسَارَةِ والضَّلَالِ

ورَاوَغَنِى لِيَخْلُو بِى خِدَاعًا — ولاَ يَدْرِى الشَّقِىُّ بِمَنْ يُخَالِى[6]

فَقُلْتُ: بِأَربَعِينَ، فقال: أَحْسِنْ — فإنَّ البيعَ مرتَخَصٌ وغَالِ

---

(١) عليج : مصغر علج ، وهو الضخم القوى من كفار العجم . والأحبن : من عظم بطنه خلقة أو من داء . ط : « أجبن » خطأ ومخالف للأصل .

(٢) الشتيم : الكريه الوجه . والهلباج : الأحمق . والهدان : الأحمق الجافى الوخم . والحل ، بالفتح : مصدر حل المكان وبالمكان : نزل به .

(٣) الكناسة ، بالضم : محلة بالكوفة . والمستبيع : طالب البيع ، يقال استباعه الشيء : سأله أن يبيعه منه . والبيع من الأضداد، يقال للبيع وللشراء. وفى الأصل : « مستغثياً » ، صوابه من ثمار القلوب .

(٤) العهدة : العيب . والسلعة : شبيه بالغدة .

(٥) فى الأصل : « تسدى » . وفى الثمار : « فى السوم تسرى » . وسمت ، بالبناء للمجهول ، أى سامنى المشترى .

(٦) أصل المخالاة المصارعة ، كأن كل واحد منهما يخلو بصاحبه ، والمراد هنا المخادعة .

فَلَمَّا ابْتَاعَهَـــا مِنِّى وبُتَّتْ   لهُ فى البيع غَيْرِ المُسْتَقَـــالِ

أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ وبَرِئْتُ مِمَّـا   أَعُدُّ عَلَيْكَ مِنْ شَنِـعِ الخِصَالِ

بَرِئْتُ إليكَ مِن مَشَشٍ قديمٍ   ومِنْ جَرَذٍ وتَخرِيقِ الجِلالِ(١)

ومِنْ فَرْطِ الحِرَانِ ومِنْ جِمَاحٍ   ومِنْ ضَعْفِ الأسَافِلِ والأعَالِى

ومِن عَقَدِ اللِّسَانِ ومِنْ بَيَاضٍ   بِناظِرِها ومِنْ حَلِّ الحِبَـالِ(٢)

وعُقَّـــالٍ يُلازِمها شــديدٍ   ومِنْ هَدْمِ المَعالِفِ والرِّكَالِ(٣)

ومِنْ شَدِّ العِضَاضِ ومِنْ شِبَابٍ   إذَا ما هَمَّ صَحْبُكَ بالزِّيَالِ(٤)

تَقَطِّعُ جِلْدَها جَرَباً وحَـكًّا   إذا هُزِلَتْ وفى غـــيرِ الهُزالِ

وأَقْطَفُ من دَبِيبِ الذَّرِّ مَشْياً   وتَنْحِطُ من مُتَابَعةِ السُّـــعالِ(٥)

---

(١) المشش : ورم يأخذ فى مقدم عظم الوظيف أو باطن الساق . والجرذ : تزيد وانتفاخ عصب يكون فى عرقوب الدابة . والجلال : جمع جل ، بالضم ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به « وفى الثمار : « ومن بلل المخالى » : جمع مخلاة .

(٢) العقد ، بالتحريك : الاعوجاج والالتواء وفى الثمار :

ومن عض اللسان ومن خراط   إذا ماهم صحبك بارتحال

(٣) العقال ، كرمان : انقباض فى بعض العضلات يمنع الحركة وقتاً . والركال : مصدر راكله ، والركل : الرفس .

(٤) شد ، بالدال كما فى الأصل ، ولا بأس بها وإن كان الأوفق « شر » والشباب ، بالكسر ، هو من الفرس : أن ينشط ويرفع يديه . والزيال : المفارقة . وقد ورد هذا البيت فى الأصل بعد تاليه . ووجه ترتيبه ما أثبت .

(٥) أقطف من القطف والقطاف ، وهو تقارب الخطو وبطؤه . والذر : صغار النمل . تنحط ، من النحيط ، وهو أن تزفر من الجهد .

وتـكسِرُ سَرجَهـا أبَدًا شِماساً ... وتسْقُطُ فى الْوُحولِ وفى الرِّمالِ[١]

ويُهزِلُهاَ الْجمامُ إذَا خَصِبنا ... ويُدْبِرُ ظَهْرَها مَسُّ الجِلاَلِ[٢]

تَظَلُّ لِرَكْبَةٍ مِنهــــا وقِيذًا ... يُخَافُ عليكَ مِنْ ورمِ الطِّحالِ[٣]

وتَضْرِطُ أَرْبَعِينَ إذَا وقَفْنَا ... عَلَى أَهْلِ المَجَالِسِ لِلسُّـــؤَالِ

فتُخْرِسُ مَنْطِقِي وتَحُولُ بَيْنِي ... وبَيْنَ كَلامِهِمْ مِمَّا تُوالِي

وقَدْ أَعْيَتْ سِيَاستُهَا المُكَارِي ... وبَيْطَارًا يُعَقِّلُ بِالشِّكَالِ[٤]

حَرُونٌ حِينَ تَرْكَبُهَا لِحُضْرٍ ... جَمُوحٌ حِــينَ تَعزِمُ لِلنِّزَالِ

وذِئْبٌ حِينَ تُدْنِيهَا لِسَرْجٍ ... ولَيْثٌ عِنْدَ خَشْخَشَةِ المَخَالِي[٥]

وفَسْلٌ إنْ أَرَدْتَ بِهَا بُكُوراً ... خَذُولٌ عِنْدَ حَاجَاتِ الرِّحالِ

وأَلْفُ عَصًا وسَوْطٍ أَصبَحِيٍّ ... أَلَذُّ لها مِنَ الشُّرْبِ الزُّلَالِ[٦]

٢٢٢ و

---

(١) الشماس : نفور الدابة . وفى ط: «وتلق»،خلافاً لما هو واضح فى الأصل .

(٢) الجمام ،كسحاب : الراحة . وفى ط : « الحمام » خلافاً لما فى الأصل وفى الثمار : « الحمام إذا حصينا » . ويدبر ، من الإدبار ، وهو أن يصيبه بالدبر ، وهو القرحة .

(٣) الوقيذ : الشديد المريض الذى أشرف على الموت .

(٤) المكارى ، بضم الميم ، وهو الذى يكرى دابته ، أى يؤجرها .

(٥) المخالى : جمع مخلاة بكسر الميم ، وهى ما يوضع فيها الخلى ، الحشيش الذى يحتش .

(٧) السوط الأصبحى : منسوب إلى ذى أصبح ، وهو ملك من ملوك حمير تنسب إليه السياط .

وتُضْعَقُ مِنْ صُقَاعِ الدِّيكِ شَهْرًا وتُذْعَرُ لِلصَّفِيرِ ولِلْخَيَالِ(١)

إذَا اسْتَعْجَلْتَهَا عَثَرَتْ وبَالَتْ وقَامَتْ سَاعَةً عِنْدَ المَبَالِ

ومِثْفَارٌ تُقَدِّمُ كُلَّ سَرْجٍ تُصَيِّرُ دَفَّتَيْهِ عَلَى القَذَالِ(٢)

وتَحْفَى فِى الوُقُوفِ إذَا أَقَمْنَا كَمَا تَحْفَى البِغَالُ مِنَ الكَلَالِ

ولَوْ جَمَّعْتَ مِنْ هَنَّا وهَنَّا مِنَ الأَتْبَانِ أَمْثَالَ الجِبَالِ(٣)

فَإِنَّكَ لَسْتَ عَالِفَهَا ثَلَاثًا وعِنْدَكَ مِنْهُ عُودٌ لِلْخِلَالِ

وكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى وتَذْكُرُ تُبَّعًا قَبْلَ الفِصَالِ(٤)

وقَدْ قَرِحَتْ ولُقْمَانٌ فَطِيمٌ
وذُو الأَكْتَافِ فِى الحِجَجِ الخَوَالِى(٥)

وقَدْ أَبْلِى بِهَا قَرْنٌ وقَرْنٌ وأُخِّرَ يَوْمُهَا لِهَلَاكِ مَالِى(٦)

---

(١) صقع الديك صقعاً وصقاعاً : صاح ورفع صوته .

(٢) المثفار ، بالثاء المثلثة : التى ترمى بسرجها إلى مؤخرها . والثفر : السير الذى فى مؤخر السرج . وفى الأصل : « منفار » بالنون ، تصحيف . والدفتان : الجانبان . والقذال : مؤخر الرأس .

(٣) الأتبان : جمع تبن ، بالكسر ، وهو ماتهشم من سيقان القمح ونحوه بعد درسه ، تعلفه الماشية .

(٤) القارح : ماستتم الخامسة . والفصال : الفطام .

(٥) قرحت ، من باب فرح : استتمت الخامسة وسقطت سنها التى تلى الرباعية . وذو الأكتاف : لقب ملك من ملوك فارس ، وهو سابور الثانى .

(٦) فى الثمار :

فقد مرت بقرن بعد قرن وآخر عهدها بهلاك مالى

فَأَبْدِلْنِي بِهَا يَارَبِّ بَغْلًا ... يَزِينُ جَمَالُ مَرْكَبِهِ جَمَالِي

كَرِيمًا حِينَ يُنْسَبُ وَالِدَاهُ ... إِلَى كَرَمِ الْمَنَاسِبِ فِي الْبِغَالِ

[أشعار أخرى فى البغال]

وأنشد إبراهيم بن داحة لأبى الوزير المعلم[1] فى ركوب البغال ، لنخّاس الحجّاج بن يوسف ، فى كلمةٍ طويلة لم أحفظ منها إلّا هذه الأبيات :

حَمِدْتُ إِلٰهِي إِذْ رَأَيْتُكَ مُغْرَمًا ... بِكُلِّ كَثِيرِ الْعَيْبِ جَمٍّ جَرَائِمُهْ

عَلَى كُلِّ شَحَّاجٍ يُضَارِعُ صَوْتُهُ ... شَحِيجَ غُرَابٍ فَاحِمُ اللَّوْنِ قَاتِمُهْ

يُفَزِّعُ مِنْهُ كُلُّ غَادٍ لِطِيَّةٍ ... وَيَهْرُبُ منه فِى الرَّوَاحِ خُتَارِمُهْ[2]

٢٢٢ ظ

وما لَكَ منه مَرْفَقٌ غَيْرَ أَنَّهُ ... يُقَرِّب أرحامَ الْحُجُورِ تَفَاقُمُهْ[3]

وأَنَّكَ غَلَّابٌ لِكُلِّ مُخَاصِمٍ ... تُجَادِلُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُلاطِمُهْ

لِفَرْطِ عُيُوبِ الْبَغْلِ صِرْتَ مُوَقَّحًا

فَهَمُّكَ خَصْمٌ أَوْ بَذِيٌّ تُشَاتِمُهْ[4]

تُكَذِّبُه فى الْعَيْبِ وَالْعَيْبُ ظَاهِرٌ

وَيَعْلَمُ كُلُّ النَّاسِ أَنَّكَ ظَالِمُهْ[5]

---

(١) ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ٢٥٢ وقال : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبى الوزير وأبى عدنان المعلمين » .

(٢) الختارم ، بضم الخاء : الرجل المتطير .

(٣) كلة « منه » ساقطة من الأصل . والحجور : جمع حجر ، بالكسر ، وهى الأنثى من الخيل . والبيت شديد التحريف فى ط .

(٤) ط : « فيصدر خصم » ، خلافا لما فى الأصل .

(٥) ط : « تلد به فى العيب » ، خلافا لما فى الأصل .

فَصَارَ لِنَخَّاسِ البِغَالِ فَضِيلَةٌ   عَلَى كُلِّ نَخَّاسٍ وخَصْمٍ يُصَادِمُهْ
فَلَا زَالَ فَحَّاشًا وَقَاحًا مُلَعَّنًا   وآكِلَ سُحْتٍ لا تَجِفُّ مَلَاغِمُهْ[1]
يُلاطِمُ فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ شرِيكَهُ   وتَنْشَقُّ مِنْ فَرْطِ الصِّيَاحِ غَلاصِمُهْ

وهذا كقوله :

أَكُولٌ لِأَرْزَاقِ العِيَالِ إِذَا شَتَا   صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقاحُ[2]

ومثل قوله[3] :

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَفْجُرُوا   أَوْ يَبْخَلُوا لَمْ يَحْفِلُوا
وغَدَوْا عَلَيْكَ مُرَطَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا[4]
كَأَبِي بَرَاقِشَ كُلَّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَبَدَّلُ[5]

---

(١) الملاغم : جمع ملغم ، بفتح الميم ، وهو الفم والأنف وما حولها .

(٢) البيان ٣ : ٣٣٣ وعيون الأخبار : ٢ : ٢٩ . وفى الأخير : « لأرزاق العباد » . والثناء : ما أخبرت به عن الرجل من قبيح أو حسن . والوقاح ، كسحاب : الصلب الوجه القليل الحياء ، والأنثى وقاح أيضاً ، بغير هاء .

(٣) قال أبو عبيدة إنه من الشوارد التى لا أرباب لها . البيان ٣ : ٣٣٣ . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٢٩ وديوان المعانى ١ : ٨٢ وأمالى القالى ٣ . وخزانة الأدب ٣ : ٦٦٩ والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب ١ : ١٥٠ .

(٤) ترطيل الشعر : تليينه بالدهن والمسح حتى يلين ويبرق . وجعلت فى ط : « مرجلين » خلافا للأصل ، وإن كان رواية البيان ومعظم المراجع .

(٥) أبو براقش ، بفتح الباء : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، يتلون فى كل ساعة، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر ، ولعل السبب فى هذا ماذكر الأزهرى ، أنه شبيه بالقنفذ: أعلى ريشة أغبر ، وأوسطه أحمر ، وأسفله أسود ، فإذا انتفش تغير ألوانا شتى .

ومثل قوله[١] :

لِيَهْنِكَ بُغْضٌ فِى الصَّدِيقِ وظِنَّـــــةٌ
وتَحْدِيثُـــكَ الشَّىْءَ الَّذِى أَنْتَ كَاذِبُهْ[٢]
وأَنَّكَ مَشْـــنُوءٌ إلَى كُلِّ صَاحِبٍ
بَلَاكَ ومِثْـــلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهْ[٣]
وأَنَّكَ مُهْــــــدٍ لِلْخَنَا نَطِفُ النَّثَا
شَدِيدُ السِّبَابِ رَافِعُ الصَّــوْتِ غَالِبُهْ[٤]

أمّا قوله « مُغْرَمًا بكلّ كثير العيب[٥] » ؛ فلأنّ البغال هى المَثَل فى كثرة العيوب ، وتلوُّن الأخلاق .

وأما قوله « جمٍّ جرائمه » ، فلصَرْعاها وقَتْلَاها .

وأما قوله « على كل شحَّاج » ؛ فلأن الشحيج صوتُ الغُرَاب .

وإنما عارض أبو دُلامة أبا خُنَيْس ببغلته حيث قال : ٢٢٣ و

أُبعِدْتِ مِنْ بَغْـــلَةٍ مُواكِلَةٍ تَرْمَحُـــنِى تَارَةً وتَقْمِصُ بِى

---

(١) هو حُسيل — أو حسين — بن عرفطة بن نضلة . انظر تحقيق ذلك فى حواشى البيان ٣ : ٢٤٩ وللأبيات البيان والحيوان ٣ : ١٠٢ ، ٤٩٤ .

(٢) ليهنك : ليهنئك ، سهلت همزتها . والكلام تهكم . هنأه الشىء : كان له هنيئاً سائغاً .

(٣) المشنوء : المبغض . بلاك : اختبرك .

(٤) فى البيان والحيوان : « مهداء الخنا» . والخنا : الفحش . والنطف : الملطخ بالعيب» . والنثا ، بتقديم النون على الثاء : ماأخبرت به عن الرجل من خير أو شر .

(٥) انظر البيت الأول من مقطوعة أبى الوزير ص ٣٣٧ .

تـكادُ عِنْدَ المَسِـيرِ تَقْطَعُنِى رَاكِبُهَا رَاكِبٌ عَلَى قَتَبِ[١]

إنْ قُمْتُ عِنْدَ الإسْرَاجِ أَثْفِرُهَا تَطْرِفُ مِنِّى العَيْنَيْنِ بِالذَّنَبِ[٢]

وعِنْدَ شَدِّ الحِـزَامِ تَنْهَشُنِى مَانِعَـةً لِلْجَـامِ واللَّبَبِ[٣]

لَيْسَ لها سِيرَةٌ سِوَى الوَثَبى كَرَقْصِ زَنْجٍ يَنْزُونَ لِلطَّرَبِ

وَهِىَ إذَا مَا عَلَفْتُهَا جَهَـدَتْ لَا تَأْتَلِى فِى الجِهَادِ عَنْ حَرَبِ[٤]

قَدْ أَكَلَتْ كُلَّ مَا اشْتَرَيْتُ لها مِنْ رِزْقِ شَعْبَانَ أَمْسِ فِى رَجَبِ

تَمُرُّ فِيمَـا نَمَا لِعَلْفَتِهَا إنْ لَمْ تُعَلَّلْ بِالشَّوْكِ والقَصَبِ[٥]

وإنما هجاها بكثرة الأكل ، فقدَّمها على كلِّ مُعتلِف ، بسوء الرأى فيها ، وبإفراط الشعراء وزياداتهم ، وإنَّما الأكل الشديدُ فى البَرَاذِين والرَّمَك ، ثم التى معها أفلاؤها .

وقيل لرجل من العرب : أىّ الدوابّ آكل ؟ قال : بِرْذَوْنة رَغُوث[٦] . لأنهم يقولون : بِرْذَوْن وبِرْذَوْنة . ولا يقولون فَرَس وفرسة ، بل يقولون :

---

(١) أى كالراكب على القتب ، وهو إكاف البعير يكون على قدر سنامه . أراد خشونة مركبها .

(٢) أثفر الدابة : جعل لها ثفرا ، وهوبالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

(٣) اللبب : مايشد على صدر الدابة أو الناقة ، يكون للسرج أو الرحل، يمنعهما من الاستئخار .

(٤) الحرب ، بالتحريك : النهب والسلب .

(٥) نما ينمو : زاد . وفى الأصل: « نها » .

(٦) الرغوث : المرضعة . والخبر فى الحيوان ١ : ١١٢ والبيان ٣ : ٢١٢ .

فرس للأنثى والذكر ، فإذا أرادوا الفرق والتفسير قالوا : حِجْر وحِصان .
وأنشد :

أَرَيْتَكَ إِنْ جَالَتْ بِكَ الْخَيْلُ جَوْلَةً
وأَنْتَ عَلَى بِرْذَوْنةٍ غَيرِ طَائِلِ [1]

وأنشدوا :

تَزَحْزَحِي إِلَيْكِ يَا بِرْذَوْنَهْ إِنَّ البَرَاذِينَ إِذَا جَرَيْنَهْ [2]
مَعَ الجِيَادِ سَاعَةً أَعْيَيْنَهْ

والنِّعاج أيضاً قد تُوصف بدوام الأكل ، حتى زعم بعض الناس أنّ النِّساء[3] فى الجملة آكَلُ من الرجال ؛ لأن أكل النساء يكون متفرّقا ، من غُدْوة إلى الليل ، والرجل أكله فى الدَّفعة أكثر من هذا فى الجملة . ٢٢٣ ط

[بعض ألوان الحيوان]

وقال بعضهم : البغال هى الشُّهْب ، والإبل هى الحُمر ، والخيل هى الشُّقْر ، والحمير هى الخُضْر ، والسنانير هى النُّمْر[4] ؛ وإن كان الناس فى الحمار الأسود أرغَب ، وكذلك هُمْ فى ألوان الثيران ، لمكان البغال .

---

(١) أريتك ، أى أرأيتك ، ومعناه أخبرنى . وفى الحيوان ٢ : ١٨٥ : « أريت إذا ماجالت الخيل » . وفى اللسان (برذن) : « رأيتك إذ جالت » . غيرطائل، يقال للشيء الخسيس الدون : ماهو بطائل ، الذكر والأنثى فيه سواء . وأنشد :
* لقد كلفونى خطة غير طائل *

(٢) الرجز فى الحيوان ٢ : ٢٨٣ .

(٣) جعلت فى ط : « الشاء » فى هذا الموضع وتاليه ، وليس ما يقتضى هذا . وانظر الحيوان ١ : ١١٢ .

(٤) جمع أنمر ونمراء ، وهو ما فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى على أى لون كان .

وقال بعض العرب لبعض الملوك : « هل لكم فى النساء الزُّهْر ، والخيل الشُّقْر ، والنُّوق الحُمر » ؟

وقالت بنت الخُسّ[1] : « الحمراء غَذْرَى ، والصَّهباء سَرْعَى ، والدَّهْماء بَهْمَى » .

وإنما صار الناس يتَّخذون السنانير النُّمْر ؛ لأنها أصيَد ، فهى السَّنانير الخُلَّص ، والألوان الأُخَر داخلة على هذه الألوان ، وكذلك ألوان جميع ما ذكرنا ، وأصناف البهائم على ما ذكرنا ؛ وأما ألوان الأُسد فمتشابهة ، لا اختلاف فيها إلا بالشىء اليسير ، والناس يختلفون فى الألوان وكذلك الكلاب والسنانير والخيْل والبغال[2] والحمام والحيّات والطير ؛ فأما أنواع الطير ومغنّياتها ، والبُزاة[3] والصُّقور والشواهين ، فلا اختلاف بينها .

باب

ما جاء من الشعر فى ذم البغل

قال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحِىّ[4] :

حَجَــرٌ تُقَلِّبُهُ وهلْ تُعْطى عَلَى المَدْحِ الحِجَارَهْ
كالبَغْــلِ يُحْمَدُ قائمًا وتَذُمُّ سِيرَتَهُ المَشَارَهْ[5]

---

(١) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط الإيادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر حواشى البيان ١ : ٣١٢.

(٢) فى الأصل : « وال »مع انطماس بقية الكلمة وظهور الجزء الأعلى من الألف واللام الأخيرة .

(٣) فى الأصل : « والبر » ، مع انطماس بقية الكلمة .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٤٤ .

(٥) المشارة : مصدر ميمى من شار الدابة ، إذا أجراها ليعرف قوتها وسيرتها. وقد ضبط هذا البيت فى ط خطأ .

وقال سهم بن حَنْظَلة الغَنَوِىّ[1] :

فأمّا كِلَابٌ فَمِثْلُ الكِلَا ... بِ لَا يُحْسِنُ الكَلْبُ إلّا هَرِيرَا

وأمّا نُمَيْرٌ فَمِثْـلُ البِغَا ... لِ : أشْبَهْنَ آبَاءَهُنَّ الحَمِيرَا[2]

٢٢٤ و

وقال حسّان بن ثابت :

لا بَأْسَ بالقومِ مِنْ طُولٍ ومن عِرَضٍ

جِسْمُ البِغالِ وأحْلامُ العَصَافِيرِ[3]

وقال آخر :

ولَئِنْ نَاكَحْتُمُونا لَبِمَا ... نَاكَحَتْ قَبْلَكُمُ الخَيْلَ الحُمُرْ

وقال ابن الزَّبِير الأسَدِىّ[4] لعبد الرحمن بن أُمّ الحَكَم[5] :

---

(١) هو سهم بن حنظلة بن حلوان بن خويلد ، من غنى بن أعصر ، فارس مشهور شاعر محسن . المؤتلف ١٣٦ وذكر فى الإصابة ٣٧٠٣ عن المرزبانى أنه شاعر شامى مخضرم .

(٢) البيتان فى الحيوان ١ : ٢٥٨. وبعدها فيه :

وأما هلال فعطارة ... تبيع كباء وعطراً كثيرا

(٣) ديوان حسان ٢١٤ من قصيدة يهجو بها رهط الحارث بن كعب المجاشعى وهم قبيل النجاشى الشاعر . وفى ط : « ومن عظم » خلافاً لما فى الأصل ، وإن كان مطابقا لرواية الديوان .

(٤) هو عبد الله بن الزَّبير - بفتح الزاى - بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة ، ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمن عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل . وعمى بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك . الأغانى ١٣ : ٣١ - ٤٧ والخزانة ١ : ٣٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٠ . ولم يذكره الصفدى فى نكت الهميان .

(٥) كان عبد الرحمن قد قدم الكوفة فى هيئة رثة ، فلما ولى الكوفة من =

تَنَغَّلْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتَ بِلَادَهُمْ … وفِي أَرْضِنَا أَنْتَ الْهُمَامُ الْقَلَمَّسُ[١]

أَلَسْتَ بِبَغْلٍ أُمُّهُ عَرَبِيَّـــةٌ … أَبُوهُ حِمَارٌ أَدْبَرُ الظَّهْرِ يُنْخَسُ[٢]

وقال خالد بن عبَّاد[٣] يهجو أبا بكر بن يزيد بن معاوية[٤] :

سَمِينُ البَغْلِ مِنْ مالِ اليَتَامَى … رَخِيُّ البـالِ مهزُولُ الصَّدِيقِ

وقال سِنان بن أبى حارثة[٥] :

تَعَرَّضَ عَبْسٌ دُونَ بَدْرٍ سَفَاهَـــــــــةً

أَلَا عَجَبُ العجْباءِ مِنْ صَهَلِ البَغْـــلِ[٦]

= قبل خاله معاوية واكتسب وأثرى ، مدحه عبد الله بن الزبير فلم يثبه شيئاً ، فقال هذا يهجوه .

(١) فى الأغانى : « تنعلت لما أن أتيت بلادكم وفى مصرنا » . والقلمس : السيد العظيم الواسع الخلق .

(٢) فى الأغانى بعد إنشاد البيتين : « كان بنو أمية إذا رأوا عبدالرحمن يلقبونه البغل ، وغلبت عليه حتى كاد يشتم من ذكر بغلا ، يظنه يعرض به » .

(٣) كذا فى الأصل ، وقد سبق فى ص ٢٩٣ : « خالد بن عتاب » .

(٤) ذكره ابن قتيبة فى المعارف ١٥٣ وابن حزم فى الجمهرة ١١٢ فى جماعة ولد يزيد بن معاوية .

(٥) سنان بن أبى حارثة المرى ، أحد ثلاثة نفرهاموا على وجوههم فلم يوجدوا . الحيوان ٣ : ٤٩٠ و ٦ : ٢٠٩ والأغانى ٩ : ١٤٤ . وهو والد هرم ممدوح زهير بن أبى سلمى . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٥٢ . وترجم له المرزبانى فى معجمه ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٦) ط : « لأعجب للعجباء » ، خلافا لما فى الأصل .

وقال شَبيب بن البَرْصاء يهجو عَقِيل بن عُلَّفة :

أَلا أَبْلِـغْ أَبَا الجَرْبَاءِ عَـنِّى ... بآيَاتِ التَّبَاغُضِ والتَّقَـالِى[1]

فَلَا تَذْكُرْ أَبَاكَ العَبْدَ وافخَرْ ... بأُمٍّ لستَ تَـكْرَهُهَـا وخَالِ[2]

فَهَبْهَا مُهْرَةً لَقِحَتْ لِعَـيْرٍ ... فَـكَانَ جَنِينُهَا شَرَّ البِغَـالِ[3]

قال أبو عُبَيْدة : كان الفرزدق عَبث بأبى الحسناء[4] ، وكان مُكارِىَ بغال ، ينزل فى مَقْبرة بنى هِزّان ، يُكرِى إلى الكوفة ، أيامَ كانت الطريق على الظَّهر ، فقال :

لِيَبْكِ أَبَا الحَسْنَاءِ بَغْلٌ وبَغْلَةٌ ... ومِخْلَاةُ سَوْءٍ بَانَ عَنْهَا شَعِيرُها

وقال الكُمَيْت :

تَمْشِى بِهَـا رُبْدُ النَّعَا ... مِ تَمَاشِىَ الآمِ الزَّوَافِرْ[5]

والأَخْـدَرِىُّ بِعَانَتَيْـهِ خَلِيطَ آجَالٍ وباقِـرْ[6]

---

(١) الجرباء : ابنةعقيل بن علفة ، وكان يكنى بها ، كما كان يكنى بأبى العملس ، الأغانى ١١ : ٨١ . والأبيات فى الأغانى ١١ : ٩٠ .

(٢) الأغانى : «لست مكرمها » .(٣) الأغانى : « وهبها مهرة لقحت ببغل» .

(٤) فى الشعراء ٤٤٥ : « وكان الفرزدق معنا مفنا يقول فى كل شىء ، وسريع الجواب ، فمر بقوم ولهم جنازة ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : مات أبوالخنساء صاحب البغال فقال . . . . » . وفيه : « ليبك أبا الخنساء » و « قد أضيع شعيرها » . وبعده فيه :

ومجرفة مطروحة ومحسة ... ومقرعة صفراء بال سيورها

(٥) الآم : جمع أمة . وفى الأصل : « الآمى »، تحريف . وانظر اللسان (أما ٤٧) حيث أنشد هذا البيت . والزوافر : الإماء اللاتى يحملن الأزفار ، جمع زفر ، بالكسر ، وهو الحمل .

(٦) الأخدرى : الحمار الوحشى ، منسوب إلى فحل يدعى «أخدر » . والآجال: جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . والباقر : جماعة البقر .

٢٢٤ ظ

قال : وفَد المُغيرة بن عبد الرحمن الرِّياحيّ على معاوية فى وفْد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وَلِّنى خُراسان . قال : ما هجاء ما لا هجاء له ؟ قال : فَشُرَط البصرة . قال : انظُر غيرَ هذا . قال : فاحْمِلنى على بغل ، ومُرْ لى بقطيفة خَزّ . فلامه أصحابه ، فقال : أمّا أنا فقد أخذت شيئاً !

[أخبار فى البغال]

قالوا : ولما أقبل مسروق بن أبرهة الأشرم[1] بالحبَشة ، فصافَّ جندَ وَهْرِز الفارسيّ ، حين كان استجاش ابنُ ذى يَزَن[2] بفارس ، فوجَّه كسرى معه وَهْرِزَ الإِسوار فى ثلاثِ مائة كان أخرجهم من الحبس ، على أنّهم إن ظَفِرُوا كان الظَّفَرُ له ، وإن قُتِلوا كان قد أراح الناسَ من شرِّهم . وكان وَهْرِز شيخًا كبيرًا ، قد شدَّ حاجبَه بعصابة ، فقال : أرُونى مَلِكَهم . قالوا : هو صاحبُ الفيل . قال : كفّوا عنه ؛ فإنه على مركبٍ من مراكب الملوك ! وقد أطال الوقوف . فنزل مسروق عن الفيل ، فركب فرسًا ؛ فقيل له : قد نزل عن الفيل ، وركب فرسًا . فقال : دَعُوه ، فإنه على مركَب من مراكب الفُرسان ! وأطال الوقوف حتى ملَّ ظهر الفرس ، وأتوه ببغل فركبه ، فقيل لوَ [هرِز : قد[3]] نزل عن الفرس ، وركب البغل . قال : عن مراكب الملوك ، وعن معاقل [الفُرسان [4]] ، ثم ركب البغل ابن الحمار ! وكان على مسروق تاجُه ، وياقوتةٌ معلَّقة بين عينيه ، فقال وَهْرِز لمن حوله : إنى راميه ،

(١) مسروق ، هو أخو يكسوم بن أبرهة ، وكلهم كان ملكا على اليمن من قبل الحبشة ، وفى عهده تخلصت الحبشة من حكم اليمن بمجهود سيف بن ذى يزن الحميرى.

(٢) هو سيف بن ذى يزن . استجاش : طلب جيشاً . وانظر قصة ذلك فى سيرة ابن هشام ٤١ — ٤٥ . والخبر فى السيرة والحيوان ٧ : ١٨٢ .

(٣) موضع هذه التكملة بياض فى الأصل .

(٤) لم يظهر فى الأصل إلا بقية حرف النون .

فإنْ رأيتموهم يجتمعون عليه ، ولا ينفرجون عنه ، فقد قتلته ، فشُدُّوا عليهم شَدَّةً واحدة ، وإن تفرَّقوا فإنما هى رَمْية . فرمى فأصاب نفسَ الياقوتة المعلقة بين حاجبيْه ، ففلقتْها ، وغابت النُّشَّابة فى رأسه ، فاجتمعوا عليه ، ولم يتفرَّقوا عنه ، فشدُّوا عليهم شدَّةً واحدة كانت إيّاها .

وبلغنى عن علىّ بن زيد بن جُدْعان[1] ، قال :

شخَصَ أبو سفيان إلى معاوية بالشام ، فى وِلاية عُمر رضى الله عنه ، ومعه ابناه عُتْبة وعَنْبَسة ، فكتبتْ إليه هند[2] : « قد قَدِمَ عليك أبوك وأخَوَاك ، فلا تَغذِمْ لهم[3] ، فيعْزِلَكَ عُمَر . احمِلْ أباك على فرس وأعْطِه ثلاثة آلاف دِرْهم ، واحملْ عُتبة على بغل وأعطِه ألفىْ درهم ، واحملْ عَنْبَسَة على حمار وأعطِه ألف درهم » .

فلما فعل ذلك بهم قال أبو سفيان : أشهد أنّ هذا عن رأى هِنْد ، بصِفة جوائز ملوك الشام ، وما لخلفاءِ الشام والدَّراهمَ ، ما يعرفون إلّا الدنانير !

---

(١) هو أبو الحسن على بن زيد بن أبى مليكة جدعان القرشى التيمى البصرى الشيعى الضرير . أحد أوعية العلم فى زمانه . روى عن أنس وابن المسيب وجماعة، وروى له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة . توفى سنة ١٣٩ وقيل سنة ١٣١ . نكت . الهميان ٢١٢ .

(٢) هى هند بنت عتبة بن ربيعة والدة معاوية . وكانت من ذوات الرأى . انظر البيان ٢ : ٥٦ والعقد فى مواضع مختلفة بتتبع فهارسه .

(٣) غذم له من ماله شيئاً : أعطاه منه شيئاً كثيرا . وفى الأصل : « تعذم » .

باب
ما قالوا من الشعر فى عقم البغل

قال النابغة الجعدى :

وهَبْنَا لَكُمْ مَا فِيهِ نَرْجُو صَلَاحَكُمْ
وسَوْفَ نُلَاقِيهِ إِذَا البَغْلُ أَحْبَلَا
ومِنْ دُونِ أَوْلَادِ البِغَالِ وحَمْلِهَا
إِلى ذَاكَ ماشَابَ الغُرابُ ورَجَّلَا[1]

وقال العُكْلِيّ :

قد يُلْقِحُ البَغْلَةَ غَيْرُ البَغْلِ لَكِنَّهَا تَعْجَلُ قَبْلَ المَهْلِ
.....ة[2] مَشْغُولَةٌ بِالْحَمْلِ
عَنْ مَرْفَقِ الطَّحْنِ وحملِ الرَّجْلِ[3]
ونَقَلُ[4] السَّفْرِ ومَيرِ الأَهْلِ ولَا تُسَاوِى حَفْنَةً مِنْ زِبْلِ[5]
مَا كَانَ فِيهَا مِنْ كِرَامِ الفَحْلِ دُودَةُ خَلٍّ خُلِقَتْ مِنْ خَلِّ[6]
وكُلُّ أُنْثَى غَيْرِهَا فى الحَمْلِ تَزْدَادُ فى القِيمةِ عِنْدَ السَّحْلِ[7]

(١) كذا فى الأصل .
(٢) لم يظهر من هذه الكلمة فى الأصل إلا هذا الحرف .
(٣) المراد حمل الناس .
(٤) الثقل ، بالتحريك : متاع المسافر .
(٥) فى الأصل : « ولا يساوى » .
(٦) انظر لديدان الخل الحيوان ٢ : ١١١ و ٣ : ٣٩٦ .
(٧) يقال سحله مائة درهم سحلا : نقده . والسحل : النقد من الدراهم

مَلْعُونَةٌ بِنْتُ لَعِينٍ نَذْلِ قَتَّالَةٌ لِلفَارِسِ الأَبَلِّ(١)

لَمْ يَعْتَدِلْ مَنصِبُهَا فى الأَصْلِ مِنْ غيرِ شَكْلٍ خُلِقَتْ وشَكْلِ

فى أَدَبِ الخِنْزِيرِ يومَ الحَفْلِ ومُوقُهَا مُوقُ رَضِيعٍ طِفْلِ

أَوْ عَقْلُ أَفْعَى وهِجَفٍّ هِقْلِ(٢) أَوْ حُوتِ بَحْرٍ قُذِفَتْ فى سَهْلِ(٣)

أَوْ جَيْأَلٍ يَكْتِفُهَا بِحَبْلِ(٤) كُلُّ حُمَيْمِيقٍ وكُلُّ فَسْلِ

وكُلُّ غِرٍّ جَاهِلٍ وغُفْلِ

لَيْسَ لهَا فى الكَيْسِ رِفْقُ النَّملِ(٥)

أَوْ ذِئْبِ قَفْرٍ مُجْمِعٍ لِلخَتْلِ أَوْ تَتْفُلٍ رَاوَغَ كَلْبَ الشِّلْوِ(٦)

أَوْ خُزَزٍ وثَّبَ خَوْفَ القَتْلِ(٧) أَمَا تَرَاهَا غَايَةً فى الجَهْلِ(٨)

والشُّؤْمُ مِنْهَا فِى ذَوَاتِ الحِجْلِ(٩) وغُرَّةٍ تَصْدَعُ جَمْعَ الشَّمْلِ

---

(١) الأبل : الشديد الخصومة ، أو الذى لايستحى .

(٢) الهجف من النعام : الجافى الثقيل . والهقل : الظليم ، أى ذكر النعام .

(٣) الحوت : السمكة ، وأنث ضميره لمعناه .

(٤) الجيأل : الضبع ، معرفة بغير ألف ولام ، وقالها كراع بالألف واللام .
وأنشد للعجاج :

* وصاحب الإقتار لحم الجيأل *

(٥) الرفق : لطافة الفعل . ط : « نمل » خلافا لما فى الأصل .

(٦) التتفل بضم التاء والفاء وفتحهما وكسرهما ، وبفتحها مع ضم الفاء ، وبكسرها مع فتح الفاء : الثعلب .

(٧) الخزز ، كصرد : الذكر من الأرانب .

(٨) مع وضوح هذه الكلمة فى الأصل ذكر ناشر ط أنها غير مقروءة !

(٩) هذا الشطر وما بعده إلى آخر الأرجوزة سبق فى ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

فَهِيَ خِلاَفُ الفَرَسِ الهِبَلِّ وكُلِّ طِرْفٍ ذَائِلٍ رِفَلِّ
قَدْ حَذِرَ النَّاسُ أَذَاهَا قَبْلِي وعدَّدُوا كلَّ قَتِيلِ بَغْلِ

فقال أخوه ناقضاً عليه ، وهو فى ذلك يُقَدِّم البغلة على البغل ، وهكذا هُما عند الناس فى جملة القول ، فقال :

عَلَيْكَ بالبَغْلَةِ دُونَ البَغْلِ فإنَّهَا جَامِعَةٌ للشَّمْلِ
مَرْكَبُ قاضٍ وإمامٍ عَدْلِ وتاجِرٍ وسَيِّدٍ وكَهْلِ
وهاشِمِيٍّ ذِى بَهًا وَفَضْلِ[1] تَصْلُحُ فى الوَحْلِ وَغَيْرِ الوَحْلِ
والسَّقْيِ والطَّحْنِ وحَمْلِ الرِّجْلِ وهْيَ فى المَشْيِ وتحتَ الرَّحْلِ[2]
أَوْطَا وأنجى مِنْ مَطَايَا الإبْلِ وكُلِّ جَمَّازٍ وذَاتِ رَحْلِ[3]
وطُولُ عُمْرٍ غَيْرَ قِيلِ البُطْلِ[4] تَقْدُمُ فى ذلِكَ غَيْرَ الأَهْلِ
والخَيْلَ والإبلَ وكُلَّ فَحْلِ قَدْ قَتَلَ العُصْفُورَ فَرْطُ الجهلِ
ولَوْ دَرَى كَانَ قَلِيلَ الشُّغْلِ بِلَذَّةٍ تُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ[5]

---

(١) فى الأصل : « ذو بها » .

(٢) كتب تحتها فى الأصل « ح » علامة الإهمال . لكن جعلت فى ط « الرجل » بالجيم خلافا لما فى الأصل .

(٣) وضع تحت الحاء فى الأصل « ح » علامة للإهمال . لكن جعلت فى ط « رجل » بالجيم .

(٤) القيل ، بالكسر : القول والبطل ، بالضم : الباطل .

(٥) يعنى كثرة سفاده لأنثاه، وذلك سبب لقصر عمره . الحيوان ١ : ١٣٧و٢ : ٣٣٠ و ٥ : ٢٠٧ ، ٢٢٣ و ٧ : ٢٢١ .

فَدَعْ مَديحى وهِجَاء بَغْلِى فَلَوْ ذَمَمْتَ القَمَرَ المُجَلِّى
وَجَدْتَ فِيهِ بَعْضَ مَا قد يَقْلِى[1]

ولمّا تعاور أبا الخطّاب الأعمى[2] أبو دُلَف[3]، وجعفر بن أبى زُهَيْر[4]، وهما يتعصَّبان لمَعْدَانَ الأعمى[5]، فقال:

كمَا شَدَّ عَيْنَ البَغْلِ طَحَّانُ قَرْيَةٍ
لِيَجْمَع بَالَ البَغلِ للدَّورِ والطَّحْنِ[6]
ولَوْ أَنَّ عَيْنَ البَغْلِ زَالَ عِصَابُهَا
لمَا كَىَ شِهَابَ القَذْفِ فى أثَرِ الجِنِّى

(١) أى بعض ماقد يقليه القمر، أى يكرهه غاية الكراهة. وجعلت فى ط: «بعض مالعلى»، خلافا لما فى الأصل.

(٢) هو أبو الخطاب محمد بن سواء بن عنبر السدوسى العنبرى البصرى، روى عن سعيد بن أبى عروبة وشعبة وأبى معشر وغيرهم. وروى له البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة. توفى سنة ١٨٧. تهذيب التهذيب ٩: ٢٠٨ ونكت الهميان ٢٥٢.

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلى، نسبة إلى عجل بن لجيم ابن صعب. وهو أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده. وكان كريما سريا جوادا ممدحاً شجاعا ذا وقائع مشهورة. توفى ببغداد سنة ٢٢٥. تاريخ بغداد ٦٨٦٩ ووفيات الأعيان ١: ٤٢٣ – ٤٢٥.

(٤) ذكره الجاحظ فى البخلاء ٦٤ وذكر لأبى الشمقمق هجاء فيه تجد تخريجه فى الحيوان ٣: ٣١٧. واسم أبى زهير وهب، كما يفهم مما سيأتى.

(٥) هو أبو السرى معدان الأعمى المديرى، نسبة إلى المدير على هيئة التصغير وهو موضع قرب الرقة. وكان معدان أحد الشميطية. انظر حواشى الحيوان ٥: ٢٣٦.

(٦) فى الأصل و ط: «ليجمع مال»، والوجه ما أثبت.

وقال أيضاً :

وليس الْعَمَى فى كُلِّ حالٍ نَقِيصةً
وَنَقْصُ الْعَمَى أجدَى عَليكَ مِنَ البَصَرْ

فَسَائِلْ بِغَالَ الطَّحْنِ إنْ كُنتَ جاهِلاً
ولو حَجَبُوا تِلكَ العُيُونَ عنِ النَّظَرْ

وَلَوْلاَ انْطِبَاقُ العَيْنِ مَا كَانَ طَاحِنٌ
ولاَ كَانَ مَطْحُونٌ بصَخْرٍ وَلاَ مَدَرْ[1]

لأنَّ أبا دُلَف كان قال :

وليس لِمَكْفُوفٍ خَوَاطِرُ مُبْصِرٍ
وذُو الْعَيْنِ والتَّمْيِيزِ جَمُّ الخَوَاطِرِ

لأن أبا الخطَّاب كان فخر عليهم بجودة حفْظ العُميان ، وكان جعفر ابن وهْب[2] قد قال :

هـلِ الحِفْظُ إلاَّ لِلصَّبِيِّ ، وذُو النُّهَى
يمُارِسُ أشغالاً تُشَرِّدُ بالذِّكرِ[3]

فَإِنْ كَانَ[4] قَلْبُ الْغُمْرِ للحِفظِ فارِغًا
تنَاوَلَ أَقصَاهُ وإنْ كانَ لا يَدْرِى

---

(١) أهل المدر : أهل القرى؛ لأن بيوتها مبنية بالمدر ، وهو الطين . وهم أهل الحضر وأهل الصخر : أهل الجبال والصحارى .

(٢) هو جعفر بن أبى زهير ، كما يفهم من الحديث .

(٣) ط : « للذكر » ، خلافا لما فى الأصل .

(٤) لم يظهر من هاتين الكلمتين فى الأصل إلا النون الأخيرة .

يَهُــذُّ أُمُورًا ليس يَعْرِفُ قَدرَهَا
وهل يَعْرِفُ الأَقْدارَ غيرُ ذَوِى القَدْرِ[١]

وقال أبو دُلَف فى بعض تلك المسابقات :

ولَيْسَ فَرَاغُ القَلْبِ مَجْدًا ورِفْعَةً
ولـكنَّ شُغْلَ القَلْبِ لِلْهَمِّ دافِـعُ
وذُو المَجْدِ محمولٌ عَلَى كُلِّ آلَةٍ
وكُلُّ قَصِيرِ الهَمِّ فى الحىِّ وادِعُ

فزعم أنَّ الأعمى إنَّما يحفظ لقلّة خواطره وشواغله . وعلى قدر الشواغل والخواطر تنبعث الهمة ، وتصحّ الرويَّة ، وتبعُد الغاية .

[الانتفاع بالبغال فى الطحن]

وقالوا : طَحْن الحمير والبغال والبقر والإبل ، لا يجىء إلّا مع تغطية عيونها ، ومَنافع الطحن عظيمة جدًّا ؛ وطحن البغال أطيَب وأرْيَع[٢] ، وكَيل ما تطحن أكثر ؛ وطَحين أرحاء القُرَى لا يكون له طِيب ، لأنَّ أرحاء المـاء ، التى هى أرحاء القُرى ، تحدقُ الدَّقيق[٣] ، وتُفسد الطَّعم . فهذه المنفعة الـكثيرة ، للبغال فيها ما ليس لغيرها .

٢٢٦ ظ

ولو كُلِّفَ البِرْذَونُ الطَّحنَ لَهَرِجَ فى ليلةٍ واحدةٍ[٤] .

---

(١) هذّ الحديث هذا : سرده وأسرع فى قراءته .

(٢) أربع : أكثر ريعاً ، والريع بفتح الراء : النماء والزيادة .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) هرج يهرج هرجاً ، بالتحريك : أخذه البهر فلم ينبعث .

والبغل لا يَصرَد كما يصرَد الحمار ، ولا يهرَج كما يهرج البرذون .

وفى أمثال العامّة : الحمار لا يَدْفَأ فى السنة إلّا يوماً واحداً ، وذلك اليومَ أيضاً لا يَدفأ ، كأنهم قضَوْا بذلك إذ كان عندهم فى الصَّرَد ووِجدان البرد ، فى مجرَى العنز والحيَّة والجرادة ، وإن كان المثل قد سبق فى غيره ، يقال[1] : « أصرد من جَرادة » ، و « أصرد من حيّة »[2] .

[مقايسة بين الفيل والبغل]

وقال بعض من يحمَد البغل : البغل لا يصرَد كما يصرَد الحمار ، ولا يهرَج كما تهرَج الرَّمَكة فى الحرّ ، والبغل يطحن ، وهو فوق كلّ طاحن . ولو طحن البرذون يوماً واحداً فى الصَّيف لَسقط . ألَا ترى أن الثور يطحن والجاموس أقوى منه وهو لا يطحن ، وهو أيضاً ممّا يَهْرَج .

وليس البغل كالفِيَلة : الفيلة لا تلقح إلَّا فى أماكنها ، والبغلة قد تلقَح فى جميع البُلدان ، ولكنّ أولادها لا تعيش ، والفيل الشابّ لا ينبت نابه عندنا .

ولما سمع أبو الربيع الغَنَوىّ أنّ كسرى كان يَعُول تسعمائة فيل ، ويُنفق عليها وعلى سُوّاسها ، ويقوم بشأنها ومَئونتها ، قال :

يزعُمون أنه كان مُصْلِحاً ، وسائساً مدبِّراً ؟ كان ــ والله ــ عندى يحتاج

---

(١) فى الأصل : « قال » .

(٢) انظر لصرد الجرادة الحيوان ٥ : ٥٥٢ و الحية ٦ : ٥٥ والعنز ٥ : ٤٦٠ و ٦ : ٥٥ .

إلى أن يُحْجَرَ عليه ، انظروا كم كان يستهلك من الأموال عليها فى غير ردّ[1] ، فإن كان يريد أن يباهِيَ بها ، ويهوّل بها فى الحروب ، حَبَس منها بقدرِ ذلك .

ولقد رأى رجل فى المنام أنّه ركب فيلا ، وقَصّ رُؤْياه على ابن سيرين ، فقال : « أمرٌ جسيم ، ولا منفعة فيه » .

والفِيَلة إنمـا يفتخر بها السُّودان ، كالحَبَشة والهِنْد ، فأمّا ملوك العراق فإنّما يتّخذون منها بقدر ما يقال إنّ عندهم من كلّ شىء شيئاً . وأيضاً لأنّ الفيل خَلْقٌ عجيب ، ومعتبَر لمن فـكّرَ . وكلّ شىء عجيبٍ فهو أبعثُ على التّفـكير من غيره .

[حديث إنزاء الحمير على الخَيل]

ولمـا رَوَى المدائنىّ والواقدىّ[2] وغيرهما ، أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، لمّا استأذن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى إنزاء الحمير على الخيل ، قال : « إنمّا يَفعَلُ ذلِكَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ » . قال قوم : جاء الحديث عامًّا فى ذكر الخيل ، ولم يَخُصّ العِتاق دون البراذين ؛ لأنّ اسم الخيل واقع عليهما ٢٢٧ و

---

(١) الرد : النفع والفائدة ، يقال هو أرد عليه ، أى أنفع .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى . فالواقدى نسبة إلى جده ، والأسلمى : نسبة إلى مواليه من بنى أسلم . وكان من أهل المدينة وانتقل إلى بغداد ، وولى القضاء بها للمأمون . وكان عالما بالمغازى والسير والفتوح والأخبار . ولد سنة ١٣٠ وتوفى سنة ٢٠٧ . الفهرست لابن النديم ١٤٤ وتاريخ بغداد ٣ : ٣ – ٢١ والمعارف ٢٢٦ وابن خلـكان ١ : ٥٠٦ والسمعانى ٥٧٧ .

جميعاً ، قال الله سبحانه : ﴿ والخَيْلَ وَالبِغَالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها[١] ﴾ ، أفتظنّون أنه ذكر إنعامه عليهم بما خوّلهم من المراكب ، فذكر البغال والحمير وترك البراذين ؟

فأمّا أبو إسحاق[٢] فإنه قال : هذا الحديث مختلفٌ فيه ، وله أسانيد طِوال ، ورجالٌ ليسوا بمشهورين من الفقهاء بحملِ صحيح الحديث . ويجوز أن ينهى عن إنزاء الحمير على الحجور والرِّماك جميعاً ، فإن جلب جالب ذلك النِّتاج جاز بيعُه وابتياعه ، ومِلْكه وعتقه . وخِصاؤه فى الأصل حَرام .

وقد أهدى المُقَوْقِس عظيمُ القِبْط إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم خَصيًّا[٣] ؛ وكان هذا الخصىّ أخا مارية أمّ إبراهيم ابن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقبل هديّته ، وأرسل إليه ببغلة من نِتاج ما بين حِجْر وعَيْر ، وليس فى هذين[٤] [الكلام ، إنما[٥]] الكلام فى الإخصاء وحدَه ، والإنزاء وحدَه فى أصل العَمل ، فأما إذا ما تمّ الأمر بينهما، فإن بيعهما وابتياعهما حَلال .

قال : ولا نترك قولاً عامًّا قاله الله تعالى فى كتابه ونصَّه ، لحديثٍ لا ندرى كيف هو ، وقد قال الله جلّ وعزّ ، وهو يريد إذْكار الناس نِعمَهُ السابغة ، وأياديَه المجلّلة حين عدَّد عليهم ، فقال : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ ؛ فمن أين جاز لنا أن نخصَّ شيئاً دون شىء .

---

(١) الآية ٨ من سورة النحل .
(٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .
(٣) انظر الحيوان ١ : ١٦٣ . ولم يذكر فيه أنه أخو مارية .
(٤) فى الأصل : « بين هذين » .
(٥) موضعهما بياض فى الأصل بمقدار كلمتين .

باب

ماجاء فى الـكوادن

قال الشاعر[١] :

جُنَادِفٌ لاحِقٌ بِالرَّأْسِ مَنْـكِبُهُ   كأَنَّه كَوْدَنٌ يُوشَى بِكُلَّابِ[٢]

وكلّ غليظٍ بعيد من العَنَق فهو كَوْدَن ، قال ابن قَمِيئة[٣] :

يَسَرٌ يُطْعِمُ الأَرَامِلَ إِذْ قَـــلَّصَ دَرُّ اللِّقَاحِ فى الصِّنَّبْرِ[٤]

ورَأَيْتَ الْإِمَاءَ كالجِعْثِنِ البَا   لِي عُـكُوفاً عَلَى قُرَارَةِ قِدْرِ[٥]

٢٢٧ظ

ورَأَيْتَ الدُّخَانَ كالـكَوْدَنِ الأَصْـــحَمِ يَنْبَاعُ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ[٦]

---

(١) هو جندل بن الراعى ، يهجو جريرا ، أو يهجو عدى بن الرقاع ، اللسان (جندف ، كدن ، وشى) ونسبه فى اللسان (كلب) لجندل أو لأبيه الراعى .

(٢) الجنادف : الغليظ القصير الرقبة . والـكودن : البرذون . ويقال أوشاه يوشيه ، إذا استحثه بمحجن أو كلاب .

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. دخل بلاد الروم مع امرىء القيس فهلك فقيل له « عمرو الضائع ». المؤتلف ١٦٨ والخزانة ٢ : ٢٤٩ والأغانى ١٦ : ١٦٣ والشعراء ٣٣٦ وابن سلام ٥٩ .

(٤) هذا صواب ما فى الحيوان ٥ : ٧٣ : « ليس طعمى طعم الأنامل » . وفى ٦ : ٣٥٦ : «ليس بالمطعم الأرانب » . واليسَر : اللاعب بقداح الميسر . واللقاح: جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب . قلص درها : ارتفع لبنها . والصنبر : شدة البرد .

(٥) الجعثن : أصل كل شجرة إلا شجرة لهاخشب . شبههن به فى التقبض وشوه الخلق مما أضر بهن الجرب وسوء الغذاء . عكوفا : مستديرات حولها . والقرارة ، بالضم : ما لزق بأسفل القدر من مرق ، أو حطام تابل محترق ، أو سمن أو غيره .

(٦) فى الحيوان : « كالودع الأهجن » . ينباع : يجرى جرياً لينا .

حَاضِرٌ شَرُّكُمْ وَخَيْرُكُمُ دَ رُّ خَرُوسٍ مِنَ الْأَرَانِبِ بِكْرِ[١]

وفى ذمّ البغال يقول عَرْهَم بن قَيْس الأسَدِىّ[٢] :

إنّ الْمُذَرَّعَ لَا تُغْنِى خُئُولَتُهُ

كَالْبَغْلِ يَعجِزُ عَنْ شَوْطِ الْمَضَامِيرِ[٣]

وقال الفرزدق :

سِوَى أَنَّ أَعرافَ الكَوادِنِ مِنْقَرًا قَبِيلةُ سَوْءٍ بارَ فى النَّاسِ سُوقُها[٤]

وإنما قالت حُمَيْدة بنت النُّعْمان بن بَشير لزَوْجها رَوْح بن زِنْباع :

وهلْ أَنَا إِلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ[٥]

فإِنْ نُتِجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالحَرَى

وإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قِبَلِ الفَحلِ[٦]

---

(١) الدر : اللبن . والخروس : البكر فى أول حملها . وانظر حواشى الحيوان ٥ : ٧٣ والمعانى الكبير لابن قتيبة ٢١٠ . وفى كثير من الروايات : « شركم حاضر » .

(٢) فى اللسان (ذرع) : « قال ابن قيس العدوى » . وقد ذكر فى تهذيب الأسماء ٧٩٦ عرهم بن قيس العدوى . والعدوى : نسبه إلى عدى بن نوفل أسد بن عبد العزى . انظر ابن حزم ١٢٩ .

(٣) المذرع : الذى أمه أشرف من أبيه . وفى اللسان : « لا تعنى خؤولته » ، وما هنا صوابه . وفيه أيضاً : « عن شوط المحاضير » .

(٤) فى ديوان الفرزدق ٥٧١ : « خلا أن » .

(٥) انظر سمط اللآلى ١٧٩ حيث تخريج الشعر وتحقيقه .

(٦) كذا بالإقواء هنا ، وفى الأغانى ٨ : ١٣٤ وسمط اللآلى : « فما أنجب الفحل » ، بدون إقواء .

فوضعت البغل فى موضعه . فقال رَوْح[1] :

رَضَى الأَشْيَاخُ با[لفِطْيَوْن[2]] بعــلاً
وتَرْغَبُ فى المَنَاكِحِ عَنْ جُـــــذَامِ

يَهُودِىٌّ له بُضْعُ الجـوارِى فقُبْحًا لِلـكُهُولِ ولِلغُلَامِ[3]

وقال الآخر :

وما كَثُرَتْ بَنُو أَسَدٍ فَتُخْشَى لِـكَثْرَتِهِمْ ولا طَابَ القَلِيلُ
قُبَيِّلَةٌ تَذَبذَبُ فى مَعَــدٍّ أنوفهمُ أَذَلُّ مِنَ المَسِيلِ
تَمَنَّى أَنْ تَـكُونَ أَخَا قُرَيْشٍ شَحِيجَ البَغْلِ مُلتَمِسَ الصَّهِيلِ

---

(١) الشعر التالى نسب فى الأغانى ٨ : ١٣٤ إلى ابن عم لروح بن زنباع . أما روح فقد روى له أبو الفرج :

فما بال مهر رائـع عرضت له أتان فبالت عند جحفلة الفحل
إذا هو ولى جانبــاً ربخت له كما ربخت قمراء فى دمث سهل

(٢) موضعها بياض فى الأصل . وإثباته من الأغانى ٨ : ١٣٤ ، وروايته فيها :

رضى الأشياخ بالفطيون فحــلا وترغب للحماقة عن جذام

ورضى ، بفتح الضاد مع القصر : لغة فى رضى لطئ . وكذا لغتهم فى كل ياء انكسر ما قبلها ، يقولون بَقَـى ورَضى وفنى . اللسان (بقى ٨٦) .

والفطيون : ملك اليهود بالمدينة ، واسمه عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو . وكان يعتذر النساء قبل أزواجهن ، أى يفترعهن . انظر الاشتقاق ٤٣٦ ونوادر المخطوطات ٢ : ١٣٦ – ١٣٧ والأغانى ٢ : ١٨٠ . وفى ط : « بغلا » بالغين المعجمة ، خلافاً لما فى الأصل .

(٣) فى الأغانى : « بضع العذارى » . والبضع ، بالضم : الفرج ، والجماع ، والنـكاح .

وقال زيادٌ الأعْجَم[١] :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ البَغْلَ يَتْبَعُ إِلْفَهُ كَمَا عَامِرٌ واللُّؤْمُ مُؤْتَلِفَانِ

وقال الكُمَيْت :

٢٢٨ و

ومَا حَمَلُوا الحَمِيرَ عَلَى عِتَاقٍ مُطَهَّمَةٍ فَيُلْفَوْا مُبْغِلِينَا

ومَا سَمَّوا بِأَبْرَهَةَ اغْتِبَاطاً بِشَرِّ خُتُونَةٍ مُتَزَيِّنِينَا

باب

ذكر ركوب نساء الأشراف البغال

قال : لَمَّا أُهديَتْ ابنة عبد الله بن جعفر إلى يزيد بن معاوية على بغلة ، قال يزيد[٢] :

جَاءَتْ بِهَا دُهْمُ البِغَالِ وشُهْبُها مُسَيَّرَةً فى جَوْفِ قَرٍّ مُسَيَّرِ[٣]

مُقَابَلَةٌ بينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ عَلِيٍّ والجَوَادِ ابْنِ جَعْفَرِ[٤]

مَنَافِيَّةٌ غَرَّاءُ جَادَتْ بِوُدِّهَا لِعَبْدٍ مَنَافِيٍّ أَغَرَّ مُشَهَّرِ[٥]

---

(١) هو زياد بن سلمى ، ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامر ، من عبد القيس ، وكان ينزل إصطخر ، وكانت فيه لكنة ، فلذلك قيل له الأعجم . وهو من شعراء الدولة الأموية ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . الشعراء ٣٩٥ والخزانة ١٤ : ٩٨ والمؤتلف ١٣١ .

(٢) فى الأغانى ١٦ : ٨٧ أن الشعر لخالد بن يزيد ، وأنه هو الذى تزوج بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

(٣) وكذا ورد البيت بالحرم فى الأغانى . وفى الأغانى : «مقنعة» بدل «مسيرة» . والقر ، بالفتح : الهودج . وفى الأغانى : « فى جوف حدج مخدر » .

(٤) فى الأغانى : « والحوارى وجعفر » .

(٥) فى الأغانى : « منافية جادت بخالص ودها » .

وقال ابن أبي رَبيعة :

هِيَ الشَّمسُ تَسْرِى بهـا بَغْلَةٌ … وما خِلْتُ شَمْسًا بِلَيلٍ تَسيرُ[(١)]

وقال الآخر[(٢)] :

مَرَّتْ تُزَفُّ على بَغْـــلَةٍ … وفَوقَ رِحالَتِها قُبَّـهْ[(٣)]

زُبَيْرِيَّةٌ مِنْ بَنـاتِ الَّذِى … أَحَلَّ الحَرَامَ مِنَ الكَعْبَهْ[(٤)]

تُزَفُّ إلى مَلِكٍ ماجِـــــدٍ … فَلَا بالرِّفَا ، وبِهَا الوَجْبَهْ[(٥)]

ولقى عُمَر بن أبي ربيعة عائشة بنت طَلْحة ، وهى على بغلة ، فاستوقفها وأنشدها[(٦)] :

يارَبَّةَ البَغْلَةِ الشَّهْباءِ هل لَكمُ … فى عاشِقٍ دنِفٍ لاتُرْهَقِى حَرَجا[(٧)]

---

(١) فى ديوان عمر ١٦٣ : « تسرى على بغلة » .

(٢) هو السيد الحميرى ، قاله حينما مرت عليه بالأهواز أسماء بنت يعقوب ، وهى من ولد عبد الله بن الزبير ، وقد زفت إلى إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس . الأغانى ٦ : ٣٠ و ٧ : ١١ .

(٣) وكذا فى الأغانى ٦ : ٣٠ لكن فى ٧ : ١١ : « أتتنا تزف » .

(٤) كان أهل الشام يسمون عبد الله بن الزبير « المحل » ؛ لأنه أحل الكعبة بمقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها . كما كان أهل الحجاز يسمون الحجاج بن يوسف « المحل » أيضاً ، لعدوانه على البيت . الأغانى ٦ : ٢٩ – ٣٠ .

(٥) الوجبة : السقوط مع صوت شديد . وفى الأغانى : « فلا اجتمعا وبهـا الوجبه » ، و « فلا اجتمعوا وبه » .

(٦) القصة بتفصيل فى الأغانى ١ : ٧٩ .

(٧) فى الديوان ٤٦١ : « هل لكم أن ترحمى عمرا » . وفى الأغانى : « هل لك فى أن تنشرى ميتاً » .

قَالت : بِدائِكَ مُتْ أَوعِشْ تُعالِجُهُ   فما نَرَى لَكَ فيما عِنْدَنَا فَرَجا

قد كُنْتَ جَـــــرَّعْتَنِى غَيْظًا أُعالِجُه

وإِنْ تُرِحْنى فَقَدْ عَنَّيْتَنِى حِجَجَا[1]

فَقُلْتُ : لا والّذِى حَجَّ الحَجِيجُ لهُ   مَامَحَّ حُبُّكِ مِنْ قَلْبِى وما نَهَجَا[2]

وقال الآخر[3] :

قِفِى يا رَبّةَ البَغْـــــلِ   أُخَبِّرْكِ عَلَى رِجْلِ[4]

فبينـــا ذَاكَ إِذْ نَادَى   مُنَـــادٍ غَيْرَ ما خَتْـلِ[5]

فعُجْنَـــا بِامْرِئٍ ضَخْمٍ   على أَهْوَجَ كالهِقْلِ[6]

وعُجْنَـــا كُلَّ مُسْوَدٍّ   ومَمْسُودِ القَرَا عَبْـلِ[7]

إِذَا لَمْ تَكُ ذا رَأْيٍ   وذا قَوْلٍ وذا عَقْـــلِ

وَقَالَتْ أُخْتُهـا الصُّغْرَى   رَدَدْناهُ إِلى غُفْـــلِ[8]

٢٢٨ ظ

---

(١) الديوان : « حملتنى غيظا » و « فإن تقدنى » ، أى تنصفنى من نفسك . وفى الأغانى : « حملتنا غيظا نعالجه فإن بعدنا » .

(٢) مح : أخلق وبلى ، وكذلك نهج .

(٣) هو ابنة الخس ، كما فى اللسان (حجا) ما عدا البيت السابع « ترى الفتيان » فإنه مضمن فى الشعر وقائله هو عثمة بنت مطرود البجلية ، كما فى أمثال الميدانى.

(٤) الرجل : الخوف والفزع من فوت الشىء ، يقال : أنا من أمرى على رجل ، أى على خوف من فوته .

(٥) فى ط : « قدرنا ذلك» خلافا لما هو واضح فى الأصل . والختل : الخداع .

(٦) أهوج ، تعنى به بعيرا . والهقل : الظليم ، وهو ذكر النعام ، شبهه به .

(٧) المسود : المجدول الخلق . والقرا : الظهر . والعبل : الضخم .

(٨) فى اللسان (حجا ١٨٠) :

قالت قالة أختى   وحجواها لهـــا عقل

تَرَى الفِتْيَانَ كالنَّخْلِ وما يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ[١]
ولَيْسَ الشَّأْنُ فى الوَصْلِ ولٰكن يُعرف الفَضْلُ

باب

[ذكر أخبار ومسائل شتى]

وحدّث مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِىّ[٢] عن بعض أشياخه، قال : إنّا لَبِالأَبْطَح أيّامَ الموسِم، إذ أقبل شيخٌ أبيضُ الرأس واللحية، على بغلة شهباء، وما نَدْرِى أهو أشدّ بياضًا، أم بغلتُه، أم ثيابُه، فاندفع يغنّى :

أَسعدِينى بِعَبْرَةٍ أَسرَابِ مِنْ دُمُوعٍ كَثِيرَةِ التَّسْكَابِ[٣]
فَارَقُونِى وقد عَلِمْتُ يَقِينًا مَا لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً مِنْ إِيَابِ

---

(١) وكذا فى أمثال الميدانى والبيان ١ : ٢٢٠ وشرح الحماسة للمرزوقى ٩٢٤ وفيه إقواء . وفى اللسان (دخل) : « بالدخل » ، فلا إقواء فيه .

(٢) هو أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى ، صاحب كتاب « نسب قريش » الذى نشره بروفنسال ١٩٥٣ . وهو عم الزبير بن بكار . وكان مصعب صاحب رواية ونسب ، وروى له أبو الفرج فى الأغانى أشعاراً . ولد سنة ١٥٦ وتوفى سنة ٢٣٦ . الفهرست ١٦٠ وتاريخ بغداد ١٣ : ١١٢ – ١١٤ وشذرات الذهب ٢ : ٨٦ .

(٣) لكثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة السهمى فى الأغانى ١ : ١٢٤ و ٢ : ١١٨ و ٨ : ١٠٥ ، ١٠٦ ومعجم البلدان (صفى السباب) . ط : « أسعدانى » خلافاً لما هو واضح فى الأصل ، وإن كانت « أسعدانى » إحدى روايتى أبى الفرج . وكثير بفتح الكاف وكسر الثاء ، وترجمته فى المؤتلف ١٦٩ ومعجم المرزبانى ٣٤٨ . وضبط سهوا فى جمهرة ابن حزم ١٦٤ بهيئة التصغير .

ثم ضرب دابّته وذهب ، فأدركناه ، فإذا هو حُنَيْنٌ النَّخَعِىّ[(١)] ، وكان نصرانيًّا مستهترًا بالغناء .

ومن حديث المُغيرة بن عَنْبَسَة عن بعض أشياخه قال : قال كعب الأحبار[(٢)] . . . .[(٣)] فإذا هو شيخ أبيض الرأس واللحية ، أبيض الثياب ، على بغلة بيضاء .

وحدّثنى صـديقٌ لى ، قال : أوَّلَ يوم دخلتُ الرَّقّة ـ وذلك فى أيام الرشيد ـ استقبلَنى الشاعر اليَمامىّ المتـكلم[(٤)] ، الذى يقول : « إِنِى تَيْمِىّ » ، فإذا هو أسود ولحيتُه سوداء ، وثيابُه سُود ، وعمامته سوداء ، وسرجه أسود ، وسَمُّور سرجه أسود[(٥)] ، وهو على بِرْذَون أدهم ، وقد ركبـه غُبارٌ ، فقلتُ : أعوذ بالله من هـذا الزِّىّ ! أهل خُراسان الذين هم أهل الدَّعْوَة ، ومَخْرَج الدولة ، لا يتـكلّفون جميع هذه الخِصال كلّها لأنفسهم ،

---

(١) ترجم له أبو الفرج فى ٢ : ١١٦ ـ ١٢٣ . وهو حنين بن بلوع الحيرى . وكان شاعراً مغنياً فحلا من فحول المغنين ، غنى لهشام بن عبد الملك ، وكان خالد بن عبد الله القسرى قد حرم الغناء بالعراق وأذن له خاصة به حين أعجب بصوته .

(٢) هو كعب بن ماتع الحميرى ، كان يهودياً وأسلم فى خلافة عمر ، وكان يقص فبلغه حديث النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو محتال » فترك القصص ، حتى أمره معاوية فصار يقص بعد ذلك . ومات بحمص سنة ٣٢ . الإصابة ٧٤٩٠ والمعارف ١٨٩ .

(٣) بياض فى الأصل بمقدار كلمات ثلاث .

(٤) ذكره الصولى فى الأوراق ٧٦ باسم « التيمى بن محمد » ، وذكر قصة له مع الرشيد . وانظر الحيوان ٤ : ٢٤ والبيان ١ : ٤٠ .

(٥) السمور : دابة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان .

٢٢٩ و واكتفَوا بسَواد ثيابهم ! وإذا هو يتعرّض لصـاحب الأخبار ، طَمَعًا في أن يَرفع خبره ، فينال بذلك مرتبةً ، فقلتُ له : واللهِ إنّ هـذا الزىّ لَقبيح من أهل هذه الدولة ، فما ظَنُّكَ بإنسان يمامىّ مرّةً وتَيمىّ مرّة ؟ ! واللهِ أَنْ لو رُفعتَ في الخبَر ، لارتفعتُ معك حتى أُخبِرَ عنك !

وحدّثنى عمرو القِصَافىّ الشاعر[1] ، قال : دعانا فلان بن فلان الفلانىّ ، وهم قوم يُعْرَفون بالدِّعوة[2] ، فدعانا إلى منزله في أيام دِعوتهم إلى العرب ، فإذا هو قد ضرب خيمةً ، وإذا حوله غُنيات ، وإذا في الدار بعير أجربُ ، وريح الهِناء والقَطِران[3] ؛ فدعا بالطَّعام ، فإذا خُبزة قد ثَرَد نصفهـا في لبن ، وكَسَر بين أيدينا النصفَ الآخر ، ثم دعا بالنبيذ ، فإذا هو في عُسٍّ خَشَب ، وإذا نبيذُ تمر ، ثم دعا بنُقْل فإذا بأقِطٍ ومُقْلٍ وتَنُّوم[4] ، ثم دعا برَيْحان ، فإذا خُزَامَى وعُبَيْثَرانٌ[5] وشِيح ، وإذا عنده شادٍ وهو يغنّى ، فَتًى أمرَدُ

---

(١) هو عمرو بن نصر التيمى القصافى البصرى ، من إخوان محمد بن يسير . وكان مشهورا بالعين ، يعين كل شىء يستحسنه ، فعان حسناء مغنية ، فانصرفت محمومة شاكية العين ، فقال فيه ابن يسير :

إن عمراً جنى بعينيه ذنبا   قل منى عليه فيه الدعاء

الأغانى ١٢ : ١٢٨ وطبقات ابن المعتز ٣٠٥ وكتاب الورقة ٧

(٢) الدعوة ، بالكسر : أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته . وفى الحديث : « لا دعوة فى الإسلام » .

(٣) الهناء ، بالكسر : القطران ، أو ضرب منه ، تهنأ به الإبل ، أى تطلى ، من جرب أو نحوه .

(٤) التنوم : شجر له حمل صـغار كمثل حب الخروع ، يتفلق عن حب يأكله أهل البادية .

(٥) العبيثران ، بفتح العين مع فتح الثـاء ، وضمها : نبات له قضبان دقاق طيب الريح .

أجرَدُ أبيض ، [فقال صا]حي[١] : ما اجتمع هذا الذى رأينا فى بيت هذا الفتى عند عَقيل بن عُلَّفة[٢] ، ولا عند الزِّبْرِقان بن بَدْر[٣] ، ولا عند عَوْف بن القَعْقَاع[٤] ؛ فإن هؤلاء كانوا مَرَدة الأعراب .

[ما قيل فى حب ركوب البغال]

وقال أبو الشَّمَقْمَق[٥] فى حُبِّ ركوب البغال ، وكان قال . . . .[٦] أَخْبِرْنى عن اسمك وبَلدك ونَسَبك وشهوَتك . قال : أمّا اسمى ونَسَبى فأنا مَرْوان بن محمد ، مولى مروان بن محمد ، وأمّا بَلَدِى فالبصرة ، وأمّا شهوتى فالنبيذ على اللحم السمين . فقال أبو الشمقمق[٧] :

مُنَاىَ مِنْ دُنْيَاىَ هَاتِى الّتى تَسْـلَحُ بالرِّزْقِ عَلَى غيْرِى

---

(١) لم يظهر من هاتين الـكلمتين إلا هذا الجزء فى الأصل .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٥ .

(٣) الزبرقان لقب له ، واسمه الحصين بن بدر ، سمى الزبرقان لحسن وجهه ، وهو من الصحابة الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات حين وفدوا فى بنى تميم . الإصابة ٢٧٨٢ والمعارف ٣٦ ، ١٣١ والسيرة ٩٣٥ وزهر الآداب ١ : ٥ – ٦ .

(٤) عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة التيمى الدارى . صحابى وفد مع أبيه إلى رسول الله وهو غلام . الإصابة ٦٠٩٥ ، ٧١٢٢ .

(٥) هو أبو محمد مروان بن محمد ، المعروف بأبى الشمقمق ، من شعراء البصرة ، قال المبرد : كان ربما لحن ويهزل كثيراً ويجد فيكثر صوابه . قدم بغداد فى أيام الرشيد ، وصاحب أبا نواس وأبا العتاهية ، وله قصة مع بشار : توفى نحو سنة ١٨٠. تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان فى تضاعيف ترجمة يزيد بن مزيد وطبقات ابن المعتز ١٢٦ – ١٣٠ .

(٦) بياض فى الأصل بمقدار كلمتين ، لعلهما « له رجل » .

(٧) القطوعة التالية مما لم يرو فى ديوانه .

الجَرْدَقُ الحاضِرُ مَعْ بَضْعَةٍ مِنْ ماعِزٍ رَخْصٍ ومِنْ طَيْرِ[١]
وجَرَّةٌ تَهْدِرُ مَلآنَةٌ تَحْكِي قِرَاةَ القَسِّ في الدَّيْرِ[٢]
وجُبَّةٌ دَكْنَاءُ فَضْفَاضَةٌ وطَيْلَسَانٌ حَسَنُ النِّيرِ
وبَغْلَةٌ شَهْبَاءُ طَيَّارَةٌ تَطْوِي لِي البُلْدَانَ في السَّيْرِ
وقَيْنَةٌ حَسْنَاءُ مَمْكُورَةٌ يَصْرَعُهَا الشَّوْقُ إلَى أَيْرِي[٣]

٢٢٩ ظ

وبَدْرَةٌ مَمْلُوءَةٌ عَسْجَدًا ما بِالَّذِي أَذْكُرُ مِنْ ضَيْرِ
ومَنْزِلٌ في خَيْرِ ما جِيرَةٍ قَدْ عُرِفُوا بِالخَيْرِ والمَيْرِ[٤]
وصاحِبٌ يَلْزَمُنِي دَهْرَهُ مِثْلَ لُزُومِ الكِيسِ لِلسَّيْرِ
مُساعِدٌ يُعْجِبُنِي فَهْمُهُ مُرتفِعُ الهِمَّةِ فِي الخَيْرِ
كَمْ مِنْ فَتًى تُبْصِرُ ذا هَيْئَةٍ أَبْلَدَ في المَجْلِسِ مِنْ عَيْرِ

وذكر أيضاً البغال ، فقال[٥] :

ما أُرَانِي إلاَّ سَأَتْرُكُ بَغْدَا دَ وأَهْوَى لِكُورَةِ الأَهْوازِ[٦]
حَيْثُ لاَ تُنْكَرُ المَعَازِفُ واللَّهْـوُ وشُرْبُ الفَتَى مِنَ التَّقْمَازِ

---

(١) الجردق : الرغيف ، فارسي معرب .

(٢) يعني جرة النبيذ . والقراة : القراءة ، أي صوت نشيشها يشبه صوت القس . ط : « تحلى » خلافا لما في الأصل .

(٣) الممكورة : المدمجة الخلق المستديرة الساقين .

(٤) أي في خير جيرة ، وهم الجيران . و « ما » زائدة . والمير : الطعام .

(٥) القصيدة مما لم يرو في ديوانه .

(٦) بغداد كذا وردت بالأصل هنا بدالين مهملتين ، وفي الموضع التالي بدال مهملة ثم بذال معجمة .

وجَوَارٍ كأنَّهنَّ نُجُومُ الـــلَّيْلِ زُهْرٌ مِثْلُ الظِّباءِ الجوازِى[1]

واضِحَاتُ الْخُدُودِ أُدْمٌ وبِيضٌ فَاتِنَاتٌ مِيلٌ مِنَ الأعْجَازِ[2]

بَيْنَ عَوَّادَةٍ وَأُخْرَى بِصَنْجٍ فى بَسَاتِينِهَا وفِى الْأَحْـوَازِ

ذَاكَ خَيْرٌ مِنَ التَّرَدُّدِ فى بَغْــدَاذَ تنْزُو بِىَ البِغَالُ النَّوازِى[3]

كُلَّ يَوْمٍ فى كُمَّةٍ وقَمِيصٍ ورِداءٍ مِنَ الغُبَـارِ طِرازِى[4]

لَمْ يَحُـكْهُ النَّسَّاجُ يومًا لِبَيْعٍ لا ولا يُشْـتَرَى مِنَ الْبَزَّازِ

أَخَذَتْ أَهلَهَا الشَّيَاطِينُ بالرَّ كْـضِ لِطُولِ الشَّقَاءِ والإعْوَازِ

كُلُّ شَيْخٍ تَخَالُه حِينَ يبدُو فَوقَ بِرذَوْنِهِ كَشَخْصٍ حِجَازِى

وجَمِيلُ الفُسَيْلُ أُعْنِى أُبْنَ مَحْفُو ظٍ عَدُوُّ النَّدَى وسِلْمُ المَخازِى

أَلِفَتْ اِسْتُهُ الفَيَاشِلَ حَتَّى مَا تَشَكَّى لِلطَّعْنِ بالعُكَّازِ

يأْخُذُ الأَسْوَدَ الذِى يَفْرَقُ الحـــوَّاءُ مِنْهُ كَدَسْتَجِ المِنْحَازِ[5]

لَيْثُ غَابٍ بِدُبْرِهِ حِينَ يَلْقَى وجَبَانٌ فى الحَربِ يَومَ البِرَازِ

---

(١) الزُّهر : البيض. والجوازئ : التى تجزأ بالرطب عن الماء ، أى تكتفى به .

(٢) الميل : جمع ميلاء ، وهى المائلة ، أثقلتهن أعجازهن فملن فى مشيتهن . ط : « مثل من الإعجاز » ، خلافا لما فى الأصل .

(٣) بغداذ : لغة فى بغداد ، وفى ط : « بغداد » خلافاً لما فى الأصل .

(٤) يعنى الغبار الذى تثيره البغال .

(٥) يفرق ، من الفَرَق ، وهو الخوف . والدستج : اليد ، معرب دستك . انظر معجم استينجاس ٥٢٣ . والمنحاز : الهاوَن ، أى المِـدق .

٢٣٠ و

بَعُدَتْ دَارُهُ فَلاَ رَدَّهُ اللّـــهُ ولا زَالَ نَائِيَ الدَّارِ شَازِى[١]

ذَاكَ شَخْصٌ بِهِ عَلَىَّ هَوَانٌ كَهَوَانِ الْخُصَى عَلَى الْخَبَّازِ[٢]

[الخلق المركب]

أمّا ما ذكرنا من أجناس الحيوان المركَّبات ، كالبغل والشِّهْرى[٣] ، والمُقْرِف[٤] ، والهَجين ، وكالبُخْت والبَهْوَنِىّ[٥] ، والصَّرْصَرَانىّ[٦] ، والطير الوَرْدَانىّ[٧] ، والحمام الراعِبِىّ[٨] ، فقد عرفنا كيف تراكيب ذلك ، وعرفنا اختلاف الآباء والأُمّهات . فأمّا السِّمْع والعِسْبار[٩]

---

(١) فى الأصل و ط : « سازى »، صوابه بالشين المعجمة. والشازى : القلق ، مقلوب شائز مع التسهيل ، يقال شئز أى قلق . وأنشدوا لرؤبة :

* شازٍ بمن عوَّه جدب المنطلق *

(٢) الخصى : جمع خصية . وفى الأصل وط : « الحصى » صوابه ما أثبت ، والخصى من أهون اللحوم . والخباز : المراد به الطاهى الذى يجمع بين الخبز والطهو . انظر تحقيق هذا فى حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧ .

(٣) الشهرى ، بالكسر : ضرب من البراذين ، وهو بين البرذون والقرف من الخيل .

(٤) المقرف ، بكسر الراء : الذى أمه عربية وأبوه عجمى .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٣٢٢ .

(٦) الصرصرانى من الإبل : مابين البخت والعراب .

(٧) الوردانى : ضرب من الحمام المشترك الخلق . انظر الحيوان ١ : ١٠٣ ، ٣ : ١٦٣ ، ٢٠٢ .

(٨) الراعبى : ضرب آخر من الحمام المركب ، واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة الصوت . انظر الحيوان ١ : ١٣٧ ، ٢٢٢ و ٣ : ١٦٢ ، ٢٠٢ .

(٩) انظر ما سبق فى ص ٢٩٧ .

والدَّيْسَم[١] والعُدَار[٢] والزَّرافة ، فهذا شىء لم أُحقّه .

وقد أكثر[٣] الناسُ فى هذا وفى اللُّخْم ، وفى الكَوْسج[٤] ، وفى الدُّلْفين[٥] ، وفيما يتراكب بين الثعلب والسِّنَّوْر البرّىّ[٦] ، فإنّ هذا كلّه إنما نسمعه فى الأشعار ، فى البيت بعد البيت، ومن أفواه رجالٍ لا يُعْرفون بالتحصيل والتثبّت ، وليسوا بأصحاب توقٍّ وتوقُّف .

وإذا كان إياس بن مُعاوية القاضى[٧] يزعُم أن الشَّبُّوطة إنما خُلقَت من بين الزَّجْر والبُنّىّ[٨] ، وأنَّ من الدليل على ذلك أن الشبّوطة لا يُوجد فى جوفها بَيْضٌ أبداً ، لأنّها كالبغلة ، فأنا[٩] رأيتُ فى جوفها البيْض مرارًا ، ولكنّه بَيضٌ سَوْء لا يؤكل ، ليس بالعظيم ، ولا يستطيل فى البَطْن كما يستطيل بيضُ جميع أناث السمك .

---

(١) الديسم : ولد الذئب من الكلبة . الحيوان ١ : ١٨٣ .

(٢) العدار ، بضم العين ، ذكر الجاحظ فى الحيوان ٧ : ١٧٨ أنها دابة تنكح الناس باليمن .

(٣) فى الأصل : « أكثروا » .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٢٩٧.

(٥) الدلفين : ضرب من السمك الذى يلد . الحيوان ٧ : ١٢٦ . وفى القاموس : « الدلفين بالضم : دابة بحرية تنجى الغريق » .

(٦) فى الحيوان ١ : ١٤٥ أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية فيخرج بينهما ولد ، وأنشد لحسان :

يبيت أبوك بها مغدفا كما ساور الهرة الثعلب

(٧) انظر حواشى البيان ١ : ٩٨ .

(٨) انظر الحيوان ٦ : ١٨ .

(٩) فى الأصل : « وأنا » .

والشَّبُّوط جنس يكون ذُكرانه أكثر ، فلا يكاد إنسانٌ يقلّ أكله للشبوط يرى بيضَ الشَّبُّوط . فإذا كان إياسٌ يغلَط هذا الغلَط ، فما ظنُّك بمن دونه .

[زواج الإنس بالجن]

وقد يكون هذا الذى نَسمعه من اليمانيَة والقَحْطانيّة ، ونقرؤه فى كتب السِّيرة ، قَصَّ به القُصّاصُ ، وسَمَرُوا به عند الملوك .

وزعموا أنّ بِلقيس بنت ذى مشرح[1] ، وهى ملكة سبأ ، ذكرها الله فى القرآن ، فقال : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ[2] ﴾ ، زعموا أن أمّها جِنّيّة ، وأن أباها إنسىّ[3] ، غير أن تلك الجنّيّة وَلَدَت إنسيّةً خالصةً صِرْفًا بحتًا ، ليس فيها شَوْب ، ولا نَزَعَها عِرْق ، ولا جَذَبها شَبَه ، وأنّها كانت كإحدى نساء الملوك .

فاحسُبْ أنّ التناكُح يكون بين الجنّ والإنس ، من أين أوجبوا التلاقُح ، ونحن نجد الأعرابىّ والشابَّ الشَّبِق ، ينيكان الناقة والبقرة والعنز والنعجة ، وأجناساً كثيرة ، فيُفْرِغون نُطَفهم فى أفواه أرحامها ، ولم نر ولا سمعنا على طول الدهر ، وكثرةِ هذا العمَل الذى يكون من السُّفهاء ، ألقحَ منها شىءٌ من هذه الأجناس ، والأجناس على حالهم من لحم ودَم ، ومن النُّطف خُلِقوا . وأصل الإنسان من طين ، والجانّ خُلق من نار السَّموم ، فشَبَهُ ما بين الجنّ والإنس ، أبعد من شَبَه ما بين الإنسان والقِرْد . وكان ينبغى للقِرَدة أن تَلقَح من الإنسان . ٢٣٠

(١) كذا فى الأصل . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٩ .
(٢) الآية ٢٣ من سورة النمل .
(٣) انظر الحيوان ١ : ١٧٧ و ٦ : ١٨٧ ، ٢٦٩ .





[رجع إلى زواج الإنس بالجن]

وكلّ ما قالوا من أحاديثهم فى الخلق المركّب ، فهو أيسر من قولهم فى ولادة بلقيس[(١)] .

وهم يَرْوُون فى رواياتهم فى تزويج الإنسان من الجنّ ، حتى جعلوا قول الشاعر[(٢)] :

يا قاتلَ اللهُ بَنِى السِّعْلاةِ عَمْرًا وقابُوسًا شِرارَ النَّاتِ

ـ يريد : الناس ـ أنه الدليل[(٣)] على أن السِّعلاة تلد الناس .

هـذا سوى ما قالوا فى الشِّقّ[(٤)] ووَاق وَاق[(٥)] ودُوَال باى[(٦)] ، وفى الناس والنسْناس[(٧)] .

= له بلاء حسن فى الإسلام ، وكان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن العوم والرمى . توفى بحوران لسنتين ونصف من خلافة عمر . المعارف ١١٢ والسيرة ٢٩٨ والاشتقاق ٤٥٦ . وذكر الجاحظ فى الحيوان ٦ : ٢٠٩ أن الجن قد رثته بشعر .

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٧١ . وخبر ولادتها من جنية فى التيجان لوهب ابن منبه ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .

(٢) هو علباء بن أرقم ، كما فى حواشى الحيوان ٦ : ١٦١ حيث تخريج الرجز

(٣) فى الأصل : « أن الدليل » .

(٤) انظر الحيوان ١ : ١٨٩ و ٦ : ٢٠٦ و ٧ : ١٧٨ .

(٥) زعموا أنه نتاج ما بين نبات وحيوان . الحيوان ١ : ١٨٩ . وانظر أيضاً ٧ : ١٧٨ وحياة الحيوان للدميرى فى آخر الكلام على (السعلاة) .

(٦) زعموا فيه كما زعموا فى سابقه . الحيوان ١ : ١٨٩ و ٧ : ١٧٨ . وفى معجم استينجاس ٥٣٩ أن « دوال باى » يطلق على جنس هندى يزعمون أنه له أرجلا دقيقة مرنة شبيهة بالسيور ، فهو كسيح يتحين فرصة العثور على المسافرين ويلح عليهم ليحملوه .

(٧) زعموا أن الناس مركب بين الشق والإنسان . الحيوان ١ : ١٨٩ .

ولم يرضَ الكُمَيْت بهذا حتى قال :

* نسْنَاسَهُمْ والنَّسَانِسَا[1] *

فقسم الأقسام على ثلاثة : على الناس ، والنَّسْناس ، والنَّسانِس .

وتزعُم أعراب بنى مُرّة أنَّ الجن إنما استهوَتْ سِناناً[2] لتستفحله إذْ كان مُنْجباً ، وسنانٌ إنَّما هام على وجهه . وقال رجل من العرب : « والله لقد كان سِنانٌ أحزمَ من فَرْخ العُقاب[3] » .

٢٣١ و

[البراذين والخيل]

وقال محمد بن سَلاَم الجُمَحِىّ : قلت ليونس بن حبيب : آلبراذين من الخيل ؟ فأنشدنى :

وإنِّى امْرُؤٌ لِلْخَيْلِ عِنْدِى مَزِيَّةٌ على فَارِسِ البِرْذَوْنِ أو فَارِسِ البَغْلِ

وقالوا : إنما ذهب الشاعر من اسم الخيل إلى العِتاق .

وإنمـا يُوصف الفرس العتيق بصفة الإنسان من بين جميع الحيوان ، يقولون : فرَس كريم ، وفرس جَواد ، وفرس رائع .

---

(١) وكذا أنشد هذا الجزء فى الحيوان ١ : ١٧٨ .

(٢) هو سنان بن أبى حارثة المرى ، والد هرم بن سنان ممدوح زهير كما سبق فى حواشى ص ٣٤٤ . وتجد زعم استهوائه ـ أى الذهاب به ـ فى الحيوان ٣ : ٤٩٠ و ٧ : ٢٠٩ والأغانى ٩ : ١٤٤ .

(٣) الحيوان ٧ : ٢٤ وأمثال الميدانى ١ : ٢٠٢ . حين فسر حزم فرخ العقاب فى إسهاب .



وبين يديه بغل مُسْرَج مجلل ، والله ما أدرى أكان الجُلّ تحت اللِّبْد ، أم كان فوق السَّرج ، وشدَّ عُزَيز على أصحاب نصر شَدَّةً كَشَفَتْهم[1] ، حتى جاوزوا مكان نصر ، وصار عُزيز بحذاء نصر ، ونصرٌ جالس ؛ فلما رأى ذلك وثب وَثبةً فإذا هو على ظهر البغل ، وقال : مكانَكَ يا عزيز ! أتبلغ إلى موضعى ، وتطأ حريمى ؟ ! ثم شدَّ نحوه على بغله ، وعُزَيز على برذون ، فعزف — والله — عزيزٌ عنه ، وعزيز يومئذ فارس العَسْكر غير مُدافَع .

[نقد تشبيه البغل بالكلب]

وأنشدوا فى البغل :

أَرَدْتَ مَديحَ البَغْلِ يا شَيْخَ مَذْحِجٍ ... فَجِئْتَ بِشَىْءٍ صَيَّرَ البَغلَ كالْكَلْبِ
وحَسْبُكَ لُؤْمًا بالْكِلابِ ودِقَّةً ... وقَدْ تَمَنَّوْا شَرواهُ شَأْوًا مِنَ التُّرْبِ[2]

لأن فى الحديث : إنَّ دِيَةَ الكلب زَبيلٌ من تُراب ، حَقّ على القاتل أن يفعله ، وحَقَّ على صاحب الكلب أن يَقْبَله[3] .

تم الكتاب بعون الله تعالى ومنّه

يتلوه كتاب الحنين إلى الأوطان ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وسلامُه .

---

(١) ط : « نسفتهم » ، خلافا لما هو واضح فى الأصل .

(٢) الدقة : الخسة والحقارة . والكلمة واضحة فى الأصل ، ووردت فى ط : « وذمة » . وشروى الشىء : مثله . والشأو : زبيل من تراب يخرج من البئر .

(٣) انظر الحديث فى الحيوان ١ : ٢٩٣ مطولا مع تفسير الجاحظ له . وهو من حديث عبد الله بن عمر .

١٧

رِسَالة

الحَنِين إلى الأوْطانِ



٣ــ رسالة فى الحنين إلى الأوطان ص ٥٩ — ٧٠ .
٤ــ الوشى المرقوم فى حل المنظوم لابن الأثير ٧٢ — ١٧٩ .
٥ ــ الطرائف واللطائف للثعالبى ، وضم إليه المقدسى كتاب اليواقيت . ص ١٨٠ — ٣٢١ .
٦ــ مرآة المروءات للثعالبى ٣٢٢ — ٣٤٨ .

والمجموعة بخط أمين العمرى سنة ١١٧١ وفيها نصوص على المقابلة على الأصول التى نقل عنها .

فمن نتاج هاتين النسختين ، والمقابلة على النسخة المطبوعة التى نشرها الشيخ طاهر الجزائرى بمطبعة المنار سنة ١٣٣٣ عن نسخة التيمورية . وهى فى ٣٨ صفحة رجع فى تصحيحها كما يقول إلى « كثير من أمهات كتب الأدب فصحت بقدر الإمكان » صنعت نسختى هذه .

وأحب أن أذكر أن الشيخ الجزائرى مع فضله الظاهر فى تصحيح النسخة لم يتبع النهج العلمى للنشر ؛ إذ نراه قد بدل كثيراً من النصوص دون الإشارة إلى ما فى أصله المخطوط ، كما يتضح من المقارنة التى أجريتها فى نشرتى هذه .

وقد أشرت إلى نشرته بالرمز (ط) .



إنّ لكلِّ شيء من العلم ، ونوعٍ من الحكمة ، وصِنفٍ من الأدب ، سببًا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتَّتًا ، ومعنًى يحدو على جمع ما كان منه متفرقًا[(١)] . ومتى أغفل حَمَلةُ الأدب وأهل المعرفة تمييزَ الأخبار واستنباط الآثار ، وضمَّ كلِّ جوهرٍ نفيسٍ إلى شِكله ، وتأليف كلّ نادر من الحكمة إلى مِثله — بطَلت الحكمةُ وضاع العلم ، وأُميت الأدبُ ، ودَرَس مستور كلِّ نادر .

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، ونقرهم آثار الأوائل فى الصَّخر ، لبطَل أولُ العلم وضاع آخِره . ولذلك قيل : « لا يزالُ الناس بخيرٍ ما بقِيَ الأولُ يتعلمُ منه الآخِر » .

وإن السبب الذى بعثَ[(٢)] على جمع نتفٍ من أخبار العرب فى حنينها إلى أوطانها ، وشوقها إلى تُربها وبلدانها ، ووصفها فى أشعارها توقُّدَ النار فى أكبادها ، أنِّى فاوضتُ بعضَ من انتقل من الملوك [فى[(٣)]] ذكر الدِّيار ، والنِّزاع إلى الأوطان ، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلدٍ[(٤)] إلى آخرَ أمهدَ من وطنه ، وأعمر مِن مكانه ، وأخصبَ من جَنابه . ولم يزلْ

---

(١) فى الأصل : « جمعهم » ، صوابه فى التيمورية و ط . وكلة « منه » ثابتة فى الأصل فقط .

(٢) الذى بعث ، ساقطة من ط والتيمورية .

(٣) ساقطة من الأصل ، وإثباتها من التيمورية . وفاوض لاتتعدى إلى اثنين .

(٤) ط والتيمورية : « من بلد » .



وقال آخر : الكريم يحنُّ إلى جَنابه ، كما يحنُّ الأَسَد إلى غابه[١] .

وقال آخر : الجالى عن مسقط رأسه ومحلِّ رضاعِه ، كالعَير الناشط عن بلده[٢] ، الذى هو لكل سبع قَنيصة ، ولكلِّ رامٍ دريئة .

وقال آخر : تُربة الصبا تَغرس فى القلب حُرمة وحلاوة ، كما تغرس الولادةُ فى القلب رِقَّةً وحفاوة .

وقال آخر : أحقُّ البُلدان بنزاعكَ إليه بلدٌ أمصَّكَ حَلَبَ رَضاعِه .

وقال آخر : إذا كان الطائر يحنُّ إلى أوكاره ، فالإنسانُ أحقُّ بالحنين إلى أوطانه .

وقالت الحكماء[٣] : الحَنين من رقّة القلب ، ورقّة القلب من الرِّعاية ، والرِّعاية من الرَّحمة ، والرَّحمة من كرم الفطرة ، وكرم الفطرة من طهارة الرِّشدة ، وطهارة الرِّشدة من كرم المحتد .

وقال آخر : ميلك إلى مولدك[٤] من كرم مَحتِدك .

وقال آخر : عُسرك فى دارك أعزُّ لك من يُسرك فى غربتك[٥] .

---

(١) كلمة « الأسد » ساقطة من الأصل والتيمورية ، وإثباتها من زهر الآداب وط .

(٢) الناشط : الثور الوحشى يخرج من بلد إلى بلد ، ومن أرض إلى أرض . وفى المحاسن للبيهقى ١ : ٤٩٠ : «الناشز» ولا وجه له . وانظر سائر الرواية فيه .

(٣) انظر ديوان المعانى ٢ : ١٨٨ .

(٤) فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٧٦ : « ميلك إلى بلدك » .

(٥) فى المحاسن والمساوى ١ : ٤٩٠ : « عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك » .

وأنشد :

لقربُ الدار فى الإقتـــار خيرٌ من العيش الموسَّع فى اغترابِ[١]

وقال آخر : الغريب[٢] كالغَرْس الذى زايل أرضـه ، وفقد شِربَه ، فهو ذاوٍ لا يثمر ، وذابلٌ لا ينضُر[٣] .

وقال بعض الفلاسفة : فطرة الرجل معجونةٌ بحبِّ الوطن[٤] .

ولذلك قال بُقراط : يُدَاوَى كلُّ عليلٍ بعقاقير أرضه ؛ فإنّ الطبيعةَ تَتَطَلَّع[٥] لهوائها ، وتنزِع إلى غذائها[٦] . ٢٣٣ ظ

وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها[٧] .

وقال جالينُوس : يتروّح العليل بنسيم أرضه ، كما تنبت الحبة ببَلِّ القَطْر[٨] .

والقول فى حبِّ الناس الوطن وافتخارهم بالمحالِّ قد سبق ، فوجدنا الناسَ بأوطانهم أقنعَ منهم بأرزاقهم[٩] .

---

(١) ديوان المعانى ٢ : ١٨٨ .

(٢) فى المحاسن المساوى : « الغريب عن وطنه ومحل رضاعه » .

(٣) هذا الوجه من المحاسن والمساوى . وفى الأصل والتيمورية : « وذليل لا ينصر » . (٤) المحاضرات ٢ : ٢٧٦ .

(٥) كذا فى الأصل والتيمورية ، أى تتطلع بحذف إحدى التاءين . وفى ديوان المعانى : « تتطلع » ، مع نسبة القول إلى أفلاطون .

(٦) فى المحاسن : « فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها » فقط .

(٧) ديوان المعانى ٢ : ١٨٨ .

(٨) ديوان المعانى : « ببل المطر إذا أصاب الأرض » . وفى المحاسن : « كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر » . وفى ط : « الأرض الجدبة ببلل القطر » .

(٩) فى الحيوان ٣ : ٢٢٧ وكذا رسائل الجاحظ ١ : ٦٤ : «قال ابن الزبير : ليس الناس بشىء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم » .

ولذلك قال ابن الزُّبير : « لو قَنَع الناس بأرزاقهم قناعتَهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرِّزق[1] » .

وترى الأعرابَ تحنُّ إلى البلد الجَدْب ، والمحلِّ القفر ، والحجَر الصَّلْد ، وتستوخِم الرِّيف ، حتَّى قال بعضُهم :

أتَجلِينَ فى الجالينَ أم تتصبَّرى على ضيق عيشٍ والكريمُ صبورُ[2]
فبالمِصر بُرغوثٌ وحُمّى وحَصْبةٌ ومُومٌ وطاعونٌ وكلٌّ شُرورِ[3]
وبالبيد جوعٌ لا يزالُ كأنَّه رُكامٌ بأطراف الإكام يَمورُ

وترى الحضَرىَّ يُولد بأرضٍ وباء ومُوتانٍ[4] وقلَّة خِصْب ، فإذا وقع ببلادٍ أريفَ من بلاده ، وجَنابٍ أخصبَ من جَنابه ، واستفاد غنًى ، حَنَّ إلى وطنه ومستقَرِّه .

ولو جمعنا أخبارَ العرب وأشعارَها فى هذا المعنى لطال اقتصاصُه ، ولكن توخَّينا تدوينَ أحسنِ ما سَنَح من أخبارهم وأشعارهم ، وبالله التوفيق .

ومما يؤكِّد ما قلنا فى حبِّ الأوْطان قولُ الله عزّ وجلّ حين ذكر الدِّيار

(١) محاضرات الراغب : « قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه » .

(٢) أراد : أم تصبرين . لحذف النون لغير جازم كما أنشدوا من قوله :
أبيت أسرى وتبيتى تدلكى وجهك بالعنبر والمسك الذكى
الخصائص ١ : ٣٨٨ والخزانة ٣ : ٥٢٥ . وانظر الحماسة بشرح المرزوقى ٢٩٤ ، ٤٠٧ .

(٣) فى البيت إقواء . والموم : الجدرى الكثير المتراكب .

(٤) الموتان ، بالضم : الموت الكثير الوقوع .

يخبر عن مَوَاقعها من قلوب عباده[١] فقال : ﴿ ولو أنّا كَتَبْنَا عليهمْ أنِ اقْتُلوا أنفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا من دِيارِكُمْ ما فَعَلُوه إلاَّ قَليلٌ مِنْهم[٢] ﴾ ، فسوَّى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى : ﴿ وما لنا ألا نقَاتلَ فى سَبِيلِ اللهِ وقد أُخرِجنا من ديارنا وأبنائنا[٣] ﴾ .

وقال عمر رضى الله عنه : « عَمَّر الله البُلدانَ بحبِّ الأوطان[٤] » .

وكان يقال : لولا حبُّ الناس الأوطانَ لخسِرت البُلدان .

وقال عبد الحميد الكاتب ، وذكر الدُّنيا : « نفَتْنا عن الأوطان ، وقطعتنا عن الإخوان » .

وقالت الحكماء : أكرم الخيل أجزَعُها من السَّوط[٥] ، وأكيس الصِّبيان أبغضُهم للكُتَّاب[٦] ، وأكرم الصَّفايا أشدُّها ولَهاً إلى أولادها ، وأكرم الإبل أشدُّها حنيناً إلى أوطانها ، وأكرم المِهارَة[٧] أشدُّها ملازمةً لأمِّها ، وخير الناس آلفُهم للناس . ٢٣٤ و

وقال آخر[٨] : من أمارات العاقل بِرُّه لإخوانه ، وحنينه لأوطانه ، ومداراته لأهل زمانه .

---

(١) انظر نحو هذا والاستشهاد بالآيتين الكريمتين فى البيان ٣ : ٢٢٨ .

(٢) الآية ٦٦ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٤) هذا ما فى الحيوان ٣ : ٢٢٧ بدون نسبة القول إلى عمر . وفى الأصل والتيمورية : « لحب الأوطان » . وفى المحاسن : «بحب الأوطان عمرت البلدان» .

(٥) ديوان المعانى ٢ : ١٨٧ : « أشدها خوفا من السوط » .

(٦) ديوان المعانى : « للكتب » . والعبارة بعده تخالف ما هنا .

(٧) المهار والمهارة ، بكسر الميم فيهما : جمع مهر ، بالضم ، وهو ولد الفرس والرمكة ونحوهما .

(٨) ديوان المعانى : « وقال بزرجمهر » .

واعتلَّ أعرابىٌّ فى أرض غربة ، فقيل له : ما تشتهى ؟ فقال : حِسْل فلاة ، وحَسْو قِلات[١] .

وسئل آخر فقال : مَحْضًا رويًّا[٢] ، وضبًّا مشويًّا .

وسئل آخر فقال : ضبًّا عنينًا أعور .

وقالت العرب : حماك أحمى لك ، وأهلك أحفَى بك .

وقيل : الغُربة كُربة ، والقِلّة ذِلة[٣] . وقال :

لا ترغبوا إخوتى فى غربة أبدًا　　إنّ الغريب ذليلٌ حيثما كانا

وقال آخر :

وقال آخر : لا تنهض من وكرك فتنقُصك الغُرْبة[٤] ، وتَضيمك الوَحدة[٥] .

وقال آخر : لا تجفُ أرضًا بها قوابلُك ، ولا تشكُ بلداً فيه قبائلك[٦] .

---

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب . والقلات : جمع قلت ، وهى نقرة فى الجبل تمسك الماء . وفى محاضرات الراغب : « قلاة » تحريف .

(٢) المحض : اللبن الخالص لم يخالطه ماء ، حلوا كان أو حامضا . وفى الأصل والتيمورية : « محضا » ، تصحيف صوابه فى المحاسن ١ : ٤٨٧ .

(٣) فى المحاسن ١ : ٤٩٠ : « الغربة ذلة ، والذلة قلة » .

(٤) كذا فى المحاسن . وفى الأصل والتيمورية : « فتنقصك » فقط .

(٥) كذا فى المحاسن . وفى الأصل والتيمورية : « الواحدة » .

(٦) ديوان المعانى ٢ : ١٨٧ : « لا تشك بلدا فيه قبائلك ، ولا تجف أرضا فيه قوابلك » . وفى محاضرات الراغب ٢ : ٢٧٦ : « لا تجف بلدا فيه قوابلك ، وأرضا تبنكها قبائلك » . وتبنك بالمكان : أقام به .

وقال أصحاب القِيافة فى الاسترواح : إذا أحسَّت النفس بمولدها[١] تفتَّحتْ مَسامُّها فعرفَتِ النَّسيم .

وقال آخر : يحنُّ اللبيب إلى وطنه ، كما يحنُّ النَّجيبُ إلى عَطَنه[٢] .

وقال : كما أنَّ لحاضنتك حقَّ لبنها ، كذلك لأرضك حرمة وطنها .

وذكر أعرابىٌّ بلدةً فقال : رملةٌ كنتُ جَنينَ رُكامها ، ورضيعَ غمامها ، فحضنتنى أحشاؤها ، وأرضعتنى أحساؤها[٣] .

وشبَّهت الحكماء الغريبَ[٤] باليتيم اللَّطيم الذى ثَكِلَ أبَويه ، فلا أمَّ ترأمه ، ولا أبَ يَحدِب عليه .

وقالت أعرابية : إذا كنت فى غير أهلك فلا تنسَ نصيبك من الذلّ[٥] .

وقال الشاعر[٦] :

لَعمرِى لَرهطُ المرءِ خيرٌ بقيَّةً عليه وإن عالَوْا به كلَّ مركبِ[٧]

---

(١) المراد بالمولد هنا موضع الولادة .

(٢) النجيب من الإبل : الكريم العتيق . وانظر ديوان المعانى ٢ : ١٩٠ وزهر الآداب ٦٨١ .

(٣) الأحساء : جمع حسى بالكسر ، وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .

(٤) وكذا فى المحاسن ١ : ٤٩٠ . وفى التيمورية : « الغربة » ، تحريف .

(٥) ديوان المعانى ٢ : ١٨٩ .

(٦) هو خالد بن نضلة ، كما فى الحيوان ٣ : ١٠٣ والبيان ٣ : ٢٥٠ . والشعر فى الحماسة بشرح المرزوقى ٣٥٨ بدون نسبة .

(٧) أى أركبوه المراكب الصعبة المكروهة . وبين البيت وتاليه فى الحيوان والحماسة :

من الجانب الأقصى وإن كان ذا ندى كثير ولا ينبيك مثل المجرب

إذا كنتَ في قومٍ عِدًى لستَ منهمُ فَكُلْ ما عُلِفتَ من خبيثٍ وطيِّبِ

وفي المثل : « أوضَحُ من مرآة الغَريبة[١] » . وذلك أن المرأة إذا كانت هدِيًّا في غير أهلها [٢] ، تتفقَّد من وجهِها وهيئتها ما لا تتفقَّده وهي في قومها وأقاربها ، فتكون مرآتُها مجلوَّةً تتعهَّد بها أمرَ نفسها . وقال ذو الرمة :

لها أذنٌ حَشْرٌ وذِفرَى أسيلةٌ وخدٌّ كمِرآة الغَريبة أسجَحُ[٣]

٢٣٤ ظ وكانت العرب إذا غزتْ وسافرتْ حملتْ معها من تُربة بلدِها رملاً وعَفَرًا تستنشقه[٤] عند نَزْلةٍ أو زُكام أو صُداع . وأُنشِد لبعض بني ضَبَّة :

نسيرُ على علمٍ بكُنْه مسيرِنا وعُدّةِ زاد في بقايا المزاود[٥]

ونَحمل في الأسفار ماءَ قَبيصةٍ من المنشأ النائي لحبِّ المراودِ[٦]

وقال آخر : أرضُ الرَّجل أوضحُ نسبه ، وأهله أحضَرُ نَشَبه .

وقيل لأعرابيٍّ [٧] : كيف تصنع في البادية إذا اشتدَّ القيظُ وانتعل كلُّ شيء ظلَّه ؟ قال : وهل العيش إلا ذاك ، يَمشي أحُدنا ميلاً فيرفَضُّ

---

(١) مجمع الأمثال ٢ : ٣٠٤ .

(٢) الهدى : العروس تهدى إلى زوجها .

(٣) ديوان ذي الرمة ٨٨ والكامل ٥ واللسان والمقاييس (سجح) . والأسجح : الحسن المعتدل . التيمورية : « أسمح » ، تحريف . والبيت في صفة ناقة . ويروى : « وخد » .

(٤) محاضرات الراغب ٢ : ٣٧٦ : « فتنشقه » .

(٥) ط فقط : « بعفة زاد في بطون » .

(٦) ط فقط :

ولا بد في أسفارنا من قبيصة من الترب نسقاها لحب الموالد

(٧) ديوان المعاني ٢ : ١٨٩ والمحاسن ١ : ٤٨٩ .

عَرَقًا[١] ، ثم ينصِب عصاه ويلقى عليها كساءه ، ويجلس فى فيئه يكتال الرِّيح[٢] ، فكأنّه فى إيوان كسرى !

وقيل لأعرابىّ : ما أصبرَكم على البدو ؟[٣] قال : كيف لا يصبر مَن وِطاؤه الأرض ، وغِطاؤه السماء ، وطعامُه الشَّمس ، وشرابه الريح ! والله لقد خرجنا فى إثر قومٍ قد تقدَّمونا بمراحلَ ونحن حُفاة ، والشَّمس فى قُلَّة السماء ، حيث انتعل كلُّ شىء ظلَّه ، وأنَّهم لأسوأُ حالاً منّا ، إنّ مِهادهم للعَفَر ، وإنّ وِسادهم لَلحَجَر ، وإنّ شِعارهم لَلهواء ، وإنّ دِثارهم لَلخَواء[٤] .

وحدّثنى التوّزىّ[٥] عن رجلٍ من عُرينة قال : حدّثنى رجلٌ من بنى هاشمٍ قال : قلتُ لأعرابىّ من بنى أسد : مِن أينَ أقبلت ؟ قال : من هذه البادية . قلت : وأين تسكنُ منها ؟ قال : مَساقط الحمَى حِمَى ضَرِيّة[٦] ، بها لَعمر الله ما نُريد بدَلاً ، ولا نبغى عنها حِوَلا[٧] ، أمّا الفَلَوات ،

---

(١) زاد فى المحاسن : « كأنه الجان » .

(٢) المحاسن : « وتقبل عليه الرياح من كل جانب » .

(٣) التيمورية : « البرد » ، تحريف .

(٤) الخواء : الهواء بين السماء والأرض .

(٥) التوزى ، بتشديد الواو : نسبة إلى توز ، ويقال فيها أيضاً توج ، بلدة بفارس . وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون ، تلميذ أبى عبيدة والأصمعى . توفى سنة ٢٣٣ . بغية الوعاة وإنباه الرواة ٢ : ١٢٦ .

(٦) حمى ضرية : قرية فى طريق مكة من البصرة .

(٧) فى معجم البلدان (ضرية) : « بأرض لعمر الله ما نريد بها بدلا عنها ولا حولا » .

فلا يَملَوْلح ماؤها[١] ، ولا يَحمَى ترابُها ، ولا يُمعِرُ جنابها[٢] ، ليس فيها أذًى ولا قذًى ، ولا أنينٌ ولا حُمَّى[٣] ؛ فنحنُ بأرفهِ عيشٍ وأرفغِ نَعْمة[٤] ! قلت : فما طعامُكم فيها ؟ قال : بخٍ بخٍ ! عيشُنا واللهِ عيشٌ تعَلَّل جادبه[٥] ، وطعامُنا أطيب طعامٍ وأهنؤه : الهَبيد[٦] والضِّباب واليرابيع ، والقنافذ والحيَّات ، وربَّما واللهِ أكلْنا القَدّ[٧] ، واشتوينا الجِلْد ، فلا نعلم أحدًا أخصبَ منّا عيشًا ، فالحمدُ لله على ما بَسَط من السَّعة ، ورَزَق من الدَّعة ، أو ما سمعتَ قول قائلنا ـ وكان والله عالمًا بلذيذ العيش : ٢٣٥ و

إذا ما أَصَبنا كلَّ يومٍ مُذيقةً وخمسَ تُميراتٍ صغارٍ كنائزِ[٨]

---

(١) فى معجم البلدان : « قد نفحتها الغدوات ، وحفتها الفلوات ، فلا يملولح ترابها » . وفى ط كذلك ، لكن فيه : « فلا يملولح ماؤها » .

(٢) أمعرت الأرض : لم يك فيها نبات . وأرض معرة ، إذا انجرد بنتها .

(٣) فى معجم البلدان : « ولا عك ولا موم ولا حمى » .

(٤) رفغ عيشه بالضم رفاغة : اتسع . والرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب .

(٥) الجادب : العائب . تعلل : لم يجد مقالا . قال ذو الرمة :

فيالك من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جادبه

ديوانه ٤٣ واللسان (جدب) . وفى معجم البلدان والمحاسن والتيمورية وط : « جاذبه » تحريف .

(٦) الهبيد : حب الحنظل ، تنقعه الأعراب فى الماء أياما ، ثم يطبخ ويؤكل ، وانظر الحيوان ٥ : ٤٤٣ .

(٧) القد ، بفتح القاف : جلد السخلة . وفى اللسان : « وفى حديث عمر رضى الله عنه : كانوا يأكلون القد . يريد جلد السخلة فى الجدب » .

(٨) المذيقة : تصغير المذقة بالفتح ، وهى الشربة من اللبن المذوق بالماء . والكنائز : جمع كنيز ، وهو التمر يكنز للشتاء فى قواصر وأوعية . وفى الأصل والتيمورية والمحاسن : « كوانز » ، ولم أجد له وجها .

فنحنُ ملوكُ الأرض خِصْبًا ونَعْمَةً   ونحن أسودُ الغاب عند الهَزاهز[١]
وكم متمنٍّ عَيْشَنَا لا ينــــاله   ولو ناله أضحى به حَقَّ فائزِ[٢]

ولهذا خبر طويلٌ وصفَ فيه نُوقًا أَضَلَّها ، واقتصرنا منه على ما وصف من قناعته بوطنه[٣] .

قال الهاشميّ : فلمَّا فرغَ من نعته قلت له : هل لكَ فى الغَداء ؟ قال : إنّى والله غاوى إغباب[٤] ، لاصقُ القلب بالحجاب ، مالى عَهدٌ بمَضَاغٍ إلا شِلْوِ يربوعٍ وجَد ممعمعةً منّى فانسَلَتَ[٥] ،فأخذت منه بنافقائه وقاصعائه ودامّائه وراهطائه[٦] ، ثم تنفَّقتُه[٧] فأخرجته ، ولا والله ما فرِحتُ بشىء فرحى به ، فتلقّــانى رُوَيعٍ ببطن الخَرْجاء[٨] ، يُوقد نُوَيرةً تخبو طَورًا

(١) معجم البلدان : « شرقا ومغربا » وفيه وفى المحاسن : «أسود الناس » . والهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

(٢) فى معجم البلدان : « جد فائز » .

(٣) انظر بقية الخبر فى معجم البلدان .

(٤) الغاوى : الجائع الخالى الجوف . والإغباب : مصدر أغب ، والمراد ترك الأكل يوما ، كالإغباب فى الزيارة . وفى الأصل والتيمورية و ط : « غاو أغباب » .

(٥) المضاغ ، بالفتح : مايمضغ . والشلو بالكسر : العضو ، والقطعة من اللحم . والممعمعة : الدمشقة ، وهى عمل فى عجلة . وفى ط والتيمورية : « ممعمعة فانسلت منى » .

(٦) كل هذه أسماء خاصة لجحرة اليربوع . انظر الحيوان ٥ : ٢٧٦ ، ٤٤٧ . فى الأصل والتيمورية : « ودامياته » ، تحريف .

(٧) تنفق اليربوع وانتفقه : استخرجه من نافقائه .

(٨) رويع : مصغر راع . والخرجاء : موضع بين مكة والبصرة . وفى الأصل والتيمورية : « الجرما » .

وتسمو[1] أخرى ، فدَسَستُه فى إرَته[2] لخمدتْ نُوَيرتُه ، ولا والله ما بلغ نُضجَه حتّى اختلسَ الرُّوبِعى منه ، فقلبنى على رأسه وجَوْشه[3] ، وصدره وبدنه ، وبقىَ بيدى رِجلاه ووركاه ، وفقرتان من صُلبه[4] ، فكان ذلك ممّا أنعمَ الله به علىّ[5] ، فاغتبقتُها على نَكَظٍ مُنْكِظ[6] ، وبَوْصٍ بائص[7] عن عراكه إيّاى ، غير أنّ الله أعاننى عليه . فذلك والله عهدى بالطّعام ، وإنى لذو حاجةٍ إلى غِذاء أنوِّه به فؤادى[8] ، وأشُدُّ به آدى[9] ، فقد والله بلغ منى المجهود ، وأدركَ منّى المجلود[10] .

يصف هذا البؤس والجهد ، ويتحمّل هذه الفاقة ، ويصبر على الفقر ، قناعةً بوطنه ، وحبًّا لعطنه ، واعتداداً بما وصَف من رفاغة عيشهِ .

---

(١) النوبرة : مصغر النار . تسمو : ترتفع وتشتعل . التيمورية : « وتشبوا » تحريف ما أثبت من الأصل .

(٢) الإرة : موضع النار . التيمورية : « اربه » ، تصحيف .

(٣) الجوش ، بفتح الجيم : الصدر والوسط ، مثل الجؤشوش . وفى الأصل والتيمورية : « حوشه » ، تصحيف .

(٤) فى الأصل : « وفقرتان صلبه » وفى التيمورية : « وفقرتا صلبه » . والجمع بينهما يقتضى ما أثبت .

(٥) فى الأصل والتيمورية : « إياه » .

(٦) النكظ والإنكاظ : الإعجال .

(٧) البوص : البعد . والبائص: البعيد . ط والتيمورية: «بوض بايظ» ، تحريف.

(٨) التنويه : الرفع والتقوية .

(٩) الآد : الصلب .

(١٠) المجلود : مصدر من الجلد ، بمعنى الشدة والقوة والصبر . ومثله المحلوف والمعقول بمعنى الحلف والعقل .

وحدَّثنا سليمان بن معبد[١] ، أنَّ الوليد بن عبد الملك أراد أن يُرسل خيله ، فجاء أعرابىٌّ له بفرسٍ أنثى ، فسأله أن يُدخلَها مع خيله ، فقال الوليد لقهرمانه أُسَيْلِمَ بن الأحنف : كيف تراها يا أسيلم ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، حجازيّة ، لو ضمَّها مضمارك ذهبت[٢] . قال الأعرابى : أنت والله منقوص الاسم ، أعوج اسم الأب[٣] ! فأمر الوليدُ بإدخال فرسه ، فلمَّا أُجريت الخيلُ سَبق الأعرابىُّ على فرسه ، فقال الوليد : أوَاهبُها لى أنتَ يا أعرابىّ ؟ فقال : لا والله ، إنّها لقديمةُ الصُّحبة ، ولها حقٌّ ، ولكن أحملُك على مُهرٍ لها سَبق عاماً أوّلَ وهو رابضٌ . فضحك الوليدُ وقال : أعرابىٌّ مجنون ! فقال : وما يضحككم ؟ سبقَتْ أمُّه عاماً أوّل وهو فى بطنها ! فاستظرفه واحتبسه عنده فمرضَ ، فبَعَثَ إليه الوليدُ بالأطبّاء ، فأنشأ يقول : ٢٣٥ ظ

جاء الأطبَّاء من حِمصٍ تخالهم ... من جهلهم أن أُداوَى كالمجانين

قال الأطبّاء: ما يَشْفيكَ؟ قلت لهم ... شمُّ الدُّخَانِ من التسرير يَشفينى[٤]

---

(١) سليمان بن معبد ، أبو داود السنجى النحوى . روى عن النضر بن شميل والأصمعى والهيثم بن عدى وغيرهم ، وعنه مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم . وكان ثقة . توفى سنة ٢٥٧ . تاريخ بغداد ٩ : ٥١ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢١٩ .

(٢) فى الأصل والتيمورية : « مضيا بك » ، والوجه ما أثبت . والخبر بإيجاز فى معجم البلدان (التسرير ، الجنينة) .

(٣) منقوص الاسم ، عنى به أنه مصغر أسلم . أعوج اسم الأب ، لأن الأحنف هو الأعوج الرجل .

(٤) التسرير : موضع من بلاد عكل . الأصل والتيمورية : « من النسرين » صوابه فى معجم البلدان ، وروايته : « دخان رمث من التسرير » .

إنِّى أَحِنُّ إلى أدخان مُحتطَبٍ من الْجُنينةِ جزلٍ غير موزونِ[١]

فأمر الوليد أن يُحمل إليه من رمثٍ سليخة[٢] ، فوافَوه وقد مات[٣]

فهو عند الخليفة ، وببلدٍ ليس فى الأقاليم أريَفُ منه ، ولا أخصبُ جَنابًا ، فحنَّ إلى سَليخة رمثٍ[٤] ، حبًّا للوطن .

وحكى أبو عبد الله الجعفرى عن عبد الله بن إسحاقَ الجعفرىِّ قال : أمرتُ بصهريجٍ لى فى بستانٍ ، عليه نخلٌ مُطلٌّ [أن يُملأ[٥]] ، فذهبتُ بأمِّ الحسام[٦] المرِّيّة وابنتها ـ وهى زوجتى ـ فلمّا نظرتْ أمُّ الحُسام إلى الصِّهريج قعدتْ عليه وأرسلتْ رجليها فى الماء ، فقلت لها : ألا تَطُوفين معنا على هذا النَّخل ، لنجنىَ ماطابَ من ثمَرِه ؟ فقالت : ها هنا أعجبُ إلىّ . فدُرنا ساعةً وتركناها ، ثم انصرفنا وهى تُخضخِض رجليها فى الماء وتحرِّك شفتيها ، فقلت : يا أمّ الحُسام ، لا أحسبك إلا وقد قلتِ شعرًا . قالت : أجل . ثم أنشدتنى :

أقول لأدنى صاحبىَّ أُسِرُّه وللعين دمعٌ يَحدِر الكُحلَ ساكبُه

---

(١) الأدخان : جمع دخن ، بالتحريك ، وهو الدخان . والجنينة : ثنىّ من التسرير ، وهو واد من ضرية . غير موزون ، على أنه خفيف .

(٢) الرمث ، بالكسر : شجرة من الحمض . والسليخة : خشبه اليابس ليس فيه مرعى . وفى الأصل والتيمورية : « من رمل سليحة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « فوافوه به » . وكلة « به » لم ترد فى النسختين .

(٤) ط والتيمورية : « رمل سليحة » .

(٥) التكملة من التيمورية .

(٦) فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٧٦ : « زينب أم حسانة الضبية » . والخبر فيه مختصر محرف .

لعمري لنِهْيٌ باللِّوى نازح القَذَى نقيُّ النواحي غير طَرْقٍ مَشاربُه[1]
بأجرعَ مِمراعٍ كأنَّ رياضَه سِخَابٌ من الكافور والمسك شائبُه[2]
أحبُّ إلينا من صَهاريجَ مُلِّئت للعبٍ فلم تَملُح لديَّ ملاعبُه
فياحبّذا نجدٌ وطِيبُ ترابه إذا هضَبَتْه بالعشيِّ هواضبُه[3]
وريح صَبًا نجدٍ إذا ما تنسَّمَتْ ضحًى أو سرت جُنحَ الظلام جنائبه[4]

وأنشد أبو النصر الأسديّ[5] :

٢٣٦ و

أحبُّ الأرضَ تسكنُها سليمى وإن كانت توارثها الجُدوبُ[6]
وما دهري بحبِّ تراب أرضٍ ولكن من يحلُّ بها حبيبُ[7]

وأنشدني حمّاد بن إسحاق الموصلي :

أَحَبُّ بلاد الله ما بين صارةٍ إلى غطفانَ إذ يصوب سحابُها[8]

---

(١) الطرق ، بالفتح : المطروق ، الذي تبول فيه الإبل وتبعر .

(٢) الأجرع : المكان الواسع فيه حزونة وخشونة . والممراع : من قولهم مرع الوادي : أخصب وأكلأ . وفي النسختين : « مجراع » ، صوابه من معجم البلدان (نجد) . وفي الأصل والتيمورية : « كأن رجاجه » . وفي معجم البلدان : « كأن رياحه » ! . والوجه ما أثبت .

(٣) يقال هضبتهم السماء ، أي مطرتهم .

(٤) الجنائب : جمع جنوب ، وهي الريح التي تقابل ريح الشمال .

(٥) الشعر في ديوان المعاني ٢ : ١٨٩ لأحمد بن إسحاق الموصلي .

(٦) الجدوب : جمع جدب . التيمورية : « الجذوب » ، تصحيف .

(٧) يقال ما دهري بكذا وما دهري كذا ، أي همي وإرادتي وعادتي . ط والتيمورية : « وما عهدي » ، وأثبت ما في الأصل وديوان المعاني .

(٨) معجم البلدان (منعج) ومحاضرات الراغب ٢ : ٢١٦ وزهر الآداب ٦٨٢ والقالي ١ : ٨٣ . وصارة : جبل في ديار بني أسد . ورواية سائر المصادر :

أحب بلاد الله ما بين منعج إلى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي وأول أرضٍ مسَّ جلدى ترابُها[1]

قال : ولمّا حُملت نائلة بنتُ الفَرافِصة[2] الكلبية إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، كرهتْ فراق أهلها ، فقالت لضبّ أخيها[3] :

ألستَ ترى بالله يا ضَبُّ أنّنى مرافقةٌ نحوَ المدينةِ أركُبا[4]
أما كان فى أولاد عوف بن عامرٍ لكَ الويل ما يُغنى الخباء المطنَّبا[5]
أبَى اللهُ إلاّ أن أكون غريبةً بيثربَ لا أمًّا لدىَّ ولا أبا

قال : وزُوِّجت من أبان[6] فى كلبٍ امرأةٌ ، فنظرتْ ذات يومٍ إلى ناقةٍ قد حنَّت فذكرتْ بلادَها وأنشأتْ تقول :

ألا أيُّها البَكْرُ الأبانىُّ إنّنى وإيّاكَ فى كلبٍ لمغتربانِ
تحِنُّ وأبكى ذا الهوى لصبابةٍ وإنّا على البَلوَى لمصطحبان[7]
وإنَّ زماناً أيُّها البكرُ ضمَّنى وإيّاكَ فى كلبٍ لشَرُّ زمانِ

وقال آخر :

ألاَ يا حبّذا وطنى وأهلى وصَحْبى حين يُدَّكَرُ الصِّحابُ
وما عَسَلٌ ببارد ماء مُزنٍ على ظمأٍ لشاربه يُشابُ
بأشهَى من لقائكمُ إلينا فكيف لنا به ، ومتَى الإيابُ

---

(١) معجم البلدان : « بها حل الشباب تميمتى » .

(٢) فى اللسان : « كل ما فى العرب فرافصة بضم الفاء ، إلا فرافصة أبا نائلة امرأة عثمان رحمه الله . بفتح الفاء لاغير » .

(٣) القصة بتفصيل فى الأغانى ١٥ : ٦٧ .

(٤) التيمورية والأغانى : « ياضب بالله » . والأركب : جمع ركب .

(٥) الأغانى : « لقد كان فى أبناء حصن بن ضمضم » .

(٦) هم أبان بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وفى حماسة ابن الشجرى ١٧٣ : « من بنى مازن » .

(٧) ابن الشجرى : « إن ذا لبلية » .

وأنشد الغنويُّ لبعض الهذليين[١] :

وأرى البلادَ إذا سكنتِ بغيرها جَدْبًا وإن كانت تُطَلُّ وتُجنبُ[٢]

وأرى العدوَّ يحبُّكم فأحبُّه إن كان يُنسَب منك أو يَتَنَسَّبُ[٣]

وأرى السَّمِيَّةَ باسمكم فيزيدها حبًّا إلى . . . .[٤] ٢٣٦ ط

قال : ومن هذا أخذ الطائىُّ قوله :

كم منزلٍ فى الأرض يألفُه الفتى وحنينُه أبدًا لأوّلِ منزلِ[٥]

وأنشد أبو عمرٍو البَجَلى :

تمتَّعْ من شميم عَرارِ نجدٍ فما بعد العشيّةِ مِن عَرارِ[٦]

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين ١ : ٦٣ وشرح أشعار الهذليين للسكرى ١ : ٢٠٥ . وفى شرح السكرى أنها تروى أيضاً لرجل من خزاعة . وقال زبير : هى لابن أبى دباكل .

(٢) تطل : يصيبها الطل . تجنب : تصيبها الجنوب . ومع الجنوب خير وتلقيح . وفى الديوان والشرح : « وتخصب » ، بالبناء للمفعول وللفاعل .

(٣) وكذا فى الديوان . وفى التيموريه : « منكم أو تنسب » ، وفى شرح الديوان : « منك أو لا ينسب » .

(٤) بياض فى النسختين ، والبيت لم يرو فى الديوان ولا فى شرحه .

(٥) ديوان أبى تمام ٤٥٧ من أبيات أربعة وأخبار أبى تمام للصولى ٢٦٢ ، والمحاسن والمساوى ١ : ٤٩١ وديوان المعانى ٢ : ١٨٨ . وذكر الصولى عن محمد ابن داود أنه مأخوذ من قول ابن الطثرية :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقال : وهو عندى بقول كثير أشبه :

إذا وصلتنا خلة لنزيلها أبينا وقلنا : الحاجبية أول

ونحوه فى دلائل الإعجاز ٢٤٦ .

(٦) للصمة بن عبد الله القشيرى . الحماسة ١٢٤٠ بشرح المرزوقى . وهى =

أَلا يا حبّذا نَفَحـاتُ نجدٍ ورَيّاً روضِـه غِبَّ القِطارِ
وعيشك إذْ يحُـلُّ القومُ نجداً وأنت على زمانك غَيرُ زارِ
شهورٌ ينقضـينَ وما شَعَرنا بأنصـافٍ لهنَّ ولا سِرارِ
فأمّا ليلهنَّ فخـيرُ ليـلٍ وأقصر ما يكون من النَّهارِ[1]

وقال آخر[2] :

ألاَ هل إلى شمِّ الخزامَى ونظرةٍ إلى قَرقرَى قبـل المماتِ سبيلُ[3]
فأشربَ من ماء الحجَيـلاء شربةً يُداوَى بها قبلَ المَماتِ عليـلُ[4]
فيـا أثَلاثِ القاع ، قلبى موكَّلٌ بكنَّ وجدوى خيرِكنَّ قليـلُ
ويا أثَلاثِ القاع قد ملَّ صحبتى مَسيرِى فهل فى ظِلِّـكنَّ مَقيلُ

= بدون نسبة فى أمالى القالى ١ : ٣٢ والمحاسن ١ : ٥٠٦ وزهر الآداب ٦٨٥ ومعجم البلدان (الضمار ، المنيفة) . والعرار : كسحاب : بقلة صفراء ناعمة طيبة الريح ، الواحدة عرارة .

(١) فى المحاسن : « وأنضر ما يكون » وفى معجم البلدان :

تقاصر ليلهن فخير ليـل وأطيب ما يكون من النهـار

(٢) هو يحيى بن طالب الحنفى كما فى الأغانى ٢٠ : ١٤٩ ، ١٥٠ عند ترجمته وذكر أنه من شعراء الدولة العباسية . وكذا نسب فى معجم البلدان (القاع ، قرقرى ، الحجيلاء) وأمالى القالى ١ : ١٢٣ . وفى حماسة ابن الشجرى ١٦٤ خطأ : « يحيى ابن أبى طالب » .

(٣) فى الأصل والتيمورية : « بنظرة » ، وأثبت ما فى سائر المراجع .

(٤) الحجيلاء : بئر باليمامة . وفى الأصل والتيمورية : « الحجيلات » ، صوابه فى معجم البلدان والأغانى واللآلى ٣٦٣ .

أُريدُ انحدارًا نحوها فيردُّنى ويمنعنى دَينٌ علىَّ ثقيـلُ[(١)]
أحدِّث نفسى عنكِ إذْ لستُ راجعًا إليك ، لحزنى فى الفؤادِ دخيلُ[(٢)]

وأنشد للمجنون :

إلى عامرٍ أصبو ، وما أرضُ عامرٍ هى الرَّملةُ الوعساء والبلد الرَّحبُ[(٣)]
معاشِر بيضٌ لو وردتَ بلادَهم وردتَ بُحورًا ماؤها للنَّدى عذبُ
إذا ما بدا للنـــاظرين خيامُهم فثَمَّ العِتاقُ القُبُّ والأَسَل القَضْبُ[(٤)]

وأنشدنا المازنى[(٥)] :

اقرأ على الوشَلِ السَّـلامَ وقل له : كلُّ الموارد مُذ هجرتَ ذميمُ[(٦)]
جَبَل يُنيف على الجبـال إذا بدا بين الغدائر والرِّمال مقيمُ[(٧)] ٢٣٧ و

---

(١) كان قد خرج إلى مدينة الرى هرباً من دين ثقيـل عليه . ويذكر أبو الفرج أن الرشيد غنى هذا الشعر فسأل عن قائله ، فلما علم بقصته كتب إلى عامله بالرى بقضاء دينه وإعطائه نفقة . وإنفاذه إليه على البريد ، فوصل الـكتاب يوم مات يحيى بن طالب .

(٢) فى الأصل والتيمورية : « واجدا » ، تحريف صوابه فى معجم البلدان .

(٣) الوعساء : السهلة اللينة .

(٤) القب : الضوامر . والأسل : الرماح . والقضب من الشجر، كل شجر سبطت أغصانه وطالت .

(٥) المازنى ، هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية ، روى عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد ، وعنه المبرد وجماعة . توفى سنة ٢٣٠ وقيل ٢٤٩ أو ٢٤٨ . بغية الوعاة ٢٠٢ وإنباه الرواة ١ : ٢٤٦ وفيه مراجع ترجمته .

(٦) لأبى القمقام الأسدى فى الحماسة ١٣٧٧ بشرح المرزوقى ومعجم البلدان (الوشل) .

(٧) فى معجم البلدان : « بين الربائع والجثوم » . والبيت وتاليه لم يرويا فى الحماسة .

تسرى الصَّبـا فتبيتُ فى ألواده ويبيت فيه من الجنوب نسيمُ[١]
سَقيًا لظلِّكَ بالعشىِّ وبالضُّحى ولبرد مائكَ والميــــاهُ حميمُ
لو كنت أملك برد مائك لم يذقْ ما فى قلاتِكَ ما حييتُ لئيمُ[٢]

وقالت امرأةٌ من عقيل :

خليلىَّ من سكان ماوانَ هاجنى هبوبُ الجَنُوبِ مَرُّها وابتِسامها[٣]
فلا تَسـألانى ما ورائى فإنَّنى بمنزلةٍ أعيـا الطبيبَ سَقامُهـــا

وقال آخر :

ألا ليتَ شعرى والحوادثُ جَمَّةٌ متَى تجمعُ الأيامُ يومًا لنـا الشَّملا
وكلٌّ غريبٍ سوف يُمسِى بذِلَّةٍ إذا بانَ عن أوطانه وجفا الأهلا

وقال آخر :

ألا ليتَ شعرى يَجمعُ الشَّملَ بيننا بصحراءَ من نجرانَ ذاتِ ثرًى جعدِ[٤]
وهل تَنفُضَنَّ الرِّيحُ أفنـانَ لَمَّتى على لاحقِ الرِّجلين مضطمِرٍ وَردِ[٥]

---

(١) الألواذ : المنعطفات والنواحى ، واحدها لوذ . وفى معجم البلدان : « فى أكنافه » .

(٢) فى الحماسة ومعجم البلدان : « منع مائك » . والقلات : جمع قلت ، وهى حفرة فى الجبل يستنقع فيها ماء المطر .

(٣) لعلها قصدت ابتسام سحاب الجنوب عن البرق .

(٤) التيمورية : « يجمع الدهر » . وفى ديوان المعانى ٢ : ١٨٨ : « هل تحنن ناقتى » .

(٥) اللاحق : الضامر . وفى ديوان المعانى : « لاحق الإطلين » ، وهو الأمثل والإطل : الخاصرة . والمضطمر : الضامر .

وهل أردنّ الدّهرَ حِسْىَ مُزاحمٍ   وقد ضربتْه نفحةٌ من صَبا نجدِ[1]

وقال آخر :

وأنزلنى طولُ النّوى دارَ غَرْبةٍ   إذا شئتُ لاقيتُ امرأً لا أشاكُله[2]

فحامقتُه حتّى يقـــالُ سجيّةٌ   ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه

ولو كنتُ فى قومى وحُلّ عشيرتى   لألفَيتُ فيهم كلّ خِرقٍ أواصله

وأنشِد لذى الرمة :

إذا هبّت الأرواحُ من نحو جانبٍ   به أهلُ ميّ هاجَ قلبى هبوبُهـا[3]

هوًى تَذرِف العينانِ منه ، وإنّما   هوى كلّ أرض حيث حلّ حبيبُها[4]

وقال أبو عثمان[5] :

رأيت عبداً أسود حبشيًّا لبنى أَسيد[6] قدم من شِقّ اليمامة فصار ناظورًا[7] ، وكان وحشيًّا مجنونًا[8] لطول الغُربة مع الإبل ، وكان لا يلقى   ٢٣٧ ظ

---

(١) ديوان المعانى : « حسمى مزاحم » ، وما هنا صوابه .

(٢) البيتان فى البيان ١ : ٢٤٥ و ٢ : ٢٣٥ و ٤ : ٢١ وعيون الأخبار ٣ : ٢٤ والغربة ، بالفتح : النوى والبعد ؛ وبالضم : الاغتراب .

(٣) ديوان ذى الرمة ٦٦ والأغانى ١٦ : ١٢٥ . وفى الديوان : « هاج شوق » .

(٤) فى الديوان والأغانى : « كل نفس » .

(٥) الخبر فى البيان ٢ : ٧١ — ٧٢ .

(٦) فى الأصل وبعض نسخ البيان : « أسد » .

(٧) الناظور للزرع والنخل وغيرهما : حافظه ، وهو بالظاء المعجمة من لغة أهل السواد ، قال بعضهم : وليست بعربية محضة . وفى الأصـــل : « ناظوريا » وفى التيمورية « ناطوريا » ، صوابه فى البيان .

(٨) فى البيان : « محرما » .

إلاّ الأكرَة ، فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامَهم ، فلمّا رآنى سكن إلىّ ، وسمعتُه يقول : لعَن الله أرضًا ليس بها عَرَب[١] ، قاتل الله الشاعرَ حيث يقول :

* حرُّ الثرى مُستعرب التُّرابِ *

أبا عثمان ، إنّ هذه العُرَيبَ فى جميع الناس كمقدار القُرحة فى جِلْد الفرس ، فلولا أنّ الله رقّ عليهم فجعلهم فى حَشَاةٍ[٢] لطمست هذه العجم آثارهم[٣] . أترى الأعيار إذا رأت العِتاقَ لا تَرَى لها فضلا ! والله ماأمر اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم بقتلهم ، إذْ لا يدينون بدِينٍ ، إلّا لضنّه بهم ، ولا ترَكَ قَبولَ الجزيةَ منهم إلّا تنزيهًا لهم .

وقيل لأعرابىّ : ما السُّرور ؟ فقال : أوبةٌ بغير خيبة ، وألفةٌ بعد غيبة .

وقيل لآخر : ما السُّرور ؟ قال : غيبةٌ تُفيد غنًى ، وأوبةٌ تُعقِب مُنًى . وأنشأ يقول :

وكنت فيهم كممطورٍ ببلدته يُسَرُّ أن جَمع الأوطانَ والمطرا[٤]

وأحسن ما سمعنا فى حبِّ الوطن وفَرحة الأوبة قوله[٥] :

---

(١) فى الأصل والتيمورية : « عرف » ، صوابه فى البيان .

(٢) يقال أرض حشاة : سوداء لا خير فيها ، أو أرض قليلة الخير . وفى البيان : « حاشية » .

(٣) البيان : « هذه العُجمان آثارهم » .

(٤) فى الحيوان ٣ : ٢٢٨ وديوان المعانى ٢ : ١٩٠ : « فسر أن جمع » .

(٥) هو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر بن حمار البارق ، كما فى اللسان (عصا) . ونسب إلى مضرس الأسدى فى البيان ٣ : ٢٤٠ . ونسب فى المؤتلف ٩٢ والاشتقاق ٤٨١ إلى معقر بن حمار .

وباسَرتها فاستعجلتْ عن قِناعِها ... وقد يستخفُّ [الطامعين] المُياسر[1]

مشمِّرة عن ساق خَدلاء حُرَّة ... تُجارى بنيها مرّةً وتُحاضِرُ[2]

وخبَّرَها الرُّوَّاد أن ليس بينها ... وبين قُرى نجرانَ والدَّربِ صافرُ[3]

فألقت عصاها واستقرَّت بها النوى ... كما قَرَّ عينًا بالإياب المسافرُ[4]

وقيل لبعض الأعراب : ما الغبطة ؟ قال : الكفاية مع لزوم الأوطان[5] ، والجلوسُ مع الإخوان . قيل : فما الذّلّة ؟ قال : التنقُّل فى البلدان ، والتنحِّى عن الأوطان .

وقال آخر :

طلب المعاشِ مفرِّقٌ ... بين الأحبَّة والوطنْ

ومصَيِّرٌ جَلَدَ الرجا ... لِ إلى الضَّراعة والوهَن

حتّى يُقادَ كما يُقا ... دُ النِّضو فى ثِنْى الرَّسَنْ

ثم المنيَّة بعدهُ ... فكأنه ما لم يكُنْ

ووجدنا من العرب : مَن قد كان أشرفَ على نفسه ، وأفخرِ فى حسبه ؛ ومن العَجم : من كان أطيبَ عنصراً وأنفسَ جوهراً — أشدَّ حنيناً إلى وطنه ، ونزاعًا إلى تُربته .

---

(١) فى التيمورية : « وباشرتها » ،و « المباشر » . وقبل الكلمة الأخيرة من البيت بياض فى النسختين بمقدار كلمة جعل موضعه فى ط « الطامعين » التى أثبتها» .

(٢) الخدلاء : الممتلئة الساق . وفى النسختين و ط : «حولاء » . وفى التيمورية بعدها : « جسرة » .

(٣) الرواد : جمع رائد . التيمورية : « الوارد » . وفى اللسان (كفر عصا) : « نجران والشام كافر » . وفسر الكافر فى الموضعين بأنه المطر .

(٤) يضرب مثلا لكل من وافقه شىء فأقام عليه .

(٥) فى المحاسن والمساوى ١ : ٤٩٠: « ولزوم الأطان » .

٢٣٨ و

وكانت الملوك على قديم الدّهر لا تؤثر على أوطانها شيئاً .

وحكى المُوبَذ[١] أنّه قرأ فى سيرة إسفَنْدِيار بن يستاسف[٢] بن لُهْراسف[٣] ، بالفارسيّة ، أنّه لما غزا بلادَ الخزر ليستنقذ أختَه من الأسر ، اعتلّ بها ، فقيل له : ما تشتهى ؟ قال : شَمّةً من تُربة بلخ ، وشَربةً من ماء واديها .

واعتلّ سابور ذو الأكتاف[٤] بالرُّوم ، وكان مأسورًا فى القِدّ ، فقالت له بنت ملك الرُّوم وقد عشِقته : ما تشتهى مما كان فيه غذاؤك ؟ قال : شَربةً من ماء دِجْلة ، وشَمّةً من تربة إصطخر ! فغبرت عنه أيّامًا ثم أتته يومًا بماء الفرات ، وقَبضةً من تراب شاطئه[٥] ، وقالت : هـذا من

(١) الموبذ : قاضى المجوس ، ورئيس الكهنة . فارسى معرب . وانظر التنبيه والإشراف ٩٠ .

(٢) فى الأصل والتيمورية : « ويستاسف » ، وإنما المراد الابن فقط . وانظر معجم استينجاس ٥٨ والتنبيه والإشراف ٨٧ . ويقال فى والده أيضاً « كيشتاسب » كما يأتى بصور أخرى فى كتب العرب . انظر الطبرى ٢ : ٥٦ . ولفظه فى الفارسية « كشتاسپ » . استينجاس ١٠٩١ .

(٣) فى الأصل : « نهراسف » بإهمال نقط الحرف الأول ، وإنما هو « لهراسف » كما فى التيمورية ومعجم استينجاس ١١٣٣ . ولفظه فى الفارسية : « لُهراسب » .

(٤) هو التاسع من ملوك الفرس الساسانية ، وهو سابور بن هرمز بن نرسى ابن بهرام . ذكر المسعودى فى التنبيه ٨٨ أنه ملك ٧٢ سنة . وهو غير سابور بن أردشير بن بابك فإن هذا هو الثانى من ملوك الساسانية . التنبيه ٨٧ . وانظر الطبرى ٢ : ٥٩ ، ٦٦ . والخبر فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٧٦ موجزا .

(٥) التيمورية : « شاطبه » ، تحريف .

ماء دِجلة ، وهـذه من تربة أرضك ، فشرب واشتمّ من تلك التُّربة فنَقَه من مرضِه[١] .

وكان الإسكندرُ الرُّوميّ جال فى البُلدانَ[٢] وأخْرَبَ إقليم بابل ، وكنز الكنوزَ وأبادَ الخَلْق ، فمرِض بحَضْرة بابل[٣] ، فلما أشفَى أوصى إلى حكمائه ووزرائه أن تحمل رِمّته فى تابوتٍ من ذهبٍ إلى بلده ؛ حبًّا للوطن .

ولمّا افتتح وَهرِز بن شير زاذ بن بهرام جور[٤] اليمن ، وقتل ملك الحبشة المتغلب ـ كان[٥] ـ على اليمن ، أقام بها عاملاً لأنوشِروان ، فبنى نجران اليمن — وهى من أحصن[٦] مدن الثغور — فلمّا أدركته الوفاةُ أوصى ابنه شير زاذ أن يحمل إلى إصطخر ناوسَ أبيه ، ففعل به ذلك .

فهؤلاء الملوك الجبابرة الذين لم يفتقدوا فى اغترابهم نعمة ، ولا غادروا فى أسفارهم شهوة ، حنُّوا إلى أوطانهم ، ولم يؤثروا على تُربهم ومساقط رءوسهم شيئاً من الأقاليم المستفادة بالتغازِى[٧] والمدن المغتصبة من ملوك الأمم .

وهؤلاء الأعراب مع فاقتهم وشدّة فقرهم يحنُّون إلى أوطانهم ، ويقنعون بتُربهم ومحالِّهم .

---

(١) نقه من مرضه : برئ ولا يزال به ضعف. التيمورية : «ففاق» ، تحريف .

(٢) التيمورية : « جال البلدان » ، تحريف . وجال فعل لازم .

(٣) الحضرة : قرب الشىء ، يقال كنا بحضرة ماء ، أى عنده . وفى النسختين : « بحظيرة بابل » ، تحريف .

(٤) وهرز ، سبقت ترجمته فى ١ : ٢٠١ .

(٥) كلمة « كان » ساقطة من التيمورية .

(٦) التيمورية : « أحسن » بالسين .

(٧) التغازى : تفاعل من الغزو ، وإن لم تصرح به المعاجم .

ورأيتُ المتأدِّب من البرامكة المتفلسف منهم ، إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده فى جرابٍ يتداوى به .

ومن أصدق الشواهد فى حبِّ الوطن أن يوسف عليه السلام ، لمّا أدركته الوفاة أوصَى أن تُحملَ رِمّته إلى موضع مقابر أبيه وجدِّه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام .

٢٣٨ ظ

وروى لنا أنّ أهل مصر منعوا أولياءَ يوسف من حمله ، فلمّا بعث الله موسى عليه السلام وأهلك على يديه فرعَون وغيره من الأمم ، أمره أن يحمل رِمّته إلى تربة يعقوب بالشّام ، وقبره عَلَمٌ بأرض بيت المقدس بقرية تسمّى حسامى[1] .

وكذلك يعقوب ، مات بمصر فحملت رِمّته إلى إيلياء[2] ، قرية بيت المقدس ، وهناك قبر إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

---

(١) كذا فى النسختين ، وإنما هى « حِسمَى » . وفى معجم البلدان أنها أرض بين أيلة وجانب تيه بنى إسرائيل . وفى التكوين ٥٠ : ٢٦ : « ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين ، فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر » . لكن فى الطبرى ١ : ١٨٧ : « وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر » .

فى التكوين ٥٠ : ٥ قول يوسف : « أبى استحلفنى قائلا : ها أنا أموت ، فى قبرى الذى حفرته لنفسى فى أرض كنعان هناك تدفننى . فالآن أصعد لأدفن أبى وأرجع » . وفى الطبرى ١ : ١٨٧ عند الكلام على يعقوب أنه « تقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمل جسده حتى يدفنه بجنب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف » .

ومن حبِّ النـاس للوطن ، وقناعتهم بالعطن ، أنّ إبراهيم لمّا أتى بهاجَر أمِّ إسماعيل مكّة فأسكنها ، وليس بمكّة أنيسٌ ولا ماء ، ظمئ إسماعيل فدعا إبراهيمُ ربَّه فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ[1] ﴾ ، أجابَ الله دعاءه إذ رضى به وطنًا ، وبعث جبريل عليه السلام فركض موضعَ زمزم برجله ، فنبع منه زمزم .

ومرّ بإسماعيل وأمّه فِرقةٌ من جُرهم ، فقالوا : أتأذنون لنا أن ننزل معكم ؟ فقالت هاجر : نعَمْ ولا حقَّ لكم فى الماء ، فصار إسماعيل وولدُه قُطّانَ مكةَ ، لدعوة إبراهيم عليهما السلام .

نعم ، وهى مع جدوبتها خير بقاع الأرض ، إذ صارت حرمًا ، ولإسماعيل وولده مَسكنًا ، وللأنبياء مَنسِكًا ومجمًّا على غابر الدّهر .

وممّن تمسَّك من بنى إسرائيل عليه السلام بحبِّ الأوطان خاصّةً ، ولدُ هارون ، وآلُ داود ؛ لم يمت منهم ميِّت فى إقليم بابل فى أىِّ البُلدان مات ، إلّا نبشُوا قبرَه بعد حول ، وحملت رِمّته إلى موضع يدعى الحصاصة بالشّام فيُودَعُ هناك حولاً ، فإذا حال الحولُ نُقِلت إلى بيت المقدس .

وقال الفرزدق[2] :

لَكِسرى كان أعقلَ من تميمٍ ليالىَ فرَّ من بلد الضِّبابِ
فأسكنَ أهلَه ببلادِ ريفٍ وجنّاتٍ وأنهـارٍ عِذابِ

---

(١) الآية ٣٧ من سورة إبراهيم .

(٢) لم أجد الشعر فى ديوانه . ونسب فى الحيوان ١ : ٢٥٦ إلى أبى ذباب السعدى ، وفى ٦ : ١٠١ إلى التيمى .

فصار بنُو بنيهِ بهـا مُلوكًا ... وصِرْنا نحن أمثالَ الـكلابِ
فلا رحِمِ الإلهَ صَـدى تميمٍ ... فقد أزرَى بنَا فى كلِّ بابِ

وقال آخر فى حبّ الوطن :

سقى الله أرضَ العاشقين بغيثِه ... وردَّ إلى الأوطان كلَّ غَريبِ
وأعطَى ذَوِى الهيئاتِ فوقَ مُنامُ ... ومَتَّع محبوباً بقرب حبيبِ

تمت الرسالة فى الحنين إلى الأوطان من كلام أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، بعون الله ومنّه ، وبتمامها تم جميع الجزء من كلامه ، والله الموفق للصّواب برحمته ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه الطّيّبين الطاهرين وسلامه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أنهاه مطالعة العبد الفقير أحمد شهاب الدين المصرى .

استدراك وتذييل

١ : ١٢ س ١٣ من الحواشى : «اسم أبيه أمية بن عبدة » . هذا ما ورد فى هذا الموضع من الجمهرة ص ٢١٣ . لكن فى ص ٢٢٩ منها « أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث » . وهذا يطابق مافى الإصابة ٩٣٦٠ .

١ : ٦٠ س ٦ : « لأنسوك أدب البصريين » . كذا وردت فى الأصل بالباء . وأرى أن صوابها « المصريين » . وجاء فى حسن المحاضرة للسيوطى ٢ : ١٩٩ : « من أقام بمصر سنة وجد فى أخلاقه رقة وحسناً » .

١ : ٨٣ س ١ : « فيروزا شاهى » جاء فى جمهرة أنساب العرب ٨٩ أن أم يزيد هى « شاهفريد بنت كسرى بن فيروز بن يزدجرد » .

الفهارس الفنيـــة

١ — فهرس القرآن

مرتباً حسب المواد اللغوية

٢ — فهرس الحديث

٣ — فهرس الأمثال

٤ — فهرس الأشعار

(١) ويقال إنه للفضل بن العباس .

أجزاء أبيات

٥ — فهرس الأرجاز

٦ — فهرس اللغة(*)

(ا) الألفاظ العربية

(*) يشمل ما فسره الجاحظ وقد وضعت أرقامه بين قوسين (   ) ، وما قمت بتفسيره فى الحواشى وقد جرد من الأقواس . وما وضع تحته خط فهوما لم يرد فى المعاجم . كما يشمل الفهرس أيضاً مسائل العربية .

ب– الكلمات غير العربية

٧ – فهرس الأعلام (*)

(*) الأرقام الموضوعة بين قوسين تدل على مواضع الترجمة . وما وضع بعده (ح) فهو مما ورد فى الحواشى .

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٨٨ .

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ى)

٨ — فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٩ — فهرس البلدان والمواضع ونحوها

١٠ — فهرس الكتب (*)

(*) ما قرن منها بنجم فهو من تأليف الجاحظ .

مراجع الشرح والتحقيق

أخبار أبي تمام للصولي . لجنة التأليف ١٣٥٦ .
أخبار الظراف والمتماجنين ، لابن الجوزي . دمشق ١٣٤٧ .
آخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي . السعادة ١٣٢٦ .
أخبار أبي نواس ، لابن منظور . الاعتماد ١٣٤٣ .
أدب الدنيا والدين ، للماوردي . الأميرية ١٣٤٣ .
أساس البلاغة ، للزمخشري . دار الكتب ١٣٤١ .
الاستيعاب ، لابن عبد البر . حيدر أباد ١٣١٨ .
أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٦ .
أسماء خيل العرب ، لابن الأعرابي . ليدن ١٩٢٨ م .
أسماء المغتالين من الأشراف ، لابن حبيب (في نوادر المخطوطات) .
الاشتقاق ، لابن دريد . تحقيق عبد السلام هارون . السنة ١٣٧٨ .
الإصابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .
إعتاب الكتاب ، لابن الأبار . تحقيق د . صالح الأشتر . دمشق ١٣٨٠ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي . لجنة التأليف ١٣٥٦ .
الأغاني ، لأبي الفرج . التقدم ١٣٢٣ .
الأغاني ، لأبي الفرج . دار الكتب من سنة ١٣٤٥ .
الاقتضاب ، لابن السيد . بيروت ١٩٠١ م .
الإكليل ، للهمداني . تحقيق الأب أنستاس ماري . بغداد ١٩٣١ م .
ألف ليلة وليلة . بولاق ١٢٥١ .
الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدي شير . بيروت ١٩٠٨ م .
أمالي الزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون . المدني ١٣٨٢ .
أمالي القالي . دار الكتب ١٣٤٤ .
أمالي المرتضى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الحلبي ١٣٧٣ .
إمتاع الأسماع ، للمقريزي . تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٩٤١ .
إنباه الرواة ، للقفطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتب ١٣٦٩
الأنساب ، للسمعاني ، ليدن ١٩١٢ م .
الأوراق ، للصولي . الصاوي ١٩٣٦ م .
البخلاء ، للجاحظ . تحقيق د. طه الحاجري . دار الكاتب المصري ١٩٤٨ م .
البداية والنهاية ، لابن كثير . السعادة ١٣٢٨ .
بغية الوعاة ، للسيوطي . السعادة ١٣٢٦ .
بلوغ الأرب ، للآلوسي . الرحمانية ١٣٤٣ .
البيان والتبيين ، للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٨١ .
تاريخ الإسلام ، للذهبي . القدسي ١٣٦٧ .

تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى . السعادة ١٣٤٩ .
تاريخ الطبرى . الحسينية ١٣٢٦ .
تحقيق النصوص ونشرها ، تأليف عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ .
تذكرة الحفاظ ، للذهبى . حيدر أباد ١٣٣٣ .
تذكرة داود الأنطاكى . الشرفية ١٣١٧ .
التربيع والتدوير ، للجاحظ . فى مجموعة رسائل للجاحظ . التقدم ١٣٢٤ .
تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى . الأزهرية ١٣٢٨.
تفسير أبى حيان ، البحر المحيط . السعادة ١٣٢٨ .
تفسير ابن كثير . الاستقامة ١٣٧٣ .
تقريب التهذيب ، لابن حجر . الهند ١٣٢٠.
التمثيل والمحاضرة ، للثعالبى . تحقيق عبد الفتاح الحلو . الحلبى ١٣٨١ .
التنبيه والإشراف للمسعودى . الصاوى ١٣٥٧ .
التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ، لابن جنى . (مصورة خاصة من مخطوطة أحمد الثالث) .
تهذيب الأسماء واللغات ، للنووى ، تحقيق وستنفلد . طبع غوطا ١٢٤٢ .
تهذيب تاريخ ابن عساكر . لعبد القادر بدران . دمشق ١٣٣٢ .
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٢٧ .
التيجان ، لوهب بن منبه . حيدر أباد ١٣٤٧ .
ثمار القلوب ، للثعالبى . الظاهر ١٣٢٦ .
الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢ .
جمع الجواهر ، للحصرى . الرحمانية ١٣٥٣.
جمهرة أشعار العرب ، لأبى زيد القرشى . بولاق ١٣٠٨ .
جمهرة الأمثال ، للعسكرى . بمباى ١٣٠٦ .
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٣٨٢ .
جنى الجنتين ، للمحبى . الترقى بدمشق ١٣٤٨ .
جوامع السيرة ، لابن حزم . تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد . دار المعارف ١٩٥٦ م .
حاشية الصبان على الأشمونى . عيسى الحلبى ١٣٦٦ .
حسن المحاضرة ، للسيوطى . الموسوعات ١٣٢١.
حماسة البحترى . الرحمانية ١٣٢٩ م .
حماسة أبى تمام . السعادة ١٣٣١ .
حماسة ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٥ .
حياة الحيوان ، للدميرى . صبيح بالقاهرة .
الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبى ١٣٦٦.
خزانة الأدب ، للبغدادى . بولاق ١٢٩٩ .
الخصائص ، لابن جنى . تحقيق محمد على النجار . دار الكتب ١٣٧٦ .
خلاصة تذهيب الكمال ، للخزرجى . الخيرية ١٣٢٢ .
الخيل ، لأبى عبيدة . حيدر آباد ١٣٥٨ .
دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجانى . السعادة ١٣٣٧ .
الديارات ، الشابشتى . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٩٥١ م .

وان الأخطل . بيروت ١٨٩١ م .
» أبى الأسود الدؤلى (ضمن نفائس المخطوطات) . بغداد ١٣٧٣ .
» الأعشى . تحقيق جاير . ڤينا ١٩٢٧ م .
» امرئ القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المعارف ١٩٥٨ م .
» أوس بن حجر . تحقيق د . محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٨٠ .
» البحترى . هندية ١٣٢٩ .
» بشار بن برد . شرح ابن عاشور . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
» أبى تمام . بيروت ١٣٢٣ .
» جرير . الصاوى ١٣٥٣ .
» جميل . جمع وتحقيق د . حسين نصار . دار مصر ١٣٨٢ .
» حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧ .
» حميد بن ثور . تحقيق الميمنى . دار الكتب ١٣٦٩ .
» ذى الرمة . كمبردج ١٩١٩ م .
» زهير ، بشرح ثعلب . دار الكتب ١٣٦٣ .
» زهير ، بشرح الشنتمرى . النعسانى ١٣٤٧ .
» الشماخ . السعادة ١٣٢٧ .
» أبى العتاهية . بيروت ١٩١٤ م .
» علقمة الفحل . الوهبية ١٢٩٣ .
» عنترة . الرحمانية .
» الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤ .
» القطامى . ليدن ١٩٠٢ م .
» لبيد . تحقيق د . إحسان عباس . الكويت ١٩٦٢ م .
» أبى محجن الثقفى . الأزهار بالقاهرة .
» مسلم بن الوليد . تحقيق د . سامى الدهان . دار المعارف ١٣٧٦ .
» المعانى ، للعسكرى . القدسى ١٣٥٢ .
» النابغة الذبيانى . الوهبية ١٢٩٣ .
» أبى نواس . العمومية ١٨٩٨ م .
» الهذليين . دار الكتب ١٣٥٠ .
ذيل الأمالى ، للقالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
الرياض النضرة ، للمحب الطبرى . الحسينية ١٣٢٧ .
زهر الآداب ، للحصرى . تحقيق على البجاوى . الحلبى ١٩٥٣ م .
سرح العيون ، لابن نباتة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المدنى ١٣٨٣.
سرقات أبى نواس ، لمهلهل بن يموت . تحقيق د . محمد مصطفى هدارة . مخيمر ١٩٥٧ .
سفر التكوين .
سمط اللآلى ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤ .
سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . الحلبى ١٣٧٣ .
سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزى . المؤيد ١٣٣١ .
السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .

شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي . القدسي ١٣٥١ .
شرح أشعار الهذليين ، للسكري . تحقيق عبد الستار فراج ومراجعة محمود شاكر . المدني ١٩٦٣م .
شرح الألفية ، للأشموني . عيسى الحلبي ١٣٦٦ .
شرح الحماسة ، للتبريزي . تحقيق محمد محيي الدين . حجازي ١٣٥٨ .
شرح الحماسة ، للمرزوقي . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
شرح الشافية ، للرضي . حجازي ١٣٥٦ .
شرح شواهد الألفية ، للعيني (بهامش خزانة الأدب) .
شرح شواهد المغني ، للسيوطي . البهية ١٣٢٢ .
شرح المقامات ، للشريشي . بولاق ١٣٠٠ .
شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنباري . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف ١٩٦٣ .
شرح القصائد العشر ، للتبريزي . السلفية ١٣٤٣ .
شرح الكافية ، للرضي . الآستانة ١٢٧٥ .
شرح المعلقات السبع للزوزني . السعادة ١٣٤٠ .
شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الحلبي ١٩٦٣ م .
شروح سقط الزند ، تحقيق لجنة أبي العلاء . دار الكتب ١٣٦٨ .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . تحقيق أحمد شاكر . الحلبي ١٣٧٠ .
الشعور بالعور ، للصفدي . (مخطوطة دار الكتب رقم ١٨٣٤ تاريخ) .
شفاء الغليل ، للخفاجي . السعادة ١٣٢٥ .
صحيح البخاري ، بهامش فتح الباري .
صحيح مسلم . بعناية محمد فؤاد عبد الباقي . الحلبي ١٣٧٥ .
صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر أباد ١٣٥٦ .
الصناعتين ، للعسكري . الحلبي ١٣٧١ .
طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة . الوهبية ١٢٩٩ .
طبقات الشعراء ، لابن سلام . تحقيق محمود شاكر . المعارف ١٩٥٢ م .
طبقات الشعراء ، لابن المعتز . تحقيق عبد الستار فراج . المعارف ١٣٧٥ .
الطبيخ ، للبغدادي . الموصل ١٣٥٣ .
طراز المجالس ، للخفاجي . الوهبية ١٢٨٤ .
العثمانية ، للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . دار الكتاب العربي ١٣٧٤ .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .
عيون الأثر ، لابن سيد الناس . القدسي ١٣٥٦ .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ .
غرر الخصائص ، للوطواط . بولاق ١٢٧٤ .
الغريب المصنف ، لأبي عبيد . (مخطوطة دار الكتب ١٢١ لغة) .
الفاخر ، للمفضل بن سلمة . تحقيق عبد العليم الطحاوي . الحلبي ١٣٨٠ .
فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .
فتوح البلدان ، للبلاذري . تحقيق عبد الله وعمر الطباع . دار النشر للجامعيين ببيروت ١٣٧٧ .
الفخري ، لابن طباطبا . الموسوعات ١٣١٧ .

الفرق بين الفرق ، للبغدادى . المعارف ١٣٢٨ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية ١٣٤٨.
فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبى . بولاق ١٢٨٣ .
الكامل ، لابن الأثير . بولاق ١٢٩٠ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤ م :
الكتاب ، لسيبويه . بولاق ١٣١٦ .
كتاب بغداد ، لابن طيفور . عزت الحسينى ١٣٦٨ .
كشف الظنون ، لحاجى خليفة . تركيا ١٣١٠ .
الكنايات ، للجرجانى . السعادة ١٣٢٦ .
اللآلئ = سمط اللآلى .
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٣٠ .
مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٩ .
مجالس العلماء ، للزجاجى . تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٦٢ م .
مجلة الثقافة . العدد ٢٢٤ .
مجمع الأمثال للميدانى . البهية ١٣٤٢ .
مجموع أشعار العرب ، بعناية وليم بن الورد البروسى . ليبسك ١٩٠٣ .
مجموعة المعانى ، لمجهول . الجوائب ١٣٠١ .
المحاسن والأضداد ، للجاحظ . الجمالية ١٣٣٠.
المحاسن والمساوى ، للبيهقى . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . نهضة مصر ١٣٨٠ .
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى . الشرفية ١٣٢٦ .
محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر ، للبسنوى على دده . بولاق ١٣٠٠ .
المحبر ، لابن حبيب . تحقيق د . إيلزة ليختن . حيدر أباد ١٣٦١ .
المختار من شعر بشار ، للخالديين . الاعتماد ١٣٥٣.
المخصص ، لابن سيده . بولاق ١٣١٨ .
مسند ابن حبان . تحقيق أحمد شاكر. دار المعارف ١٣٧٢ .
المصاحف ، للسجستانى . تحقيق د . أرثر جفرى . الرحمانية ١٣٥٥ .
المصون ، لأبى أحمد العسكرى . تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٦٠ م .
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .
المعانى الكبير ، لابن قتيبة . حيدر أباد ١٣٦٨ .
معاهد التنصيص ، للعباسى . البهية ١٣١٦ .
معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣.
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
معجم الحيوان ، للمعارف . المقتطف ١٩٣٢ م .
معجم الشعراء ، للمرزبانى . القدسى ١٣٥٤ .
المعجم الفارسى الإنجليزى ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م .
معجم قبائل العرب ، لعمر رضا كحالة . الهاشمية بدمشق ١٣٦٨ .
معجم ما استعجم ، للبكرى . تحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف ١٣٧١.
المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) . مطبعة مصر ١٣٨٠ .

المعرب ، للجواليقي . تحقيق أحمد شاكر . دار الكتب ١٣٦١ .
المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .
مغني اللبيب ، لابن هشام . التقدم ١٣٤٨ .
مفاتيح العلوم ، للخوارزمي . محمد منير ١٣٤٢ .
المفضليات ، للمفضل الضبي . تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٧١ .
المقصور والممدود ، لابن ولاد . السعادة ١٣٢٦ .
الملل والنحل ، للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧ .
المواقف ، للعضد . العلوم ١٣٥٧ .
المؤتلف والمختلف للآمدي . القدسي ١٣٥٤ .
الموشح ، للمرزباني . السلفية ١٣٤٣ .
الموطأ ، لمالك بن أنس . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . الحلبي ١٣٧٠ .
النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي . دار الكتب ١٣٤٨ .
نزهة الألباء ، لابن الأنباري . القاهرة ١٢٩٤ .
النزهة المبهجة ، لداود الأنطاكي ، بهامش تذكرة داود .
نسب الخيل ، لابن الكلبي . ليدن ١٩٢٨ م .
نسب قريش ، للزبيري . تحقيق بروفنسال . دار المعارف ١٩٥٣ م .
نفائس المخطوطات . تحقيق محمد حسن آل ياسين . النجف وبغداد ١٣٧٢ — ١٣٧٥ .
النقود العربية وعلم النميات ، للأب أنستاس ماري . العصرية ١٩٣٩ م .
نكت الهميان ، للصفدي . تحقيق أحمد زكي باشا . مصر ١٩١٠ م .
نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢.
نوادر المخطوطات . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٠ — ١٣٧٤ .
همع الهوامع ، للسيوطي . السعادة ١٣٢٧ .
الورقة ، لابن الجراح ، تحقيق عزام وفراج . دار المعارف ١٣٧٢ .
الوزراء ، والكتاب ، للجهشياري . تحقيق السقا والأبياري وشلبي . الحلبي ١٩٣٨ م .
وفاء الوفاء ، للسمهودي . السعادة ١٣٧٤.
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم . تحقيق عبد السلام هارون . المدني ١٣٨٢ .

محتويات الكتاب

الجزء الأول

الجزء الثانى

الفهارس

مؤلفات وتحقيقات عبد السلام هارون

آمالي الزجاجي ــ مجلد	الزجاجي
الأساليب الانشائية في النحو العربي	
الألف المختارة من صحيح البخاري ١/٢	
الاشتقاق ١/٢	الامام ابن دريد
البيان والتبيين ١/٤ ــ مجلد	الجاحظ
البرصان والعرجان والعميان والحولان	الجاحظ
تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب ــ مجلد	
الحيوان ١/٨ ــ مجلد	الجاحظ
شرح ديوان الحماسة ١/٤	المرزوقي
الكتاب ١/٥	سيبويه
العثمانية	الجاحظ
فهارس المخصص	ابن سيده
مجموعة المعاني	
مجموعة رسائل الجاحظ ١/٤	

معجم مقاييس اللغة ٦/١	ابن فارس
المفضليات الخمس	
همزيات أبي تمام	
وقعة صفين	ابن مزاحم

